

١٧١

الجزء السابع

من

الجواهر

في تفسير القرآن الكريم

المشتمل على عجائب بدائع المكنونات وغرائب

الآيات الباهرات

( تأليف )

الاستاذ الحكيم الشيخ طنطاوى جوهرى

المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم

سابقا متع الله المسلمين بحياته آمين

طبع بمطبعة

مُصطَفَى السَّابِى الحَكِيمى وَأولاده بمصر

( حقوق الطبع محفوظة )

ربيع ثانى سنة ١٣٤٦ هـ - ٥



إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سورة يوسف هي مكية بالاجماع وهي مائة واحدى عشرة آية ﴾

وقبل الشروع في تفسيرها أقول

إني أجد الله عز وجل أن حقق رجائي وأبقاني في هذه الدنيا حتى وصلت الى هذه السورة فلقد كتبت في سورة البقرة عند قوله تعالى - ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون - مانعه . اعلم أني كنت كتبت هذا التفسير كما قدمت في أول الكتاب وأنا مدرس بدار العلوم في نحو سنة ١٩١١ م . ومن عجيب صنع الله عز وجل أني في تلك السنوات كتبت في مجلة ﴿ الملاحى العباسية ﴾ التي كانت تنشر هذا التفسير مقالا مطولا في اجمال تفسير سورة يوسف قلت فيها أن الفراعنة كانوا أغزر علما من المصريين الحاليين وحكامهم ومن علماء أوروبا الذين يحكم رجالهم بلادنا فشرحت من رؤيا الملك مسألة سبع البقرات السمان وسبع السنبلات واهتمامه بالزراعة . وعطفت على مسألة الطيور ونهت الحكومة والأمة فصدر الأمر عقبها سنة ١٩١٢ ميلادية بمنع صيد الطيور النافعة ومن أهمها (أبوقردان) وها أنا ذا أكتب تمام التفسير الآن سنة ١٩٢٢ للطبع وقد رأيت بعيني رأسي أن الحكومة قد ربت (أباقردان) وانتشر في البلاد المصرية انتشارا كما كان سابقا فأجد الله عز وجل على هذه النعمة وعلى حفظ الطيور بركة الآيات القرآنية وآثارها في النفوس وحرام على من عنده نصيحة أن يمسكها جينا عن الجمهور فانها لابد نافعة عاجلا أو آجلا وإن شاء الله إذا طال الأجل ووصلت الى سورة يوسف أثبت تلك المقالات اهـ

أقول وها أنا ذا الآن في يوم الاثنين الثالث عشر من شهر اكتوبر سنة ١٩٢٤ وأجد الله إذ وصلت الى هذه السورة وإن خير سعادة لي في هذه الحياة تمام هذا التفسير فاذا تم على المنوال الذي أريده كان هذا خير ما أتمناه في هذه الحياة . والآن ابتدئ بذكر ذلك الملخص لتطلع عليه . ثم أتبعه بما كتبه الحكومة المصرية لمنع الفلاحين من صيد (أبي قردان) ثم أتبعه بتفسير السورة تفسيرا تفصيليا بعد الاجال في هذا المقال

﴿ كيف نتخدم مصر اذا فهمت هذه السورة ﴾

هذا الوجود أسباب ومسببات ونتائج ومقدمات سواء في ذلك العناصر والمركبات والعلوم والديانات ومنها القرآن فلقد أنزل للاعتبار وقرئ للدلالة وأكثرت المسلمين لا يقرؤنه إلا وهم غافلون ولا يسمعون له إلا وهم لاهون لا يعلمون إلا ظاهرا من الأمر والنهي والوعد والوعيد والعظة والمثل وهم عن عجائب القصص معرضون . في القرآن قصص تسرد وقائع الأنبياء وفضائل الأولياء وعجائب أعمالهم وغرائب أحوالهم لتقيس المشاهد المنظور على الغائب المستور والحاضر الظاهر على الغائب الفائق

غفل الناس عن ذلك كله أيما غفلة وناموا على وساد الراحة ومهاد الغفلة حتى أصبح المسلمون في أنحاء المعمورة يمتازون بأنهم مسبقون في المدنية والعمران . جاهلون بالمنافع المادية والمعنوية . خاضعون للظالمين مقلدون . والمقلد جاهل والجاهل غافل والغافلون هم اهل الكون

ماعذب المسلمين ولا أراحهم عن مكانهم السامى الذى خوله الله لهم من الشرف العميم والفضل العظيم إلا القصاصون المخترفون وأدعياء العلم وما أكثرهم وهم ضالون مضلون بما يفترونه على الله عز وجل باسم الدين والدين برى مما يقولون . فعلى قادة الأمة الاسلامية أن يدخلوا البيت من بابه ويدعوا المسلمين للعلم بطريق الدين كما أخرجوا منه بطريق الدين فبالدين (ادعاء) أخرجوا وبالدين (تحقيقا) يدخلون

ولما كان القصص مهجور المعاني عند الناس وكان أحسنها قصة سيدنا يوسف عليه السلام أردت أن أذكر نبذة صالحة هنا فوق ما أوفضته في كتاب (النظام والاسلام) وما أودعته فيه من عجائب التنزيل وبدائع القرآن فأقول . إن هذه السورة لمزية خاصة بالمصريين فلذلك يقرؤنها في مآتهم وأفراحهم وإن تجلس مجلس قرآن إلا وتسمع القارئ يترنم بآياتها ويترنم بكلماتها والناس له سامعون وبصوته طربون إن كان من المحسنين . ألا إنما يطرب الانسان لما يهواه ويفرح بما يوافق هواه . فيا عجباً كيف يفرحون بها ويطربون لها الكلمات البديعة أم لمعانيها العجيبة . إن فيها حكماً وعبراً وعلوماً لو كشف عنها الغطاء وأدرك المصريون سرها لكانوا أرقى العالمين في الدنيا والدين . إن فيها السياسة المنزل وسياسة الشخص وسياسة المدينة . سياسات ﴿ ثلاث ﴾ انتظمها سورة يوسف . ففيها نصف علم الحكمة وهى الحكمة العملية الداعية لسعادة الأشخاص ولسعادة المنازل ولسعادة المدن فهى لهذا طرب السامعون . كلا وإنما يطربون لجواهر الألفاظ ولبصيص من المعاني العالية . ولو أنهم أدركوا ما سنو ضحه من العجائب اليوسفية ما أغمضوا الجفن ولنأت جنوبهم عن مضاجع الكسل ولربوا بأنفسهم أن ترعى مع الهمل وما استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير . لسوف يعلمون المعنى فيما نقول ولينظرون الله ماذا يفعلون

ألا إنما مثاهم اليوم في ترنمهم بها واقبالهم عليها وغرامهم بها كمثل أولئك الذين يدعون أنهم يعلمون الغيب بالخط في الرمل وما لهم بالغيب من علم وإنما هى الفطرة الانسانية والحكمة الربانية أكتبهم عليه وإن كانوا لا يشعرون كأن الحكمة الالهية تقول لأولئك الجاهلين . يا أيها الناس إن فى الرمل لعلوماً ستدركونها وأسراراً ستعلمونها ثم صنع منه المنظار المعظم والمقرب فكشف أدق الدقائق فى الحيوان والنبات وظهرت للعين بعض النجوم الثوابت وسائر السيارات . فهكذا فى سورة يوسف الاشارة لعلوم الأخلاق ولنظام المدن فأغرم الناس بها وأكثرهم لا يعلمون من مقاصدها إلا ما يعلم الدجالون من عجائب الرمل ومثل الناس أيضا فى غرامهم بها كمثل ذلك الذى يدعى أنه يعلم علم جابر ويستخرج الذهب والفضة بالكيمياء وماله بذلك من علم إن يتبع إلا الظن ولكن الله أودع ذلك فى قلوب طائفة من عباده توارثوه أجيالا حتى أتاح الله للناس من فهم الرمز وقام بالأمر وشرحوا علم الكيمياء ونقلوه من الظلمة الى النور ورفع المدنية ورقى الزراعة والصناعة والتجارة ودخل فى سائر أبواب الحياة فأصبحت الأرض كلها تنبت ما هو أنفع من الذهب وسائر



المعادن • كل هذا بالكيمياء • فهكذا فلتكن هذه القصة الشريفة التي يسميها الناس وأكثرهم لا يعلمون إلا حديث الحب والود فأشبهوا ذلك الرمال ومدعى الكيمياء وهما لا يعلمان كما انهما لغيرهما مقدمتان لعلك تقول مالنا نراك تضرب الأمثال بالكيميائي والرمال وانعزبي الدجال فاشرع الآن في المعنى المقصود وأرنا ذلك السر المصون حتى نقف على تلك العجائب ونفهم سر تلك الغرائب • أقول خذ مني القول سؤالا وجوابا على ما ألفتة فيما أسمعناك واصغ لما أقول سمعا • سألني سائل يقول

(س) ما بآلك تعاود التذكير بسورة يوسف وقد سبق القول والتفسير منك لها في كتاب ﴿ النظام والاسلام ﴾ وما هذا التكرار والدور في نفس المدار

(ج) اسكل مقام مقال فهناك تعميم وهنا تخصيص وذلك مبادئ وهذه نهايات وتلك اشارات وهذه عبارات وتلك مقدمات وهذه نتائج ولاخير في علم بلاتمايح ولافي شجر بلاثمر ولافي قراءة بلافكرة ولافي فكرة بلاعبرة ولافي عبرة بلاعمل ولافي عمل بلاخلاص

(س) ما أنواع العبارة في هذه السورة وما علاقتها بالصبغة الوطنية المصرية وما فادتها للمجتمع الاسلامي عمومًا والمصري خصوصا

(ج) في هذه السورة خمس عبر (١) رؤيا سيدنا يوسف عليه السلام (٢) وأذى اخوته (٣) قصته في بيت العزيز (٤) وقضيته في السجن (٥) وتنظيمه للخزائن المصرية

### (١) ﴿ الرؤيا ﴾

اذا كان الحب والنوى ينبئان نجما وشجرا فالنتيجة حب ونوى وما كان فكرا أولا فهو عمل آخر • هكذا كان أول حياته عليه السلام أن رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر له ساجدين وعليها أقيمت حياته وتنوعت أطوارها وبالسجود له والاعظام ختم تاريخ حياته - وخروا له سجدا وقال ياأبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا - فأول الفكر آخر العمل • إن للنفوس الانسانية خصائص تبدو علاماتها لدوى الفراسة ويختلج فيها من إبان الصبا ما خصص له استعدادها ويبرز في أفهامها وأقوالها وتمثلها وتقليدها وأحلامها وإن امتاز عليه السلام بالنبوة والرسالة والفضيلة وصورت له الأجسام الأرضية بصورة الأجرام السماوية والمركبات العنصرية المظلمة ذوات الأنفس الشريفة بالكواكب المضيئة صوراً بديعة وآيات عجيبة إلا أن لكل رؤيا تناسبه وأحلاما توافقه وطالما دلت الرؤيا ذوى الفراسة على أخلاق الرائيين وأفادت السامعين أنباء عقول القائلين فلاكل امرئ مناهج يسلكها ومطالب يرصدها وقاصد يؤمها لذلك رأى النبي النجوم وجالها والسجود والخضوع ورأى الملك المصري سبع بقرات سمان تأكلهن سبع بقرات مہزولات ضعيفات وسبع سنبلات خضرا التفت عليهن سبع سنبلات يابسات فامتصت ماءهن وتركتهن يابسات ولم يبد على البقرات الآكلات سمات السمن ولاعلى السنبلات اليابسات آيات النضرة ومظاهر الحياة • رؤيا النبي جمال النجوم وسجود الساجدين • ورؤيا الملك سنبلات وبقرات • ذلك عجب عجاب • بعث الأنبياء للعبادة والتفكير في الجبال وخلق الملوك لنظام الممالك وحفظ البلاد والعباد من الخراب والسمار • فالسجود من جنس العبادة وإن لم يكن في هذا من عبادة ولكنه تكريم والنجوم جمال والجبال السماوى والبهاء الكونى مصدر التفكير والتعليم إلا أن في اشراق الكواكب والشمس والقمر في نفس سيدنا الصديق في صباه لعجبا عجيبا ودلالة على عفقه عند الحرمات وتعلما لطبقات المصريين وحفظ المال أن يضيع والناس أن يموتوا • كل ذلك مقتضى النفوس الجميلة التي ذراها الله سبحانه مطرا وشمسا تضيء وقرا ذا سناء

ألا ان الشمس لتشرق والناس لا يشكرونها • والقمر ليطلع وإن كفر به الناس • والله خالق ورازق وإن كفر نعمته العالمون • هكذا الصديق النبي تجلى للناس وتجلت له تلك الصور الجميلة فبرز بعد ذلك منه



للناس آثار واضحة من العفة والصبر والعطف على المصريين، وتعليمهم وتنظيم ثروتهم وثمرات نيلهم ولأهله وعشيرته صفح جيل وبر وصلة وعطف وإن كانوا له حاسدين، فكان الاحسان لنفسه سجية والجيل بقلبه طريقة فأحسن للمسيئين من أهله والمصريين فكلاهما آذاه وكلاهما نال الخير منه بعد آذاه فهذا أوله وهذا منتهاه فاما الملوك فما أحراهم أن يعكفوا على نظام الجمهور وحفظ الثغور والسهر على المصالح العامة • وأهم

المطالب الاجتماعية في الأمم المتقدمة ﴿ أربع ﴾ الامارة • والزراعة • والتجارة • والصناعة ولما كانت الزراعة من أهمها وضعاً وعمها نفعا وأشرفها صنعا لاسيما عند المصريين الذين هم بها مغرمون وعلى ترتيبها ونظامها يحرسون روع قلب الملك المصرى بيباس سنبلاتها وعجاف بقراتها مما دل على اهتمام الملك بالرعية وحبه للأمة المصرية • وليست تتصور النفس في المنام إلا ما اهتمت به في الغالب أجل اهتمام ﴿ تصور الحقول المصرية وتأمل وتعجب ﴾

يظن الفلاح أنه زرع وحصد ولا يعلم أن هناك له شركاء في الزرع هي أجل منه نفعا وأحسن صنعا

(س) ما شركاء الانسان في زرع الأرض المصرية

(ج) شركاؤه الطيور الليلية والطيور النهارية كالبوم والغربان وأبى قردان وبعض العصافير والخطاطيف يزرع الانسان الأرض ويحرثها بالأنعام من البقر والجاموس ويعينه غيرهما من الماشية ويدراً الاذى عن الحب والفاكهة الطيور من الغربان والبوم وأبى قردان وغيرها

الانسان والدواب زارعان والطيور دافعات للأذى طارذات للعداء آكلات الدود مبيدات الفيران • الانسان والأنعام تتعاون على الحرث والسقي وتبذر وتسمد الأرض بأبوالها وأروائها وغائطها وأجسامها فهي مصانع للسماح حارثات للحقول آكلات الحشائش والحبوب • والطيور مبيدات المهلكات قاتلات الحشرات بقل الله • جل الله خلق فسوى وقدر فهدى نظم الحقول كما نظم الممالك وأنزل الانسان والأنعام للزرع منزلة علماء الطبيعيات والرياضيات في الأمم العالية وأنزل الطيور من أبى قردان والغراب والبوم منزلة الشرطة في المدن والقرى والقضاة الدارين للحوادث الداخلية وأعوانهم المحامين ورجال الحرب الدافعين عن البلاد والضاربين بالقنا والسيف والمدفع والبارود

لاريب أن التضاة والشرطة وقواد الجنود مدافعون وعلماء الطبيعيات والرياضيات وغيرهما لا يخرج الجالبون وما المدافع إلا لحفظ المنافع فالملقصود على الحقيقة هم العلماء الجالبون للمنافع وماعداهم فانما هم حصون لهم اليها يلجئون وفي أكنافها يمرحون • فثبت أن الأنعام والانسان أهم للزرع من البوم والغربان وأبى قردان وإن كان الفلاح لا يفلح بغير ما يصف أو يدف بالجنح ولا فلاح لأئمة بلاجنود وقواد ولا حياة لها إلا بالعلوم الطبيعية كما لا حقل في البلاد المصرية إلا بالطيور الدورية وغير الدورية والفلاح الزارع والدواب الحارثة الساقية ومن العجب ان ترى الأمة المصرية اليوم تجهل فوائد الطيور وتعقل منفعة القضاء والحمامة مع انها مصنوعان وأخوان يتساوقان وخلان لا يفترقان • ترك المصرى العلوم الطبيعية وعقائما الفلاح وهو يعمل بما ورث عن أبويه • جهل المصرى فوائد الطير وهو المدافع عن المزارع وعقل الحمامة والقضاء

جهل عظيم وموت تام وطامة كبرى جهل المصرى العصرى عظيم • عقل التحلية في المزارع وجهل تخليتها وأدرك التحلية في نظام المدينة وجهل التحلية

﴿ ماذا فعل قدماء المصريين • بماذا أفادوا البلاد في هذا المقام ﴾

أوصى علماءهم الفلاحين أن اعبدوا العجول ولا تنهينوها فانما هي حارثة لأرضكم ذات نفع عظيم ثم أمرهم أن اعبدوا الهرة وقدسوا أبى قردان ولم يذكر لهم الأسباب وانما قالوا هذا سر من رب الأرباب لأن الجاهل لا يعقل ما يعرفه المتعلمون وما يعقلها إلا العالمون • هذا منشأ عبادة البقر وبعض الطيور حيلة

دبرها الرؤساء ولكن أكثر الناس ما كانوا يعلمون . لذلك كثر ذكر العجول في قصص بني اسرائيل فترى السامري - أخرج لهم عجلا جسدا له خوار - وترى بني اسرائيل لما أرادوا اظهار القتيلى أمروا بذبح بقرة . ومما هنا أيضا كون الأرض على قرن الثور إلا لتعجب من هذا كيف كانت رؤيا الملك في سبع بقرات وكيف كانت رؤياه تجمع المقصود وهو الزرع وجالب النفع وأهمه البقر ولم يرد في الرؤيا الطيور فانهن كالحمامين والقضاة . والأمم اذا خلت من الأخلاق الشاذة والنفوس الناقصة لم تحتج الى القضاء كما أن الحقل اذا خلا فرضا من الحشرات لم يحتج الى الطير الصافات ولا غير الصافات

الانسان والأنعام والطيور جمهورية منظمة على كل قسطه من العمل ولكل حظه من ثمرات الأرض ومنافع الحرث . لقد فقدت الأمة المصرية أول قائد لجنودها وأكبر عامل لنصرها وركنا من أساطين حربها ذلك هو (أبو قردان) فلقد اتصل نسله منذ آلاف من السنين وهو يحكى الدمار ويقود الجنود المسلحة الهوائية فيهجم على الهوام والود فيبيدها فيسلم الحرث والنسل . عرف المصري القديم جيله فأواه وأيده بل عبده وجهل المصري الجديد فضله فقتله وأباده . هل هذا ثمرة التعليم والمدنية . هل هذا هو الذى اليه وصلنا من الحكمة . أيجمل في شرع المدنية وناموس العمران أن يعيش (أبو قردان) أكثر من عشرة آلاف سنة ثم لا يبيد إلا في أوائل القرن المئتم عشرين . لتندب مصر حظها . لتبك غلومها . ولأبك على بلادى . هل نقت حكومة البلاد وبحث عن سبب ضياع هذه النعمة وزوال هذه الجنود المجندة . أيجسن يا أبناء البلاد أن نجهل موارد رزقنا وعناصر حياتنا . تبا للجهل وبعدا لنا اذا عشنا غافلين . وباليث شعري أنا في يقة أم في منام ولعل ما أقول اليوم أضغاث أحلام وربما أجبث بقولهم وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين

### ﴿ حكاية وأمنية ﴾

انطلقت الى شاطئ النيل الغربى لأتفرج على الأشجار والأزهار فصادفت مسجدا يسمى ﴿ مسجد الجزيرة ﴾ شمال قنطرة قصر النيل فدخات للصلاة ورأيت النمل تغدو وتروح فوق الحصيرات المنسوجات وهى طالعات هابطات فوق الأعواد وبينهن لايشنن لذر ولا يخفن من غدر وكأنا أرجل المصليين فوق الأعواد جبال وكأن الأعواد تلال والفجوات المتخللات أغوار ووهاد بالنسبة للنملات فأطلت النظر اليها والتأمل فى حركاتها وسكناتها والتعجب من شجاعتها واقدامها حتى ان راحة يدي والفرع والأنامل الاتى تخيل لها جبلا شامخات وشعابا واسعات لم تثبط عزيمتها ولم تكسر من همتها ولم تهلع لها قلوبها . ولوأنا تصورنا جبلا يمشى على الأرض وكاد يصادم الانسان ليطحنه لهلع اذا رآه ومات قبل أن يراه فشاهدنى إذ ذاك فلاح معمم بعمامة سوداء فكنت موضع تعجبه واستغرابه وكان النمل موضع نظرى ومسرح فكرى فكان النمل لى عجبا وكنت عند الفلاح باوا ولعبا فرفعت طرفى اليه وقلت يا أيها الانسان أتدرى لم نظرت فى النملات . قال لا . قلت إنهن لأشجع من أكثر الناس قلبا لايشنن الرهبوت عن مطاب الرغبوت ولانهن لوطن الحوادث المزججات والكوارث الدهمات إنهن لأربط منك جأشا وأشجع من الفلاح والشيخ والباشا لاتثنى عن الرغبات ولاتنتهى إلا الى الغايات ولسان حالها يقول ﴿ اما هلك واما ملك ﴾ . قال الفلاح لقد قلت حقا ونطقت صدقا فما أيقظنى إلا لسع نملة فى جيدي فهى التى أقامتني للصلاة الآن فكان ذلك الاتفاق من عجائب الزمان كيف كنت منها فى عجب والفلاح منها فى هرب . فقات انها رأته غاصبا لمكانها حالا فى دارها فلم تهن لضعفها وقوتك ولم تضعف لخطوها وسطوتك قالت لألسعنه أو يفارق الديار وموتى فى الجهاد خير من الحياة فى المذلة والهوان فشاركنى الفلاح فى تفكيرى وعلمت أنه من جهة (فم البحر) وتناول بنا الحديث الى (أبى قردان) فقل لقد فقدناه فى هذه السنوات وذلك لقلة تقوانا وضعف إيماننا . نحن عن



الصلاة معرضون وما نحن للزكاة فاعلون وأكلنا التراث أكلنا وأحببنا المال حبا جما وفسدت منا القلوب  
 نفلت الجيوب . فقلت ما للصلاة ولأبي قردان ولكن الفلاح الجهول صاد (أبا قردان) لجهله بمنافعه وبعده  
 عن العلم الصحيح والعمل الشريف . فقال لم يصده أحد من الناس وإنما صاده الاوروبيون وطالم رأيت  
 يخلق ويرفر ف بجناحيه حول الماء وينفذ منقاره في الطين ليلبحث عن الدود والحشرات الكامنة فيه فيلتقطها  
 ويزدريدها . لقد كنت اذا نزلت الماء على الأرض جلال هو وجهها ولقد طلبناه في هذه الأيام فما وجدناه  
 وكان فقهه في هذه السنين وذلك منذ عشرة سنين . فقلت هذا الخبر يحتمل الشك وبت تلك الليلة مشغول  
 الفؤاد حزين القلب يائس النفس كئيبا لما حلّ بالبلاد من الحراب والدمار وذهاب الثروة وضياع المال وقلة  
 العلم وكثرة الجهل . فلما أن نمت خيل لي في نومي أن صبيانا يركبون على شجيرات نابتات على ضفاف نهر  
 أبي الأخضر بالشرقية وكأنهم ينفرون الطيور من أعشاشها ولا يقرّونها في وكنتها فهممت بهم كي يتركوها  
 ونعقت بهم كي يقروها فرجعوا مهرولين وولوا هاربين . فلما أن استيقظت وتذكرت ما رأيت قارنت رؤياي  
 برؤيا ملك مصر في الأزمان الغابرة والأيام الحالية إذ رأى البقرات السمان والسفلات الخضراء واليابسات .  
 ورأيت الطيور مذعورة وصبيان الأمة لجهلهم يعمهون لقد صدقت رؤيا الملك وصدقت رؤياي

### ﴿ مقابلة الاستاذ الشيخ محمد عسكر الكبير ﴾

ذلك أني إذ طلع النهار اتفق أن أرسل الى الشيخ محمد أبو عسكر ذلك الشيخ الوقور وكنت له مشتاقا  
 فلما استقرّ بنا الجلوس وتناجت فيما بيننا النفوس أريته ما قد كتبت وقصصت عليه ما رأيت وقلت لقد تبرأ  
 الفلاحون من صيد (أبي قردان) واتهموا بذلك الاوروبيين وقالوا إنا والله براء مما يقولون . فقال الشيخ  
 طالما وردت لي الأخبار أن الاوروبيين هم القاتلون لأبي قردان . فقلت له أليس من العار والجهل والشنار  
 أن يعيش أبو قردان قرونا وقرونا ويحميه قدماء المصريين من الفراعنة وملوك الرعاة ويعيش مع ملوك  
 اليونانيين والبطالسة والفارسيين ويعبده الأتوبيون والرومانيون وينمو في أزمان العرب الاسلاميين ولا ينقص  
 عدده في أيام الأمويين ولا يؤذيه العباسيون ويحصى من العدوان أيام الاخشيديين ويحفظ حياته الفاطميون  
 ولا يمسّه بسوء الأيوبيون ويزداد عدده وينمو كثرة أيام المماليك البرية والبحرية ولا يبيده الترك ولا يعدو  
 عليه العربيون ولا ينقص عدده أزمان أسرة محمد على باشا بل ظلّ جمّ العدد كثير المدد الى الثورة العربية  
 ثم أخذ في التناقص وأخذ الدود ينمو بالتزايد حتى فنى عن آخره

عار والله وأبي عار . أهذه هي المدنية والعلوم العصرية . أهكذا يكون تمدن الأمم . أفبهذا أثبتنا  
 المدنية . أيقتل هذا الطائر شريك الفلاح صديق المصري والناس غافلون . أفبهذا ارتقت مصر . ربّ  
 اليك المشتكى . يارجال الأمة يا علماءها وعظماءها وياوزراءها أهكذا يكون العمران . أبو قردان أخو  
 الفلاح كان معبودا عبده قدماء المصريين . لماذا . لأن كبراءهم أوصوهم به خيرا لفلاح الزرع بآبادة الدودة  
 والحشرات فاستوصوا به خيرا وتمادوا في ذلك ازديادا حتى عبده . هكذا كان الملوك السابقون والعلماء  
 الغابرون فورثنا أرضهم وجهلنا علمهم ما أعظم قدماء المصريين وما أجهلنا نحن الحاليين جهل عظيم وموت  
 عميق وطامة كبرى ودمار وأبي دمار

أخبرني الشيخ محمد أبو عسكر قال لقد قرأت في بعض الأسفار أن قدماء المصريين شكوا الى فرعونهم  
 يقولون ﴿ لقد طغت علينا الحيات واغتالت الأبناء والبنات ﴾ وأكثرت ما يكون اذا أقبل النيل وعمّ البلاد  
 وساق جنودها أمامه واكتسحها من البور الى العمران فأوعز الملك الى العلماء والحكماء أن يداؤوا هذا  
 الداء ويلتمسوا له الدواء فلما أن جاءهم أمره ساحوا في الأرض يبتغون طيرا يلتقط الحيات، ليربوه في البلاد  
 فدلهم علمهم وأراهم اختبارهم ووقفهم بحثمهم الى (القلق) فربوه تربية حسنة فما عدده وكثر ولده وصارت

أفراخه آلافا مؤلفة فنجى الناس من شر الحيات وفرحوا بما عندهم من العلم والحكمة والهمة والدين  
فعلى قادة الأمة وأولياء أمورهم أن يصنعوا ماصنع القدماء ويجلبوا (أبا قردان) ويربوه حتى يكثروا  
عدده ويهزم جيشه جيوش الديدان والاحق كلمة العذاب على المصريين

عاريا رجال مصر • عاريا أمراء البلاد • عاريا عظماءنا • هذا الطائر نصير الفلاح • قاتل الدود  
مبيد الحشرات • منعى الغلات • كنت أراه بعيني يحلل الأرض ويغطي وجهها إذا أنزل الفلاح عليها الماء  
حتى قتله الجهلة الأغبياء من أوباش الناس ليزينوا به (القبعات) للسيدات وأباده أولئك الطغاة فبادت البلاد  
وهلك الزرع وقلّ الضرع وأصبحت البلاد في شقاء عظيم • أمثل هذا تهان الأمم وتداس الحرم • هذا  
والله جهد البلاء وعضال الداء ونهاية الشقاء • ولقد أنذرت وحذرت ونصحت • ولا ينفعكم نصحي إن  
أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم وإليه ترجعون -

### ﴿ الفصل الثاني • إيذاء أخوة يوسف ﴾

لا أحد من المصريين أبناء بلادي يجهل ما فعله أخوة يوسف من كيد ومادبروا من حيلة وكيف نصبوا  
له الحبال - وجاؤا على قيصره بدم كذب - وسوّات لهم أنفسهم أمرا وصبر يعقوب صبرا جميلا ودلوه في  
الثرثم باعوه - بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين - • أجمعوا أمرهم بينهم وأسرّوا  
النجوى وأوثقوه في هاوية فما كان عاقبته إلا أن تربى في مصر وترعرع وبلغ أشده وكان لهم من المحسنين  
هذه كانت قصة يوسف عليه السلام وذلك خبر أخوته فكان منهم الاساءة ومنه الاحسان ومنهم الشر  
ومنه الخير وأول أمره شقاء وآخره هناء ومبدؤه ذل ونهايته عز واسعاد • ذلك عبرة للمسلمين وتذكرة  
للمصريين ونعمة على العاملين • تنبئك قصة يوسف بما يلاقيه المصلحون فيها من الجاهلين • ما في الأرض  
من مصلح إلا وكان أول أمره مطاردة منبوذا تنتابه الأعداء ويسطو عليه الأقرباء ويحطّ من قدره الأصدقاء  
ويهيئه الأولياء استغرابا لقوله استبعادا لعمله وحطا من شأنه وحسدا على ما آتاه الله من فضله واحباطا  
لعمله وتشديعا عليه فان صبر فاز وان جزع وعجل هلك وباد • فتعجب كيف كانت عاقبة النبي يوسف  
الصديق أن بيع للمصريين وترعرع في بيت العزيز وحاقت به الفتنة وصبر على الظلم والسجن ولم يدر أخوته  
الزاهدون ولا حاشية العزيز وهم له ساجنون ولا من كانوا معه مسجونين أن السعد سيؤمه وأن العز سيقه  
وانه سيقبض على ناصية البلاد ويدين له الهرمان ويساعده الزمان وينسج على ما قاساه عناكب النسيان  
ذلك مثل الصادقين القائمين بالأعمال الشريفة والفضائل العالية المنيفة • فليبشروا أولئك الذين صدقت  
نياتهم وحسنت أعمالهم وأخلصوا لأمتهم وأرادوا انقاذ البلاد من الجهل والفساد فسوف يتدل شقاؤهم  
راحة وذلمهم عزا وسعادة وتغنى الأغصان عند هبات الرياح بمدحهم ويعبق الجوّ بأريج ذكركم وعاطر ثنائهم  
وهذا ناموس الوجود لم يشذ منه نبي مرسل ولا عالم مصلح وكانت العاقبة للمتقين ولم يذر من رجال الإصلاح من  
أحد حتى أخذ حظيه من النصب والراحة وسار على خطته وحلب الدهر شطريه • ولقد كان لنا في رسول  
الله ﷺ أسوة حسنة فلقد أودى كما أودى الصديق يوسف عليه السلام وما آذاه إلا أقرباؤه الأذنون وتألّبت  
عليه قرابته ثم نصره الله كما نصر يوسف وآوى إليه من كان يؤذيه كأبي سفيان وهند زوجته وغيرها من عليه  
القوم وسراهم وعظماؤهم فأصبحوا له محبين كما خرّ أخوة يوسف - له سجدا وقال يا أبت هذا تاريل رؤياي  
من قبل قد جعلها ربى حقا وقد أحسن بى - ربّ انى أيقنت بناموسك العالى وكتابك الكريم

يا أيها الناس • يا أبناء البلاد لا يجر منكم شأن قوم من بلادكم أن يصدّوكم عن اصلاحها فعلى مقدار  
فضل الرجل يكون أعداؤه وكما يكون النصب تكون الثمرات • فاعملوا لبلادكم كما عمل الصديق وتجاوزوا  
عن خطوات الشياطين مع اخوانكم للبغضين المثبطين الحاسدين - وقل اعملوا فسبرى الله عملكم ورسوله



والمؤمنون - انتهى الفصل الثاني

﴿ الفصل الثالث . قضية النبي الصديق في بيت العزيز ﴾

تتوالى النكبات اثر النكبات على المصلحين المجاهدين والأنبياء المرسلين . ساقط القوة الغضبية اخوة الصديق فهجروه بل نبذوه وباعوه وسلطت الشهوة البهيمية امرأة العزيز فراودته ويوسف باقى على كماله صابر على عفته مع جماله الفتان فقالت له لتسجنن ولتكونن من الصغارين فقال انما الصغار لمن لاعفة له ولاشرف ونفس المرء أوسع من السموات والأرض

إذا لم تسعك النفس فالكون كله \* وآفاقه للمرء أضيق من قبر

وفي الفكر نيران وفي الفكر جنة \* وما أكثر الآفات إلا من الفكر

فإذا خنت سيدى ودنست عرضى كنت من الجاهلين . أو يجمل في دين المروءة أن يحسن إلى وأسى . ويصدق وأكون من الكاذبين . إن العزيز سيدى أحسن إلى وعطف بالبر والاحسان على فهل جزاء الاحسان إلا الاحسان والثلثم يجزى المحسن بالكفران . ألا بعدا للجاهلين . أنا من بيت النبوة بيت ابراهيم واسرائيل ولن يلىق بى أن أكون شر خاف لخير سلف حتى يقل فى - نخاف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

أنا أرنو لشرف عظيم ومجد كبير ومن لم يحفظ النفس فى إبان حياتها قعدت به همته عند كبرها . ومن أراد الاصلاح فليبدأ باصلاح نفسه وليكرهها فانها بالاكرام أولى ومن لم يحكم أمر البداية حرم الفضل فى النهاية ﴿ عبرة ﴾

فعلى من يريد الاصلاح أن ينفى بالعهد ولا ينتقض الميثاق ولا يخون اخوانه فى العرض ولا فى المال ولا يفشى لهم سرا . ذلك هو مبدأ الشرف الأسمى والخير الأعم والفضل الأدنى وقد قال الله لنبيه - فبهدهم اقتده - فنحن أولى بالافتداء وأحق بالاتباع . وإذا اقتدى المصوبون بغيرهم أولى بالاتباع وأحق بالاعتبار ﴿ الفصل الرابع . سجن النبي يوسف الصديق عليه السلام ﴾

ما أشبه قصة النبي يوسف عليه السلام بعلم تهذيب الأخلاق إذ يقسمونه ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ سياسة النفس بالعفة والصيانة كما كان الصديق فى بيت العزيز وسياسة أمر المنزل أشبه بما اتفق له فى السجن واصلاح أمر المدينة كما حصل له إذ قال له الملك - إئتونى به أستخلصه لنفسى فلما كمل قال إنك اليوم لدينا مكين أمين - حلقات ﴿ ثلاث ﴾ لا يصلح أخراها إلا باصلاح أولها . عفت فى أول منازلها ففشى ظلم الخاشية على حسن سيرته واتهموه وهو برىء وسجنوه وهو محسن فكان السجن ثانى المنازل فتصح للمسيجونين وقال لهم - يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار - درس لهم التوحيد بالبرهان ثم ذكر شرف قومه وأهله فقال - وانبعت ملة آبائى ابراهيم الخ - نصح النبي الصديق للمصريين وهو غريب حفظا للجميل وقياما بحق الانسانية والنبوة . ذلك ارشاد من الله وتعليم أن كونوا أيها المصلحون شموسا تضيء سناها على العالمين ولا تدعوا أيها العلماء الفلاحين المصريين غافلين بل أيقظوهم وعمموا التعليم . إن المصرى لشكور على النعماء مجاز لرجة الرجاء . فلعمرك ما دل الملك على الصديق إلا ذلك الخادم الساقى على بساط الملك لما سمع منه الحكم الغوالى والدرر الثمينة فائمه عنده الاحسان وقال للملك أرسلون الى يوسف ليؤول الرؤيا ففعلوا . لقد نصح النبي فى السجن ولم يعقه ضيقة السجن ولا زور القول عن أن يقشع سحب الضلال ويصقل قلوب العامة بصقال العلم ويجليها بجلاء الحكمة فكان من المحسنين . فليقم المصرى بانتشال أمته من وهدة الجهل ويرفعها الى سماء الفضيلة وليعمم العلم بين أفراد أمة المصريين

### ﴿ الفصل الخامس ﴾

أما ثلاثة الأنبياء وخاتمة الفصول الخمسة فذلك أن نبوأ عرش مصر ودبر الخزان ونظم أمر البلاد فأحسن للأمة المصرية وقد أسأوه فسجنوه . أكرم أبويه الشفيقين وعفا عن أخوته بعد أن طرحوه ونسبوه وباعوه ودبر الحيلة لأخيه بنيامين بعد أن جعل بضاعتهم في رحلهم فعرفوها . أكرم الصديق أبويه وأحسن إلى عشيرته الأقربين وقال - لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - وقد قالها بلفظها رسول الله ﷺ لأبي سفيان يوم فتح مكة فقال - لا تريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين - وعده الله الرسل بالنجاة والفوز والسعادة ولن يخلف الله وعده

يقول الله - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - يخذوا الأواخر حذو الأوائل ويتبع الآخرون سبل الأولين سلام على المرسلين و سلام على الصالحين و سلام على المحسنين يقول الله - لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى - سورة يوسف أحسن القصص لقد خلت مما يتنحى عنه أولوالعزم من المرسلين كالعجالة التي ابتلى بها ذوالنون إذ قال الله لنبيه ﷺ - ولاتكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم - يأمر بالصبر والثبات والتؤدة حتى يأتي أمر الله وقد كان وصدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . ولم تجمع قصة موسى وفرعون وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وأهل الكهف وأصحاب السبت من المواعظ والعجائب والمقدمات والنتائج ما تضمنته قصة يوسف لذلك كانت أحسن القصص وسار عليها ﷺ حتى نال أعلى الغيات والنهايات . انتهى هذا هو الذي كتبه في مجلة ﴿ الملاجئ العباسية ﴾ في ذلك التاريخ . فهاك ما جاء في المجلة المذكورة في العدد التالي لذلك وهذا نصه

### ﴿ باب الزراعة . حماية الطيور النافعة ﴾

ما كاد يظهر العدداً الأول والثاني من هذه السنة وفيهما تفسير سورة يوسف عليه السلام للاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى وافاضته فى التكلم على الطيور النافعة للزراعة بالتقاط الحشرات الضارة بها وتنبيهه ولاية الامور الى المحافظة عليها وحمايتها من انقاصين والصيدان حتى أسرع مصلحة الزراعة باصدار هذا المنشور لحماية الطير المسمى بأبى قردان الشهير بكونه صديقا للفلاح وهاهو المنشور بنصه

### ﴿ حماية الطير المسمى (أبو قردان) صديق الفلاح ﴾

معروف من قديم الزمان أنه يوجد نوع من الطيور تتغذى كلية من الحشرات المضرّة بالزراعة وأن هذه الطيور اذا تركت بدون ازعاج فى المحلات التى نشأت فيها كانت سببا فى نجاة الغيطان القريبة منها من اصابة الحشرات . وقد كانوا ينظرون سابقا الى (أبى قردان) كصديق للفلاح المصرى وكان يراه الانسان فى كل غيط وهو يلتقط الدود الذى يخرج من باطن الأرض وقت تقايبها بالمحراث

أما فى السنين الحديثة فقد أباحوا اصطيد هذا الطير الذى هو فى الحقيقة مساعد نافع للزراع بدرجة عظيمة حتى انه لم يبق سوى بعض جهات قليلة فى الوجه البحرى يمكن أن يعيش فيها بأمان

فالعرض من هذا المنشور الآن هو تكليف جميع عمد البلاد باخطار مديرياتهم عما اذا كانوا يعلمون بوجود طوائف من الطير المذكور ببلادهم وكم عدد كل طائفة منه والتوصية بتركه بدون اذى حتى يأخذ عدده فى الزيادة . هذا والحكومة لاتألو جهدا فى تقديم أية مساعدة ممكنة لحماية جميع الطيور النافعة للفلاح والمعروفة بأنها من أعداء دودة القطن وماشا كلها من الحشرات

هذا هو الذى نشرته الحكومة المصرية فى ذلك التاريخ . ثم ان طير (أبى قردان) الآن قد ملأ الأقطار المصرية بما فعلته الحكومة من تربيته وحفظه والفضل فى ذلك راجع لمحمد باشا سعيد لأنه كان هو



السبب في نشر التفسير في تلك المجلة والحكومة هي التي تصرف عليها من خزينتها وهو إذ ذاك رئيس الوزارة أيام (المورد كتنر) الانجليزي فقد نشرت الحكومة بعد ذلك بنحو ست سنين منشورا للأمانة أبات في أن الأمر الصادر من قبل لحفظ الطيور قد أثر تأثيرا حسنا في (أبي قردان) الذي أصبح يرى في كثير من أنحاء الوجه البحري بعد أن كان عدده حين صدور القانون قد نقص حتى لم يبق منه هناك إلا سرب واحد في مديرية الدقهلية . أما بقية الطيور التي سيأتي ذكرها فانها لم تكثر الكثرة المطلوبة لعدم العناية بتنفيذ القانون وجاء فيه ما يفيد أن في الطبيعة من المحافظة على الزرع بخلق الله هذه الطيور الآكلة للدود ما لانظير له في الوسائل التي يتخذها الناس . انتهى المقصود منه واني أجد انه عز وجل إذ أراني في حياتي أن طير (أبي قردان) قد كثر حتى ملأ البلاد وهم يطاردون على قتله من الحكومة وقد عملت الحكومة بما كتبته في المقالة من تربيته وهامى ذه تحمي الطيور الأخرى الآتية ولكن فاتها ذكر الغراب ولعلها تركته لأنه غير مرغوب فيه

ولقد أنف بعض رجال الحكومة المصرية بوزارة الزراعة كتابا في وصف أنواع الطيور المحرم صيدها محلي بصورها فلندكر ملخصه هنا لتعم الفائدة فلقد جاء فيه بيان أشهر أنواع الطيور التي يحميها القانون في مصر وهو يشمل أسماءها بالعربية والانجليزية والفرنسية واللاتينية مع وصف أحوالها المحلية وحجمها التقريبي وألوانها لتمييزها وذلك بقلم الماحور (س . فلور) مدير مصلحة وقاية الحيوانات والمستر (م . ج نيكول) مساعد مدير مصلحة وقاية الحيوانات . وهذا بيان أشهر الطيور التي يحميها القانون وسنرسم هنا بعض صور الطيور الدالة على باقيها

#### ﴿ عصفور سقسكولا شكل ١ ﴾



يمر منه جوع كثيرة بمصر في كلتا الرحلتين - طوله ٦ بوصات تقريبا أي ١٥٢ ملليمتر . ذكره في الربيع رمادي الأعلى . أبيض طفلي الأسفل . أجنحته سوداء وكذا ريش أذنه وخط عرضي على طرف ذيله . أما باقي الذيل فأبيض وذكره في الخريف أسمر الأعلى لارمادي وكذا أثناء وفراخه في كل وقت

#### ﴿ سقسكولا أبوذيل أبيض ﴾

يكثر فيما بين أغسطس وأبريل - طوله ٦ بوصات تقريبا أي ١٥٢ ملليمتر . أجزاؤه العليا رمادية طفلية خفيفة اللون والسفلى سمراء طفلية وخوافي الأجنحة بيضاء وكذا قاعدة الذيل والذكر والأنثى سواء

( شكل ١ )

#### ﴿ عصفور أبوذيل أحمر ﴾

يكثر أثناء الرحلتين ولا سيما في الربيع - طوله ٥ بوصات تقريبا أي ١٢٧ ملليمتر . الذكور جبهة بيضاء وأجزاؤه العليا رمادية اردوازية وريش ذيله أحمر كله ماعدا الريشتين الوسطيتين فانها أشد سمرة وذقنه وزوره وأعلى صدره أسود . ولون بقية الأجزاء السفلى كستني محمر والأنثى أبهى لونا ولكنها مفقودة السواد في الزور

#### ﴿ عصفور أبورقبة زرقاء ﴾

يكثر في اشتهاء وفي أوائل الربيع - طوله ٥ بوصات تقريبا أي ١٢٧ ملليمتر . الذكور أجزاؤه العليا

سمراء وذيله أحر القاعدة مقمع بسمرة وذقنه وزوره وأعلى صدره ذات زرقة معدنية بحافتها من أدنى أشرطة  
حراء وبيضاء وسوداء وفي وسط الزور بقعة حراء كستنية أو بيضاء والبطن أبيض طفلي . والأنثى كالذكر  
ولكنها مفقودة الألوان الزاهية التي تكسو الزور

#### ﴿ عصفور أبو صدر أحر ﴾

يكثر في الشتاء - طوله ٥ بوصات ونصف تقريبا أي ١٤٠ ملليمتر . الذكر أجزاءه العليا سمراء وذقنه  
وزوره وصدره حراء برتقانية وبطنه أبيض والأنثى كالذكر ولكنها أبهت لونا وأقل احمرارا على الصدر

#### ﴿ المغنى الأسمر ﴾

كثير جدا أثناء رحلة الربيع ولكنه في الخريف أقل عددا - طوله ٦ بوصات ونصف تقريبا أي ١٦٥  
ملليمتر . الذكر والأنثى متشابهان . أجزاءه العليا وذيله سمراء محمرة وأجزاءه السفلى بيضاء مشربة رمادي  
في الصدر وبلون طفلي في البطن

#### ﴿ عصفور أبو رقبة بيضاء ﴾

يكثر في كلتا الرحلتين - طوله ٦ بوصات تقريبا أي ١٥٢ ملليمتر . وذكره ناج رأسه ضارب الى  
اللون الرمادي وظهره أسمر وأجزاءه السفلى بيضاء تحالطها طفلية وأشبه أكي لونا

#### ﴿ عصفور أبو رقبة بيضاء الصغير ﴾

يكثر في الربيع والخريف ويبقى منه قليل في مصر أثناء الشتاء - طوله ٥ بوصات تقريبا أي ١٢٧  
ملليمتر . الذكر والأنثى متشابهان . أجزاءه العليا سمراء رمادية ويمتد بالعرض . في عينه خط قائم  
وأجزاءه السفلى بيضاء تقريبا

#### ﴿ المغنى الأخضر ﴾

كثير جدا من نوفمبر الى مارس - طوله ٤ بوصات تقريبا أي ١٠٢ ملليمتر . الذكر والأنثى متشابهان  
وأجزاءه العليا سمراء مخضرة وأجزاءه السفلى بيضاء مخضرة

#### ﴿ عصفور الصفصاف المغنى شكل ٢ ﴾

يكثر أثناء رحلة الخريف - طوله ٤ بوصات  
ونصف تقريبا أي ١١٥ ملليمتر . الذكر والأنثى  
متشابهان وأجزاءه العليا سمراء تحالطها خضرة أجزاءه  
السفلى بيضاء مصفرة

#### ﴿ المغنى الأصفر ﴾

يكثر في رحلة الربيع - طوله ٤ بوصات ونصف  
تقريبا أي ١١٥ ملليمتر . الذكر والأنثى

(شكل ٢)

متشابهان أجزاءه العليا خضراء ولون زوره وصدره أصفر ليموني وبطنه أبيض حريري

#### ﴿ المغنى الأحمر ﴾

يكثر من ابريل الى سبتمبر - طوله ٦ بوصات ونصف تقريبا أي ١٦٥ ملليمتر . الذكر والأنثى  
متشابهان . أجزاءه سمراء محمرة وذيله بين الحرة وكل ريشة منه مقمعة بسواد وبيض ماعدا الريشتين  
الوسطيتين فكل منهما حراء برقتها والأجزاء السفلى بيضاء طفلية

#### ﴿ عصفور صونت المغنى ﴾

يكثر جدا من مارس الى اكتوبر - طوله ٤ بوصات ونصف تقريبا أي ١١٥ ملليمتر . والذكر



والأنثى متشابهان • عاليه أسمر ترابي باهت وسفليه أبيض طفلى

﴿ عصفور البوص المغنى ﴾

يكثر فى كلتا الرحلتين • ويبقى منه قليل فى القطر المصرى أثناء الشتاء - طوله ٥ بوصات وربع  
تقريبا أى ١٣٣ ملليمترًا والذكر والأنثى متشابهان. أجزاءه العليا سمراء والسفلى طفلية كبريتية وطفالية محمرة

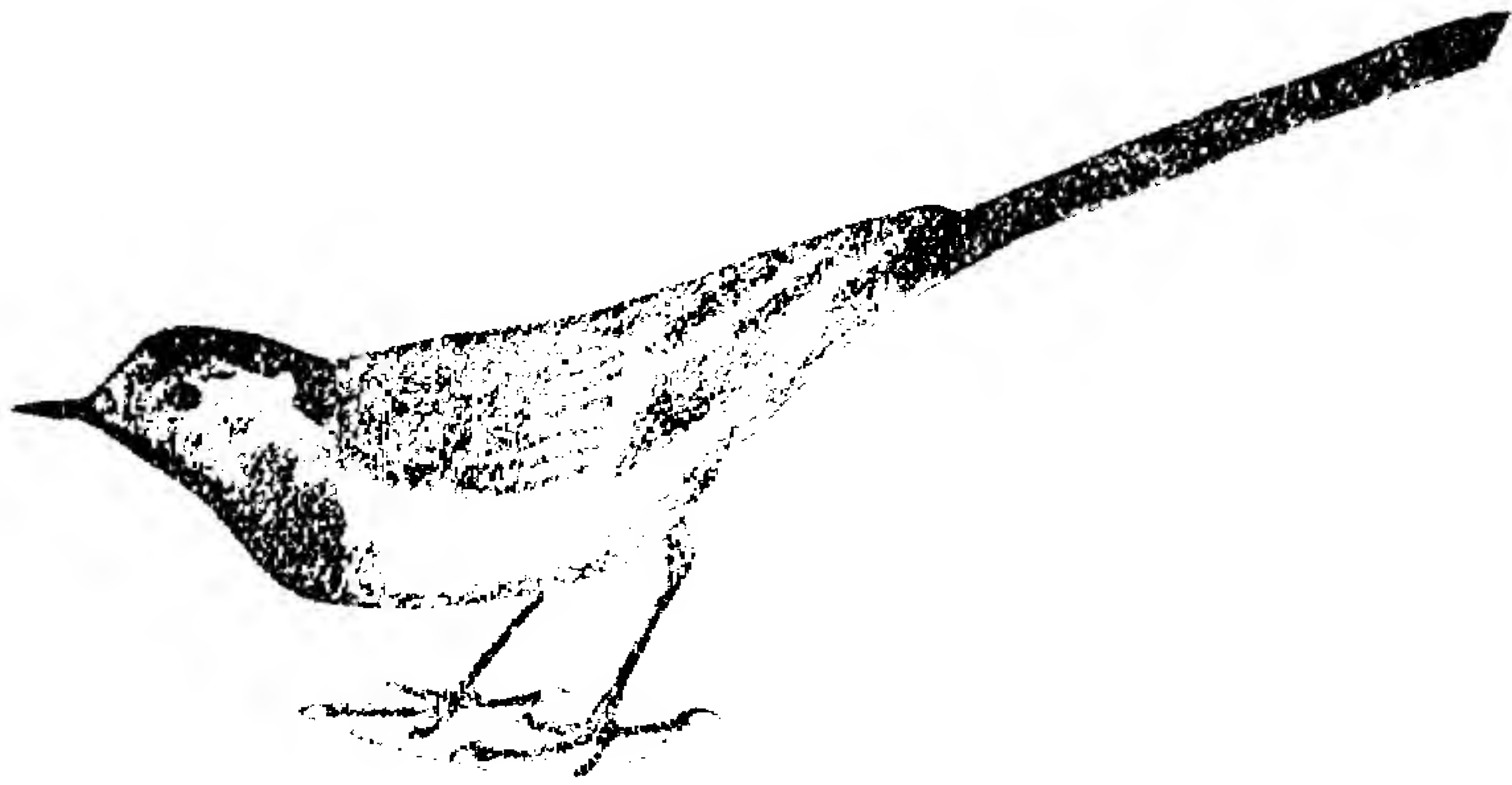
﴿ عصفور البرسيم المغنى ﴾

يكثر فى مصر ويعيش فى المزارع - طوله ٣ بوصات تقريباً أى ٧٦ ملليمترًا • ذكره وأنثاه  
متشابهان • أجزاءه العليا سمراء ضاربة الى الصفرة ومخططة بسواد • وأجزاءه السفلى طفلية وذيله مقمع  
بسواد وبياض

﴿ المغنى أبو ذيل طويل ﴾

يكثر فى مصر ويعيش فى المزارع - طوله ٤ بوصات ونصف تقريباً أى ١١٥ ملليمترًا • والذكر  
والأنثى متشابهان • أجزاءه العليا سمراء مخططة بسواد وأطراف ريش الذيل مخططة بخطوط عرضية سوداء  
وبيضاء والسفلى بيضاء تقريباً

﴿ أبو فصادة شكل ٣ ﴾



( شكل ٣ )

يكثر جدًا فى مصر فيما بين اكتوبر ومارس ويبقى بعضه الى ابريل - طوله ٦ بوصات ونصف تقريباً  
أى ١٦٥ ملليمترًا • والذكر والأنثى متشابهان تقريباً • جبهته بيضاء • تاج رأسه أسود والأجزاء العليا  
رمادية والسفلى بيضاء بها رقعة سوداء على الزور

﴿ أبو فصادة الأصغر ﴾

يكثر جدًا فى الربيع والخريف ويبقى بعضه فى القطر طول السنة - طوله ٦ بوصات تقريباً أى ١٥٢  
ملليمترًا • الذكر قمة رأسه زرقاء رمادية والأجزاء العليا سمراء مخضرة والأجزاء السفلى جميعها صفراء زاهية  
والأنثى أجزاءها العليا سمراء والسفلى بيضاء تخلطها على البطن صفرة

﴿ عصفور البيت أبو زور أحر شكل ٤ ﴾



يكثر جدًا من أكتوبر إلى إبريل - طوله ٥ بوصات ونصف تقريباً أي ١٤٠ مليمترًا • الذكر أجزاءه العليا سمراء مخططة بخطوط سوداء وطفلية • لون زورده وأعلى صدره أحر وبقاى الأجزاء السفلى بيضاء مخططة ومبقعة بسواد • والأنثى شبيهة بالذكر سوى أن زورها فقط هو الأحر وفراخ هذا العصفور ليس بها حرة اصالة

﴿ عصفور البيت ﴾

( شكل ٤ )

يكثر جدًا في الربيع والخريف طوله ٦ بوصات ونصف تقريباً أي ١٦٥ مليمترًا • الذكر والأنثى متشابهان • أجزاءه العليا سمراء رملية والسفلى طفلية صفراء

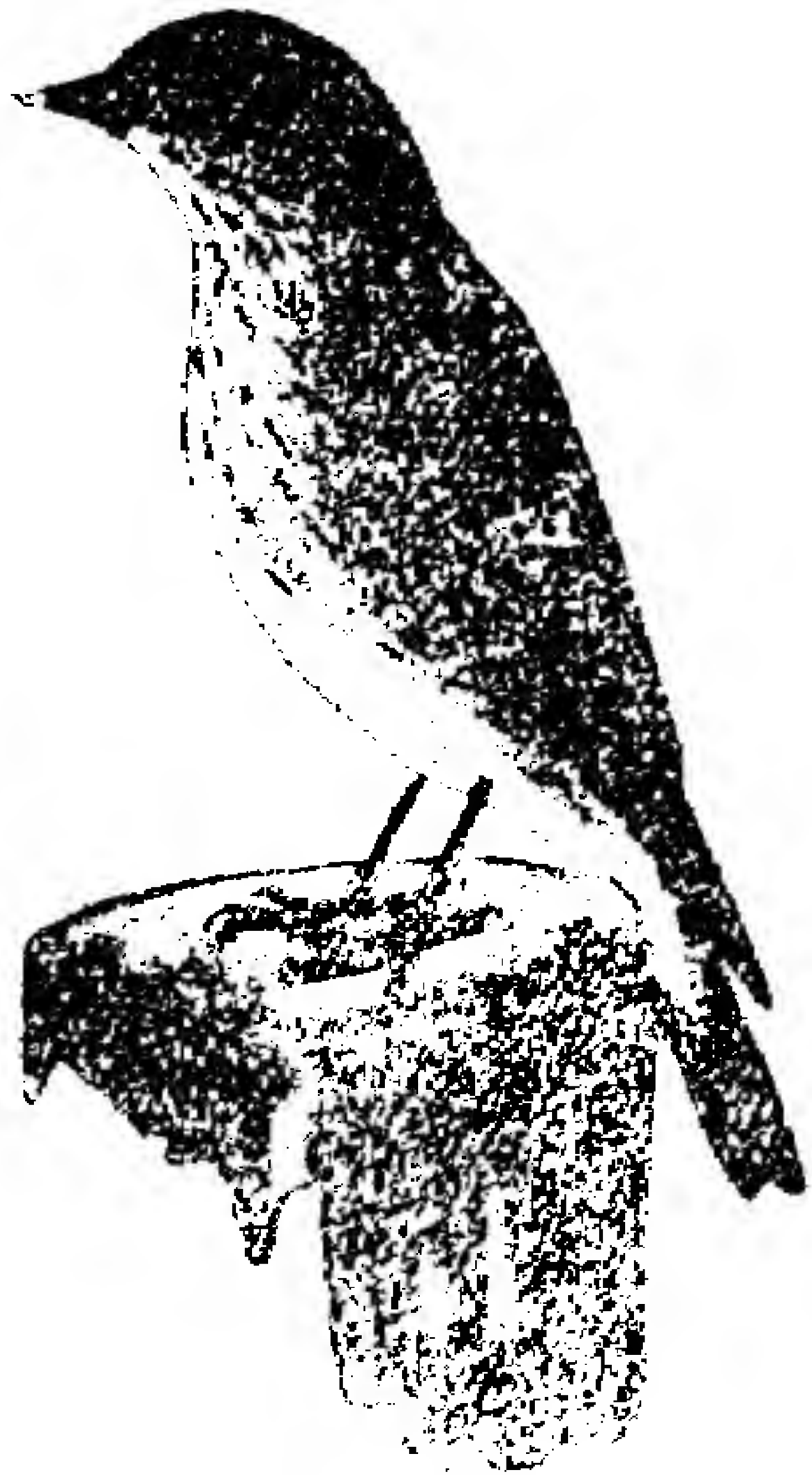
﴿ عصفور بيت الماء ﴾

يكثر أثناء أشهر الشتاء ويبقى بعضه إلى إبريل - طوله ٦ بوصات تقريباً أي ١٥٢ مليمترًا والذكر والأنثى متشابهان • أسمر الأعلى • أبيض كالب من الأسفل • معلم على الصدر بخطوط سمراء والأجزاء السفلى في الربيع مشربة بلون طفلى محمر زاه

﴿ الصغير ﴾

تمرّ بالقطر منه جوع كثيرة أثناء الرحلتين - طوله ١٠ بوصات تقريباً أي ٢٥٤ مليمترًا • الذكر أصفر ذهبي إلا ريش أذنيه وأجنحته ومعظم الذيل فانها سوداء جميعاً • والأنثى وفراخه خضراء الأجزاء العليا بيضاء رمادية الأجزاء السفلى مخططة بخطوط سوداء كابية

﴿ عصفور آكل الذباب شكل ٥ ﴾



( شكل ٥ )

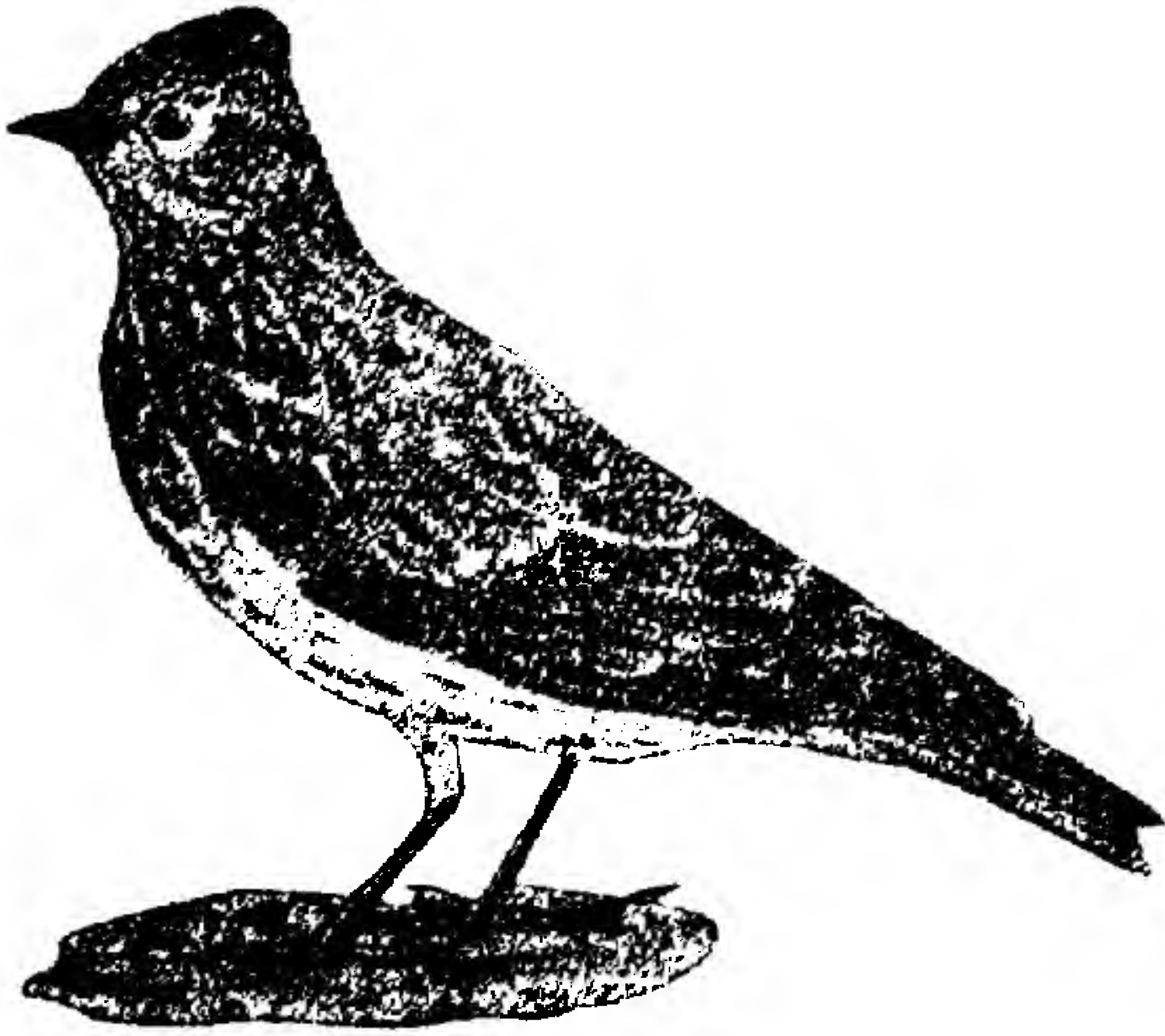
يكثر أثناء الرحلتين - طوله ٦ بوصات تقريباً أي ١٥٢ مليمترًا • والذكر والأنثى متشابهان • الأجزاء العليا رمادية سوداء تاج رأسه مخطط بخطوط سمراء والأجزاء السفلى بيضاء مخططة بسمرة على الصدر

﴿ عصفور آكل الذباب أبوطوق أبيض ﴾

يكثر أثناء رحلات الربيع - طوله ٥ بوصات تقريباً أي ١٢٧ مليمترًا • الذكر جبهة وطوقه أبيضان وبقية أجزاءه العليا سوداء والأجنحة مسودة تقطعها خطوط بيضاء • والأجزاء السفلى بيضاء • والأنثى كالذكر سوى أن السواد في الذكر يقابله سمرة في الأنثى



﴿ القنبرة الافرنجية شكل ٦ ﴾



( شكل ٦ )

تكثر بالقطر أثناء أشهر الشتاء -  
طولها ٧ بوصات ونصف تقريبا أى  
١٩١ ملليمتر. والذكور والأنثى متشابهان  
• الأجزاء العليا سمراء رمادية مبقعة  
بسمرة قائمة • وأجزاءها السفلى مبيضة  
• زورها ورقبتها مخمطان بسمرة والذيل  
أسمر وأبيض

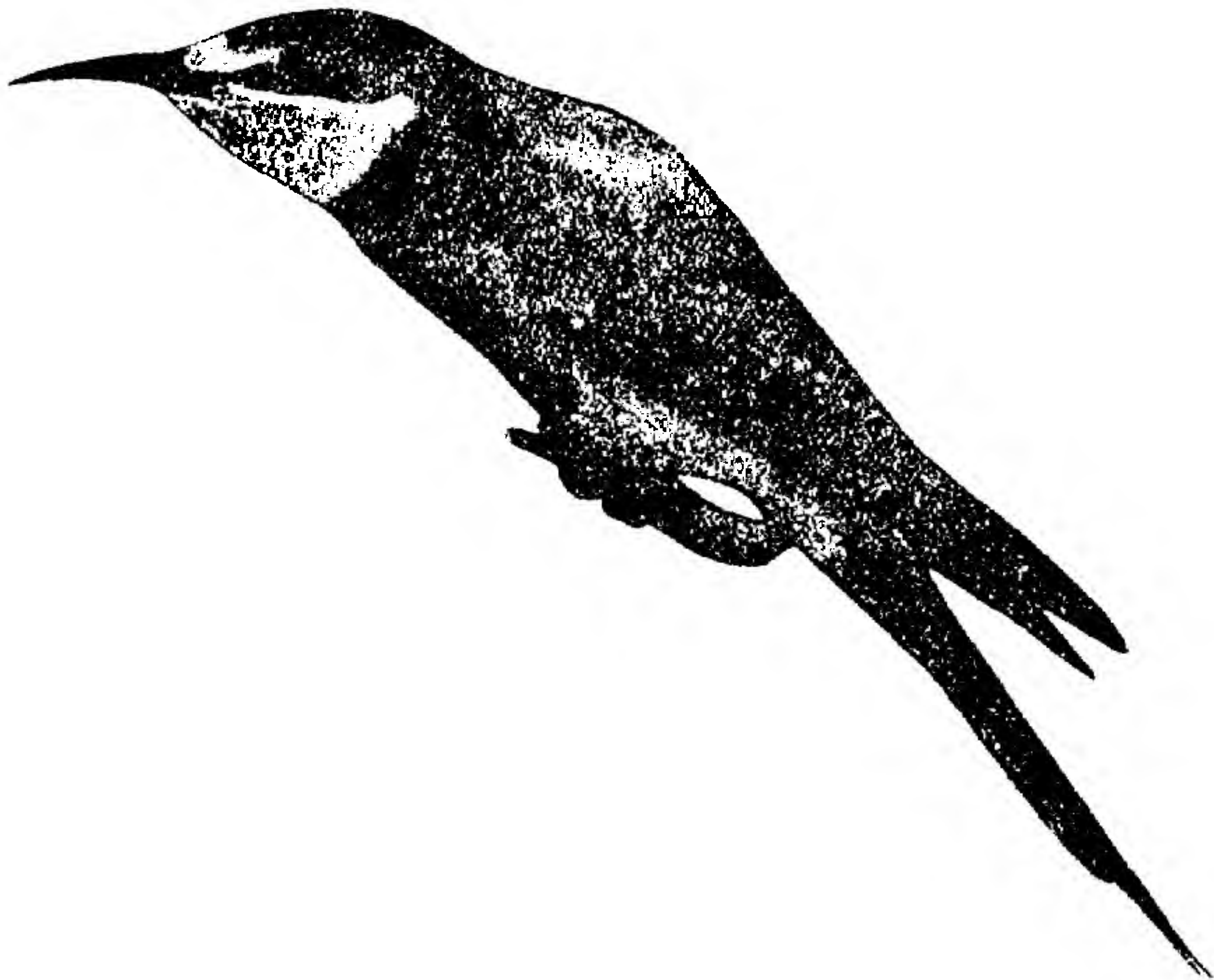
﴿ القنبرة أم الشوشة ﴾

كثيرة مستوطنة - طولها ٦ بوصات  
ونصف تقريبا أى ١٦٥ ملليمتر •  
والذكور والأنثى متشابهان الأجزاء العليا

سمراء ومبقعة بسواد والسفلى بيضاء كابية مخمطة بسواد وتختلف شدة اللون تبعا للأماكن التى تعيشها هذه  
القنبرة فأغصانها يوجد فى أراضي الدلتا الغنية وأفتحها يوجد فى الأرض الرملية مثل جهات وادى النطرون  
﴿ القنبرة الصغيرة ﴾

كثيرة كثرة هائلة أثناء الرحلتين وترى أحيانا فى الشتاء ويبقى قليل منها يتوالد فى مصر أثناء أشهر الصيف  
طولها ٥ بوصات تقريبا أى ١٢٧ ملليمتر • والذكور والأنثى متشابهان • الأجزاء العليا سمراء رمالية  
مبقعة بسواد • تاج رأسها أشد حرة • والأجزاء السفلى بيضاء تقريبا • وتوجد رقعة سوداء صغيرة على  
جانبى الرقبة • والذيل أسمر وأبيض

﴿ الوروار الافرنجى شكل ٧ ﴾



( شكل ٧ )



تمرّ بمصر منه جوع كثيرة أثناء الرحلتين - طوله ١١ بوصة ونصف تقريبا أى ٢٩١ ملليمترًا والذكر والأنثى متشابهان والأجزاء العليا صفراء مسمرة والذقن أصفر . بحافته السفلى شريط أسود وباقي الأجزاء السفلى خضراء مزرقّة والريشتان الوسطيان من الذيل أطول قليلا

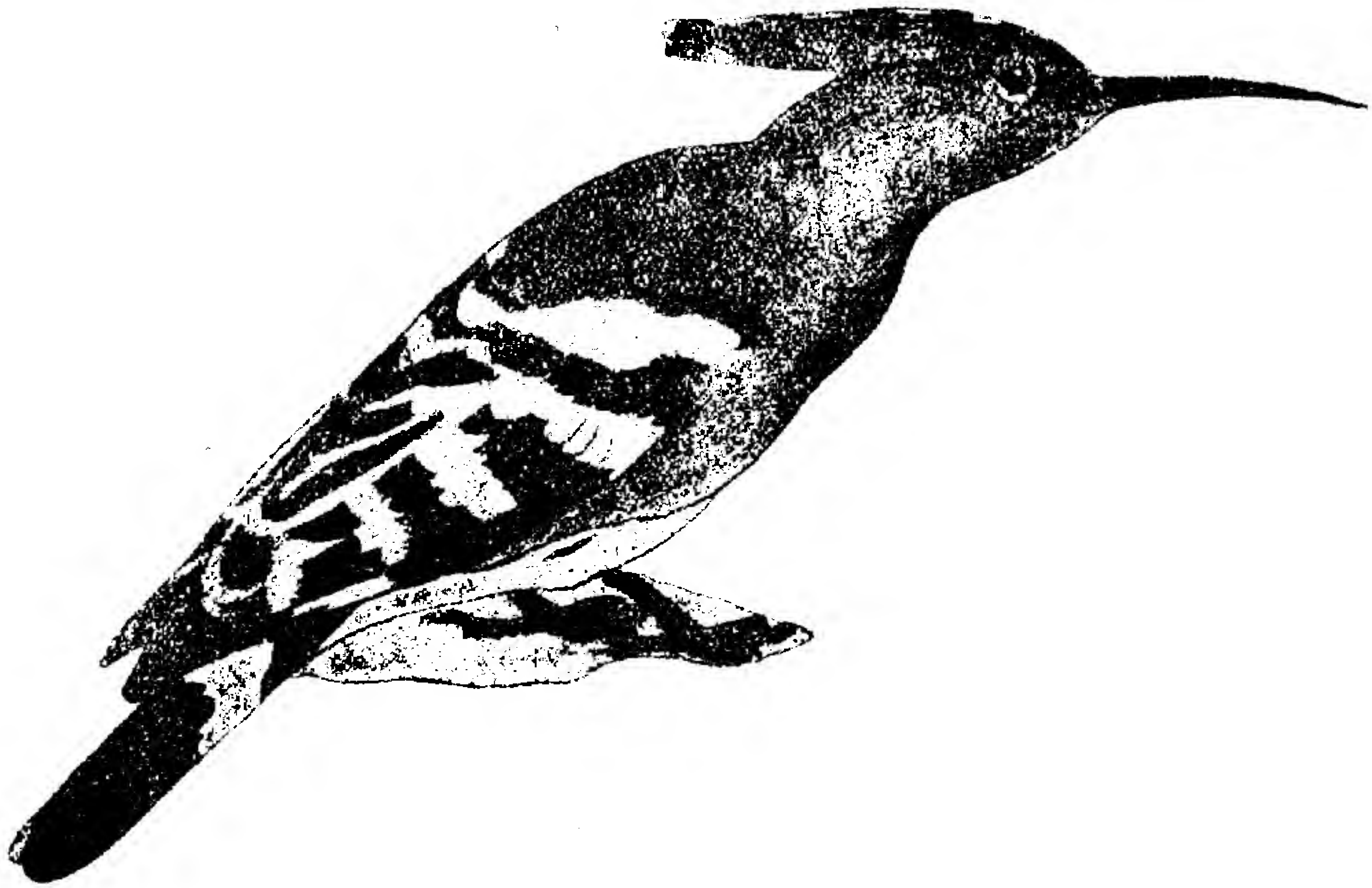
﴿ الوروار المصرى ﴾

يكثر في مصر من النصف الثانى من مارس الى سبتمبر - طوله ١١ بوصة ونصف تقريبا أى ٢٩١ ملليمترًا . والذكر والأنثى متشابهان وريشه جميعه أخضر زرعى ماعدا زوره فانه أصفر محمر وبه خط أسود قاطع عرض العين وتوجد على جانبي وجهه رقعة بيضاء وزرقاء والريشتان الوسطيان من الذيل أطول قليلا

﴿ الوروار الصغير ﴾

كثير مستوطن في القاهرة ومايلها جنوبا - طوله ٩ بوصات ونصف تقريبا أى ٢٤٢ ملليمترًا . والذكر والأنثى متشابهان وريشه جميعا أخضر زرعى ماعدا خط أسود قاطع عرض العين وتوجد رقعة جراء كابية في الجناح عند نشره والريش الأوسط لذيله أطول كثيرا

﴿ الهدهد الأفرنجى شكل ٨ ﴾



( شكل ٨ )

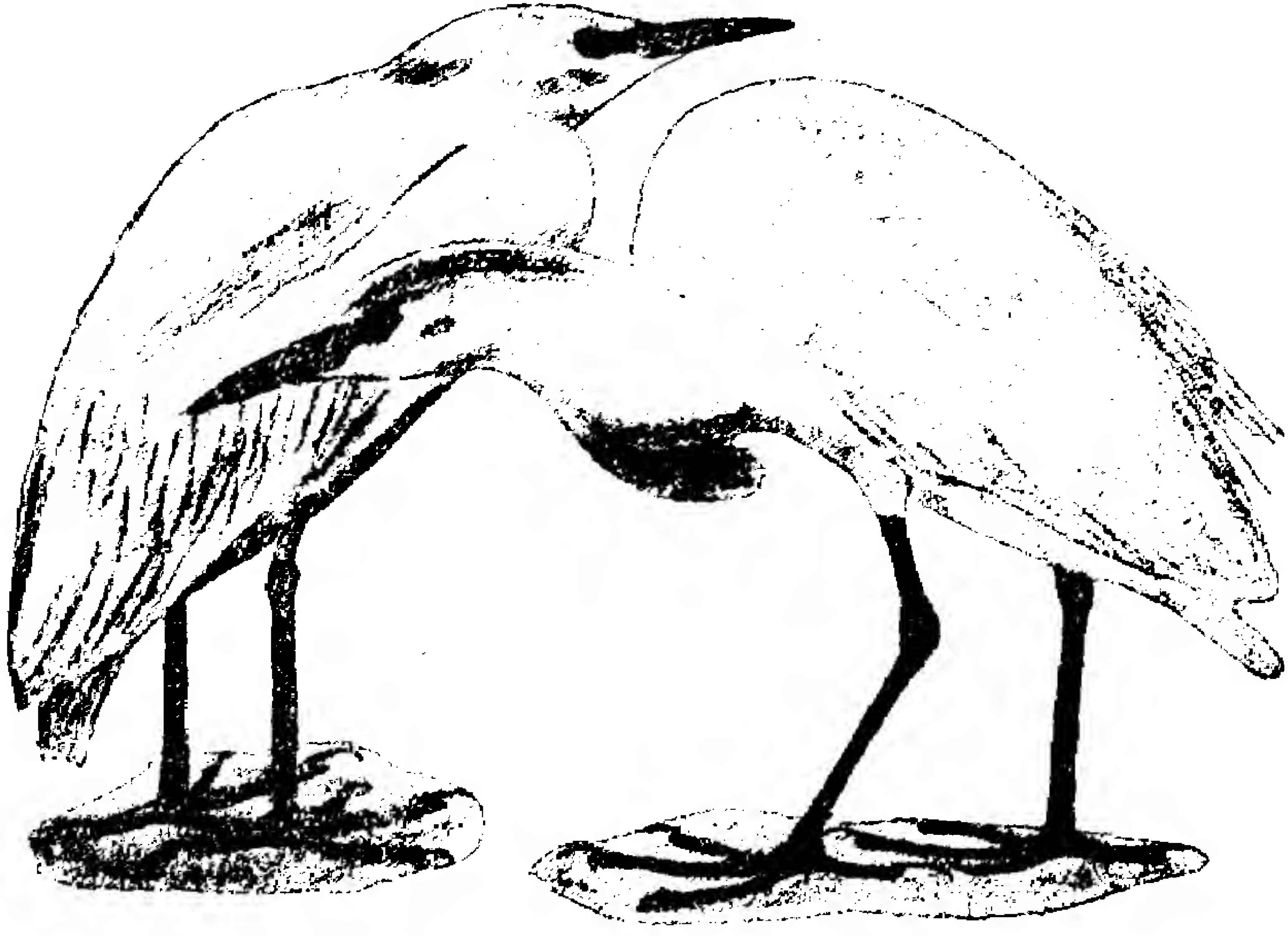
كثير جدًا أثناء رحلتى الربيع والخريف - طوله ١٢ بوصة تقريبا أى ٣٠٥ ملليمترات . والذكر والأنثى متشابهان إلا أن الذكر أكبر منقارا . الرأس والرقبة كايا الاحرار . والعرف كبير معتدل أحمر مقمع بسواد وبياض . والزور والصدر أحمران قرنفليان . والبطن مبيض . والظهر أسمر . والذيل والجناحان سود مخططة بخطوط عرضية عريضة بيضاء وطفلية

﴿ الهدهد المصرى ﴾

كثير ومستوطن - طوله ١٢ بوصة تقريبا أى ٣٠٥ ملليمترات . يخالف الهدهد الأفرنجى الرحالة في كون منقاره أطول وأكثر تحانة ولونه أ كبي قليلا



## ﴿ أبوقردان شكل ٩ ﴾



( شكل ٩ )

مستوطن في مصر • كان فيما مضى كثير جدًا - طوله ٢٠ بوصة تقريباً أي ٥٠.٨ ملليمترات • الذكر والأنثى متشابهان • الريش كله أبيض إلا في موسم الرقاد حيث يرى أنفة الرأس والقفا وأصل الرقبة تكون محلاة بريش طفلي اللون شعري القوام

## ﴿ العنز ﴾

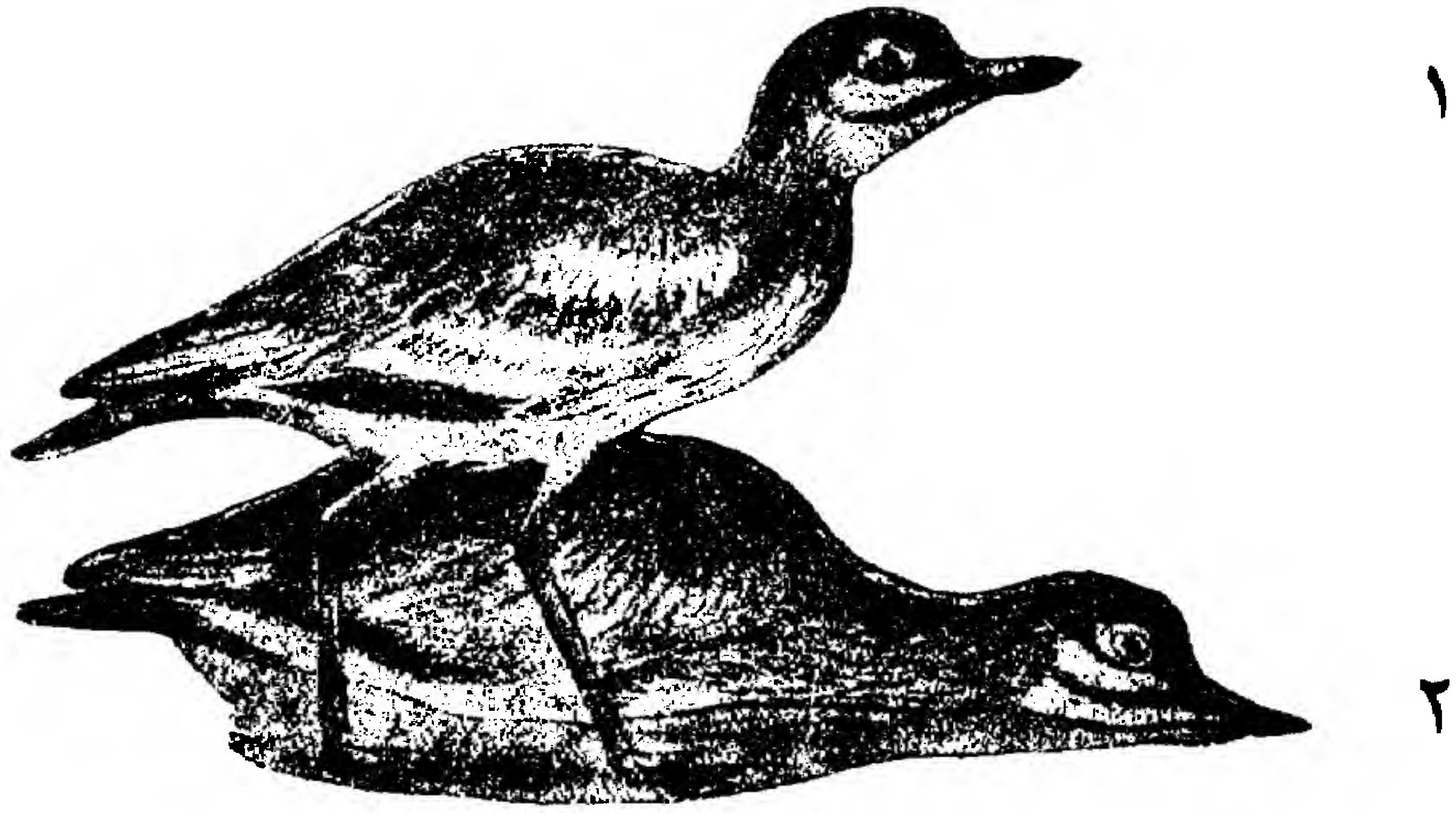
في أثناء رحلة الربيع يمرّ عدد عظيم بالقطر المصري و يبقى عدد قليل منه طول الصيف غير أن هذه الفصيلة لا يعرف عنها أنها ترقد في هذا القطر • أما العودة أثناء الخريف فإنها أقلّ وضوحاً من رحلة القدوم في الربيع • الطول نحو ٤٢ بوصة أي ١٠.٦٧ ملليمتر • الذكر والأنثى متشابهان • الريش كله أبيض إلا ريش الجناح فانه أسود مرصع بلون رمادي • المنقار والرجلان حمر

## ﴿ الكروان الجبلي (شكل نمرة ١) ﴾

كثير مستوطن يعيش في الصحراء - طوله ١٧ بوصة تقريباً أي ٤٣.٢ ملليمتر • الذكر والأنثى متشابهان • الأجزاء العليا سمراء رملية مخططة بسواد • ويرى في الجناح في حالة انقباضه خط عرضي ضيق مبيض • الزور أبيض وكذلك خط تحت العين • الصدر طفلي مخطط بسواد • البطن مبيض والعين واسعة صفراء

## ﴿ الكروان البيتي (شكل نمرة ٢) ﴾

كثير مستوطن يعيش غالباً في المدن ويعشش عادة على أعالي المباني - الطول ١٧ بوصة تقريباً أي ٤٣.٢ ملليمتر • الذكر والأنثى متشابهان يخالف الجبلي في كون لونه أبيض وأشدّ رمادية وفي كون جناحه يكون خالياً في حالة انقباضه من الخط العرضي الأبيض الواضح



( شكل ١٠ )

## ﴿ الزقزاق المطوق ﴾

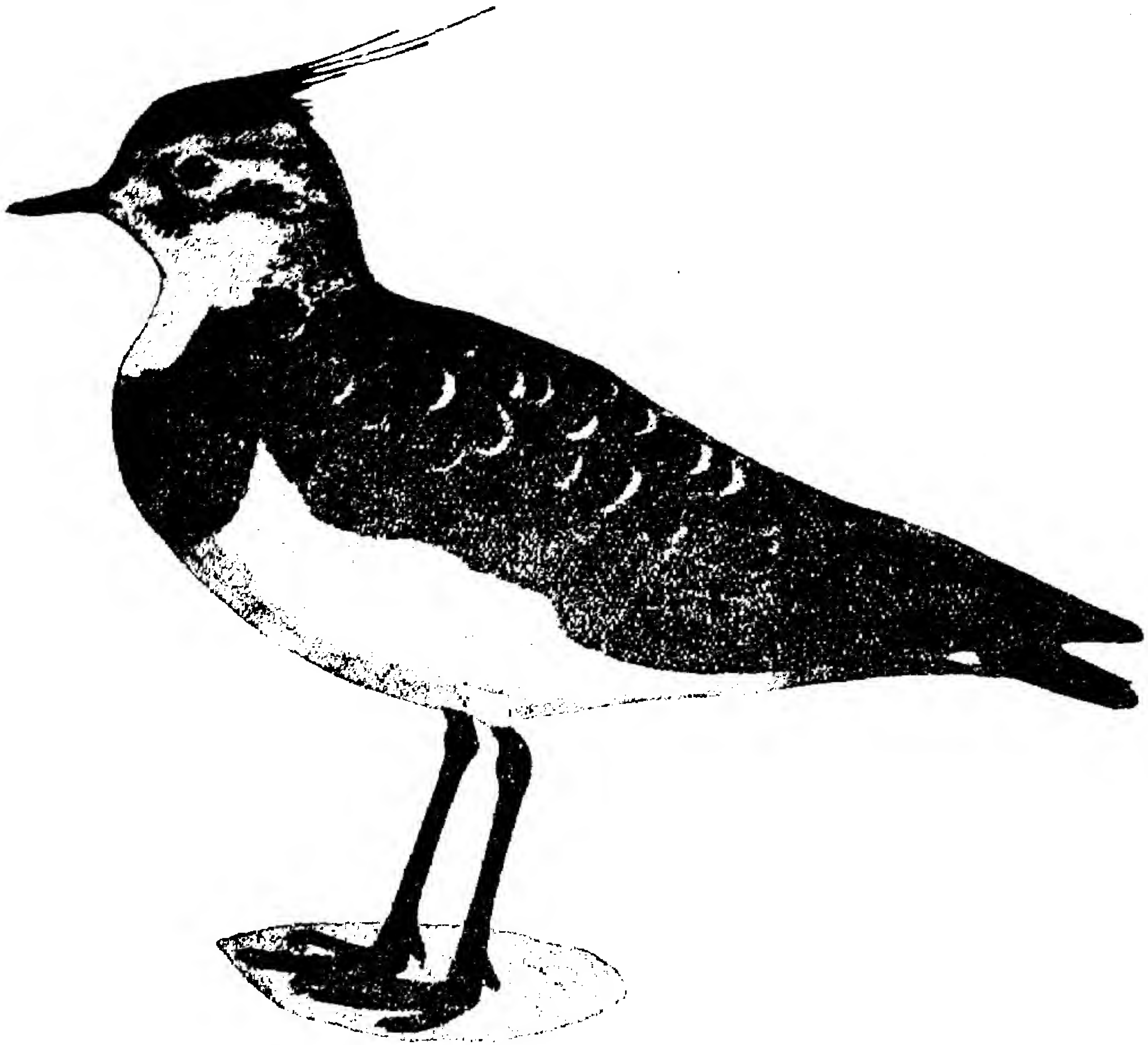
يكثر في البقاع الرطبة والأراضي المغمورة بالمياه طول الخريف والشتاء ويبقى قليل منه في القطر ويبيض ويفرخ في أماكن مناسبة - طوله ٦ بوصات ونصف تقريبا أي ١٦٥ ملليمترًا . الذكر والأنثى متشابهان أجزاؤه العليا سمراء باهتة وجبهته سوداء في وسطها غرة بيضاء وريش أذنه أسود وله طوق أسود وعلى قفاه شريط أبيض وأجزاؤه السفلى بيضاء

## ﴿ الزقزاق الشامي ﴾

يكثر في أشهر الشتاء - طوله ١٢ بوصة ونصف تقريبا أي ٣١٨ ملليمترًا . الذكر والأنثى متشابهان تاج الرأس والعرف أسودان مخضران والأجزاء العليا خضراء معدنية ذات انعكاسات أرجوانية ومعلمة قليلا بلون طفلي . والذيل أبيض به شريط أسود عريض . والبطن أبيض وخوافي الذنب كستانية باهتة



( الزقراق البلدى (شكل ١١) )



( شكل ١١ )

كثير مستوطن في الأماكن المناسبة له في معظم مديريات القطر - طوله ١٢ بوصة تقريبا أي ٣.٥  
مليمترات • الذكر والأنثى متشابهان • لون قمة الرأس والقفا والزرور والصدر أسود • ولون جانبي الرأس  
والرقبة والبطن أبيض والأجزاء العليا سمراء وريش الأجنحة معلم بسواد وبياض واضحين والذنب أسود  
ذوقاعدة بيضاء وحادقة العين قرمزية انتهى الاجمال فهالك تفصيل التفسير لهذه السورة

( أقسام هذه السورة ست )

- ( القسم الأول ) رؤيا النبي يوسف عليه السلام من أول السورة الى قوله - آيات للسائلين -
- ( القسم الثاني ) أذى اخوته من قوله - إذ قالوا ليوسف وأخوه - الى قوله - وكانوا فيه من الزاهدين -
- ( القسم الثالث ) قصته في بيت العزيز من قوله - وقال الذي اشتراه من مصر - الى قوله - وليكونن  
من الصاغرين -
- ( القسم الرابع ) فضيته في السجن من قوله - قال رب السجن أحب اليّ - الى قوله تعالى - إن  
ربي غفور رحيم -
- ( القسم الخامس ) تنظيمه للخزائن المصرية من قوله - وقال الملك ائتوني به - الى قوله - ادخلوا  
مصر إن شاء الله آمنين -
- ( القسم السادس ) خاتمة السورة وحكمها وعجائبها من قوله - ورفع أبويه على العرش - الى آخر السورة

## ﴿ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ﴾

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

الرَّ \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ \* إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ \*  
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ  
لَمَنِ الْغَافِلِينَ \* إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ \* قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ  
الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ \* وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ  
وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ  
عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلْسَّائِلِينَ \*

﴿ التفسير اللفظي ﴾

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

(الر) تقدم الكلام عليه في أول آل عمران • يقول الله (تلك) أي الآيات التي أنزلت عليك في هذه  
السورة آيات السورة الظاهر أمرها في إعجاز العرب وفي إجابة السائلين منهم بإرشاد اليهود قائلين لم انتقل آل  
يعقوب من الشام إلى مصر وما قصة يوسف (إنا أنزلناه) هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف عليه السلام حال  
كونه (قرآنا عربيا) و بعض القرآن يسمى قرآنا لأنه اسم جنس يقع على البعض وعلى الكل - ولو كان  
أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته - أعجمي وعربي (لعلكم تعقلون) أي تفهمون أيها العرب وقد نزل بلغتكم  
(نحن نقص عليك أحسن القصص) والقصص إما مصدر بمعنى الاقتصاص وإما بمعنى المفعول فيراد به المقصوص  
كالسلب بمعنى المسلوب فيقال نبين لك أحسن البيان لأنه جاء على أبداع الأساليب وأحسن الذي يقص - لما  
فيه من العجائب والحكم والآيات والفوائد النافعة في الدنيا والدين كسير الملوك والممالك وحسن السياسة  
وتدبير الملك وإقامة العدل ونظام الدولة ومكر النساء والاصطبار على الأذى والعفو والتجاوز عن هفوات الأقارب  
واشتقاقه من قص - أثره إذا تبعه فإن الذي يقص الحديث يتبع ما حفظ منه شيئا فشيئا كما يتبع القاص الأثر شيئا  
فشيئا وقوله (بما أوحينا إليك هذا القرآن) أي بإيحائنا إليك هذه السورة (وان كنت من قبله لمن الغافلين)  
أي انه أي الشأن أو الحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الجاهلين به لأن هذه القصة لم تقرر سمعك ولم  
تخطر ببالك وإن مخففة من النقيلة واللام فارقة (إذ قال) بدل اشمال من أحسن القصص إذا كان مفعولا به  
وهو بمعنى المقصوص فأما إذا كان بمعنى الاقتصاص وهو المصدر فيكون إذ منصوبا باضمار اذكر • يقول  
الله قال (يوسف) بثلاث السين (لأبيه) يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (يا أبت) بثلاث التاء فأنضم  
لاجرائها بحرى الأسماء المؤنثة بالتاء وفتحها لأنها أصلها - يا أبتا - وكسرهما لأنها عوض عن حرف يناسب  
الكسرة (إني رأيت) في المنام فهو من الرؤيا لا من الرؤية (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) نزلان من  
أماكنهن وسجدن لي سجدة التحية والنجوم في التأويل إخوته وكانوا أحد عشر رجلا يستضاء بهم كما  
يستضاء بالنجوم والشمس أبوه والقمر أمه راحيل وقوله (رأيتهم لي ساجدين) استئناف لبيان الحال التي



رآهون عليها وأجريت مجرى العقلاء لوصفها بالسجود وهو من صفاتهم . ولقد كان يعقوب شديد الحب  
 ليوسف لأن الجمال والذكاء مما يضاعف الحب في البنين والبنات كما يحب الناس جمال زهر الورد ويقل  
 التفاتهم لزهر السنط والصفاف . ولقد قال علماء الحكمة (إن جمال الظاهر بانتظام العين والأنف  
 والفم والحد . وحسن اتسافها دال على جمال الباطن بالعفة والحكمة والشجاعة والعدالة ) فالإنسان  
 شغوف بالجمال في أبنائه لأن نفوس الناس تشعر بجمال بواطن من حسنت ظواهرهم ولذلك حسده اخوته  
 وظهر ذلك ليعقوب فلما رأى يوسف هذه الرؤيا وكان تأويلها أن اخوته وأبويه يخضعون له (قال) يعقوب  
 (يا بني) تصغير ابن للشفقة ولصغر السن وكان ابن اثنتي عشرة سنة (لانتقص رؤياك على اخوتك فيكيدوا  
 لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة واللام في لك صلة كما تقول نصحتك ونصحت لك تخاف عليه حسدهم  
 وبغيرهم والرؤيا في المنام كالرؤية بالبصر وسيأتي إيضاح الكلام عليها قريبا (إن الشيطان للإنسان عدو  
 مبين) ظاهر العداوة كما فعل بآدم وحواء \* وفي صحيح البخاري قال ﷺ (إذا رأى أحدكم الرؤيا يحبها  
 فانها من الله فليحمد الله عليها وليحدث بها وإذا رأى غير ذلك مما يكره فانما هي من الشيطان فليستعذ  
 بالله من الشيطان ومن شرها ولا يذكرها لأحد فانها ان تضره ) ومعنى انها من الشيطان أنه يحضرها أو  
 أنها تسره فهي من الله خلقا ولكن تنسب للشيطان مجازا لأن كلاما من عند الله \* ويقال الرؤيا اسم  
 للحبوب والحلم اسم للمكره . وقد أخذ العلماء من مجموع الأحاديث أن الإنسان لا يحدث بالحلم وليتعوذ بالله  
 من الشيطان الرجيم من شرها ويتفل ثلاثا وليتحول الى جنبه الآخر فانها لا تضره وهذه تكون سببا لعدم  
 ضرره كما جعلت الصدقة لوقاية المال وغيره من البلاء (وكذلك يجتنبك ربك) يقول الله تعالى وكما رفع الله  
 منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يصطفيك ربك ويخصك بفيض إلهي فتكون نبيا وملكا  
 وتكون لك أنواع الكرامات بلاسعى منك وتلهم الخير إلهاما . ثم ابتداء كلاما خارجا عن التشبيه السابق  
 فقال تعالى (ويعلمك من تأويل الأحاديث) أي تأويل الرؤيا فإن كانت من أحاديث الملك كانت صادقة أو  
 من أحاديث النفس أو الشيطان كانت كاذبة كما سأوضحه قريبا وتأويل كتب الله تعالى وسنن الأنبياء وكلام  
 الحكماء . والأحاديث اسم جمع للحديث وهو ليس بجمع لأحد وثمة . وسمى تعبيرا للرؤيا تأويلا لأنه يؤول أمره  
 الى ما رأى في منامه وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقوله (ويتم نعمته عليك) أي بالنبوة  
 (وعلى آل يعقوب) وذلك بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة فهم أنبياء في الدنيا وملوك في الآخرة في  
 أعلى درجات الجنة وآل معناه أهل ولكن الأول يستعمل فيمن له خطر كالنبي فلا يقال آل الجاهل وآل  
 العصاة وإنما يقال أهل وآل يعقوب سائر بنيهم ولقد دل على شرفهم بضوء الكواكب (كما أتمها على أبويك  
 من قبل إبراهيم واسحق) فجعلهما نبين (إن ربك عليم) بمن هو أهمل للاجتهاد (حكيم) يضع الأشياء  
 مواضعها (لقد كان في يوسف واخوته) أي في قصتهم وحديثهم (آيات) دلائل على قدرة الله وحكمته وعلى  
 نبوتك (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم واخوة يوسف هم أولاده البشارة (يهودا . روبييل . شععون .  
 لاوي . زبالون . يشجر) وأتمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب وولد ليعقوب من سريتين أربعة  
 أولاد وهم (دان . نفتالي . جاد . آش) ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف  
 وبنيامين فهؤلاء هم الأسباط بنو يعقوب وعددهم اثنا عشر فاستة من ليا وأربعة من سريتين اسم احدهما  
 زلفة والأخرى بلهة واثنان من راحيل أخت ليا بنت ليان بعد موت أختها أو كانت معها على رأى ولقد دهش  
 اليهود الذين قالوا للعرب سلوه عن سبب انتقال ولدي يعقوب من أرض كنعان وعجبوا كيف يذكر هذا التخص  
 الموافق لما في التوراة ولا علم له بالكتب ولم يجالس الأخبار ولا العلماء . وأيضا في هذا عبرة وعظة في عجائب  
 هذه القصة من صبر وحلم وحزن وعفة وسجن وملك وصفح . فكل هذه آيات للسائلين ودلائل للمكرين

وفي هذا المقام لطائف

( اللطيفة الأولى ) في قوله تعالى - نحن نقص عليك أحسن القصص الخ -

( اللطيفة الثانية ) في استطلاع البشر الى معرفة الغيب وغرامهم به وأن منه العرافة ومنه الرؤيا وأن فيهما الصادق والكاذب

( اللطيفة الثالثة ) في الحسد وأسبابه

( اللطيفة الأولى في قوله تعالى - نحن نقص عليك أحسن القصص - )

اعلم أن الله عز وجل لما ذكر في سورة هود عجائب صنعه وبدائع حكمته في خلقه وجعل مناط التفكير فيها النظر في الدواب وسعة علم الله ثم ان ملكه ثابت على مقتضى العلم والحكمة وإذا كان ملك الله ودوامه انما كان لشبائه على العلم هكذا لا دوام للملك الأهم إلا بالعلم الذي ينالونه . وكل ملك لم يؤسس على العلم آيل للزوال السريع . ولما كان علم الله لانهاية له كان ملكه لانهاية له معروفة وعلم الناس محدود . ولذلك كان ملكهم محدودا . هذا بمض ما يؤخذ من سورة هود وقد فاتني أن أذكر هذا هناك ثم أقول فسورة هود مدار الأمر فيها على النظام في الحيوان وعلى سعة علم الله وحكمته وقدرته ورحمته وأنه آخذ بناصية كل دابة . فأما في هذه السورة فقد فتح باب الفكر الانساني والعقل الآدمي كأنه يقول أيها الناس اقرؤا علوم الطبيعيات والفلكيات وكل ما في الأرض والسموات ولا يشغلكم ذلك عن القصص والعظات ﴿ وعبارة أخرى ﴾ ليقرا الناس علوم الطبيعة وعلوم الأدب

اعلم أيها الذكي أن هذا المقام يحتاج لشرح وإيضاح . لقد جاء في كتاب أميل القرن التاسع عشر ما يفيد أن التعليم في الأمة الفرنسية التي منها مؤلف الكتاب المذكور ناقص لأنها قصرت في تعليم الناس الروايات والخرافات والاحاديث المستملحة الغريبة . وعلل ذلك بأن الاطفال ومن نحا نحوهم لا يقبلون إلا على ما يوسع الخيال ويفتح باب التصور وسعة القوة الخيلة ولن يكون ذلك إلا بالروايات المدهشة الموسعة للخيلة المخالفة للحقائق المعروفة . وأيد ذلك بما يصنعه الانجليز في بلادهم وأن الاطفال والشيوخ الذين لم يتعلموا يحضرون مجالس خاصة في محال تفتح لهم وفيها تكون تلك الخرافات وضرب أمثالا لذلك مثل الفتاة التي طلب أبوها أن يتزوجها واقترحت عليه ثوبا يكون الشمس وثوبا يكون القمر وفي آخر الامر اقترحت عليه أن يذبح حماره ففعل كل ذلك ولبست جلد الحمار فصار هذا الجلد يخفيها عن الأنظار والذي أرشدها لهذا الاقتراح جنية . وأطال في ذلك بأمثال لا محل لذكرها هنا . وانما أقول ان هذه الخرافات قد وضعت بين عامة الجهال من البشر لحكمة من الله دبرها . يقول وأن هذه الخيالات الكاذبة توسع القوة الخيلة حتى اذا مآرعرع الشاب انفتحت بصيرته للعلوم الطبيعية والفلكية فتصقل ذهنه فتذهب تلك الخرافات من عقله ويتم له الكمال . هذا رأيه

ولقد اطلعت على خرافات منقولة عن اليابان وقد ذكروا مع كل واحدة منها للأطفال أن هذه خرافة أما هذا الفرنسي فانه يقول يجب أن لا ننقص على الصبي بأن هذه لاحقيقة لها ولندعه يفرح بها حتى اذا كبر الصبي عرف الحقيقة

هذا ما وصل اليه من علم الأمم حولنا في هذا المقام . فانرجع الى ما نحن فيه ولننظر في القصص وأحسن القصص . يقول الله - نحن نقص عليك أحسن القصص - وهذا يفيد أن القصص فيه حسن وأحسن والله قص الأحسن . ولا جرم أن الناس يقصون الحسن والردى وهذا فتح باب للحكايات والروايات والقصص ما بين صادقة وخيالية . ولقد كانت أمة بني اسرائيل مغرمة بالقصص والحكايات ومنها ما هو ضرب أمثال . وكان ﷺ يحدث أصحابه عامة الليل . ومن ذلك حديث أم زرع الطويل الذي اعتنى كبار العلماء



والمحدثين بشرح معناه وألفاظه اللغوية الأنيقة وكان عليه السلام يقول حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ولعلّ القصد أن يكون الحديث خاصا بما يفيد علما وحكمة وماعدا ذلك فهو لغو والحديث • ولقد وجدنا أمتنا الاسلامية قد خلفت لنا آثارا من الروايات كألف ليلة وليلة وكتاب (كامله ودمنة) وروايات كثيرة فيها ما هي عامية ومنها ما هي باللغة العربية • ولقد نجد قصة عنتره وغير عنتره وكل ذلك شهادة بأن أمتنا نهضت نهضة واسعة النطاق • ولقد نجد في كتاب (كثيلة ودمنة) من المحاورات الجارية على لسان البهايم ما يعلمك الحكمة والسياسة والأخلاق والمواعظ والعبر وكل ما فيه جار على لسان ما لا يعقل

فأما كتاب ألف ليلة وليلة فإنه جار على السنة الناس وفيه المبالغات وحديث العفاريت والجن والشياطين وما أشبه ذلك من الخرافات ومع ذلك تجد فيه ما يوسع الخيال كما ترى في قصة السندباد البحري وحديثه مع السندباد البري وكيف يقصّ عليه من أنباء سياحاته السبع وكيف كان في كل سفرة منها يلاقى من الأهوال والمصاعب ما لا يطيقه إلا الأبطال • وكيف يقصّ عليه نبأ تلك البيضة التي هي كقبة كبيرة جدا وقد جاء الرخ وجثم عليها وكيف ربط نفسه في رجله وهو لا يحسّ به كأنه برغوث على جسم انسان وهكذا كيف رمته المقادير فوق الجبال وفي الأودية وكيف ربط نفسه في قطعة اللحم التي التصق بها اللباس فرفعه الطير إلى أعلى الجبل وكيف وصل إلى أشجار الصندل فاتخذ منها سفينة وجرت به في البحر وتحت الجبل في الماء وكيف كانت هذه السفينة تجارة وهو لا يدري وهكذا من شياطين يطرون به وما أشبه ذلك مما دونه أسلافنا في كتبهم وتركوه إلى خلفهم ليطلعوا عليه وينفذوه ويفكروا فيه • فاما الأمة الاسلامية فانها على مذاهب شتى

فأما الفقهاء وأهل الدين فانهم كانوا منذ قرون كما هو مشاهد الآن يمنعون التلميذ أن يقرأ إلا كتب الدين وعلوم النحو والصرف وما أشبهها والطالب يحقر كل ماعدا ذلك لأن أستاذه حقره • فأما تلك الكتب فقد بقيت عند العامة والجهلاء • ثم إن علماء أوروبا قد اعتنوا بها وبحوثها عنها وفكروا فيها ووجدوا أن كتاب (ألف ليلة وليلة) نافع لهم فترجموه وقد اطلعت عليه باللغة الانجليزية وألفوا كتباً أخرى يسمونها (الليالي العربية والليالي العربية الجديدة) وقال بعض كتابهم الذين نبغوا في قومهم اننا لم نصل لهذه القوة إلا من قراءة كتاب (ألف ليلة وليلة) ومعنى هذا أنه قرأه في صغره وقرأ العلوم الطبيعية في كبره

فأما الاقتصار على أمثال هذه الكتب فإنه يجعل المرء كثير الخرافات مصدقا بالترهات • هذا وعلى ذلك جاءت هذه السورة عقب سورة هود التي أعلت شأن علوم الطبيعة ليبين الله أن القصص شأنها عظيم ولعمري لا دين ولا أمة تقوم لها قائمة إلا بضرب الأمثال والروايات والحكايات المنعشات للنفوس المرقبات للخيال

### ﴿ كيف كانت قصة يوسف أحسن القصص ﴾

وانما كانت قصة يوسف أحسن القصص لأنها جمعت بين ما يوسع الخيال من المناهج العجيبة وما يوضح الحقيقة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ان العلماء أباحوا الخرافات لترقية الأمم بل جعلوها من الامور اللازمة وذلك لتوسيع الخيال • فهذه القصة مع ما فيها من توسيع الخيال جاءت مطابقة للحقيقة لأنها تذكر أموراً جرت فليس يعقوب ويوسف وأخوانه ووجودهم في مصر أمراً خياليا بل هو حقيقة تاريخية معروفة • وليس ككثيلة ودمنة الذي هو حسن حقا ولكنه ليس أحسن لأنه يأتي بحوادث الحيوان مما لا ينطبق إلا على الانسان كحكاية السمكات الثلاث اللاتي اختلفن في الرأي لما حيل بينهن وبين ماء النهر فأما الأخرم فيهن فانهما فرت بسرعة من مكانها إلى النهر وأما الحازمة فانهما لما أحاط بها الخطر تماوتت وعامت على وجه الماء كالميتة فرماها الصيادون وأما الغيبة فانهما لم تفكر حتى أخذها الصيادون فان هذه الحكاية وأمثالها قد استحسنها العقلاء ودرسها جميع الأمم • ولكن قصة يوسف أحسن لأن أشخاصها حقيقيون ووقائعها صحيحة وفيها الحكم والمواعظ التي لا يراها الانسان في قصة أخرى حتى ان قصة يوسف في التوراة ليس فيها من الطلاوة والأخذ بالألباب

والعظات والحض على مكارم الاخلاق مثل ما في القرآن • فهذا معنى كون هذا أحسن القصص

﴿ كيف تربى أوروبا أبناء الشرق ﴾

لقد علمت أيها الذكي آراء علماء أوروبا في الروايات وعرفت أن المتأخرين من أمتنا الاسلامية سدوا الباب في وجود الطلبة فوقفت العقول وسدت الطرق • فلما دخل الانجليز بلادنا زادوا الطين بلة فقالوا لا تقرأوا الروايات فانها خرافات وقد علمت أن هذه تليق للأطفال ولصغار العقول ثم هم قلاوا علوم الطبيعة بحيث لا يعرف الطالب ماجاء في سورة هود من النظر في الحيوان وأنواعه ولا في عجائب صنع الله تعالى • فهذا الباب أقفل إلا قليلا وذلك على الكبار وهكذا الاطفال منعوهم مما يرقى الخيال ثم جاؤا بروايات (شكسبير) ليقرأها الكبار بدل الصغار وكذلك بعض روايات عربية مترجمة الى لغتهم من ألف ليلة وليلة وجعلوها للكبار ليشغلوهم بما يجب أن يكون للأطفال وذلك لضعاف العقول وموت النفوس • هذا ما أردت ذكره في هذا المقام ليقف عليه العلماء بعدنا فيبحثوا فيما يصلح للأمة وما لا يصلح فينظموا التعاليم على ما ينفع العباد واني قبل أن أغادر هذا المقام أذكر أن أحد الفضلاء أخبرني أنه كان يخاف من خياله فلما قرأ قصة عنتر أصبح شجاعا وصار لا يخشى من أعظم الاشياء وأهولها • ولما حضر الى مصر الاستاذ (ادوارد براون) الانجليزى وسمع قصة عنتره تأسف وقال ان العوام عندكم خير منهم عندنا فانهم يسمعون مكارم الاخلاق والشجاعة في هذه القصة وهم يفهمونها فترقى أخلاقهم وعقولهم ثم أخذ قصيدة منها بالفونوغراف وأسمعني صوته فكان عجيبا جدا وهي التي فيها هذا البيت

إياك والفحشاء لا تنطق بها \* مادمت في هزل الكلام وجده

هذا ما أردت ذكره في هذا المقام

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

اعلم أن الناس مفطورون على الاستطلاع والتشوق لمستقبل أمورهم وقد يعرفون بعض المستقبل برؤيا يرونها أو بعرفاء يجيبهم أو بزجر أو بفأل أو بضرب الحصى أو بالنظر في الاكتاف أو في الماء أو التنويم المغناطيسى أو بتحضير الأرواح

﴿ تحقيق هذا المقام ﴾

اعلم أن الله عز وجل أقفل أبواب معرفة الغيب عن البشر ولم يرد ذلك إلا رحمة بهم واسعادهم • ولوعلم الناس الغيب لنزلوا الى الحضيض ولكانوا أخس المخلوقين • ذلك أن المرء لو اطلع على الغيب وانه بعد عشرين سنة سيكون وزيرا أو غنيا أو عالما كبيرا لم يفكر يوما ما في علم السياسة ولا في جلب المال ولا في قراءة العلم واذن تضع الحكمة وتذهب الحياة سدى وجهل الناس بالمستقبل هو الذي تكفل بإسعادهم لأنهم يجتدون وهم وجلون وذلك داع حثيث الى اتقان العمل ولا نتيجة إلا بمقدمات والمقدمة لا وجود لها مع العلم بالمستقبل فعلم الناس للغيب أكبر ضرر عليهم وهم لا يشعرون • ناهيك بما يكون من اطلاع الناس بعضهم على ما في قلوب بعض من الحسد والبغض والكراهة فكيف يعيش الناس في صفاء وهم مطلعون على ذلك الجفاء والعداء والاستياء • لهذا منع الله الغيب • ولكن لما كان اقفال باب الغيب مرة واحدة يوجب اليأس من عالم أرقى من هذا العالم ويوقع في النفوس أنه لا روح ولا حياة بعد هذه الحياة أغاث الناس ببعض الرؤيا الصادقة وخصص أناسا بالاطلاع على بعض الحقائق واضحة كالأنبياء وغير واضحة ممزوجة بالباطيل كالعرافين والرمالين والناظرين في الكف وفي الحصى والحاسبين في علم الزايرة • فهؤلاء كما تحققنا يأتون بحقائق وأكاذيب وهكذا الرؤيا فمنها الكاذب وهو الأكثر ومنها الصادق وهو أندر من الدور كما في رؤيا يوسف عليه السلام



﴿ هل تصدق الأرواح في أخبارها عند استحضارها ﴾

هذه القاعدة لا يشذ عنها شيء فاعلم أن الأرواح التي يحضرها الناس في الشرق وفي الغرب تأتي بالصادق والكاذب . وبيانه أن الذي يستحضر الروح لأجله إذا كان طالبا مالا أوجاعا أو عرضا دنيويا أعرضت عنه الأرواح العالية واقتربت منه الأرواح الناقصة لمشاكلاتها لطباعه فذكرت له ما يناسب ذوقه و بشرته بمستقبل سعيد وعمر مديد ومنزل جديد وبالأبناء والعبيد . وإن كان الطالب يريد الحكمة والعلم والحقائق ولم يكن محكوما عليه بالخرمان لذنب أصابه أقبلت عليه الأرواح العالية وعلمته تعلما يناسبه . ولعمري لا فرق بين عالم الأرواح وعالم الدنيا . فالعالم يضيق بعلمه على من لا يعقله والناس أشكال فكل شكل يحسن إلى شكله ويألف قرينه ويهوى أمثاله . هذا ولأفضل الكلام إلى ﴿ مقامين ﴾ العرافين في التوراة وحقيقة الرؤيا

﴿ العرافون في التوراة ﴾

لقد كان بنو اسرائيل مغرمين بالعرافة موصوفين بمحادثة الأرواح ألا وإن أهل أمريكا وأوروبا الآن يشبهون اليهود قديما في غرامهم بمحادثة الأرواح وما كان ليخطر ببالي أن بنى اسرائيل هكذا لولا ما رأيته في الاصحاح الثاني والعشرين من الملوك الاول من التوراة

ذلك أن (يهوشافاط) ملك يهوذا نزل عند ملك اسرائيل . فقال الثاني لعبيده ألا تعلمون أن (أرض راموت جلعاد) هي أرضنا ونحن عنها ساهون لاهون فلنحارب لنرجعها لنا ثانيا ونأخذها من ملك (أرام) ثم التفت إلى (يهوشافاط) قائلا أتذهب معي للحرب فقال (يهوشافاط) شعبي كشعبك وخيلي كحالك فقاتل أنامعك ثم قال لملك اسرائيل أسأل اليوم عن كلام الرب فجمع ملك اسرائيل الأنبياء (العرافين) نحو أربعين رجلا واستشارهم فأشاروا عليه جميعا بالتوجه للحرب لاسيا (صدقي بن كنعنة) فإنه صنع لنفسه قرنين من حديد وقال هكذا قال الرب بهذه تنطح الأراميين حتى ينفوا فقال (يهوشافاط) أما بقي من هؤلاء الكهنة أحد بعد فقال ملك اسرائيل لم يبق إلا واحد وهو وحده لا يتنبأ لي بخير وهو (ميشا بن يمله) فأمر باحضاره فسأله فقال رأيت كل بنى اسرائيل مشتتين على الجبال يخرفون لاراعي لها فقال الرب ليس هؤلاء أصحابي فليرجعوا كل واحد إلى بيته بسلام ولقد رأيت الرب جالسا على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره فقال الرب من يغوي (اخا ب) فيصعد ويسقط في راموت جلعاد تخرج الروح ووقف هكذا أمام الرب وقال أنا أغويه قال له الرب بماذا قال أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه (كهنته) فقال إنك تغويه وتقتدر فأخرج وافعل هكذا والآن هوذا قد جعل الرب روح كذب في أفواه جميع أنبيائك هؤلاء والرب تكلم عليك بشرف عارضه (صدقي) المتقدم ذكره فقال له (ميشا) سترى في ذلك اليوم الذي تدخل فيه من مخدع إلى مخدع لتختفي اه

حينئذ حبسوه وضيقوا عليه وصعد ملك اسرائيل ويهوشافاط ملك يهوذا إلى راموت جلعاد فاتفق أن رجلا نزع في قوسه غير متعمد وضرب ملك اسرائيل بين أوصال الدرع فقال لمدير مركبته ردد يدك وأخرجني من الجيش لأنني قد جرحت واشتد القتال وأوقف الملك في مركبته مقابل (أرام) ومات عند المساء وجري دم الجرح إلى حضن المركبة ودفنوا الملك في السامرة اه

هذه هي القصة التي لحصتها من الملوك الاول ومنها تعلم أيها الذكي أن بنى اسرائيل قد شاع عندهم علم الكهانة والعرافة وكذلك تعبير الرؤيا

﴿ حكمة وتبيان لجعل سورة يوسف بعد يونس وهود في الترتيب ﴾

اعلم أن العالم الروحي والعالم الجسمي كل منهما فيه عوالم لا تنتهي بحسب نظرنا فبينما الانسان الواحد منا نراه واحدا مفردا نجد أن له مالا يحصى من السكرات الدموية البيضاء والجراء لا تقدر بمئات الملايين

وهكذا أعضاؤه وعجائبها ثم اننا نرى النبات والحيوان لاتعدّ عجائبهما ولا تحصى وكلها خادمة للإنسان • فلننظر نظرة في العالم الروحي فان آراءنا وأفكارنا متصلة بعوالم أكثر من العوالم المشاهدة ولعلّ أرواحنا تتصل بعوالم تناسبها ومن تلك العوالم ما نراه في المنام ومنها ما جاء على ألسنة الأنبياء ومنها ما يجيئ على ألسنة العرافين والكهنة وغيرهم وهؤلاء الذين ذكرناهم بعد الأنبياء يصدقون ويكذبون كما أنا نرى العوالم المحسوسة منها الضارّ ومنه النافع ونحن بين هذه العوالم نربى ونختبر ونميز ونرتقى في تلك التجارب

وياعجباً لقصة يوسف التي أنزلها الله لفتح هذه الأبواب العلمية ولتبيين لنا كيف تكون البشارة للمؤمن في هذه الحياة الدنيا فيما مرّ في سورة يونس إذ قال تعالى - لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة - وورد في الحديث ﴿ ان البشرى في الحياة الدنيا هي الرؤيا الصالحة يراها الرجل أو ترى له ﴾ فهذه السورة أرتنا أن من الناس من يفتح لهم باب السعادة بحسب استعدادهم ويلهمون ذلك أو يرونه في المنام وهذه الرؤيا تكون بشرى كما بشر يوسف بما هو مغلوب فنال ما رآه • وكل من الرؤيا وكلام الكهنة فيه الصادق والكاذب ولقد ترى في كلام (ميسخا) المتقدم ما يوههم خلاف جلال الله وجماله فاعلم أن هذا ليس أمراً مقدساً وإنما ذكرناه لتعلم على كل حال أن القوم كان لهم المام بالكهانة وان لم يكن هذا الكلام موزوناً بميزان الشرع في التعبير

### ﴿ الرؤيا الصادقة والرؤيا الكاذبة وتحقيق الكلام في هذا المقام ﴾

اعلم أن الرؤى على أقسام ﴿ القسم الأول ﴾ ما نشأ من غلبة الدم الناجم من الاكثار من الأغذية الدموية الحارّة الرطبة كالطباخ الدسمة والحلواء فتهيج الطبيعة فتبخّر في الدماغ بخاراً حاراً رطباً فيكون الصداغ العظيم وفترة الحواس وقد يزداد فتحمّر العين ويكون وجع الحلق وذات الجنب وورم الكبد والطحال والامعاء والاثنيثين ويرى في منامه الرعاف والاحتجام والدم واللعابين والرقاصين ﴿ القسم الثاني ﴾ ما نشأ من غلبة الصفراء الناجمة من الاكثار من الأغذية اليابسة كالعسل ولحم الكباش الحولى ونحو ذلك فتحترق الطبيعة من الجوف الى الدماغ ببخار صفراوى غير معتدل فيكون صداع في الرأس وشقيقة وقلة نوم وحرارة المس وقد يصفر اللون والعين ويكون الفم مرّاً ويرى في منامه النيران والشمس المحرقة والصواعق والحروب ولا يزال مغتماً مهتماً ﴿ القسم الثالث ﴾ الرؤيا الناشئة من البلغم الناجم من الاكثار من الأغذية الباردة الرطبة المولدة بخاراً رطباً يوقع فترة في الجسم ورخاوة في المفاصل وكثرة الريق ولزوجيته وبرد الجسم وقلة شهوة الطعام أوّل النهار وقلة العطش وضعف المعدة وبياض البول وكثرة النوم والكسل والنسيان وأن يرى صاحبه في نومه الأمطار والمياه والأودية والاغتسال والسباحة ﴿ القسم الرابع ﴾ الرؤى الناجمة من غلبة السوداء الناشئة من الاكثار من الأغذية السوداء كالعدس والدخن ولحم البقر والبادنجان فيبتدئ المرض السوداوى بفترة في البدن وشدة عطش وقلة نوم وقد يطغى المرض اذا لم يتدارك فيكون الجذام والجرب والحكة والفالج والسكته وخفة الرأس والرعاف والثآليل والباسور والصرع والماليخوليا والقوبا والبهقة والسعال اليابس الخ ويرى في منامه الأهوال والخواف والخيالات والظلمة والأشياء السوداء المحرقة ويهرب من كل أحد ويرى الأموات ونحو ذلك وأكثر ما يقع ذلك من أكل الملوحة والجوضة والبقول والعدس ﴿ القسم الخامس ﴾ أن تكون القوّة الخيلة في الدماغ مشغولة بصور واردة عليها من الحواس مخزونة فيها • ومن خصائص هذه القوّة العجيبة أنها تحلل تلك الصور وتركبها كأن تخيل

أعلام ياقوت نشر \* ن على رماح من زبرجد

وكان تصوّر انساناً مقطوع الرأس وهو لا يزال حياً ﴿ القسم السادس ﴾ أن نحاكى القوّة المتخيلة المذكورة ما غلب على النفس من منازعتها الشهوية الطبيعية كشهوة الطعام وشهوة التزاوج والتناسل فان تلك القوّة تخرع



الأعاجيب في المنام فتقدم للنائم الطعام والشراب والأنس والأصحاب والأواني والغادات مضاهاة ومحاكاة لما يحصل في العيان ( القسم السابع ) أن تحاكي تلك القوة ماغلب على النفس قبل من القوة الغضبية والحمية والعصبية فتخترع له تلك القوة آلات للمقاتل ودروعاً للنضال وسيوفاً وحرباً للملافة الأبطال ومدافع لكفاح الأعداء فتجد ما كان في النهار قوة كامنة في النفس ظاهراً في النوم عند تلك القوة تفتك بأقرانه وتجندل أعداءه وهو منصور في المنام ( القسم الثامن ) أن يكون البدن هادئاً ساكناً لم تغلب عليه الصفراء ولا السوداء ولا الدم ولا البلغم ولا الشهوة البهيمية ولا القوة الغضبية ولم تزدحم معدته بالطعام فإن هذا ربما يرى في منامه وأرادات من عالم العقل فترسم تلك المعاني العالية الواردة عليه وتصور بصور المحسوسات وقد تكون بديعة جداً بهية المنظر وقد تكون تلك الواردة عليه أقوالاً لطيفة ورموزاً لها معانٍ اجالية تخبر بامر في الحال أو الاستقبال . فهذه هي الأقسام الثمانية التي لا يخلو منها أومن بعضها أصحاب الرؤى من الناس

واعلم أيها الذكي أن هذا القول ملخص ما ذكره الفارابي في علم النفس وملخص ما جاء في علم الطب في هذا المقام . فهذا المقام أصوله في فلسفة الفارابي وفي علم الطب قد فصلته لك تفصيلاً ومنزجته منزجاً جميلاً وأبنته أيما تبيان . وعلى ذلك تكون الأقسام السبعة وهي حال الصفراء والدم والبلغم والسوداء والصور الواردة من الخواس وغلبة القوة الغضبية والقوة الشهوية الرؤى فيها أضغاث أحلام لا تأويل لها وإنما هي نتيجة ما قام بالجسم من الأمزجة والأحوال . فأما القسم الثامن فإن له ضرباً شتى وأحوالاً مختلفة . فمنها ما يكون واضح الدلالة . ومنها ما يحتاج إلى تأويل . وهذا هو الذي تكون منه الرؤيا الصادقة وهي نادرة في النوع الانساني فأما أكثر الرؤى فأنها أضغاث أحلام وهي تلك السبع والله يعلم ولكن أكثر الناس لا يعلمون وهذا خير ما اطلعت عليه مما ذكره أهل العلم في الرؤى والأحلام والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . هذا ما جاء في الحكمة الموروثة

### ( الأحلام في العلم الحديث )

واعلم أن أهل العلم في البلاد الشرقية كأبناء العرب بمصر وما جاورها قد نسوا علوم آبائهم وضرب بينهم وبين الماضي بسور لا باب له ولذلك تراهم يتبعون الأوروبيين اثباتاً ونفيًا فلعلك تحب أن تقف على ما وصلوا إليه . أقول لك قد جاء في بعض المجلات العلمية بمصر أثناء طبع هذا الكتاب هذه النبذة التي سأذكرها وأنا موقن أنك ستعجب من أن ما نقلوه عن الأوروبيين هو نفسه ما قاله الفارابي وعلماء الإسلام الذين علاوهم بقدر امكانهم أما هؤلاء فانهم ينتظرون سبباً للرؤى من كلام الأوروبيين ولم يعلموا أنهم قالوا في كتب كثيرة مثل قول الفارابي والله في خلقه شئون . وقد آن أن أسمعك هذه النبذة وهي

### ( هل من علاقة بين الأحلام والحوادث )

نشرت إحدى المجلات العلمية فصلاً حازلت أن تشرح به مسألة الأحلام وأن تثبت أن بينها وبين الحوادث التي تقع حولنا علاقة لا يمكن انكارها وقد رأينا أن نورد فيما يلي خلاصة كلامها . قالت يبذل العلماء منتهى الجهد للوقوف على كنه الأحلام وحل ألغازها . ومع أن جهودهم في هذا السبيل ترجع إلى أقدم الأزمنة إلا أنهم لم يكتروا للأمر أكثرنا جدًا إلا منذ عهد قريب . وفي الواقع أن علماء نصف القرن الماضي لم يكونوا يعتقدون أن الأحلام جديرة بالبحث ولكن علماء هذا العصر ينظرون إلى المسألة نظرة أخرى ويجمعون الحقائق التي تعينهم على استجلاء هذا السر الغامض . وهناك أمور ثابتة لا سبيل إلى انكارها وفي مقدمتها أن حوادث كثيرة أشير إلى وقوعها أو أنبئ بها بواسطة الأحلام . وهناك أيضاً ما ثبت أن بعض الأحلام أوجدت في أصحابها قوة النبوة واستجلاء المستقبل مما لا سبيل معه إلى إهمال تلك الأحلام وعدم الاهتمام بها . فمن أمثلة ذلك ما رواه الدكتور (دي سزمين) وهو أنه حلم ذات ليلة أن

ولده الذي كان يحبه محبة فائقة وقع في نار ملتهبة واحترق وكان الحلم واضحا جدا حتى انزعج الدكتور فنهض من نومه مذعورا وذهب الى حيث كان ولده مستغرقا في سبات هنيء . وفي اليوم التالي ظل تأثير الحلم عالقا به حتى انه أخذ يراقب ولده كمن يحاول أن يرد عنه الشر ثم يفحص جسمه بكل دقة فوجده صحيح البنية لايشكو علة ولكن الولد أصيب في اليوم الذي بعده بالتهاب الرئة الحاد وتوفي بعد بضعة أيام فهل كان حلم الدكتور (دى سرمين) من قبيل الاتفاق أم كان بينه وبين وفاة الولد علاقة ما

ومن هذا القبيل ما وقع لسيدة عجوز من أهالي مدينة (فيلادلفيا) بأمريكا منذ سبع سنوات فانها حلت ذات يوم بأن ابنها (وهو رجل كهل) سقط بين عجلات الترامواي وقتل فنهضت السيدة من نومها مذعورة ولما علمت أن مارأته لم يكن سوى حلم عادت فنامت ثانية ولكنها حلت مرة أخرى بأن الترامواي قد قتل ابنها وكان الحلم جليا جدا حتى انها ركبت القطار في صباح اليوم التالي وذهبت الى (نيويورك) حيث كان ابنها يسكن وما كادت تخرج من محطة (نيويورك) وتجتاز أحد الشوارع حتى أبصرت جهورا من الناس مجتمعين حول رجل ميت قد دمه الترامواي وكان ذلك الرجل هو ابنها وهو المستر (وليم كوبر) من كبار أغنياء الأميركيين وقد شهد الكثيرون بصحة ماروته السيدة أمه إذ أطلعت الكثيرين على حاملها قبل أن تسافر من (فيلادلفيا) الى (نيويورك) ومن جملة الذين شهدوا بذلك العلامة (كاميل فلامريون)

وهناك أيضا أحلام تنبئ بوقوع حوادث تافهة . فمن ذلك أن فتاة ارلندية حلت ذات ليلة بأنها واقفة في إحدى مركبات السكة الحديدية وحوها أصدقاؤها وما كاد القطار يقوم حتى شعرت بأن يدا قد دفعت اليها برزمة ففتحتها واذا بها قطعة من الصابون وأخرى من البسكويات وأرادت أن ترى ما في بقية الرزمة ولكن القطار دخل في تلك اللحظة نفقا مظلمًا ثم استيقظت . قصت الفتاة هذا الحلم على أمها وجمهور من صديقاتها كن مجتمعات حوها وبعد ثلاثة أشهر كانت مسافرة بأحد القطارات الاسكتلندية فوقع لها مارأته في الحلم تماما وروى (شوبنهاور) الفيلسوف الألماني العظيم أنه قلب ذات يوم دواة الخبر في مكتبه فدق الجرس واستدعى خادمتة لكي تنظف المكان . فلما حضرت قالت له انها كانت قد حلت بذلك الحادث تماما في الليلة الماضية فلم يصدقها الفيلسوف بل ظن أنها تهزأ به فاستدعت الخادمة خادمة أخرى كانت قد قصت عليها حاملها واستشهدت بها على صدق كلامها فصدقها (شوبنهاور)

ترى ما معنى هذه الأحلام وكيف نعلل وقوعها وهل هي من قبيل الاتفاق أو بينها وبين الحوادث التي تقع حولنا علاقة ما . إن الكثيرين من العلماء يعتقدون اليوم أن في الامكان الانباء بالمستقبل بواسطة الأحلام . يروى عن (ادوين ريد) العالم الطبيعي الشهير أنه حلم ذات يوم أنه كان سائرا في أحد الشوارع فأبصر صليبا من الصليب التي يضعها المسيحيون على قبورهم وينقشون عليها تاريخ أمواتهم ورأى على ذلك الصليب اسمه منقوشا كما يلي (ادوين ريد توفي في ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠)

وقد روى هذا العالم حامله لجمهور من أصدقائه وهو يضحك وفي ٧ نوفمبر سنة ١٩١٠ توفي فهل كان من قبيل الاتفاق وهل ثمة شك في أنه كان من قبيل الانباء أو التحذير . ثم ان من الاحلام ما هو بمنزلة تحذير من مصيبة مقبلة . ومن هذا القبيل أن ضابطا أميركيا يدعى الكابتن (مكجون) قد عزم ذات يوم أن يذهب هو وولده الى مسرح (بروكلين) بنيويورك فطلب من ادارة المسرح أن تحجز له ثلاثة أماكن وفي الليلة السابقة لذهابه الى المسرح حلم أن نارا عظيمة قد شبت والتهمت المسرح فهلك ثلثمائة نفس وكان الحلم جليا جدا حتى ان الرجل هب من نومه مذعورا وفرائسه ترتعد وفي صباح اليوم التالي أخبر ادارة المسرح بأنه قد عدل عن الذهاب هو وولده وفي تلك الليلة عينها شبت نارا هائلة اتهمت المسرح كله وهلك بالنار ثلثمائة نفس بين رجال ونساء . وقد فحص كثيرون من العلماء حكاية هذا الحلم فشهدوا بصحته وفي مقدمتهم



الاستاذ (السروليم بارات) العالم الانجليزى الشهير

ومن الناس من قد استفاد من الأحلام فرجح جوائز اليانصيب أو الرهن على الجياد الفائزة في ميادين السباق والحوادث التى من هذا القبيل كثيرة متعددة ولكن لا يصعب ارجاع معظمها الى مبدأ الاتفاق الذى تسميه العامة المصادفة إلا اذا حلم المرء أن الرقم الفلانى من أرقام أوراق اليانصيب ربح الجائزة الكبرى وفى الواقع ربح ذلك الرقم الجائزة فان الربح فى هذه الحالة لا يمكن ارجاعه الى ناموس الاتفاق بل يجب تعليله على وجه آخر . إن العلماء يواصلون البحث لمعرفة أسرار الأحلام والوصول الى تعليلها تعليلًا علميًا صحيحًا ولا بد أن ينتهوا الى حل يحسن السكوت عليه فيثبتوا أن الأحلام ليست مجرد مشاهد تعرض للنائم بلاسبب منطقي بل ان بينها وبين الحوادث علاقة لاسبيل الى انكارها اه

هذا هو الذى ينقله المتعلمون فى بلادنا وهم أنفسهم يسمعون فى منازلهم ومن أصحابهم بمصر وغيرها أمثال هذا كثيرا ولا يعيرونه التفانا ولا بحثنا حتى اذا سمعوه من أهل أوروبا يكتبوه . هذا هو الجهل واحتقار النفس وسيأتى يوم يعرف فيه الشرق أن له أحلاما وأن له عقلا وأنه يفكر ويفهم ما فى نفسه وما حوله اه

### ﴿ اللطيفة الثالثة فى الحسد وأسبابه ﴾

اعلم أن الحسد لا يكون إلا بين المتشاركين فى حال كالجار والصهر والقريب والمشارك لك فى صناعة وتجارة أو زراعة أو إمارة أو علم أو سن أو المقيم معك فى مدرسة أو منزل أو شارع . وكلما ارتفع صيت الانسان حسده من يشاركه فى ذلك الصيت وترى العالم لا يود أن يشاركه فى ذلك المجد أحد . ويزداد الحسد كلما ازداد الصيت وحسن الذكر . وهذه الخصلة انما أوجدت فى الانسان لطلب المجد والرفعة وعلو الشأن وليسابق الانسان غيره فى المفاخر والفضائل والمجد فتربوا الأحوال ويكثر العمل ويزداد العمران . ومامن خصلة تخاق فى الناس إلا ولها فوائد لمنافعه ومنفعة هذه الغريزة ما ذكرناه فيجارى الرجل غيره ويريد مسابقته وهذه تسمى (الغبطة) وهى محمودة فاما أن الانسان يسعى لازالة الفضل عن المحسود فهذا هو المذموم . ويظهر أن هذه الأرض من العوالم المنحطة لأن الذين يسكنونها لا ينافون الفضائل إلا مقرونة بما يؤذى ويؤلم وهل فى العوالم من هو أصفى وأبقى وأرقى . ولعل أهل الأرض يوما ما يصلون الى هذا المقام . واذا كنا نرى الأغذية فيما تقتم لها أثر فى أحوال الرزق والصور التى نتخيلها فى منامنا وهكذا يقول علماء الحيوان أن الحيات السامة لانكون إلا حيث يكون العشب فاسدا والمستنقعات عفنة . فأما الحيات التى لاسم لها فاتها أكثر من التى لها سم وتبلغ ثلثمائة نوع وهى ثلاثة أضعاف التى لها سم وما السم إلا من آثار الغذاء السيء والأعشاب النابتة فى المواضع المستوحشة فالسم إذن نتيجة الأغذية فهكذا نقول إن أرضنا طبعها هو الذى نحن عليه أى ان طبيعتها ومناخها لا يحوى إلا أناسا هذه حالهم تخلق فيهم الفضائل نكتشفها الرذائل كما يكتشف المرض الأغذية فتحدث فينا صحة يتلوها مرض فوات . هذا طبع أرضنا فالحسد فينا وغيره من طبائع هذا العالم والعلم يطفئه ويهذب فالدین والفلسفة وجدا فى الأرض ليطلقا من طباع الناس كما خلقت حرارة الشمس كل ما على الأرض وأثرت فيه ونما كل حيوان ونبات فنسبة العلوم والديانات الى غرائزنا كنسبة ضوء الكواكب الى المخوقات الأرضية هذا هو المقصود من ذكر حسد بنى يعقوب ليوسف عليه السلام فى هذه السورة . انتهى الكلام على القسم الأول ولطائفه

### ( القسم الثانى )

إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \*

أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ \* قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ \* قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ \* أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ \* قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ \* قَالُوا لَنْ أَكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا خَلَسِرُونَ \* فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* وَجَاؤَا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ \* قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ \* وَجَاؤَا عَلَى قَيْصِيهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ \* وَجَاءَتِ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ \* وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ \*

#### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (إذ قالوا ليوسف وأخوه) واللام لام القسم أي والله ليوسف وأخوه بنيامين وهما من أم واحدة وهي راحيل (أحب إلى أينا منا) انما واحد أفعل لأنه اذا لم يكن فيه أل ولم يكن مضافا لا يفرق فيه بين الواحد وغيره ولا بين المذكر والمؤنث والحال اننا (عصبة) جاعة أقوياء فنحن أحق بالحببة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وسموا بذلك لأن الامور تعصب بهم (إن أبانا لفي ضلال مبين) غلط بين في تدبير أمر الدنيا • وكيف يؤثر حب يوسف علينا مع صغره وعدم نفعه ونحن عصبة نقوم بمصلحه من أمر دنياه واصلاح مواشيه • وكيف يترك محبة من هم أكبر سنا وأكثر عددا وأشد بأسا وقوة ومنفعة وفاتهم ما قاله بعض فصحاء العرب لكسرى لما سألته أي بنيك أحب إليك قال الصغير حتى يكبر والغائب حتى يثوب والمريض حتى يبرأ • ويوسف كان صغيرا وفوق ذلك كانت تظهر عليه مخايل النجابة والذكاء وقوى ذلك الرؤيا العجيبة الدالة على مستقبل باهر • ثم ان أفعال اخوة يوسف كانت قبل أن يوحى اليهم فيكونوا أنبياء والعصمة للأنبيا بعد النبوة وثبوتها والا فالحسد من الكبار وخطاب الأب بمثل ما تقدم عقوق وكل ذلك قبل النبوة التي ثبتت لهم فيما بعد (اقتلوا يوسف) هذا من جملة ما قالوه كأنهم اتفقوا على ذلك إلا من قال - لا تقتلوا يوسف - (أوطرحوه أرضا) منكورة مهجورة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكبرها ولذلك نصبت كالظروف المهمة (يخل لكم وجه أبيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد بالوجه الذات فلا يشغله عنكم شاغل في محبة وقوله - يخل - جواب الأمر وعطف عليه قوله (وتكونوا من بعده) من بعد يوسف والفرار من أمره أوقته أوطرحه (فوما صالحين) مع أبيكم يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه أو صالحين في أمر دنياكم فانه ينتظم لكم بخلو وجه أبيكم (قال قائل منهم) وهو يهوذا كما قيل وهو أحسنهم رأيا (لا تقتلوا يوسف) فما أعظم أمر القتل (والقوه في غيابة الجب) أي قعره



سمى به لغيوبته عن العيون • والجب البئر الكبيرة التي لم تطو وسمى بذلك لأنه جب أي قطع ولم يطو  
وفي موضع هذا البئر خلاف لافائدة في ذكره (يلتقطه بعض السيارة) يرفعه بعض الذين يسرون في الأرض  
(إن كنتم فاعلين) به شيئاً أوفاعلين بمشورتى (قالوا) وقد عرفوا أن أباهم أحسن منهم بما أوجب ألا يأمنهم  
عليه (يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) أي لم نخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وهذا قوله (وانا  
له لناصون) يريدون بذلك استنزاله عن رأيه في حفظه منهم ثم رغبوه بما فسلوه بقولهم (أرسله معنا غدا  
يرتع) يتسع في أكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهي الخصب والسعة (ويلعب) بالاستباق والانتقال والصيد  
والركض (وانا له لحاظون) من أن يناله أذى (قال إني ليحزننى أن تذهبوا به) أي ذهابكم به لشدة  
مفارقة وقلة صبرى عنه (وأخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه غافلون) لأنه رأى في المنام أن الذئب قد شذ على  
يوسف والأرض كانت مذابة (قالوا) والله (لئن أكله الذئب) والحال اننا عصبه فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع  
(إنا إذن لخاسرون) ضعفاء وكيف نحفظ مواشينا من الذئب إذا أكل أخانا وأى خسارة أكبر من هذه وهذه الجملة  
جواب القسم أجزاء عن جواب الشرط • ثم انه أرسله معهم (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابة الجب)  
أي عزموا على انقلبه في أسفل الجب • وهذه البئر كانت على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف  
تقديره أقدموا على فعلهم وقد انفقت رواية أكثر المفسرين أنهم لما برزوا للبرية أظهروا له العداوة  
وضربوه وكادوا يقتلونه فنهضهم يهودا فلما أرادوا اللقاء في الجب تعلق بئيبهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط  
البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم وأدلوه في البئر وكان فيها ماء فسقط فيه  
ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي • وكان يهودا يأتيه بالطعام والشراب • وقد أطل بعضهم وبعضهم  
اختصر • ونحن لانصدق إلا ما جاء به القرآن أثبت بالسنة الصحيحة فان ثبت بها فيها والا فلا • ثم انه  
لما آوى الى الصخرة في غيابة الجب بكى فجاءه جبريل عليه السلام بالوحي كما قال تعالى (وأوحينا اليه) أي  
ألهمناه كما في قوله تعالى - وأوحينا الى أم موسى - (لتنبئهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون) فألهم الله يوسف  
لتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف لعلو شأنك • والقصد من  
هذا الإلهام تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هوفيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم  
ويصبرون تحت أمره وقهره • واعلم أنه لولا ما يحسن به عظماء الرجال في نفوسهم من عزيمة صادقة وآمال  
قوية وأحاديث نفسية توقع الأمل في قلوبهم ما بلغوا مقاصدهم ولا نالوا ما آربهم • ومستحيل أن يقوم عظيم  
بأمر عظيم إلا بآمال نصب عينيه يرمى اليها وهو اجس تقوم بنفسه تسليه على مصائبه وتشدد عزائمهم وتقوى  
رغائبهم والا فلا أعمال ولا عظماء وليس ذلك لهم وحيا وانما هو خواطر تسليمهم والقلب مهبط التجلى الالهى  
- والله من ورائهم محيط - ثم قال تعالى (وجاؤا أباهم عشاء يبكون) يقول الله جاؤا أباهم آخر النهار بعد ما  
طرحوا يوسف في الجب محترئين على الاعتذار الكاذب • وكان ذلك البكاء حين قربوا من منزل يعقوب  
وهم يصرخون فسمع أصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سألتكم يا بنى هل أصابكم شئ  
في غنمكم قالوا لا قال فما أصابكم وأين يوسف (قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق) أي نتسابق في العدو أوفى  
الرمى (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) وقوله - بمؤمن - أي مصدق لنا  
(ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف وقوله (بدم كذب) وصف بالصدر مبالغة كأنه  
نفس الكذب وعينه كما يقال لا الكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته \* روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا  
القميص بدمها وغاب عنهم أن يشقوه فقال يعقوب كيف أكله الذئب ولم يشق قميصه فاتهمهم بذلك (قال)  
يعقوب (بل سؤلت) زينت أوسهات (لكم أنفسكم أمرا) عظيما ارتكبتموه (فصبر جميل) أي فأمرى  
صبر جميل أو فصبر جميل أجل وهو مالا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان) أستعينه (على) احتمال

(ماتصفون) من هلاك يوسف (وجاءت سيارة) رفقة يسرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الحب بعد ثلاثة أيام من القائه فيه (فأرسلوا واردهم) الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشبة والدلاء \* يقال أدليت الدلو اذا أرسلتها في البئر ودلوها اذا أخرجتها فتعلق يوسف عليه السلام بالحبال وكان أحسن ما يكون من الغلمان \* وروى أنه أعطى شطرا لحسن وهذا قوله (فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام) نادى البشرى أى هذا أوانك فاحضرى كأنه يقول لأصحابه أبشروا \* وفي قراءة - يا بشرى - (هذا غلام) صاح بذلك لما دنا من أصحابه يبشرهم به (وأسروه) أى أخفى الوارد وأصحابه أمر يوسف عن بقية الرفقة وقالوا لهم دفعه اليها أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وذلك خيفة أن يطالبوا منهم الشراكة فيه بل يختص به الوارد وأصحابه دون بقية السيارة \* وقيل ان يهوذا كان يأتى يوسف بالطعام كل يوم فأتاه يومئذ فلم يجد أخوته فأتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه وقوله (بضاعة) حال أى أخفوه حال كونه متاعا للتجارة . والبضاعة ما بضع أى قطع من المال للتجارة (والله عليم بما يعملون) أى لم يخف عليه أسرار السيارة أو صنع أخوة يوسف بأبيهم فسيجعل ذلك سببا لتحقيق رؤياه حتى يصير له مجد في مصر (وشروه) يطلق شري على البيع والشراء وكلاهما يصح هنا فيقال وباع يوسف أخوته (بثمان بنحس) مبخوس ناقص عن القيمة نقضا فاحشا (دراهم) بدل من ثمن (معدودة) قليلة تعدد عددا ولا توزن وزنا لأنهم كانوا يعدون مادون الأربعين ويزنون الأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما في يده فيبيعه بالثمن الطفيف . هذا اذا جعلنا شري بمعنى باع ويصح أن يقال وشروه أى اشتراه الرفقة من أخوته وكانوا غير راغبين فيه لأنهم اعتقدوا أنه أبق . انتهى القسم الثانى من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّالِثُ )

وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِأُمْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُحْسِنِينَ \* وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ \* وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لَنَصْرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ \* وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* قَالَ هِيَ رَأَوْدَتُنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ \* فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ \* يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ \*



وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ \* فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ \* قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ \*

### (التفسير اللفظي)

قال أصحاب الأخبار إن الذي اشترى يوسف من اخوته بعد أن أخرجه من الحب هو مالك بن زعر وأصحابه الذين أخفوا أمره عن بقية السيارة ولما اشتروه انطلقوا به إلى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يأتى منكم فذهبوا به حتى قدموا مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطيفر وهو صاحب أمر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز \* ويقال إن يوسف كان ابن ثلاث عشرة سنة أو (١٧) سنة ويقول أهل الأخبار إن الملك كان يسمى (الريان بن العماليق) ولبت يوسف في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاثين على الرأي الثاني . وأعطى العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفي وهو ابن (١٢٠) سنة . وأما منعه فقيل إنه بيع بوزنه ذهباً ووزنه فضة ووزنه مسكاً وحريراً وقيل لا بل هو عشرون ديناراً وزوجاً نعل وثوبان أيضاً وهذه أمور لادليل عليها البتة . قال تعالى (وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته) المسماة زليخا أو راعيل (أكرمي مثواه) اجعلي مقامه عندنا كريماً أي حسناً أي أحسنى تعهده (عسى أن ينفعنا) في ضياعنا وأموالنا ونستظهر به في مصالحنا (أونتخذناه ولداً) نتبناه وكان عقمها وقد تفرس فيه الرشد \* يقول العلماء (أفرس الناس ثلاثة . عزيز مصر . وابنة شعيب التي قالت يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر) . يقول الله وكما مكنا محبته في قلب العزيز مكانه في المنزلة بعد أن أنجبناه من الهلاك بكيد اخوته (وكذلك مكنا ليوسف في الأرض) أي أرض مصر وجعلناه ملكاً ليتصرف فيها بالعدل (ولنعلمه من تأويل الأحاديث) فهذا التمكين لنتيجتين (١) أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس (٢) وأن يعلم معاني كتب الله وأحكامه وتعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويستغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل بغلات مصر في السنين السبع الآتى ذكرها وذلك بتأويل الرؤيا واستطلاع الأمور قبل حلولها والاستعداد التام (والله غالب على أمره) لا يردّه شيء في أمر يوسف وغيره وقد أراد اخوة يوسف أمراً ودبر الله غيره فغلبهم ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) لطائف صنعه وخفايا لطفه وأن الشر الظاهر قد يكمن فيه الخير الكثير كما حصل ليوسف في الحب وأن الخير والنصر الظاهري قد يكون وراء الندامة والحسرة كما نصر اخوة يوسف عليه السلام ورموه في الحب ثم انتهى الأمر بأن صار سيدهم وأن مافعلوه به كان من أسباب ارتقائه (ولما بلغ أشده) منتهى استعداد قوته وهوس الوقوف ما بين الثلاثين والأربعين أو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون أقوال لا طائل في تحقيقها فلندعها (آتيناه حكماً) حكمة وهو العلم مع العمل أوحكما بين الناس (وعلمنا) أي علم تأويل الأحاديث (وكذلك نجزي المحسنين) أي وكما جزينا يوسف على إحسانه في عمله وتقواه في عنفوان شبابه نجزي المحسنين فنتم لهم أمورهم ونؤتيهم ما يستحقون من الكمال . ثم أخذ يذكر بعض الإحسان الذي نشأ عنه أنه جوزى بأنه أوتي حكماً وعلماً فقال (وراودته التي هوى في بيتها عن نفسه) طلبت منه أن يفعل المعصية معها من راد يرود إذا جاء وذهب لطلب شيء ومنه الرائد والمرادة مفاعلة وفي ذكر الاسم الموصل

وتبيان أن يوسف في بيتها ثم تغلق الأبواب واستعدادها له اعلاء لشان يوسف ومقام عظيم في البلاغة في هذه الآية لأن ذكر الاسم فضيحة وكونه في بيتها أدعى إلى موافقتها وتغلق الأبواب كل ذلك داع إلى الموافقة فإن المستر لاسيا مع من يملك أمره يفعل ما لا يفعله الذي استبان فعله وظهر أمره وانكشف حاله وقدر اوده من لا يملك له أمرا ولا يملك له نفعا ولا ضرا . فالعفة مع هذه الأحوال أرقى ما وصل إليه الخيار وهذا هو قوله تعالى (وغلقت الأبواب) السبعة على ما قيل والتشديد مبالغة في الاستيثاق (وقالت هيت لك) أى أقبل وبادر أوتهيأت وهى اسم فعل مبنى على الفتح أو على الكسر أو على الضم قرأت واللام فى - لك - للتبيين كقولك سقيا لك ومنهم من قرأها - هيت - بالفتح وكسر الهاء وهئت لك كجئت من هاء يهيه إذا تهيأ ومعانى اسم الفعل المتقدم لا يغيرها ضم ولا فتح ولا كسر لأن هذه فتحات البناء فالمعنى اما تهيأت واما بادر فى جميع تلك اللغات (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذاً (إنه) أى الشأن (ربى أحسن مثواى) سيدى قطفير أحسن تعهدى إذ قال لك - أكرمى مثواه - فما جزاؤه أن أخونه فى أهله ويصح أن يكون الضمير لله أى انه خالقى واحسن منزلتى بأن عطف على قلب العزيز فلا أعصيه تعالى والأول أقرب (إنه لا يفلح الظالمون) المجازون الحسن بالسيء (ولقد همت به) قصدت محالطة والهم بالشئ قصده والعزم عليه (وهم بها) لولا أن رأى برهان ربه) \* حكى أبو حاتم عن أنى عبدة أن يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وأن الكلام فيه تقديم وتأخير أى ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لم يهم بها . أقول وهذا المعنى هو الموافق لمساق الآية . ألا ترى أنه - قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواى - وهذا نفسه هو البرهان من ربه وفى التعبير بلفظ الرب نكتة لطيفة وأى برهان أعظم من هذه الفضيلة وهى أن الانسان يجب أن يحفظ نعمة المربى والسيد سواء أكان خالقا أم مخلوقا فهذا هو البرهان وهذه صورته هذا ربي أحسن مثواى وكل من أحسن الى انسان وجب عليه تكبيره فتكون النتيجة هكذا . هذا العزيز يجب شكر نعمته ولا شكر لمن خان سيده . فهذا برهان منطقي ديني حسن . فالبرهان فى الآية مذکور فكيف كثرفيه الاختلاف ولا حاجة الى الاطالة فى هذا المقام كأن يقال إنه رأى صورة يعقوب ينهأ أو انه رأى معصما بلاعضد وعليه مكتوب ما يفيد تحريم الزنا أو ان البرهان هو النبوة فقد علمت أنه لا حاجة اليه بعد وضوح الآيات . وتعجب كيف عبر بلفظ - رب - فى الأول ثم قال - برهان ربه - والمعرفة اذا أعيدت معرفة كانت عين الأول فالرب الأول سيده والرب الثانى هو عينه كأنه يقول - لولا أن رأى برهان احترام سيده وحفظ حقوقه لم يهم بها وهذا التفسير يعضده ماسبق ذكره وماسياتى . وذلك أن كل من له تعلق بهذه الواقعة شهد ليوسف بالبراءة المرأة وزوجها وانفسوة اللاتى قطعن أيديهن وذلك الحكيم قريبا الذى شهد على القميص والله أيضا شهد ببراءته من الذنب ويوسف برأ نفسه . أما المرأة فانها قالت - ولقد راودته عن نفسه فاستعصم - وقالت - الآن حصحص الحق - الى قوله - وانه لمن الصادقين - وأما زوجها فقال - إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم - الى قوله - إنك كنت من الخاطئين - . وأما الشاهد فهو ما قال الله - وشهد شاهد من أهلها - . وأما الله فقد قال - كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين - وأى اخلاص لمن هم بالمرأة . وأما هو نفسه فانه قال - هى راودتنى عن نفسى - انتهى

ثم قال الله تعالى مثل ذلك التثيت ثبتناه (لنصرف عنه السوء) الحياة (والفحشاء) الزنا (إنه من عبادنا المخلصين) الذين أخلصناهم لطاعتنا (واستبقا الباب) أى تسابقا الى الباب فحذف الجار أوضمن الفعل معنى الابتدار أى ابتدرا الباب . فأما يوسف فقدر منها ليخرج . وأما هى فأسرعت وراءه لتمنعه الخروج واجتذبه من ورائه فاقتد قميصه . والقد الشق طولا . والقط الشق عرضا وهذا قوله تعالى (وقدت قميصه من دبر) وقوله (وألفيا سيدها) أى وصادفا زوجها (لدى الباب) قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوا إلا أن



يسجن أو عذاب أليم) فهي بذلك ضربت طيرين بحجر واحد فهي من جهة تبرىء نفسها ومن جهة تخيف يوسف حتى يطاوعها فلا تقترى عليه بعد ذلك وما نافية أو استفهامية أى شئ جزاؤه إلا السجن (قال هي راودتني عن نفسي) طالبتنى بالمؤاناة (وشهد شاهد من أهلها) وهو قريب لها كان حكما عاقلا والشهادة على لسان حكيم من أهلها ألزم . والمعنى وحكم حاكم من أهلها فقال (إن كان قيصة قد من قبل) أى من قدام (فصدقت وهو من الكاذبين) لأنه يدل على أنها قدت قيصة من قدام بالدفع عن نفسها (وإن كان قيصة قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لأنه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقذته (فلما رأى) قطفيرا والشاهد (قيصة قد من دبر) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال إنه من كيدكن) أى من قولك - ماجزاء من أراد باهلك سوءا الخ - وكذلك الاحتيال على الرجال (إن كيدكن) معاشر النساء (عظيم) لأنهن أطف حيلة وأعظم كيدا فيغلبن الرجال \* قال بعض العلماء \* إني أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله تعالى قال - إن كيدكن عظيم - وقال - إن كيد الشيطان كان ضعيفا - \* وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد إن هذا الشاهد لم يكن صبيا بل كان رجلا حكما \* وحكى أيضا أنه ابن عم المرأة وهذا الرأي وجيه فهو أولى من ذكر أنه صبي (يوسف أعرض عن هذا) أى يايوسف أترك هذا الحديث ولا تذكره لئلا يفشوا بين الناس أولانك كثر بهذا الأمر ثم التفت الى المرأة وقال (واستغفري لذنبك) ياراعيل (إنك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين من خطئ إذا أذنب متعمدا وفيه تغليب المذكر على المؤنث وخطوؤها بخيانة زوجها ورميها يوسف بالتهمة وهو برى . وفي هذا دليل على أن العزيز حلیم قليل الغيرة إذ لم يزد على ذلك مع امرأته ولذلك كثرت الاشاعة حتى اتهمها نساء المدينة بانها راودته عن نفسه (وقال نسوة) اسم لجمع امرأة ولم يؤنث فعلة لأنه بهذا الاعتبار تأنيث غير حقيقى أى أشاع جماعة من النساء وكن خسا من أشراف مصر فى مدينة ﴿عين شمس﴾ التى كانت عامرة إذ ذاك (امرأة العزيز) زليخا (راود فتاها عن نفسه) أى عبدها الكنعانى والفتى معناه الشاب حديث السن (قد شغفها) أى شق شغاف قلبها وهو حجابها حتى وصل الى فؤادها أو شغفها من شغف البعير بالقطران فأحرقه (إنا لنراها فى ضلال مبين) فى خطأ بين ظاهر (فلما سمعت بمكرهن) وسمى مكرها لأنها أفشت اليهن أمرها واستكتمتهن سرها فأفشينه عليها (أرسلت اليهن) تدعوهن وقيل كانوا نحو أربعين (وأعدت لهن متكأ) وهيأت لهن ما يتكئن عليه من نمارق ومساند ويطلق المتكأ على نفس الطعام فان كل من دعوته ليأطعم عندك فقد أعدت له ومساند يجلس ويتكى عليها فيكون الطعام متكأ على سبيل المجاز . وسواء أكان المتكأ هو ما يتكأ عليه عند الطعام أو الشراب أو نفس الطعام فان المسال واحد وأن امرأة العزيز أعدت لهن الطعام وفيه اللحم طبعاً والفاكهة (وأتت كل واحدة منهن سكيناً) كما هي العادة المتبعة الآن فى الطبقة العليا فى مصر وفى المدارس تقليد اللاأوروبيين وانتظاماً فى سلك المتعمدين الناقلين لها عن قدمائنا المصريين فان الموائد اليوم عند هؤلاء لا بد فيها من سكين لقطع اللحم وأخرى لقطع الفاكهة . فلما أخذن يأكلن وأمسكت كل واحدة بسكينها انتهزت تلك الفرصة (وقالت اخرج عليهن) يايوسف وهو لا يعصى لها أمراً بعد أن زينته وخباته فى مكان آخر (فلما رأينه) أى رأى النسوة يوسف (أكبرنه) أعظمه ودهشن عند رؤيته وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وقد أعطى يوسف شطر الحسن \* ويقال معنى - أكبرنه - حزن يقال أكرت المرأة حاضت وإلهاء للسكت لأمفعول لأن الفعل لازم وإذا صح هذا المعنى يكون ذلك لفزعهن وما هالهن من أمر يوسف . وهذا المعنى هو الذى قاله أبو الطيب

خف الله واستر ذا الجلال ببرقع \* فان حلت حاضت فى الخدور العواتق

واعلم أن اعظام النساء ليوسف واجلاله لأنهن رأين عليه نور النبوة وسما الرسالة وآثار الخضوع والاختبات

وشاهدن فيه مهابة وهيبة ملكية وعدم التفات الى الشهوات من النساء والمطاعم . فاذا كن الجبال مقرونا بتلك الصفات حق لمن أن يهبه (وقطعن أيديهن) وجعلن يقطعن أيديهن بالسكاكين التي معهن وهن يظنن أنهن يقطعن الأترج ولم يحسن بالألم لفرط دهشتهن فما أحسن إلا بالدم (وقلن) أي النسوة (حاش لله ما هذا بشرا) أي معاذ الله أن يكون هذا بشرا وكيف يكون بشرا والجبال الفائق الذي فضل كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء يصحبه عفة ومكارم أخلاق وحفظ شرف وحسن معاشرة ومقابلة الحسنة بمثلها وهذه صفات الملائكة المزهين عن شهوات أهل الأرض (إن هذا إلا ملك كريم) وحينئذ وصلت زليخا الى ما كانت تقصده من دعوتهن للطعام فلما رأت ذلك (قالت فذلكن الذي لمتني فيه) أي هذا هو العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتني فيه فلما رأيتن عرفتن (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أي امتنع فقال النسوة له أطع مولانك فقالت زليخا (وإن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصاغرین) أي ما أمره به ويسجنن يحسن وقوله - من الصاغرین - أي السراق والسفاك والاباق كما سرق قلبي وسفك دمي بالفراق وأبق مني فلايهنا ليوسف طعام ولاشراب كما منعني كل ذلك \* يقال صغر كفرح صغرا وصغارا ذل فاما صغر كعظم فهو ضد كبر انتهى . وهنا لطيفتان

﴿ اللطيفة الأولى في قوله تعالى - فلما رأيته أكبره وقطعن أيديهن الخ ﴾

اعلم أن هذه القصة لم تذكر لعرف جمال يوسف أولفهم أن نساء مصر قطعن أيديهن فحسب كلا وانما هذه الآيات ترمي لمعان أعلى ومراق أبهى وكلمات أتم وعظمت أرقى ترمي الى الاعتبار والاتعاظ أخلاقا وعلمنا . إن الجبال محبوب والناس متى غفلوا عن الجبال كانوا جهالا . إن جمال الوجوه وحسن الفتيات وبهجة الفتيان يعرفها العام والخاص وجمال الرجال والنساء معروف مشهور . إن الناس لايفقهون من الجبال إلا ما ذكرهنا وأضرابه وهو شائع بين العامة وسائر الخاصة . ولكن هناك جمال أجل وحسن أعلى وبهجة أرقى قد شرحناها فيما مضى في هذا الكتاب وهو جمال هذه الدنيا وبهجتها بل جمال الله الذي تجلى في وجوه السموات والأرضين ذلك الجبال الذي حجب عن الجهال وتمتع به أكابر الحكماء والخواص وترنوا به ذلك الجبال البديع في بهجة هذه الدنيا . واذا كان النساء قد غابت عقولهن وقطعن أيديهن لرؤية يوسف وهو مخلوق في العالم فما بالك بمن يحلون رموز هذا العالم ويقفون على بعض أسرارهِ وعجائبهِ ويرون ما تقطع دونه الأعناق وتقف حيرى دونه الأبواب . أفليسوا على حق اذا هم قطعوا أعمارهم في عجائبهِ وضعوا ثروتهم في التمتع به وبذلوا راحتهم في سبيل درسه أولئك هم العاشقون حقا . أولئك هم المخلصون صدقا . أولئك هم الذين نظروا الجمال . أولئك هم الذين فازوا بالوصال . أولئك هم الرجال . هم الذين يقطعون قلوبهم ويمزقون أجسامهم بكثرة الفكر والعمل فلا يكتفون بتقطيع الأيدي لأن هذا لا يحب الأدنى وأين الأدنى من الأعلى . وهل أنبئك بما رأيت الليلة في المنام حين وصلت الى هذا المقام أذكره هنا تذكرة للعقلاء وتبصرة للفضلاء وترويحاً من العناء ومسامرة للأجلاء

تذكرت هذه الليلة ما اتفق لي منذ نحو ١٢ سنة إذ زرت صديقا لي بجلوان وهو عالم بعلم النبات مجتد في تحصيله دائب على جمع كتبه يدرسه للتلاميذ ويعلمه لأبناء النيل فأخذني الى حجرة خاصة فيها آلة لينظر بها أدق الأشياء وأصغر الذرات بطريق التكبير وهي آلة زجاجية على هيئة خاصة بطريق علم المناظر قبل وجهها بالماء بلا ووضعها وضعها خاصا فظرت بركة كبيرة فيها ماء غزير مملوءة حشائش وحيوانات مختلفة عجيبية الشكل وبعضها يتناول طعامه بعجلة يديرها دورات سريعة وفي خلال دوراتها تلتقط له بعض القوت فيغتذي به وهناك أشجار عظيمة لها فروع عجيبية . كل ذلك في رطوبة على وجه الزجاج . هذا ما أحضره الخيال الليلة في منامي وهذه ليست رؤيا وانما هي من الصور التي تحضرها الخيلة من المخزون فيها كما تقدم في



أقسام الرؤيا في أول السورة . وأعلّ المحيلة لما أحضرت هذه الصورة التي شاهدها في حلوان مع ذلك الصديق العالم النبأى كانت مفكرة في الجمال وكأنها أحضرتها لتكون درسا لأكتبه في هذا المقام من دروس الجمال الطبيعي في هذا العالم الذي خبأه الله عن الجاهلين وأبرزه اليوم في هذا الكتاب وفي غيره للمسلمين ليحفظوا به . وإياك أيها الفطن أن تقول ان هذا تمحل في القول فانك ترى من نوع الانسان من يغرمون بعلمهم الى درجة الجنون . ومنهم من يموتون من جدهم في علمهم . لافرق في ذلك بين العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والدينية وغيرها ومستحيل أن يكون ذلك إلا بالعشق والغرام فهذا غرام وغرام وهيام وأى هيام فليكن غرام المسلمين بالعلوم اليوم وليعلموا أن هذه السورة انما جاءت لأمثال هذه المعاني التي أعتت لقوم يعلمون وان لم يكن العلم عن حب فليس بعلم

### ﴿ رأى أفلاطون في العلم ﴾

قال أفلاطون إن رئيس الجمهورية يجب عليه أن يفتح لطبقة الأمراء ورؤساء الأجناد باب اللذة العقلية ولا يدعهم قاصرين على اللذة الشهوية والغضبية فهاتان اللذتان دائمتان مع الانسان فهو بطبعه ميال للطعام وللشراب وللإختلاط الجنسي ولغلبة الأعداء ولكنه لا يفتح له باب حب العلم والغرام إلا اذا زينت له طرقه واطلع على جماله وعرف بهجته فذلك هو الدواء الوحيد لداء الرشوة . فأما الاقتصار على تينك الشهوتين فانه يوجب أن يكون الأمراء مغرمين بمشاركة الأمة في أموالها وأعراضها . فأما اذا فتح باب العلم فانهم يجدون لذة جديدة يكتفون بها عن ازدياد لذة الوقاع والطعام

### ﴿ اللطيفة الثانية جمال يوسف في علم الحديث وفي علم الموسيقى والجمال ﴾

قال عكرمة كان فضل يوسف على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم \* وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ رأيت ليلة أسرى بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر ﴾ ذكره البغوي بغير سند . وقال اسحق بن أبي فروة كان يوسف اذا سار في أزقة مصر تلاًلاً وجهه على الجدران . هذا ما عثرت عليه من الحديث في حسن يوسف . أقول تفكر أيها الذكي في حسن يوسف ولم ذكر في هذه السورة . إن القرآن لم ينزل لمجرد قراءتها . كلا . ولا لاعرابها ولا لمعرفة القصة فحسب وانما جاء للاعطاء بها . وقد قدّمنا في أول تفسيرها بعض ما تشير اليه من المعاني . فأما الحسن فهذا وقته فلنشر له بعض الاشارة لتكتفي بالقليل عن الكثير فاقول

أنظر كيف ذكر القرآن جمال يوسف وجعله ﷺ كالقمر ليلة البدر وحسن يوسف ما هو إلا بعض ما في هذا العالم من الجمال الذي يجب النظر فيه والبحث عنه والتفكر فيه . واذا كان قصص يوسف أحسن القصص وجماله احسن الجمال فقصة الجمال العام والحسن التام في نظام السموات والأرض أجل قصصا وأحسن أملا وخير ثوابا وأعظم بهجة . فالنظر في الجمال الجزئي يدعو للنظر في الجمال الكلي

إن هذا العالم الذي نعيش فيه عند علماء الفلك والموسيقى والطبيعة كله جمال في جمال وليس هذا المقام بمنسج لذلك فانك اذا أردت أن تدرس جمال العالم فانك تحتاج الى العلوم الرياضية كلها والطبيعية . والمكن لأذكر لك ما يثلج صدرك فأقول . إن جمال الوجه في تناسب أربعة أشياء وهي الفم والأنف والعينان والحدان . فهذه ان تناسبت كان الجمال وان تنافرت لم يكن جمال والتناسب والتناظر بحساب دقيق . اعلم أن الشبر هو مقياس لجميع أعضاء الانسان . فقالوا إن طول عينه ثمن شبره وطول أنفه ربع شبره . وكذلك شق فمه وشفتيه كل منهما ربع شبره فان زاد أو نقص لم يكن جمال وكان القبح على نسبة التفاوت . ويقولون انه اذا فتح يديه كالطائر كان ما بين أصابع يده الى مرفقه يساوي مقدار ما بين مرفقه الى ترقوته يساوي مقدار ما بين ترقوته الى مرفقه اليسرى يساوي ما بين مرفقه اليسرى وأطراف

أصابعها فشكل واحد منها شبران • وإنما ذكرت لك ذلك لتعرف أن الشبر هو المقياس سواء أكان بأجزائه كما في الفم والأنف أو بمضاعفاته كما هنا ولأقتصر لك على ذلك في هذا المثال فقد كفك وأفادك واعلم أن الجمال الذي رأيته في الأجسام كجسم يوسف الذي نحن بصدد التابع للحساب هو بعينه الذي يكون في الكلام فإن الشعر والموسيقى مبنيان على المتحركات والسواكن • ولو أنك نظرت بحر الطويل لوجدت اللذة في سماعه راجعة إلى حسن النسبة بين متحركاته وسواكنه • وأنت تعلم أن فعولن مفاعيلن أربع مرات ٤٨ حرفاً إذا كان غير مزحرف ٢٨ منها متحركة وعشرون حرفاً ساكنة وهي منقسمة (أربعة أقسام)

(١) فنقول ٧ : ٥ : ١٤ : ١٠ : ١٤ : ٢٨ : ٢٠

(٢) فهذه نسبة هندسية نسبنا متحركات ربع البيت إلى سواكنه فكانت كنسبة متحركات نصف البيت إلى سواكنه وهذه منسوبة إلى متحركات وسواكن البيت كله وهذا ظاهر للأذكياء العالمين بالشعر وبالحساب • فهذا جلال تشهده الأذنان لأنها تزن الحركات والسكنات فتفر من غير المتناسب وتستلذ بالمتناسب كما فعلت العين في الجمال سواء بسواء لافرق بين جمال يوسف ونغمات الأوتار فكما تعرف أعيننا مقاييس الأعضاء المتقدمة وتحكم ولاعلم لنا بأسباب الحكم هكذا تحكم آذاننا في نغمات الأوتار وعجائبها

(٣) ومثل ذلك نظر العقل الذي لا يحظى به إلا العلماء الفلك الذين يفكرون في دورات النجوم والشموس والأقمار ويرون أن النسب محفوظة بحيث إنك لو رقت السنين القمرية ولاحظت البسيطة والكيسة لوجدتها في كل ثلاثين سنة (١٩) سنة بسيطة و١١ سنة كيسة والدور عندهم ثلاثون في جميع الدهور والعصور والدور الكبير (٢١٠) أي ٧ في ٣٠ ويمكننا أن نفعل هنا ما فعلناه في بيت الشعر سواء بسواء فيرى هناك انتظام تام وأدوار متتالية تقاس كما تقاس النغمات وكما يقاس الفم والأنف والعين بالشبر

(٤) وهكذا نغمات الطير جارية على حساب الحركات • فإذا سمعت الفاخنة وهي تنرم ككوه كوه ككو كوكو علمت أن هذه أوزان بحر الطويل فعولن مفاعيلن • فإذا سجدت أربع مرات فقد أنت بحر الطويل وقد عرفت وزنه وبناء عليه أصبح جمال يوسف وعزة وليلى يشارك نغمات الأوتار ونظم الأشعار وغناء الأطيوار في أن كلا مبني على نسب وأن الجمال راجع للنسب فلا فرق بين الشموس في مداراتها والطيور في أشجارها والشعراء في أشعارها وجماعة المغنين في ألحانها والوجوه في أبهج أنوارها

إن الجهلاء يسمعون قصة يوسف فيفرحون وهم عن الجمال معرضون وما قصها الله إلا للاعتبار بما فيها ومن أهمه النظر في الجمال في الكواكب والطبائع والأشعار والأشجار ولأقتصر لك على هذا لئلا يتسع بنا المقال في ذكر الجمال في المزارع وكيف كانت نسب أوراقها وأزهارها بمقياس كما كان تركيب عناصرها بميزان وهو نفس الجمال فالجمال في جميع العالم علويه وسفليه وليس يدركه إلا العالمون الذين للرياضيات والطبيعات والحكمة دارسون • فإن كنت جاهلاً فلا تعد يوسف وما أعطى من جمال وإن كنت حكماً فأدر نظرك في العالم كله بالتفصيل تارة وتارة بالاجمال • هنالك تعلم ما هو الجمال • إن العالم كله جمال ولكن أكثر الناس لا يدركون ذلك الجمال

﴿ رمز النبوة بحسن يوسف لجمال العالم وإعماؤها إلى ما قرّناه ﴾

لا يعزب عليك أن الأنبياء يريدون العلم والحكمة وشوق الناس إلى الجمال العام الذي مثلنا له بما قدمناه لترقى أمهم وتسعد عالمهم • فإذا سمعت أن يوسف أعطى شطر الحسن فياليت شعري أين منتهاه • أما منتهاه فتجده في أمثال ما قدمناه • فالعالم الأرضي ليس له من الحسن إلا بمقدار • وأملك تقول فأين نولي وجهنا حتى نعرف ذلك الجمال • أقول اقرأ الحديث فانظر كيف ذكر الأسراء والسما والقمر وفضله



على النجوم • وكأن هذا التشبيه يرمز به الى المنحى الذى ينحوه الناس فى قصد الجمال أفلاتعجب كيف انتقل من حسن الأجسام الزائفة الى المحاسن العالية لفرأى فى الأسباب ولندخل البيت من بابه وهأنا اذا قد فتحت لك الباب فلم فيه وذلك لا يكون إلا بالعلوم الطبيعية والفلكية • فاذا ذكرت النجوم والقمر فى باب التشبيه فى حسن يوسف فذلك ليتأمل الناس ذلك الجمال • ومعلوم أن المشبه أقل من المشبه به فكأن النبوة توحى الى أنه يجب البحث فى الجمال الأكمل وهو المشبه به وهو ما أدخلتك فى بابه فان كنت من أدله فيها ونعمت والا فقل للمسلمين اقرؤا العلوم فهى الجمال الذى يرمز له خاتم الأنبياء • واذا أعطى يوسف شطر الحسن فى العالم الجمال الأكمل والحسن الأوفر والهجة العليا والحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين وحسبنا الله ونعم الوكيل • انتهى القسم الثالث

### ( الْقِسْمُ الرَّابِعُ وَالْخَامِسُ )

#### قَضِيَّةُ السَّجْنِ

قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ \* فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَجْنُهُنَّ حَتَّى حِينٍ \* وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثًّا وَبِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ \* قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَإُكُمْ مَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَ مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ \* وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ \* يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَيْتَ إِنْ تَمَرَّقُوا خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَتْمُ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمْ فَكَافَيْتَنِي رَبُّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكَرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَانْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبَّهُ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ \* وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ \* قَالُوا أَضْغَاتُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ \* وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا

وَأَذْكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ \* يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ  
بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى  
النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* قَالَ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرَوْهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا  
قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ \* ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا  
مِمَّا تُحْصِنُونَ \* ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْرِضُونَ \* وَقَالَ الْمَلِكُ  
أَتُوتُنِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْأَلُهُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ  
إِنَّ رَبِّي بَكِيدٌ عَلِيمٌ \* قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتَنِي يُوسُفُ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ  
مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ  
لَمِنَ الصَّادِقِينَ \* ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ \* وَمَا  
أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَقَالَ الْمَلِكُ  
أَتُوتُنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ \* قَالَ اجْعَلْنِي  
عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ \* وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُوا مِنْهَا  
حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ \* وَلَا أَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ  
آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ \* وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ \*  
وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُوتُنِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أُيُّكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا  
خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ \* فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ \* قَالُوا سَتَرَاوَدُّ  
عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ \* وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا  
أَتَقَلَّبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ \* فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ  
فَأَرْسِلْ مَعَنَا آخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ \* قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ  
عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ \* وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا  
بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَحْمِزُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ  
أَخَانَا وَتَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ \* قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ



اللَّهُ لَتَأْتِيَنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ \* وَقَالَ  
 يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ  
 شَيْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ \* وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ  
 حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا  
 وَإِنَّهُ لَدُوْعٌ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ \* وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى  
 إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ \* فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ  
 السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَتْهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ \* قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ  
 مَاذَا تَفْقِدُونَ \* قَالُوا نَقْدُ صُوعِ الْمَلِكِ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ رَحْلٌ بِعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ \* قَالُوا تَاللَّهِ  
 لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ \* قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ  
 كَاذِبِينَ \* قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ \* فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ  
 قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرِجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي  
 دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ \* قَالُوا إِنْ  
 يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ  
 مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ \* قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ  
 إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ \* قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا  
 لظَالِمُونَ \* فَلَمَّا اسْتِئْذِنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ  
 عَلَيْكُمْ مَوْتَقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي  
 أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ \* إِرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ  
 سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ \* وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا  
 وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ \* قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ  
 عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \* وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى  
 يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ \* قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى

تَكُونُ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ \* قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ  
 مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \* يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ  
 اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ \* فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ  
 مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي  
 الْمُتَصَدِّقِينَ \* قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ \* قَالُوا إِنَّكَ  
 لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ  
 لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ \* قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ \* قَالَ لَا  
 تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ \* أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا  
 فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْدِكُمْ أَجْمَعِينَ \* وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ  
 إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ \* قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ \* فَلَمَّا أَنْ  
 جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ \*  
 قَالُوا يَا أَبَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ \* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ  
 هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ \* فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ  
 اللَّهُ آمِنِينَ \*

#### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (قال ربه السجن) بالرفع والنصب على المصدر في الثاني (أحببني اليه) مما يدعوني اليه) أثر عندي  
 من مؤاتاتها بالنسبة للعاقبة والافهذا أعز مشتهيات النفس \* ويقال إن من المؤثرات في دخوله السجن باطنا  
 هذا القول ولذلك رد رسول الله ﷺ على من كان يسأل الصبر وأمره أن يسأل الله العافية . واعلم أن هذا  
 القول من علمائنا قد قرره علماء هذا العصر فانهم جزموا بأن تصورات النفس والأقوال التي ينطق بها المرء  
 في سره وجهه لها آثار في عواقبه . ويقولون ان حصول الصور في العقل من حسنة وسيئة لها أثر في الأفعال  
 والأحوال الظاهرة وضربوا لذلك مثلا بأن اعتقاد الانسان بأنه من الملوك أو التجار أو العلماء أو الأشراف  
 تدعوه الى ان يتزيا بزيمهم ويسير بسيرتهم ويتجمل بملابسهم . فهكذا الأحوال العارضة عليه من الخارج  
 ومن القضاء والقدر تكون مناسبة لما في عقله . موافقة لما ينطق به من الآراء والأحوال والأعمال . وهذا  
 القول وان كان خطيبا لا يقينا مناسب لهذا المقام . ثم قال (وإلا تصرف عني كيدهن) في تحسين ذلك  
 (أصب اليهن) أمل الى اجابتهن . ويصح أن يقال أصب أي اشتاق من الصبابة وهو الشوق (وأكن من  
 الجاهلين) من السفهاء بارتكاب ما يدعوني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح (فاستجاب له ربه) أي فأجاب  
 الله تعالى دعاء يوسف (فصرف عنه كيدهن) هو السميع (لدعاء يوسف وغيره) (العليم) بأحوالهم وما



يصلحهم (ثم بدا لهم) للعزیز وأصحابه فی الرأي (من بعد ما رأوا الآيات) الدلائل الدالة علی براءته كقصة القميص وظهور براءته وشهادة شاهد من أهلها وفاعل بدا مضمرة مفسرة بقوله (ليسجننه حتی حين) وذلك أن المرأة قالت لزوجها إن ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم أنني قد راودته عن نفسه فاما أن تاذن لی فأخرج وأعتذر الی الناس واما أن تحبسه فرأى حبسه الی أن تنقطع مقالة الناس وبعضهم قال انها سبع سنين وبعضهم قال خمس ولا حاجة الی تحقیق ذلك (ودخل معه السجن فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابه بتهمة السم فأدخلا السجن ساعة ادخال يوسف (قال أحدهما) أي شرابه (إني أرانی) أي فی المنام (أعصر خرا) أي عنباً سمى العنب بما يؤول الیه والخمر اسم للعنب بلغة عمان فلا حاجة إذن للجواز (وقال الآخر) أي خبازه (إني أرانی أحل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه) تنهش منه (نبأنا بتأويله إنا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا ويحسنون الی أهل السجن فأحسن الينا بتأويل ما رأينا (قال لا يأتیکما طعام ترزقانه إلا نبأناكما بتأويله قبل أن يأتیکما) فأبين لهما نوعه وكيفية (ذلكما) أي التأويل (مما علمني ربی) بالالهام والوحی وليس بطريق الكهانة والعراقة والتنجيم وغيرها وعلل ذلك فقال (إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) ثم أبان أصل هدايته وعلی أي دين هو فقال (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) فأنا من بيت النبوة فاستمعنا الی \* وقد قال العلماء \* يجوز لحامل العلم أن یصف نفسه حتی يعرف فيقتبس منه \* ثم قال (ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء) أي شيء كان (ذلك) التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحی (وعلى الناس) وعلى سائر الناس ببعضنا لارشادهم (واكن أكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) هذا الفضل فيشركون بالله ولا ينتهون وانما قال هذه الجمل لاستمالتهم للدين الصحيح ثم أخذ یشرح ما قصده من هذه المقدمات الدينية فقال (يا صاحبي السجن) یا ساكنيه أو یا صاحبي فيه (أأرباب متفرقون) شتى متعددة يستعبدكم هذا ويستعبدكم هذا (خير) لهما أم يكون لهما رب واحد لا يغالب ولا يشارك فی الربوبية وهذا قوله (أم الله الواحد القهار) والأرباب المتفرقون هی الأصنام والأوثان ثم خاطبهما ومن كان علی دينهما من المصريين لأنهم كانوا یقدسون أصناماً كثيرة وتمثال بعد أن كانوا قد عبدوا إلهاً واحداً (ما تعبدون) یا أهل مصر (من دونه) من دون الله (إلا أسماء سميتموها أتم وآبأكم) أي سميتم ما لا يستحق الألوهية آلهة ثم أخذتم تعبدونها فكأنكم لا تعبدون إلا أسماء لا مسميات لها وقوله - سميتموها - سميتم بها تقول سميت زيدا وسميته يزيد (ما أنزل الله بها) بتسميتها (من سلطان) حجة (إن الحكم) فی أمر العباد والدين (إلا لله) ثم بین ما حكم به فقال (أمر) علی لسان أنبيائه (ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي قامت علیه البراهين (واكن أكثر الناس لا يعلمون) فيخبطون فی جهالاتهم وهذه المقالة تدرج فيها أولاً من رجحان التوحيد علی اتخاذ الآلهة من طريق الخطابة ثم برهن علی أن الآلهة معبوداتهم أسماء لا مسميات لها ثم بین الدين الحق . ولما فرغ من المهم وهو الدعوة الی الدين الحق الذي هو مقصوده شرع یعبر الرؤيا التي هی مقصودتهما بالذات وهو عدو وسيلة للدين كما رأيت فقال (يا صاحبي السجن أما أحسدك) يريد الشرابي (فيسقي ربه) سيده (خرا) أي يعود الی عمله (وأما الآخر) أي الخباز (فيلب فتأكل الطير من رأسه) وقد كانت رؤيا الشرابي أنه قال إني رأيت كأنی فی بستان فاذا بأصل شجرة عنب عليها ثلاثة عناقيد فقطقتها وعصرتها فی كأس الملك وسقيته . وقال الخباز رأيت كأن فوق رأسي ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فاذا سباع الطير تنهش منها . فقال للأول ما رأيت من الكرم وحسنها هو الملك وحسن حاله عنده . وأما العناقد الثلاثة فانه ثلاثة أيام تمضي فی السجن ثم تخرج وتعود الی ما كنت عليه . وقال للثاني ما رأيت من السلال فهي ثلاثة أيام ثم تخرج فتصلب . ولما سمع الخباز صلبه قال ما رأيت شيئاً فقال يوسف (قضى

الأمر الذي فيه تستفتيان) أى قطع وتمّ مانستفتيان فيه وهو مآل أمركما وهو هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وقال) يوسف (للذى ظنّ أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك) اذكر حالى عند الملك كي يخلصنى (فأنساه الشيطان ذكر ربه) أى فأنسى الشيطان الساقى أن يذكر يوسف عند الملك فان صرف الوسوسة الى ذلك الرجل الساقى حتى نسى ذكر يوسف أولى من صرفها الى يوسف (فلبث فى السجن بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع وهى هنا سبع سنين تضم الى الخمس الأولى فتكون اثنتى عشرة سنة \* قال كعب قال جبريل ليوسف عليه السلام ﴿ يقول الله عز وجل لك من خلقك قال الله قال فن رزقك قال الله قال فن حببك الى أهلك قال الله قال فن نجاك من كرب البئر قال الله قال فن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فن صرف عنك سوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بأذى مثلك ﴾ قالوا فلما انقضت سبع السنين رأى ملك مصر الأكر رؤيا هالته فانه رأى سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبن سبع بقرات عجاف فى غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن فى بطونهن ولم ير منهن شئ ولم يتبين على العجاف منها شئ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع سنبلات أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من نضرتها شئ فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم رؤياه التى رآها فهذا قوله تعالى (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) بقرات هالكات من الهزال (وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) وذلك خطاب للأشراف والأعيان من العلماء والحكماء . ثم أخذ يستفتيهم فقال (يا أيها الملاء أفقتونى فى رؤياى) يا أيها الأشراف أخبرونى بتأويل رؤياى (إن كنتم للرؤيا تعبرون) أى ان كنتم تحسنون عبارة الرؤيا فتفسرونها من الصور التى صورها الخيال الى المعانى الحقيقية التى هى مثالا \* يقال عبرت الرؤيا عبارة كما يقال عبرتها تعبيراً ومعبر الرؤيا ينتقل من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها (قالوا) أى الملاء وهم السحرة والكهنة والمعبرون محبين للملك (أضغاث أحلام) أى أخلاط مشبهة واحدها ضغث والضغث فى الأصل الحزمة الحاوية أنواع الحشيش فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما كان الجمع لأجل المبالغة كما تقول العرب فلان يركب الخيل (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) أى المنامات الباطلة فانها ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للنمامات الصحيحة (وقال الذى نجا منهما) وهو الشرايى (واذكر بعد أمة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أى مدّة طويلة \* وفى قراءة - بعد أمة - كنعمة وزنا ومعنى أى بعد ما أنعم عليه بالنجاة (أنا أنبئكم بتأويله) أنا أخبركم به عمن عنده علمه (فارسلون) أى فابعثون الى يوسف لأسأله فأرسلوه اليه فأتاه فقال (يوسف) أى يا يوسف (الصدّيق) أيها البليغ فى الصدق مما جرّبه فى تأويل رؤياى ورؤيا صاحبي (أفتنا فى سبع بقرات) الى قوله (لعلى أرجع الى الناس) أى الى الملك وأتباعه (لعلهم يعلمون) فضلك ومكانتك فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (قال تزرعون سبع سنين دأباً) على عادتكم المستمرة أى دائبين منصوب على الحال أوتدأبون دأباً والجلّة حال أيضاً وهو بوزن سبب ونعير يقال دأب فى العمل دأباً (فما حصدم فذروه فى سنبله) لثلاً يأكله السوس (إلا قليلاً مما تأكلون) فى تلك السنين أى ادرسوا قليلاً من الحنطة للأكل بقدر الحاجة وأمرهم بحفظ الأكر لوقت الحاجة وهو وقت السنين المجدية (ثم يأتى من بعد ذلك) أى من بعد السنين المخصبة (سبع شداد) سبع سنين مجدية ممحلة شديدة على الناس (ياكلن) يفنين (ماقدتم لهنّ) أى يأكل أهلهنّ ما لاخرتم لأجلهنّ (إلا قليلاً مما تحصنون) تحرزون لبذور الزراعة (ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يفاث الناس) يظرون من الغيث أو يفاثون من القحط وهو من الغوث (وفيه يعصرون) ما يعصر كالغنب فيكون الخمر والزيتون فيكون الزيت والسّمسم فيكون الدهن يراد بذلك كثرة النعم وعموم الخصب فى الزرع والثمار (وقال الملك اتنوني به) بعد ما جاءه الرسول بالتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال أرجع الى ربك)



أى الملك (فأسأله ما بال النسوة) أى حال النسوة (اللاتى قطعن أيديهن) فقد ثبت يوسف وتأتى فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءته حتى لا يرميه الحاسدون بما يضر سمعته عند الملك ويستدلون بمكته فى السجن سنين طويلة • وهذا يفيد أن الانسان يجب عليه اتقاء التهم ونفيها \* وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات الجفاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشرط أن يخرجوني ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال - ارجع الى ربك - ولو كنت مكانه ولبت فى السجن ما لبثت لأسرعت الاجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر إنه كان حليماً ذا أناة ﴾ ومن حسن أدبه أنه لم يذكر سيده مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب ولم يذكر إلا - اللاتى قطعن أيديهن - وقال فيهن لافيها - إن كيدهن عظيم - لا يعلمه إلا الله وهو يجازيهن عليه فرجع الرسول الى الملك برسالة فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قال) لهن (ما خطبكُن) ما شأنكُن (إذ راودتن يوسف عن نفسه) هل وجدتن منه ميلاً اليكُن (قلن حاش لله) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (ما علمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق) ظهر واستقر (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) فى قوله - هى راودتنى عن نفسى - ثم رجع الرسول الى يوسف وأخبره بكلام النسوة وأقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذلك) أى امتناعى من الخروج والتثبت لظهور البراءة (ليعلم) العزيز (أنى لم أخنه بالغيب) بظهر الغيب فى حرمة وهو حال من الهاء أى لم أخنه وهو غائب عني أولي علم الملك أنى لم أخن العزيز الخ (وأن الله لا يهدي كيد الخائنين) أى وليعلم أن الله الخ تعريض بامرأته فى خيانتها أمانة زوجها ويجوز أن يكون هذا من كلام امرأة العزيز أيضاً إذ قالت - الآن حصحص الحق - ثم شرعت تقول - ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب - أى ليعلم يوسف أنى لم أخنه فى حال غيبته وهو فى السجن ولم أكذب عليه فلم أقفل فى غيبته ما فعلت فى حضوره وقوله - وأن الله لا يهدي كيد الخائنين - على هذا بمعنى انى لما أقدمت على هذا الكيد والمكر قد افترضت لأن الله لا ينفذه ولا يستدده • ثم أخذ يتواضع ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين أن هذه الأمانة إنما هى من الله فقال (وما أبرئ نفسي) من الزال ولست أشهد لها بالبراءة الناقمة ولا أزيكها فى جميع الأحوال (إن النفس لأمارة بالسوء) أراد به جنس السوء لما فيها من الشهوات (إلا ما رحم ربي) أى إلا البعض الذى رحمه ربي بالعصمة ويصح أن يكون هذا من كلام المرأة وهو أظهر كأنها قالت ذاك ليعلم أنى لم أخنه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصدق عند السؤال - وما أبرئ نفسي - مع ذلك من الخيانة فإني خنته كما هو معروف ثم اعتذرت بأن كل نفس أمارة بالسوء إلا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (إن ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحته مما ارتكبت لأن الله غفور لذنوب عباده ورحيم بهم • هذه الأخلاق من عفة وصبر وأمانة وعلم غزير وناة جعلت الملك أن يستخلصه لنفسه أى يجعله خالصا له لا يشاركه فيه سواه وهذا قوله تعالى (وقال الملك اتوني به أستخلصه لنفسي) فاما جاء الرسول الى يوسف وقال له أجب الملك أجابه وتنظف ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك ودخل عليه وتحدث معه (فاما كنه) وشاهد منه الرشده والدهاء (قال إنك اليوم لدينا مكين) نومكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شئ \* ويأل إنه كان يحسن العربية والعبرية فكلمه بهما فضلا عن لغات أخرى وقال له العربية لسان عمى اسماعيل والعبرية لسان آبائى وطلب منه الملك أن يسمعه رؤياه فاسمعها له وذكر له البقرات والسنابل وأما كنهها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض اليه الأمر وتوفى قطيعا فولاه مكانه وزوجه زليخا فوجدتها عذراء وولد له منها افرائيم وميشا (قال اجعلنى على خزان الأرض) ولانى أمر أرض مصر (إني حفيظ) لها بمن لا يستحقها (عليه) بوجوه التصرف فيها وهذا دليل على أن من قدر على المنفعة العامة فليتولها وليستظهر بذى الجاه

ولو كان كافرا لأن الخلق عباد الله وأقربهم إليه أنفعهم له والنافعون للناس أشبه بالملائكة القائمين بأمره في تدبير خلقه (وكذلك) ومثل ذلك التمكن الظاهر بأن أنجيئناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك (مكننا ليوسف في الأرض) أرض مصر (يتبوا منها حيث يشاء) أى كل مكان أراد لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه (نصيب برحمتنا من نشاء) في الدنيا (ولانضيق أجر المحسنين) الذين يحسنون أعمالهم وأخلاقهم ويحسنون إلى الناس فنجعل الناس يودونهم ويحبونهم ويملكونهم ونرفعهم على الجميع في الدنيا كما في أمر يوسف وهذا كقوله تعالى - وآتيناه أجره في الدنيا - وكقوله تعالى - إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا - أى يلقى المحبة لهم في القلوب فيوسف لم يجعله الملك على خزائن الأرض إلا لعلمه وحكمته وكل من لم يكن أهلا للأعمال العظيمة في الدنيا يحرم منها ولذلك نرى المسلمين قد غص كثير منهم الطرف عن احسان أعمالهم وصناعاتهم وعلومهم وكتبهم ومطالبتهم وجهلوا أكثر ما ينفع الناس ولم يحسنوا الصناعات إلا قليلا وفاز بها الأفرنج فوفى الله بعدله المسلمين حظهم من التأخر والفرجة حظهم من التقدم فانه لا يضيع أجر المحسنين لأعمالهم فتعجب • ولما كان المقام مقام دين وحث على الآخرة عطف عليه قوله (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا) أى أفضل من أجر الدنيا (وكانوا يتقون) ما نهى الله عنه من الشرك والذنوب فان الأجر في كل شئ بحسبه ويوسف ينال في الآخرة أفضل مما أوتى في الدنيا • ولقد جاء في آية أخرى في حق بعض الأنبياء - وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين - \* يقال ان الملك لما استوزره أقام العدل وضبط الغلات حتى دخلت السنوات المجدية وعم القحط مصر والشام وتوجه اليه الناس • ولقد تغالى أصحاب القصص فقالوا إنه باع أولا بالدراهم والدنانير ثم بالخلي فبالدواب فبالضياع والعقار ثم براقبهم ثم أعتقهم بالاتفاق مع الملك • وكل هذا غير معقول تناقله الناس جيلا عن جيل أكاذيب ما أنزل الله بها من سلطان • وقد كان أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فأرسل يعقوب عليه السلام بنيه إلا بنيامين إلى يوسف لليرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) أى عرفهم هو أما هم فلم يعرفوه لطول العهد وعظمة الملك (ولما جهزهم بجهازهم) أصل الجهاز ما يعد من الأمتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة إلى أخرى وبطاق أيضا على ما ترف به المرأة إلى زوجها \* يقال إنه أعطى كل واحد حل بعير • والجهاز بكسر الجيم قرى شاذ (قال اتوني بأخ لكم من أبيكم) \* يقال انه قال لعلكم جواسيس قالوا كلا وذكروا أنهم (١٢) هلك واحد منهم في البرية ولهم أخ عند أبيهم وهم هنا عشرة وسالوه جلا لأجل أخيه الغائب فأعطاهم ذلك ورهن أحدهم وهو شمعون بطريق الاقتراع حتى يحضروا أخاهم الغائب ليعلم صدقهم وأخذ يقيم الحجة على أنهم يجب عليهم أن يرجعوا اليه لفضله عليهم مع اظهار الشدة في المعاملة وأخذ أحدهم رهنا وقوله (فان لم تأتوني به الخ) هذا جمع بين اللين والشدة وهى خير سياسة بحيث اذا كان الرجل ممن يساقون بالعصا فقد نالها أو بالحلم والفضل فقد ناله وذلك عند جهل حال المسوس كما في هذه الحال فان يوسف عليه السلام وان كان عالما بهم قد عاملهم معاملة من لا يعرفهم فقال (ألا ترون أنى أوفى الكيل) أتمه (وأنا خير المنزلين) أى خير المضيفين لأنه قد أحسن ضيافتهم وأكرم مثواهم (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون) أى ولا تقربوني ولا تدخلوا ديارى (قالوا سنراود عنه أباه) سنجتهد في طلبه من أبيه (وإنا لقاعلون) ذلك ولانتوانى فيه (وقال لفتياه) لغلمان الكيلين (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) أوعيتهم وكانت نعلا وادما وورقا وهذه البضاعة كانت ثمن الطعام ووكل بكل رحل واحدا يجعل فيه بضاعتهم (لعلهم يعرفونها) يعرفون حق ردها وحق التكرم بارجاع ثمن الطعام مع الطعام (اذا انقلبوا إلى أهلهم) وفرغوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع (فما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) حكم بمنعه بعد هذا ان لم يذهب معنا بنيامين (فأرسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع من



السكران (وانا له لحافظون) من أن يناله مكروه (قال) يعقوب (عل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل) وقد قلتم هذا القول في يوسف (فالله خير حافظا) منكم \* وقرئ - حفظا - فهو على الأول حال وعلى الثاني تمييز • يقول إني أتوكل على الله في حفظه (وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن ينعم علي بحفظه • واعلم أيها الذكي أن قوله هنا - وهو أرحم الراحمين - لا يعقلها إلا ذكيا إلا إذا درسوا ما تقدم في سورة هود وفي سورة الأنعام وفي سورة يونس وفي سائر ما تقدم من عناية الله بالعوالم الحية ونظره لها فطر رحمة وأن أكثر الناس لا يعرفون من الله إلا منعها في الجنة ومعذبا في النار ومنزلا على الناس مرضا وفقرا وموتا • والجاهل يحجبه ذلك عن التوغل في العلوم فيعيش مرتبكا معترضا على الله في قلبه مظهر الرضا بلسانه مملوءا حقدا على إبليس وعلى كل مخالف لعقيدته من أهل الأرض وهذه حياة الجاهلين في جميع الأمم والأجناس فلا يرون رحمة الله إلا من رحم ربك وعرفه • والطريق الذي سلكناه في هذا التفسير أن تعرف رحمة من جمال هذا العالم والتوغل في العلم والوقوف على الحقائق • وأن أمثال سجن يوسف وغرته وسجنه وضررعين أبيه وحسد الأخوة واستعباد يوسف • كل ذلك يظهر للجهال أنه نقمة وما هو إلا مقدمات للنعمة وذلك أشبه بدروس المدرسة يتعلمها التلميذ صعبة قاسية ثم تكون عاقبتها السعادة • فهكذا سائر أحوالنا فهذا التفسير والسير على منواله ودراسة العلوم التي أشار إليها ونبه عليها تعرف أيها الذكي أن الله أرحم الراحمين فرحته كرحمة الأب الذي يطعم ابنه ويقهره على تعلم الدروس • ورحمة الجاهل كرحمة الأم • فتعلم وكن من المفكرين ثم قال تعالى (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغى) أي ما نبغى شيئا وراء ما فعل بنا قد أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا ثم وضوه فقالوا (هذه بضاعتنا ردت إلينا) فنستظهر بها (ونغير أهلنا) بالرجوع إلى الملك أي نجلب لهم ميرة وهي طعام يحمل من غير بلدك (ونحفظ أخاننا) عن المخاوف (ونزداد كيل بعير) وسق بعير باستصحاب أخينا (ذلك كيل يسير) سهل عاينه متيسر لا يتعاضمه (قال لن أرسله معكم - حتى تؤتون موثقا) عهدا (من الله) أي حتى تعطوني ما أتوثن به من عند الله أي عهدا مؤكدا بذكر الله أو الحلف به فكأن المعنى حتى تحلفوا بالله (لتأتني به) هذا جواب القسم أي والله الخ (إلا أن يحاط بكم) أي إلا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو إلا أن تهلكوا جميعا أي لا تمتعون من الاتيان به إلا للاحاطة بكم كما تقول أقسمت بالله إلا فعلت كذا أي ما أطلب إلا فعلك كذا (فلما آتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على ما نقول) أي قال يعقوب الله شاهد على ما نقول فكأن الشاهد (وكيل) أي موكل إليه هذا العهد أو وكيل حافظ (وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) أمرهم بدخول مدينة مصر من أبواب مختلفة أو من طرق مختلفة لأنهم أبناء أب واحد لهم جبال وطول قامة بارعان وقد عرفوا هذه المرة بخلاف التي قبلها بخلاف التي قبلها بخلاف عليهم العين • ومعلوم في علم ما وراء الطبيعة كما في الاشارات لابن سينا أن النفس آثارا تنبعث منها بواسطة العين وغيرها إلى الخارج وهذه الآثار إما ضارة وإما نافعة وفعل العين من عاينه يعينه أصابه بها من تلك الآثار • ولو أنك درست أيها الذكي مادونه المتقدمون وعلماء العصر الحاضر في هذا المقام لدهشت من العلوم النفسية في أمريكا وفي أوروبا من الآثار المغناطيسية في التنويم وغيره ولعلمت أن الإنسان قليل العلم • ففي الأرض اليوم أناس يشفون المريض بمجرد اللبس مرة أو مرات كثيرة وذلك يحصل بالتمرين ودروس كثيرة • وقد اشتهر أناس في أصقاع الأرض بهذه الخاصية • وقد ينوم الرجل غيره ويوحى إلى المنوم وقت النوم ما يشاء أن يفهمه كالصلاح والتقوى وحبّ الدرس وترك الخمر والتدخين والكوكابين أو الاحسان أو ترك الغضب أو قتل فلان في وقت كذا • فإذا استيقظ المنوم لم يعرف شيئا من ذلك وإنما الأثر في نفسه يجعله مستعدا لما أوحى إليه في النوم فيفعل ما أمر به في الوقت والساعة والدقيقة والثانية ولا يدري من أين حل به هذا • هذا غيض من فيض من علوم العصر الحاضر • وهكذا

ذكر بعض ذلك المتقدمون فالنفس الانسانية لها قدرة مخبوءة تظهر بالعمل والدرس والجد والرياسة تارة و بطبعها تارة أخرى . فالعين مما يؤثر بدون درس ولا تعليم كمن يسمون في أوروبا اليوم وسطاء بالطبيعة أى ان هناك أناسا خلقوا ولهم قدرة في الوقت الحاضر على مخاطبة الأرواح متى ألقوا أنفسهم في السبات المغناطيسى وهكذا آخرون لهم قدرة أن يروا الأرواح باعينهم ويسمى الواحد منهم (الوسيط المبصر) فذلك يكلم الأرواح وهذا يراهم ويكلمهم . فكذلك هنا هؤلاء العائنون خلقوا مجبولين على الشر بهذه القوة كما خلق الأنبياء مجبولين على الخير والشباطين على الشر . فاذا سمعت رواية البخارى ومسلم أن رسول الله ﷺ قال (إن العين حق) فاعلم أن هذا هو العلم الحديث والقديم . واذا سمعت رواية مسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ إذ قال (العين حق) ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا) ومعنى هذا أنه كان يؤمر العائن فيتوضأ ثم يغتسل منه المعين . فاذا سمعت هذا فاعلم أن العلم اليوم كشف أصول هذه العلوم . والظاهر أن هذه المسائل سيزيد وضوحها في المستقبل القريب . واذا سمعت قوله ﷺ (اللهم إني أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة) فاعلم أنه لم يجد ﷺ علاجاً لهذا البلاء الذى يصدر من النفوس إلا بالالتجاء لخالق النفوس . ثم أخذ يعقوب يذكر بنيه أن هذا من الأخذ بالأسباب والقدر لا ملجأ ولا مفر منه اذا حتم على امرئ في هذه الدنيا فقال (وما أغنى عنكم من الله من شئ) أى ان كان الله أراد بكم شراً فلا دافع له من التفرق الذى أشرت به ولا غيره وانما علينا الجد والله هو الذى يتولى العباد (إن الحكم إلا لله) فهو منفذ أمره متى أراد (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) التوكل تفويض الأمر الى الله والاعتماد عليه (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) متفرقين (ما كان يغنى عنهم) أى ما كان يدفع عنهم دخولهم من أبواب متفرقة (من الله من شئ) أى شيئاً قط فانهم مع هذا التفرق في الدخول اتهموا بالسرقة وافتضحوا بعد ذلك بسرقة صواع الملك وأخذ أخوهم لان الصواع وجد في رحله وزاد حزن أبيهم بفقد بنيامين (إلا حاجة في نفس يعقوب) استثناء منقطع أى لكن شفقة يعقوب عليهم واحترازه من اصابتهم بالعين (قضاها) أظهرها ووصى بها (وانه لدوعلم لما علمناه) بالوحى تارة ونصب الحجج تارة أخرى فعرف ما تنقطع دونه أعناق الحكماء بحثاً وتنقيباً وهو أن ما هو شائع بين العامة من تأثير العين حق وأمر بالتحرز منه وعرف أن القضاء غالب فذكر الأمرين التوصية والتسليم للقضاء (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فلا يعرفون من الأسباب إلا ما تلتمسه أيديهم وتراه أعينهم وكذلك لا يقرّون بقوة فوق هذا العالم تدير شؤنه وتحيط به فامتثلوا أمر أبيهم وسافروا الى مصر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام وفي المنزل وذلك انه قال سينزل كل اثنين منكم بيتاً وهذا لا ثانى له فيكون معي فبات معه وقال له أحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد أخاً مثلك أيها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و (قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون) أى لا تحزن بما عملوا في حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم) أى هياً أسابهم وأوفى الكيل لهم (جعل السقاية في رحل أخيه) وهى المشربة التى كان الملك يشرب بها وهى الصواع يقال انها كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعاً يكال به لعزّة الطعام وكان يشبه (الطاس) من فضة أذهب وقد جعلها في وعاء طعام أخيه بنيامين ثم ارتحلوا فأرسل خلفهم من استوقفهم (ثم أذن مؤذن) نادى مناد وأعلم معلم والأذان الاعلام (أيتها العير إنكم لسارقون) العير القافلة وهى اسم الابل التى يحمل عليها الأجمال فسمى بها أصحابها (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) أى شئ ضاع منكم (قالوا نفقد صواع الملك) وهو الصاع كما قرئ به وبالصوع كنصر وكقفل وبالعين وبالعين وصواع من الصياغة (ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام (وأنا به زعيم) الزعيم الكفيل بلسان أهل اليمن \* يقول أنا كفيل أؤديه الى من رده وهذا من باب الجمالة وانه



يجوز ضمان الجعل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين) وذلك انهم شتوا أفواه رواحلهم لثلاث تناول زرعاً أو طعاماً لأحد من أهل السوق في المدينة وكانوا ذوى أمانة ظاهرة عرفها الملك و بطانته وحاشيته حتى ردّ بضاعتهم اليهم فوجدوها في رحالهم (قالوا فما جزاؤه) أى فما جزاء سرقة الصاع (إن كنتم كاذبين) فى جحودكم وإدعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله) أى جزاء سرقة أخذ من وجد فى رحله وذلك هو الحكم فى شريعة يعقوب أن من سرق يكون رقيقاً سنة فلما استفتوهم أجابوهم بحسب شرائعهم (فهو جزاؤه) أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لا غير (كذلك نجزى الظالمين) أى السراق فنسرقهم (فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظنّ هذا أخذ شيئاً فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر فى رحله فانه أطيّب لنفسك وأنفسنا فوجدوها فى وعاء طعامه (ثم استخرجها من وعاء أخيه) وأنت هنا باعتبار السقاية والصواع يذكر ويؤنث (كذلك) أى مثل ذلك الكيد أى الحيلة (كدنا ليوسف) أى علمناه إياه وأوحينا به اليه ثم فسر الكيد وهى الحيلة المتقدمة فقال (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) لأن الحكم فى دين الملك أى شريعته للسارق ان يغرم مثلى ما أخذ ويضرب لا أن يستعبد ولو أن يوسف جرى على شريعة الملك لم يمكن من أخذ أخيه وقوله (إلا أن يشاء الله) استثناء منقطع أى لكن أخذه بمشيئة الله وأذنه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته (وفوق كل ذى علم عليم) أرفع درجة منه (قالوا ان يسرق) بنيامين (فقد سرق أخ له من قبل) وهو يوسف لأنه دخل كنيسة فأخذ تمثالاً صغيراً من ذهب كانوا يعبدونه فدفعه \* وقيل أعطى دجاجة كانت فى المنزل لسائل أو ان منطقته لآبراهيم عليه السلام يتوارثها أكبر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شبّ أراد يعقوب أن ينزعه منها فعمدت الى المنطقة فزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم أفعل به ما أشاء فتركه يعقوب عندها حتى مات \* ويقال انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء وأقبلوا عليه وقالوا له نضحتنا وسودت وجوهنا يا بنى راحيل ما يزال لنا منك بلاء متى أخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخى نأهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالكم (فأسرّها) أى مقالتهم انه سرق كأن لم يسمعها (يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أتم شراً مكاناً مكاناً تميز أى أتم شراً منزلة فى السرقة لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه (والله أعلم بما تصفون) تقولون أو تكذبون (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخاً كبيراً) فى السن وفى القدر (نخذ أحداً مكانه) بدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فان أباه يتسلى به عن ابنه المفقود (إنا نراك من المحسنين) الينا فآتم احسانك أو من المتعودين الاحسان فكيف تغير عادتك (قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده) وكيف نظلم غيره فنأخذ على فتواكم (إنا إذن لظالمون) فى مذهبكم هذا (فلما استياسوا منه) السين والتاء للبالغة كما فى استعصم أى فلما يؤسوا من يوسف (خاصوا) انفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجياً) أى متناجين متشاورين وليس معهم غيرهم وهو مصدر فلذلك أفرد لأن هذه قاعدته انهو يكون مفرداً فى كل حال (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أوفى الرأى وهو شمعون (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) عهداً وثيقاً لأن العهد كان معه الحلف وهو تأكيد له من جهة الله (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما) مزيدة (فرطتم فى يوسف) قصرتم فى شأنه (فلن أبرح الأرض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الرجوع (أويحكم الله لى) أو يقضى الله لى بالخروج أو بالموت (وهو خير الحاكمين) لأنه لا يحكم إلا بالعدل (ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق) أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه

بالسرقة (إلا بما علمنا) من سرقة وثيقنا أن الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب حافظين) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق (واسأل القرية التي كنا فيها) أي مصر أي أرسل إلى أهلها فاسألهم عن كنه القصة (والعير التي أقبلنا فيها) وأصحاب القافلة وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب (وانا الصادقون) تأكيد (فلما رجعوا إلى أبيهم) وقالوا له ما قال لهم أخوهم (قال) يعقوب (بل سئلت لكم أنفسكم أمرا) أردتموه فقررتموه والا فمن ذا أفهم الملك أن السارق يؤخذ بسرقة (نصبر جيل) أي نأمر صبر جيل أو نصبر جيل أجل (عسى الله أن يأتيهم بجيعة) يوسف وبنيامين وأخيهما الذي توقف بمصر (إنه هو العليم) بحال وحالهم (الحكيم) في تدبيره (وتولى عنهم) أي عن بنيه أي وأعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (وقال يا أسفا على يوسف) والألف بدل من الياء أي يا أسفى والأسف أشد الحزن والحسرة والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكلف (وابيضت عيناه) لما أكثر البكاء ومحقت العبرة سواد عينه فجعلته بياضا وكان يدرك ادراكا ضعيفا (من الحزن فهو كظيم) مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له في قلبه لا يظهره أي مكظوم من كظم السقاء شد على ملته (قالوا تالله) لا (تفتؤ تذكر يوسف) أي لا تزال تذكره تفجعا \* ومن هذا

فقلت يمين الله أبرح قاعدا \* ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي لا أبرح وقوله (حتى تكون حرضا) أي مريضا مشرفا على الهلاك (أو تكون من الهالكين) \* قال إنما أشكو بثي وحزني إلى الله البت أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أي ينشره فهو لا يبثه إلا إلى الله \* روى في باب المواعظ أن يعقوب اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وأعلم من الله ما لا تعلمون) وأعلم من رحمته أنه يأتي بالفرج من حيث لا يحتسب الناس (يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما • والتحسس هو المعرفة (ولا تيأسوا من روح الله) ولا تنقطعوا من رجة الله وفرجه (إنه لا يأس من روح الله إلا القوم الكافرون) لأن من آمن بالله ودرس هذا العالم كما تقدم في هذا التفسير يعلم أن رحمته وسعت كل شيء علما يقينيا لا تقليديا فخرجوا من عند أبيهم قاصدين مصر (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر) أي الشدة والفقر والجوع • والأهل هم من خلفهم من العيال (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة قليلة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام إلا بتجاوز من البائع \* قيل هي صوف وسمن وحب خضراء وما أشبه ذلك (فاوف لنا الكيل وتصدق علينا) أي فأتم لنا الكيل وتصدق علينا برد أخينا على اعتبار أن حرمة الصدقة خاصة بنينا ﷺ أو بالمساحة وقبول المزجاة (إن الله يجزي المتصدقين) أي المتفضلين أحسن الجزاء \* يقال إنه أخرج لهم نسخة الكتاب الذي كتبوه يبيعه من مالك وفي آخره وكتبه يهوذا فلما قرؤا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا أيها الملك إنه كان لنا عبد فبعناه منه فغاض ذلك يوسف وقال انكم تستحقون العقوبة وأمر بقتلهم فلما ذهبوا بهم ليقتلوهم قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف إذا أتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا إن كنت فاعلا ذلك فابعث بأمثمتنا إلى أيدينا فإنه يمكن كذا وكذا فذلك حين أدركته الرقة عليهم والرجة فبكي و (قال) يوسف لأخوته (هل علمتم ما فعلتم بيوسف) أي هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف (وأخيه إذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه (قالوا أئنك لأنت يوسف) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة خبران (قال أنا يوسف وهذا أخني) من أبي وأمي (قد من الله علينا) بالسلامة والكرامة وهذه الجملة التي تعمها لأجلها ذكر أخاه وإن لم يدخل في سؤالهم (إنه من يتق) الله (ويصبر) على ما يتلى به وعلى الطاعات وعن المعاصي (فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) الذين يجمعون بين التقوى والصبر ولهذا المعنى وضع المظهر موضع المضمحل (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وجمال العلم والحلم والتقوى والصبر (وان كنا لخاطئين) وإن شأننا وحالنا - إنا كنا خاطئين - متعمدين للآثم لم نتق ولم نصبر • لقد أعزك الله



بالمالك وأذلنا بين يديك (قال لا تريب) لا تعبير ولا تأنيب (عليكم اليوم) متعلق بتريب . وإذا لم تؤنّبوا اليوم فكيف بما بعده ثم ابتداء فقال (يغفر الله لكم) مافرط منكم \* روى أن رسول الله ﷺ أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال أقول ما قال أخى يوسف - لا تريب عليكم اليوم - \* وروى أن أباسفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت رسول الله ﷺ قاتل عليه - قال لا تريب عليكم - ففعل فقال رسول الله ﷺ غفر الله لك ولمن علمك \* ويقال إن أخوة يوسف لما عرفوه أرسلوا إليه (انك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشيا ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكك فيهم فانهم ينظرون إلى بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حفدة إبراهيم ) اهـ

واعلم أن هذه الحكاية المنقولة عنهم وأضرابها إنما أذكرها لتقف على المحاورات الحسنة التي تفيد قوة أدبية وإن لم يكن هناك دليل على ثبوتها لا بالكتاب ولا السنة ولكن هذا أدب يحسن أن يقال وقوله (وهو أرحم الراحمين) من الوالدين وغيرهما . ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا عمى من كثرة البكاء عليك فقال (اذهبوا بقميصي هذا) أى القميص الذى كان عليه (فألقوه على وجه أبى يات بصيرا) يصر بصيرا فأتى هنا بمعنى صار كما تقول جاء البناء محكما أى صار . قال يهوذا أنا أجل قيص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وتوجه به من مصر إلى كنعان (وائتوني بأهلكم أجمعين) لينعموا بآثار ملكي كما اغتموا وخزنوا لأجلي (ولما فصلت العير) خرجت القافلة من عريش مصر . يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قال أبوهم) لولد ولده ومن حوله من القوم (إني لأجد ريح يوسف) وذلك قبل وصوله إليه (لولا أن تفندون) وهو نقصان عقل يحصل من هرم أى لولا تفنيدكم إياي لصدقتهموني (قالوا) أى الحاضرون (تالله أنك لفي ضلالك القديم) أى لفي خطئك القديم من حب يوسف وتوقع لقائه وكان عندهم أنه مات (فلما أن جاء البشير) أى يهوذا (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجهه يعقوب (فارتد) فرجع (بصيرا) \* قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف وانزال الفرج (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين) وقد اعترفنا بذنوبنا فنحن أهل لصفحك عنا وأن تسأل لنا المغفرة (قال سوف أستغفر لكم ربى إنه هو الغفور الرحيم) وقد أخذه إلى السحر أوالى صلاة الليل أو غير ذلك ثم إن يوسف وجه إلى أبيه جهازا ورواحل فلما بلغ قريبا من مصر خرج يوسف ومعه الجنود والمالك فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فلما دخلوا على يوسف آوى إليه) ضم إليه (أبويه) أباه وأمه واعتنقهما . ومعنى دخولهم عليه دخولهم مصر وكانوا إذ ذاك اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه السلام ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمي (وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين) من ملوكها وكانوا لا يدخلونها إلا بجواز . وقد ثبت في التاريخ أن الأمة المصرية كانت ترضى على الغرباء بالدخول في البلاد فلما فتحت أبوابها اقتحمها الأجانب فالمشيئة راجعة إلى الأمن مما تقدم ومن المكارة ومن القحط . انتهى القسم الرابع والخامس

﴿ لطيفة في قوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم - ﴾

اعلم أن هذه الآية نزلت لتخرج المسلمين من جهالتهم العمياء إذ هم اليوم أقل الأمم علما وهذه السورة فيها سرّ العلوم . ألم تر أنه بعد أن قصّ قصص يوسف وأخوته قال كما سيأتى - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - فقوله - وفوق كل ذي علم عليم - مقدمة لذلك لأن العلم يكون بما ذرأ الله في العوالم فهذه السورة وهذه الآية تطلبان من أمة الاسلام رقيا في العلوم بلانهاية فإذا كان المسلمون

اليوم أجهل الأمم فانهم في المستقبل سيأخذون في الارتفاع ومن المهددات له هذا التفسير . ولأذكر لك نبذة من كتاب (الدنيا في أمريكا) لتتظن كيف ارتقوا في كل شيء وأن المسلمين سيقولون انهم أعلم منا وأن هذه آيات الله وهم تمتعوا بها ونحن محرومون

### (عجائب الصناعات في أمريكا)

فيها بناآت شامخات فولاذية تناطح السحاب وتفاخر الشهب فهناك عمارة (ولورث) في نيويورك لها ستون طابقا والصواعد الكهربائية التي تقل سكانها ثمانون ويسكنها اثنا عشر ألف نفس ولا تعد البناآت التي لا تتجاوز عشرين طابقا مرتفعة . وتجدر في البناية الواحدة ستة طوابق تحت الأرض ولاتشيد المباني إلا من الفولاذ والحجر في المدن وفي كل عمارة ضخمة في الطوابق التي تحت الأرض آلة للتهوية وللتدفئة . تحرك هذه الآلة مروحة كبيرة تأتي بالهواء النقي من الخارج وتبعث به الى كل غرفة في البناء . ومتى أقبل الشتاء مرروا هذا الهواء في تيار ساخن فدقات جميع الغرف

### (طرق المواصلات)

يوجد منها في المدن الكبيرة مما يوصل الى أجزائها المختلفة (ثلاثة أنواع) نوع يسير تحت الأرض كما في باريس ولندن وبرلين . ونوع يسير فوق الأرض كما في مصر وغيرها . ونوع معلق بين الأرض والسماء على عمد كبيرة الارتفاع يجري فوقها قضبان تسير عليها تلك القطارات بمحاذاة البنايات الشاهقة ولا نظير لهذا في الممالك الأخرى وهناك قطارات تسير تحت قاع النهر أى داخل أنابيب تحت الأرض التي يعاوها ماء البحر

### (تسهيل الأعمال)

في مدينة (نيويورك) تضع قطعة من النقود في ثقب هناك فتهتك لك الباب للدخول للقطار بلامراقب ولا مفتش وتضع في ثقب التليفون قطعة من النقود ثم تضع الساعة على أذنك بدون أن تقرر الجرس فتجيبك العاملة على الفور

### (تسهيل العمل في المطاعم)

هناك مطاعم فسيحة أنيقة تقوم فيها المحركات مقام العمال ففيها آلاف من الثقوب النحاسية فوق كل منها مصباح موقد وثمان واسم طعام من الأطعمة من لبن وشاي الخ من كل ما يخطر ببالك من طعام وشراب تضع الثمن في الثقب الذي تريده فيبرز أمامك رف صغير فوقه طبق الطعام الذي ترغب فيه . وهناك أجهزة لمسح الأحذية من تلقاء نفسها بعد القاء قطعة من النقود في ثقب فيها . ومثل ذلك آلات لغسل الأطباق والشوك والملاعق وأدوات الطبخ وتجفيفها وهكذا مما لا حصر له وهم يستعملون الكهرباء للإنارة ولطهي الطعام وغسل الثياب وغير ذلك . في مدينة نيويورك ١٧ ألف صناعة يتلقى طلبة المدارس ٢٠٢ صناعة فقط منها (التلغراف الذي لاسلك له)

هذا هو الذي اخترعه العالم (ماركوني) الأمريكي وقد بلغ عدد المحطات التي تبعث الى السكان ليلا ونهارا سنة ١٩٢٣ م (٤٦٤) محطة غير ما للحكومة وهو (٢٢٣) محطة وغير المحطات الخاصة وعددها (١٨٦٥٨) وبلغ عدد الأجهزة اللاسلكية في ولايات أمريكا المتحدة خمسة ملايين وثمان الجهاز من ستة ريلات الى ألف ريال على حسب توصيله في المسافات بعدا وقربا وقد بلغ من منافعتها ما يأتي

ان رئيس الولايات المتحدة يقف أمام آلة التليفون المعتادة في قصره ويلقي خطابه بحماس وحمية وتكون آلة التليفون متصلة بشركة اللاسلكي وهذا يطيرها الى كل ماله من جهاز فيسمع خطبة الرئيس الملايين من النفوس ويسمعها الناس في سائر أنحاء أمريكا وأوروبا . وتراهم يقسمون الأوقات باللاسلكي فيقولون



من الساعة ٤ الى الساعة ٥ والدقيقة ٥ مثلاً أخبار محلية ومن ٤ س و ٦ ق الى ٤ س و ١٥ ق  
موسيقى وهكذا من حكاية فكاهية للأطفال الى عظة شائقة . إن الانسان يسمع بهذه الأجهزة كل صوت  
في الصين وفي أوروبا وأمريكا متى كانت هناك أجهزة للاستعمال فيكون الناس على الأرض أمة واحدة بل  
العلماء هناك يقولون إن فكر الانسان يؤثر في عالم الأثير بحركات لطيفة ويظنون أنهم سيعرفون كيف  
يقرؤن الأفكار فلاتبقى إذن للناس أسرار وهذا ظنهم - ولله عاقبة الامور -

### ﴿ الحركة الفكرية والتجارب العلمية ﴾

في مدينة نيويورك مدرسة شهيرة ثانوية يدفع الطالب فيها سنوياً (١٥٠٠) ريالاً ويفضلها على مدارس  
الحكومة التي لا يدفع فيها قرشاً واحداً . وغرض هذه المدرسة وضع مقررات غير ثابتة فهي في تغيير مستمر  
والتيغير يكون على حسب الفائدة بالنتائج . وهناك حقول لتجارب الزراعة فيزرعون القواكه والخضر  
ويستبدلون الحب بغيره ليكون الناتج أكبر حجماً وألذ طعماً وأبهج منظراً وهكذا عملهم في تربية الحيوان  
وكم يتبرع العلماء بالمال لأجل الفوائد العلمية مثل ما يأتي

الى أى حد تكون الامتحانات العمومية دليلاً على قوة الطلبة العلمية وقد كانت النتيجة بعد أن وضع  
الدرجات على أوراق الطلبة الامتحانية مئات من المدرسين وتلك الأوراق قد طبعت وكل مدرس لا يعلم ما  
فعله الآخر . أقول كانت النتيجة أن الطالب الواحد تختلف درجته في العلم الواحد بحسب تقدير مئات  
وألوف المدرسين من ٣٠ الى ٩٠ في المائة من النهاية العظمى وهكذا فعلوا مع المدرس الواحد فهو  
يصحح الورق الذي صححه هو منذ شهور وهو لا يعلم أنه هو الذي صححه فكانت النسبة أيضاً من ٣٠ الى  
٩٠ في المائة . فلذلك استبدلوا هذه الامتحانات بامتحانات أخرى . وأيضاً برهنوا بالعمل على أن  
العقل لا يتعب بل الجسم هو الذي يتعب . وأيضاً برهنوا على أن عدم النوم لا يؤثر في المذاكرة والحفظ  
فقد يفقد المرء النوم ثلاث ليال متوالية ومع ذلك يستطيع القيام بحل المسائل وتحرير الرسائل كالمعتاد .  
وأيضاً برهنوا بالتجارب أنه خير للطلاب أن يدرس علماً أو يتذكر درسا ثلاث ساعات كل يوم لمدة ستة أيام  
من أن يدرس نفس الدرس ست ساعات كل يوم لمدة ثلاثة أيام مع ان عدد الساعات واحد . وأيضاً برهنوا  
على أن تعليم البنت والولد في مدرسة واحدة خير وأبقى للأخلاق وأكثر صيانة لها . وذلك بانهم علموا  
كلاً من الجنسين على حدة في مقاطعة والاثنيين معاً في أخرى وراقبوا النتائج سنين عديدة . وبرهنوا أيضاً  
على أن الطالب المقتدر في اللغات مقتدر أيضاً في العلوم الرياضية بعكس ما نظنه في بلادنا . وأيضاً كذبوا  
بالتجارب هذه القاعدة أن القوى في العلوم رديء الحظ وانما أثبتوا أن الميل الى الواحد قد يزيد عن الآخر  
فتقل اللذة فيه أو تضعف فلاتتكافأ معلومات الطالب في الاثنين . وكذبوا بالتجارب أيضاً قاعدة أن الذكي  
كثير النسيان فقد برهنوا على ان أكثر الناس نسياناً أقلهم ذكاء . وأيضاً قام البرهان على أن حفظ  
قواعد اللغة لا يساعد في الانشاء كثيراً . وأيضاً كذبوا بالتجارب ما قيل ان الهندسة مثلاً والجبر يساعدان  
على تثقيف العقل . وهذه القاعدة وضعها أفلاطون في كتابه الجمهورية عن أستاذه سقراط فقد وصل هؤلاء  
الى تجارب دلت على أن هذه العلوم لاتفيد تقوية ملكة التفكير ولا تثقيف العقل . وأيضاً أسقطت التجارب  
ما يظنه الناس من أن أولاد المدن أقل ذكاء من أبناء القرى . قد بلغت الصحافة هناك أنهم لا يكادون  
يمسكون سارقاً حتى تطير صورته الفوتوغرافية بواسطة (اللاسلكي) الى جميع أنحاء أمريكا وتنشر تلك الصورة  
جميع الجرائد مذيالة بالاسم والعنوان والعمر والصناعة وشرح الجريمة . وهناك جرائد مصورة يومية لاتنشر  
إلا أخبار السوء الشائنة . وقد ذكرت لك أن ذلك يستنتج من آية في سورة النساء فاقراها هناك ولما  
كتبت ذلك هناك لم أكن اطلعت على ما قلته لك الآن في أمريكا

## ﴿ رقي المرأة ﴾

بلغ من رقي النساء في أمريكا أنك ترى الطلبة في جامعة (كلومبيا) مثلا أربعين ألفا جميع مساعدي الأساتذة وكاتبي أسرارهم من النساء وكذلك ألوف الموظفين في التسجيل والخزينة والبيانات المخصصة للطلبة الداخلين كلهم أوجلمهم من النساء وهناك فرقة واحدة فيها (٣٢٠) طالبا يتلقون الفلسفة وأكثر من النصف نساء والسواد الأعظم من طلبة مدرسة الصحافة في هذه الجامعة من البنات وكذلك السواد الأعظم من المحررين والمكاتبين فيهن وفي كلية المعلمين في تلك الجامعة أكثر من ثلاثة آلاف طالب خسرهم من الذكور فقط والباقي من النساء وقد ثبت أن (٩٠) في المائة من الأساتذة في أمريكا من السيدات وأن في مدينة (نيويورك) وحدها (١٩) ألف معلمة وأخت الرئيس (هاردينج) معلمة . ان في كل خمسين من السكان في أمريكا طالبا في المدارس الثانوية وعدد البنات في المدارس الثانوية أكثر من عدد الذكور في حين أن في ألمانيا طالبا ثانويا في كل مائة وثلاثين من السكان . وعدد الطلبة في فرنسا في الأقسام الثانوية بنسبة طالب في كل مائة وخمسين . وفي انكلترا طالب في كل مائة مع العلم أن الأغلبية الساحقة في هذا العدد من الذكور . إن في أمريكا أكثر من عشرين مليون طالب وفي الأقسام الثانوية فقط أكثر من مليون طالب أكثر من نصفهم من الاناث . ويؤم أمريكا من الأمم المختلفة أكثر من عشرة آلاف طالب ليتلقوا العلم في كلياتها وجامعاتها . وقد بنى (روكفلر) أغنى رجل هناك بناء عظيم يسكن فيه جمع عظيم من الأمم . والأعضاء في هذه الأيام ألف ومائتان ثلثهم فقط من الذكور وهؤلاء الأعضاء يمثلون (٧٥) أمة ويتعارفون ويتحابون وكل يعطى الآخرين مافي بلاده من أحوال ليكون في غاية المسرة والانشراح

﴿ الحركة العلمية في أمريكا لها أغراض سبعة ﴾

﴿ الغرض الأول ﴾ الامتصاص بالمعلومات العامة كالكتابة والقراءة والحساب وتقويم البلدان وغيرها وحذفوا بعد الاختبار ما اصطلاح الناس على أنه يثقف العقول فقط كأكثر النظريات الهندسية والجبرية ويقولون ان المهندس لا يحتاج إلا الى سبع نظريات وغيره لا يحتاج اليها . ويقولون ان حل الألغاز الجبرية والهندسية لا تفيدنا في حل ألغاز الحياة والشعر لا يسهل علم الكيمياء وهل يستفيد المزارع والطبيب والمحامي والتاجر من تحليل الكميات الى عواملها وإيجاد جذور الأعداد الرمزية والكميات الخيالية ﴿ الغرض الثاني ﴾ الاستعداد للمهنة وذلك أن علماء التربية يجعلون في حصص الدراسة المعتادة حصصا تتخللها الأعمال اليدوية الصناعية ليعرف الطالب صناعة منذ نعومة أظفاره وليحترم العمل اليدوي ولتظهر مواهبه الكامنة فيه ﴿ الغرض الثالث . الصحة ﴾ ولقد جعلوا الصحة في مستوى الأغراض الأخرى فلهم برك صناعية للعلوم والسباحة ومسابقات وألعاب مختلفات تقوية لأبدانهم ﴿ الغرض الرابع . خدمة الوطن ﴾ يفهمون التلاميذ أن يعيش الفرد للجموع ويشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه ويقرأ التلميذ تاريخ آباءه وأجداده وما أتاه الأبطال من جلائل الأعمال ويقرؤون خطبهم وحكمهم وترى علم البلاد خفاقا ليلا ونهارا فوق سارية ﴿ الغرض الخامس . استخدام أوقات الفراغ ﴾ يقولون ان ساعات الدراسة لا تتجاوز الثمان أو التسع ساعات وما يبقى بعد ذلك ضعف هذا العدد فيقول هؤلاء ان أوقات الفراغ أكثر دلالة على تربية المرء من أوقات العمل ويقولون أرني ما تفعل في أوقات فراغك وأنا أريك من أنت . وعلى هذا المبدأ وضع القائمون بشؤون التعليم في أمريكا مبدأ عاما لجميع معاهدهم وهو وجوب تعليم الناشئة كيف يستخدمون ساعات الفراغ في أحسن وجوها فيجعلون للطلبة نوادي كنادي السباحة أو السباحة أو الخيطة أو البطاطس أي زراعته أو ركوب الخيل أو الخطابة أو التأليف أو الصحافة أو المطالعة ﴿ الغرض السادس . الحياة العائلية والعمل على اسعادها ﴾ يقولون ليست المرأة وحدها مسئولة عن المنزل والعمل على تهيته وسائل السعادة فيه . فدروس علم الاجتماع يدرسها الرجال والنساء



والنساء ويعرفون آداب المائدة والزياره والاستقبال ومعاملة أفراد العائلة بعضهم لبعض وطبخ الطعام يتعلمه الذكور كما يتعلمه الإناث ﴿ الغرض السابع ﴾ من أغراض التربية تكوين الأخلاق ولكن لا يدرسون علم الأخلاق ولكن الأخلاق بالقذوة والمثال اكتسابا تكتسب في المنزل على صدر الأم وركبتى الأب وعلى المائدة وفى غرفة الاستقبال كما فى المطبخ وفى حجرة الدراسة من المعلم أو المعلمة ومن علاقات الطلبة بعضهم ببعض

### ﴿ التعليم المشترك بين الجنسين ﴾

ان اليابان تربي البنت جنبا الى جنب الولد فى المدارس الابتدائية الأولية وتفصل فى الأقسام الثانوية ثم تنضم اليه مرة أخرى فى الكلية والجامعة . ويقال ان ألمانيا وفرنسا وإنجلترا أميل الى هذا الرأى . أما أمريكا فان فيها نحو مليونين ونصف مليون من الطلاب فى الثانوى منهم مليون ونصف مليون من الإناث وهكذا الحال تقريبا فى بلاد اسوج ونروج وهولانده والدانمرك وجزائر الفلين يتبعون النظام المشترك فى جميع مدارسهم من الأقسام الأولية والابتدائية والثانوية الى الكليات والجامعات . وهكذا جزائر (الهواى) السحيقة الواقعة فى عرض المحيط الهادى فان تعليمها مجانى اجبارى مشترك لكل طالب وطالبة بين سن السادسة والسابعة عشرة . وهكذا (بورت ريكو) التى آلت الى الولايات المتحدة سنة ١٨٩٨ فان عدد سكانها لا يربو عن مليون نسمة ومع ذلك بها مائة ألف طالبة وبجانبهن مائة ألف طالب

هذا ما أردت تلخيصه من كتاب ﴿ الدنيا فى أمريكا ﴾ لأريك أيها الذكى المسلم المصلح للامة الاسلامية صورة من صور التعليم فى الدنيا التى نعيش فيها . ذكرت لك ذلك ولم أقل نفعل مثلهم حذو القذة بالقذة ولكن أقول هؤلاء فاقونا فى العلوم والصناعات والأعمال والأحوال وأساس ذلك كله العلم إذ لا عمل إلا بعلم ولا علم إلا بتعليم والعلم هو الذى جاء فى هذه الآية - نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم علم -

فها أنت ذا أيها الذكى ترى أن الناس قد اخترعوا وجتدوا وصنعوا وارتقوا وكلما وصلوا الى درجة ظهرت لهم درجات إذ لانهاية للعلم لأن فوق كل ذى علم علم هكذا فى سورة طه بعد هذه السورة بسبع سور يقول الله لرسوله - وقل رب زدنى علما - . إن المسلمين أولى بهذه العلوم . إن المسلمين أولى بهذه العلوم . ان المسلمين هم خير أمة أخرجت للناس فهل يكونون خير أمة أخرجت للناس وهم قد تركوا مواهبهم وعجائب صنع ربهم فلم ينتفعوا بها وجهلوا كل شئ . إن المسلمين فى المستقبل سيزدادون علما وحكمة كما أمرهم ربهم ويقرؤن علوم الأمم ويصطفون لهم طرقا تناسب أحوالهم ولا يتكلمون على نظريات غيرهم بل يجربون ويدرسون كما فعلت أمريكا . واذن يكونون ممن قال الله فيهم - فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب - وإنما قال هم أولوا الألباب لأنهم عرفوا الأحسن بالبرهان لا بالتقليد - وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن - فالأمم فى تعاليمها أشبه بعباد الأصنام يدرسون ماسنه غيرهم ولا يفكرون بأنفسهم ولكن علماء العصر الحاضر أخذوا يفكرون كما ذكرت لك فى هذا الملخص والمسلمون أولى بهذه الآراء والتحقيق والبحث والتفكير . إن الأمم الاسلامية اليوم أجهل الأمم وبعد هذا التفسير وغيره من المؤلفات سيقوم فى هذه الأمم الاسلامية من يفوقون الأمم فى أقرب زمن

واذا كنا - خير أمة أخرجت للناس - . وإذا كنا من الواجب علينا أن نسمع القول فنبتع أحسنه . وإذا كنا كآباء للأمم . وإذا كنا شهداء على الناس . اذا كنا بهذه الصفات كلها فواجب علينا أن نتحلى بها فعلا والاف كيف نرى أهل أمريكا وأهل أوروبا يسمع الرجل منهم الخطب ودروس العلم من جميع الأقطار وهو فى حجرته ونحن غافلون جاهلون . وكيف يتعلم الذكور والإناث ونحن فى غفلة ساهون . أليس عموم التلغراف الذى لاسلك له جعل الشرقى يسمع الغربى والغربى يسمع الشرقى وكأن الناس كلهم أمة واحدة .

أليس ذلك يذكرنا بآية - كان الناس أمة واحدة - ولعل الناس في أزمان مجهولة لنا كانوا متواصلين بهذا النمط ثم لما انحطت مداركهم صاروا على ما هم عليه اليوم • ولعل هذه الحركة الحاضرة مبشرة بأيام يتحاب فيها الناس جميعا من جميع أهل الأرض المسماة أيام نزول المسيح والله أعلم اه  
﴿ لطيفة في اعتراض لأحد العلماء وجوابه ﴾

ولما وصلت الى هذا المقام واطلع عليه أحد الاخوان الفضلاء قال • لقد أتيت هنا بالعجب العجيب وذكرت عجائب العلماء في أمريكا • ولكن بالله قل لي انني ألاحظ عليك أنك ماقرأت علما ولا رأيت حكمة إلا ألصقتها بالدين • فقلت له ما الذي رابك في هذا • قال ﴿ مسألتان ﴾ الأولى علمية والثانية دينية • فقلت فما المسألة العلمية • قال ألم تذكر أنهم يرون أن الهندسة والجبر ونحوهما أصبحتا لا قيمة لهما وانهما أجدر أن يحذفا وأن هناك سبع نظريات هي التي يجدر بالمهندسين معرفتها الخ • وهكذا مسائل من هذا القبيل • فقلت وهل أنا قلت اننا نأخذ بهذا عينه • ألم أقل ان هذه المباحث تغرينا بالبحث عنها وعن غيرها فنصطفى مارق وراق ونترك ما ليس لنا عليه برهان • أنا ذكرت ذلك كله لغرض أن نجعله موضع البحث والا اذا سألتني عن رأيي أقول ان العلوم كلها فروع لشجرة واحدة هي الحياة • العلوم كلها مشتركة مشتبكة فأعلاها محتاج لأدناها • هذا كله لا ريب فيه ولعل القوم يريدون أن الطالب لا يجوز له التغالي في علم إلا اذا كان مستعدا للاختصاص فيه والا فالعلوم كلها متضامنة اه

ثم قلت فما المسألة الثانية • قال هي مسألة الدين • إنك ذكرت أن النساء يتعلمن مع الرجال من الصغر وانهم وجدوا أن هذا أقرب الى العفة وحسن المعاشرة والرقى في العلوم فاذا أنت رويت هذا فعناه أن المسلمين في نظرك يفعلون هذا فيتعلم نساؤهم ورجالهم معا وهذا يناقضه قوله تعالى - وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو بنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخواتهن أو بنى أخواتهن أو نسائهن أو مملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - فأنت اذا قلت للمسلمين ذلك فعناه أنك أبحت رفع الحجاب وهذا يأباه الاسلام والمسلمون فقلت إن علماء الاسلام أباحوا رؤية الوجه ونحوه اذا مست الحاجة وذكروا من ذلك تحمل الشهادة والمتاجرة مع المرأة والتطبيب والمحاسبة وما أشبه ذلك • كل ذلك وغيره ذكره العلماء ودونوه فالمدار عندهم على الحاجة ثم اني لم أقل ان التعليم يجب أن يدون الذكور فيه مع الاناث وانما حكيت ما فعل القوم لا غير وقلت فلنتبع أحسن السبل • قال فاذا ثبت أن طريقتهم أحسن السبل في التعليم وأن اختلاط الاناث بالرجال في سن التعليم أخرج لنا رجلا ونساء أفضل من الموجودين الآن اذا ثبت ذلك فرضا فاذا نفعل • قلت ألم أقل لك ان الاختلاط أجازة العلماء للحاجة • قال هذا القول لا يشفي من علة ولا يروى من غلة • فقلت له سيأتني في سورة النور مسألة الحرام والحلال في هذا المقام • فلنذكر الكلام فيه ولنبحث في أمر الأمة الاسلامية العام فنقول

إن المسلم يعيش ويموت وهو لا يعلم أن سوءة أمته مكشوفة أمام جميع الأمم وامام الله والنبي ﷺ فلقد أجمع العلماء أن ترك الصناعات والعلوم التي تعيش بها الأمة وتحفظ كيانتها تكون كلها ذنوبا على الأمة فيصبح المسلم كل يوم وفي رقبته ثمانية آلاف ذنب فانه مأمور بصناعات وعلوم قد امتلأت بها أوروبا وحاربنا بها فان لم نعرفها كنا جميعا مذنبين • فهذه سوات وعورات مكشوفات لله وللناس وللنبي ﷺ فان لم يقم بهارجالنا ونساؤنا أى لسكر علم ولكل صناعة جاعات من الطرفين فان الأمة كلها مذنبه • فهذه سوات عرفتها أوروبا فأنت وأخذت بعض بلاد الاسلام وهذا لأننا خلعنا لباس التقوى غالبا



جعل الله لباس التقوى أفضل من اللباس الحسى وهذا حق . فلباس التقوى متى عرى منه الانسان وقد لبس أنغر الملابس حقره الناس جميعا . فالجاهل بين العلماء والصوص والزناة وأرباب السوايق وهكذا كل ذى ذنب وعيب كل هؤلاء يحقرهم الناس ويكرهونهم وعوراتهم بادية ظاهرة وأحوالهم مكشوفة فهؤلاء نزع عنهم لباس التقوى وان كانوا مستورى العورات . فاذا بقى المسلمون على هذه الجهالات فانهم قد كشفت سواهم وان لبسوا أنغر الملابس فالمدار على التقوى والتقوى تشمل جميع العلوم والمعارف وجميع الآداب والمسلمون اليوم أكثرهم عارون من هذه الملابس فاذا لبس الشبان والشابات لباس العفة والأدب والأخلاق والعلوم وكانوا أعف ولو قليلا من جيلنا الحاضر فهم أفضل منا ألف مرة وهم أعلم بالقرآن وفهمه . فقال لله درك والله موفقتك وخلق الحكمة على لسانك والجدته رب العالمين

فقلت إذن أنت توافقنى أن المسلمين يجب عليهم أن يرتدوا فى الأسباب وأن يقرأوا علوم الأمم ولا يعوقهم عن ذلك عائق وأن القرآن لم يترك فرصة لجاهل من المسلمين ينتحل بها عذرا فانه جاء فيه - وفوق كل ذى علم علم - وجاء فيه أيضا - وقل رب زدنى علما - والآية الأولى خبر لا يدخله النسخ والآية الثانية ليست منسوخة فأصبح المسلم بين هاتين الآيتين ملزما أن يقرأ علوم الأمم وأن يترقى فيها أما قراءة علوم الأمم فلنعلم ما لانعلم . وأما الارتقاء فهو واجب فنحن فى كل حين يجب أن نزداد علما والعلم لانهاية له إذ فوق علمائنا علماء فنحن اذن ملزمون بالازدياد فى كل شئ ولولم يكن فى القرآن سوى هاتين الآيتين لكفتا فى وجوب ارتقاء المسلمين فى كل علم وكل صناعة . هذا سرّ قوله - وفوق كل ذى علم علم - انتهى

﴿ ابتكار أهل أمريكا أيضا فى علم الزراعة وتوله تعالى - وفوق كل ذى علم علم - ﴾

( موازنة بين الهواء والدخان والصخور وبين الذهب والمالوك والقديم من الديانات )

لعلك أيها الذكى القارى لهذا التفسير تعجب من هذا الموضوع الذى طال بصدد الكلام على أهل أمريكا فى قوله تعالى - وفوق كل ذى علم علم - وأنا أقول ان هذه الاطالة لابد منها لايضاح المقام والقرآن كلام الله والناس عباده ونحن نسطر فى تفسيره ما يشرح الصدور ويسر الجهور واعلم أن الناس لا يشرح صدورهم إلا ما يشرح صدر المؤلف والمؤلفون المتكفون هم الذين لا يفتحون قال تعالى - قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلن نبأ بعد حين . ولم يؤخر المسلمين ويوقعهم فى السبات العميق الا انتقاء الكتب التى كتبها مؤلفوها تكلفا فهذه لا تؤثر فى قارئها لأن المتكلف ليس منشراح الصدر لما يكتب وهناك صلة بين الكاتب والقارى والمتكلم والسامع ولست تعرفها إلا بالتجربة والذى خطر لى اليوم ما يأتى . ذلك انى قرأت فى رحلة نشرها أحد أصدقائى المصريين أثناء طبع هذه السورة يوم (٧) اكتوبر سنة ١٩٢٧ وهذا نص ما أريده منها . قال

﴿ وقد توصل القوم فى أمريكا الى استخراج (البوتاسا) من الهباب الذى يتطاير من مداخن المصانع بحيث حصلوا منه مائة ألف طن أفادهم فى زراعتهم ومعلوم أن الطن نحو (٢٢) قنطارا وقد توصلوا الى عمل (حمض الفوسفوريك) من الحجر والصخور واستعملوه ضمن الأسبحة الزراعية وهم الآن يدرسون طبيعة التربة ويرسمون خريطات مختلفات لدرس المسائل (الازوتية) بصفة عامة والتجارب التى يهتمون بها الآن هى البحث عن الازوت الموجود فى الجو على هيئة (نوشادر) لاستعماله ضمن الأسبحة ﴾

فلما قرأت هذا خطر لى هذا الموضوع الذى ابتدأت به هذا المقال فلأشرحه فأقول . أنظر الى الأمم قديما وحديثا وتعجب من صنع الله فى الأرض . ويظهر أن الله عامل النوع الانسانى كله معاملة نفس واحدة فهو كله أشبه بصبي أرسله أبوه الى العلم فى صغره وأطاق له الحرية فى كبره . ألا ترى أن دراسة تاريخ الأمم تكشف لنا النقاب عن هذه الامور

(١) التعامل بالنقود من الذهب والفضة وغيرها قد جعل في الأمم طبقة المرايين الذين يعيشون من ثمرات (العاملين) وهم لا يعطون الناس مطعما ولا ملبسا ولا غيرهما

(٢) الملوك في جميع الأمم يستبدون بالرعية ويطشون

(٣) وهكذا رجال الدين في جميع الأمم السالفة استبدوا بالناس بعد أنبيائهم كما هو حاصل في الدين المسيحي في القرون الوسطى وفي الدين البرهمي إلى الآن . فهنا ظهر أن الأمم كانوا أطفالا وأكثرهم لا يزالون كذلك يخضعون للملوك ولرؤساء الدين ولأرباب المال . وتفرع على ذلك أن قوما بحثوا عن الذهب من علم الكيمياء وأضاعوا في ذلك أعمارهم . وهكذا ترى رجال الدين في أكثر الأمم يجتدون في العلو على الناس ويحرصون على الرئاسة والعظمة والمال بطريق الدين . وهكذا أكثر علماء الفقه قديما في أمتنا الإسلامية كما نقلته لك عن الامام الغزالي في سورة المائدة فانظر حال الأمم الآن وتعجب من فعل الله عز وجل فانظر كيف حبس عقول القدماء في استخراج الذهب بطريق الكيمياء وجعلهم خاضعين للملوك ولرجال الدين فكأن الناس إذن عند علماء دينهم وعند ملوكهم أطفال جهال يستخرجون منهم ملوكهم ورؤساء دينهم ويستخرجونهم

ألا تعجب الآن كيف أصبح الناس يبحثون في الهواء عن (الاورزوت والنوشادر) لأجل نجاح الزراعة ويكسرون الأحجار والصخور لاستخراج (حصى الفسفوريك) ولا يضعون الدخان المتطاير من المداخن فيأخذون منه أكثر من (ألف ألف) قنطار في السنة من (البوتاسا) وهكذا كان المسيحيون يحرثون جميع العلوم فلما أن جاء الاسلام أخذوا يفكرون وينبذوا القديم وقرأوا العلوم وهكذا المتأخرون من أمتنا الإسلامية أصبحوا كالمسيحيين القدماء حرموا من العلم وهانحن أولاء الآن نجدهم مشمرين عن ساعد الجد لحوز العلوم اليوم وهذا التفسير من مقومات هذه النهضة

فالعجب لصنع الله عز وجل . حرر العقول الواهمة فأراها أن النعم الحقيقية في استخراج المنافع من هواء ومن صخور ومن دخان . من هذه كلها يستخرج الناس سبادا لمزارعهم وهذا أفضل وأجل وأعظم من استخراج الذهب بما لا يحصر له . هذا هو تحرير العقول الانسانية وإخراجها من الجهالة . فالديانات الآن أصبحت لا تمنع العلم ولكن الاسلام يوجب فسلطان الدين إذن لا يمنع من العلوم . هاهوذا العلم أخرج الناس من الظلمات إلى النور . أخرجهم من قيود المذلة للملوك وصارت المجالس النيابية قائمة مقامهم . هاهوذا العلم زلزل قواعد الملكية وفتح باب المشورة . أخرجهم من الأوهام القائلة بالفانسة بهم إذ استبد بهم الملوك فسلبوا أموالهم فقعد العلماء والشعراء أبوابهم يستعطفونهم ليرزقوهم مما نهبوا من الرعية . أخرجهم من سجن الذهب إذ كان العالم البارح هو الذي يعثر على طريقة استخراج الذهب بطريق الكيمياء . وهيهات هيهات النوال والغنى بل كانوا يموتون فقراء . لماذا هذا . لأنهم جهلوا الحقائق . ذلك أن الذهب إنما هو واسطة التبادل للمنافع ولو أن الذهب ملأ الأرض وليس فيها قوت ولا ملابس لمات الناس فالذهب كالخبر عند عدم المنافع المادية من مأكل وملبس . كلا بل الحجر أصبح أفضل من الذهب بالعلم لأنهم استخرجوا منه كما رأيت المواد التي تسمد بها الأرض . وهذا السهاد حياة الزرع والزرع به حياة الانسان والحيوان والذهب ليس له إلا أن تعرف به القيمة فحسب . إذن العلوم قلبت أوضاع العقول الانسانية التي تقدس الذهب فأرتها أن أحجار الجبال التي تزدونها ودخان معاملكم خير وأبقى والذهب إنما هو أمر ثانوي للتبادل فمن استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير فهو جهول

هذا كله داخل في قوله تعالى - نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم - فهؤلاء الذين عرفوا نعمة ربهم واستخرجوها من الدخان المنبوذ ومن الهواء المتروك ومن صخور جبالهم وهؤلاء الذين لم يقيدهم دينهم ولم يقعد بهم عن المعالي ولا استناموا لملوكهم أرفع درجات من أولئك الجهلاء الذين جهلوا نعم ربهم وأظنوا



أن دين الله الذي أنعم على الناس بهذه الدنيا كلها يمنع من تلك النعم أو استبدت بهم ملوكهم فأذلوههم • ولما كان رفع الدرجات المذكور ليس له سبب إلا العلم أعقبه بقوله - وفوق كل ذي علم عليم - اهـ

### ( الْقِسْمُ السَّادِسُ )

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ  
قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ  
نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ \*  
رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ  
وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ \* ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ  
إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَتَوْا مُزَمَّرًا وَمَنْ يَمْكُرُونَ \* وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ  
بِمُؤْمِنِينَ \* وَمَا تَسْتَلْهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ \* وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ \* وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ  
مُشْرِكُونَ \* أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا  
يَشْعُرُونَ \* قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا  
مِنَ الْمُشْرِكِينَ \* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا  
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا  
تَعْقِلُونَ \* حَتَّى إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا  
يُرْدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ \* لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ  
حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ  
يُؤْمِنُونَ \*

### ( التفسير اللفظي )

قال تعالى (ورفع أبويه على العرش) السرير الذي كان يجلس عليه يوسف • والرفع النقل الى أعلى (وخرّوا له سجداً) أي يعقوب وأمه واخوته • وقبل خالته لموت أمه وكانت تحية القوم إذ ذاك السجود وهو الانحناء والتواضع (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل) التي رأيتها في أيام الصبا (قد جعلها ربي حقاً) صدقاً (وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن) وأعرض عن ذكر الحبّ لئلا يكون تثريباً عليهم (وجاء بكم من البدو) من البادية لأنهم كانوا أصحاب مواش ينتقلون بها في المياه والمناجع (من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي) أي أفسد بيننا وأغرى • يقال نزغ الرأض الدابة إذا نخسها وحملها على الجري

(إن ربي لطيف لما يشاء) لطيف التدبير فلاصعب إلا وله فيه تدبير ينفذ فيه مشيئته (إنه هو العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) الذي يفعل كل شيء في وقته \* يقال إن يوسف طاف بأبيه في خزانته فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي قال أمرني جبريل قال أوماتسأله قال أنت أبسط مني إليه فأسأله فقال جبريل الله أمرني بذلك لقولك - وأخاف أن يأكله الذئب - قال فهلاخفتني (رب قد آتيتني من الملك) ملك مصر (وعلمتني من ناويل الأحاديث) تقدم تفسيرها في أول السورة يا (فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة) تتولاني بالنعمة في الدارين وتوصل الملك الفاني بالملك الباقي (توفني مسلماً) طلب الوفاة على الإسلام كما قال يعقوب لولده - ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون - أرمحاًصاً ومسلماً اليك أمرى (وألحقني بالصالحين) من آبائي وغيرهم (ذلك) أي ما ذكر من نبأ يوسف كأن (من أنباء الغيب نوحيه اليك) خبر (وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) يقول تعالى هذه من أنباء الغيب بالوحي لأنك لم تكن مع اخوة يوسف حين هموا أن يجعلوه في غيابة الحب وهم يمكرون به وبأبيه ليرسله معهم يرتع ويلعب . ولقد لبثت في قومك أربعين سنة قبل هذا ولم تلق أساتذة معلمين ولا قرأت كتباً وذلك قد ذكر في آية أخرى - ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا - (وما أكثر الناس ولو حرصت) على إيمانهم (بمؤمنين) لأنهم معاندون (وما تسألهم عليه) على الأنبياء أو القرآن (من أجر) جعل كما يفعله القصاصون (إن هو إلا ذكر) عظة (للعالمين) عامة (وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها) على الآيات ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) فإذا سئلوا من خالق السموات والأرض وأنزل المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الأصنام وهذه الآية في أهل الكتاب والمنافقين والمشركين (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية) عقوبة تغشاهم وتشملهم (من عذاب الله أوتأتهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لا يشعرون) بآياتها ولا استعداد عندهم (قل هذه سبيلي) أي الدعوة إلى التوحيد والاعتماد للبعد حال كوني (أدعو إلى الله على بصيرة) بيان وحجة واضحة (أنا) تأكيد للضمير المستتر في أدعو (ومن اتبعني) عطف عليه (وسبحان الله) أي وقل يا محمد سبحان الله أي تنزيهاً له عن كل ما لا يليق به (وما أنا من المشركين) أي وقل يا محمد - وما أنا إلح - (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً) مثلك (نوحى إليهم من أهل القرى) لأنهم ذوو علم وحلم فأما أهل البوادي ففيهم الجهل والغباء (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة) أي ولدار الساعة الآخرة (خير للذين اتقوا) الشرك وآمنوا (أفلا تعقلون) فلا يغرنهم تمادى أيامهم فإن من قبلهم أمهلوا (حتى إذا استيأس الرسل) من النصر (وظنوا أنهم قد كذبوا) أي كذبهم أنفسهم حين حدثتهم أنهم ينصرون (جاءهم نصرنا) أي للمؤمنين والأنبياء فجأة (فنجي من نشاء) أي النبي وقومه (ولا يرد بأسنا) عذابنا (عن القوم المجرمين) أي الكافرين (لقد كان في قصصهم) أي في قصص الأنبياء وأممهم (عبرة لأولى الألباب) حيث نقل يوسف من غاية الحب إلى غيابة الحب ومن الحصر إلى السرير . فاذن عاقبة الصبر الجليل جميلة وأفضل أخلاق الرجال التصبر (ما كان) القرآن (حديثاً يفترى) ولكن تصديق الذي بين يديه) أي ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب السماوية (وتفصيل كل شيء) يحتاج إليه في الدين (وهدي) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) يصدقون انتهى التفسير اللفظي . وهنا (خمس جواهر) في هذه السورة

﴿ الجوهرة الأولى في رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك ﴾

( رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك مطلعان من مطالع كواكب العلم مشرقان ﴾

هذا كتاب سماوى ومن دأب أمثاله أن يسمو بالعقول إلى المدارك الشريفة بطريق الاشارات الحكيمية



ليفتح للبصائر أبواب الفهم وهناك تنشعب الآراء ويبحث العقلاء ويجد المفكرون وتكون تلك الأنوار العلمية أشبه بضوء الشمس إذ يسطع على الأحياء من مملكتي الحيوان والنبات وعلى الجباد فتقبل كل مملكة من النور ما يلائم أشكالها ويوافق أحوالها ويلئم نظامها

فهاتان الرؤيتان قد فتحنا ﴿باين﴾ من العلم ﴿الباب الأول﴾ ما سأذكره من عوالم اليقظة وعوالم الأحلام في المنام ﴿الباب الثاني﴾ ما قدمته في أول هذه السورة من أنهما قد كانتا سببا في نشر المقالة المتقدمة المبنية على أن فرعون مصر في تلك الأحقاب قد كان مغرما بأمر الرعية فرأى في المنام السبلات الخ ثم أبنت أن القلاح وثوره يحتاجان إلى طيور تأكل الدود الفانك بالزرع وأنه ترك ذكرها لأنها أشبه برجال القضاء والمحاماة أولئك الذين اضطر اليهم الناس اضطرابا ولو كان الناس جميعا كاملين لم يكن لهم قضاة ولا محامون هكذا هنا لولا ما في الأرض من حشرات مخلوقات فيها لمتص الرطوبات لم تكن في حاجة إلى أنواع الطيور الخاصة بأكل الحشرات . كل هذا ذكرته وأشرت إليه لتبيان السبب في ترك ذكرها في رؤيا الملك . ثم استطردت بذكر أنواع تلك الطيور التي عرفناها أمتنا المصرية ورسمت صورها

﴿بيان السبب في ذكر تلك الطيور في هذا التفسير وكيف جاز تصويرها فيما تقدم﴾

أما السبب في ذكر الطيور في هذا التفسير التي حرّم صيدها أهل بلادى فذلك ليكون ذكرى للمسلمين أن يتبينوا ما يبلادهم من الطيور النافعة لزراعهم بأكل الدود أو الفيران ولن يتم لهم ذلك إلا بأن يكون عندهم علماء اختصاصيون في هذه العلوم ويكونوا دارسين لعلوم الأمم المحيطة بهم . هذا أمر أصبح واجبا وتركه حرام لأنه فرض كفاية كما شرحناه مرارا في هذا التفسير في أواخر سورة البقرة عند قوله - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - وفي أوائل سورة المائدة عند قوله تعالى - فبعث الله غربا الخ - وفي مواطن أخرى تقدمت . وليعلم المسلمون في أقطار الأرض أنهم محاسبون معذبون في هذه الدنيا قبل الآخرة إذا أهملوا دراسة الطيور ودراسة سائر العلوم . اللهم إني قد أدت الأمانة وبذلت النصيحة وأنت أيها القارئ الذكي أصبحت مسئولا مثلي فاجعل كل حياتك لخدمة أمتك ولتكن من حاملي لواء العلم ومن أعمدة النظام العام في الأرض فهذا قد استعددت لتكون خليفة في الأرض ونورا ميديا ونجما طالعا وشمسا مشرقة

### ﴿لطيفة ١﴾

لقد تقدم في سورة هود عند تفسير البسملة الكلام في رحمة الحيوان والأحاديث الواردة في ذلك وكيف أمر النبي ﷺ أن يردوا الطائر الصغير إلى أمه لشدة شغفها به وقد بينت هناك أن الرحمة هنا واجبة وأن الأمم الإسلامية غالبا لا يفكر علماءؤها في نصيح العامة في هذا

### ﴿لطيفة ٢﴾

وقد تقدم في سورة يونس أن رسم الصور الشمسية مباح وقد ذكرنا هناك آراء بعض هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف باباحة رسم الحيوان بالتصوير الشمسي واني أرى أنه واجب في مثل هذا الكتاب لأجل التعليم والافن أين يعرف المسلمون أنواع الطيور ان لم يروا صورها بأنفسها . هذا ما أردته في هذا المقام لتعلم أن مارسم من صور الطيور في هذه السورة واجب لأجل تعليم الأمة لا حرام والله هو الولي الحميد انتهى الكلام على ﴿الباب الثاني﴾

﴿الباب الأول﴾ في الكلام على أن هاتين الرؤيتين قد فتحتا عوالم اليقظة وعوالم الأحلام في المنام اعلم أيديك الله أن القرآن بسبب كونه كتابا سماويا يفتح مغاليق من العلم لم يكن فتحها بالحسبان . ذلك لان الناس في أمثالهم يقولون ﴿كلام الملوك ملك الكلام﴾ وليس هذا القرآن كلام ملوك بل هو كلام ملك أولئك الملوك . فاذا رأينا أم الأرض اليوم تهتز أسلاكهم البرقية وتكتب جرائدهم ما ينطق به رئيس

الولايات المتحدة أو ملك انكلترا أو نحو ذلك ويعلقون على الجلالة الواحدة وقر بعبود أكثر في جرائدهم ومجلاتهم في الشرق والغرب فكيف بكتاب نزل من رب أولئك الملوك فهو أحق بالتعليق والتذكيرة إذن نقول يذكر الله رؤيا الملك ورؤيا يوسف ويبين لنا فيهما الزرع والدواب والسجود والكواكب والشمس والقمر ففيهما العالم الكشيف واللطيف والعلوي والسفلى فلنشرح هذا المقام بما فتح الله به فنقول

(١) حبس الناس في هذه الأرض مع النبات والحيوان أول درجة من درجات الحياة أدنى الحيوان كاللودة في لب الثمار وبطن الحيوان ذلك الذي ليس له إحاسة واحدة هي حاسة اللمس ثم يترقى قليلا بحاستين فثلاث فأربع فخمس فيكون ارتقاء حتى يصل إلى الآساد والتمور والقردة والانسان وهو درجات أعلاه الحكماء والأنبياء

(٢) هذه طبقات أدناها مالا يحس إلا بما يسجلده كاللودة وأعلاها يعرف عالم الأرض وعالم السموات فأعلاها يجاور الأفلاك والملائكة وأدناها مغمورة في الطين مسجون • إن هذه الدرجات كتاب مفتوح ظاهر مقروء، ولكن قراؤه قليل في هذا الانسان وأعلامهم هم الذين يقرؤنه وهم مستبصرون وأكثر هذه الطبقات الانسانية مغمورة في الجهالة لا تبصر هذه الدرجات المشروحة في الطبيعة فامتاز أناس فنظروا في أنوار السموات وأنوار العقول

(٣) قالوا إن العالم الذي نعيش فيه عالم جيل مصوغ من النور بهي حسن الشكل بديع النظام ولكن الناس لم يدركوه وإن كانوا يشاهدونه لأنهم مغمورون في مطالب شهواتهم وغرائزهم ومن امتاز منهم بعقل راجح وفكر صائب نظر فرأى أن نور الشمس هو أصل الموجودات الأرضية فلولا الحرارة المنبعثة منها على الهواء والماء لم يكن بخار ولم يكن هواء إذ لا بخار إلا بحرارة ولا رياح إلا بدافع يدفع الهواء وأصل كل دافع يرجع للحرارة والحرارة منبعثة من الشمس • وإذا سكن الريح لم يكن سحب وإذا لم يكن سحب لم تكن أنهار كما هو واضح في هذا التفسير في غير ما موضع • الله أكبر • جلّ الله وجلّ العلم • إذن يكون النور في أرضنا أصل وجود ما عليها وهذا قوله تعالى - وفي السماء رزقكم - فلولا نور الشمس لم يتهيأ لنا رزق في الأرض والشمس في السماء وعطف عليه قوله - وما نوعدون - والذي نوعده أيضا في السماء ألا ترى إلى ما تقدم في سورة آل عمران عند ذكر الجنة والنار من أن الجنة مستحيل أن تكون في الأرض إذ الأرض في باطنها نار فاذن تكون الجنة في عالم السموات وهي الجنة الحسية

(٤) في السماء رزقنا لأن النور مع الحرارة المشاهد لنا أصل رزقنا بل أصل حياتنا وهذا مشاهد فلنقس ما غاب على ما شوهد ولنقل إن ما وعدنا به في السماء فالسما في الرزق الدنيوي وفيها الموعد الآخروي وإذا كنا نرى في هذه المخلوقات الأرضية اختلافا بينا من دودة في بطن بقرة إلى حكيم ونبي يحيط علما بكثير من العوالم الأرضية وغيرها فليكن في عالم السموات طبقات بحيث تكون نسبتنا نحن إليهم كنسبة السود إلينا وذلك في العالم الذي وعدنا به وتكون تلك الدرجات أدناها وهم أهل الجحيم أشبه بالسود وأعلاها وهم أهل الجنة أشبه بالحكماء والأنبياء عندنا والذي نوعده هو الجنة والنار موعد ذوى النفوس الضعيفة الغيبة (٥) هذا ترى الله يقول لنبينا ﷺ - قد نرى قلب وجهك في السماء - ويقول - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - ويقول هنا إن يوسف رأى أحد عشر كوكبا والشمس والقمر كلها ساجדות له رأى العالم المشرق في نومه مشاكلة لروحه وكان يمكن تصوير حال تلك الرؤيا بغير الأجرام المنيرة ولكن فطرة الأنبياء متجهة إلى العلو • تتجه إلى السماء عقول الحكماء وعقول الأنبياء ليطلقوا الناس من ضيق الأرض إلى فسيح عالم السماء ويوحى إليهم في النوم ليقولوا للناس أيها الناس انكم كل ليلة تموتون ثم تحيون صباحا • إن النوم نوع من الموت وإذا كان كذلك فالموت لا خوف منه وإذا كان يوسف يرى في النوم



أن اخوته وأبويه خرواله سجدا على هيئة الأجرام العلوية ثم ظهر صدقه في آخر أمره . وإذا كان الملك يرى البقرات والسنبلات و يظهر في آخر الأمر أن الرؤيا حق وأن السنين المجدية قد أقبلت فأكلت الحرث والنسل وأنت على كل ما ادخر في سنى الخصب السبع فغناه أن عالم المادة تابع للعالم العقلي فرؤيا يوسف في إخوته وسيادته عليهم قد تمت ورؤيا الملك في خصب مصر وفي حقطها قد تحققت وكما أن النور والحرارة من الشمس أنتجا عالم المركبات الأرضية . هكذا عالم الفكر والعقل أساس نظام الأمم . إن هذه السورة تفيد أن الامور العقلية الروحية أصل للمادية الظاهرة

(٦) أمر النفوس بعد الموت واضح في هذه السورة . نام الملك ونام يوسف أى توفى الملك وتوفى يوسف عليه السلام توفاهما الله ولما توفاهما أطاعهما على صور سماوية وصور أرضية . فإذن الوفاة ليست عدما . إذن الوفاة فيها علوم أشبه بما نحن عليه في الدنيا وهذه العلوم تناسب عقولنا بدليل أن الملك لما توفى رأى ما يناسب عقله والنبي يوسف كذلك . ان النوم وفاة ولا عجب في ذلك . يقول الله تعالى - وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه - فجعل النوم وفاة والحياة بعثا وأوضح ذلك أكثر في آية أخرى فقال - الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها - الى قوله - لقوم يتفكرون - ولم يخصها أن الله يتوفى أنفس النائمين وأنفس الميتين ولكنه يرسل نفس النائم الى جسده ويمسك نفس الميت الى يوم القيامة . واعلم أن علماء الأرواح سالوا بعضها فأجابتهم بهذا المعنى فقالت ﴿ انكم اذا نمت تقابلون أرواحا من جنسكم أو أعلى منكم وتعلمكم ﴾ وأكثرما أنتم عليه من حب أو بغض ناشئ مما تشاهدونه في حال نومكم من أحوال لاتعلمونها في اليقظة (اقرأ في كتاب الأرواح تأليفى فهو واف في هذا المقام)

(٧) واعلم أن جميع ما يصنعه الناس في هذه الأرض لا يتم منه شيء إلا بمبدأ فكري فكما اتجه فكر الصديق في رؤياه وفكر الملك لما يناسبه هكذا كل عالم وحكيم على مقدار طاقته يكون منه فكر فعمل على مقتضاه إن كمال هذا العالم ﴿ بأمرين ﴾ النور السماوى والعقل الانسانى وقد اجتمعا في رؤيا الصديق نور المشرقات وتنزلت على مقتضى عقله واستعداده فليعمم الناس العلم وتهذيب الأخلاق

(٨) لا يقوم العملة ببناء المنازل والحصون إلا بعد تفكير المهندسين . ولا يظهر اختراع إلا بعد فكر المخترعين . هكذا لا يكون هذا العالم ولا يبرز إلا بعلم تقدم وجوده والله عليم حكيم . فالفكر مبدأ العمل والأعمال بالنيات التى تقدمتها وحال الانسان فى البرزخ مقدمة لحال أخرى بعدها كما أن حاله فى الدنيا مقدمة لحاله فى البرزخ . وذلك نظير حال يوسف الصديق والملك إذ كانت حال كل منهما فى يةظته مقدمة لحاله فى رؤياه التى تشبه حال الناس فى البرزخ بعد الوفاة وحالهما فى تلك الرؤيا مقدمة لما بعدها من ظهور مصداقها فى الوجود الذى يشبه حال البعث للناس . فلهذا حياة فبرزخ قبعت وكلها متشابهة متلازمة كما تشابهت وتلازمت حالهما فى يقظتهما ونومهما ومصداق رؤياهما والله عليم حكيم

(٩) ﴿ لطيفة فى ذكر حالى فى مبدأ حياتى ﴾

اعلم أنى كنت وأنا فى حال الطفولة أقول فى نفسى (١) ياليت شعبرى لم لا يكون الناس كلهم أسرة واحدة يساعد بعضهم بعضا (٢) ثم انى أجد فى نفسى نزوعا الى أمر عظيم فأحس بان هناك مجدا أو ملكا قد فقده قوى وأريد ارجاعه وهذا كان أمرا مبهما جدا فى النفس ولكن الخاطر كان شديدا والباعث قوى الهجوم . وأتذكر أنى مرة نظرت حولى وقلت أين ذلك الملك الذى أرجعه وأنا لا أرى فى قريننا ولا فى أسرتنا أثرا لهذا الملك وكنت أعجب من هذه الخواطر الهاجة القوية التى لاتستند على شيء أراه فى قريننا ولا فى أسرتنا إذ لا أرى إلا المحارث والفؤس والبهائم والزرع والشجر ولا ملك ولا دولة أرى أثرهما . فلما قرأت فى الأزهر علم النحو والفقه (وأنا لاعلم لى بأن فى القرآن الذى أحفظه بلا فهم أى أثر للعلم) أخذت

أنظر الى ما يقرب قريتنا من الطرق الحديدية والتلغراف وأقول يا ليت شعري لماذا اختصت بهذه الصناعات أمم النصرى . ولماذا لم يتعلمها المسلمون . وإذا كان هؤلاء أرقى صناعة وعلما فيا ليت شعري ما رأيهم في صانع العالم . أنا لا بد لي من الوقوف على آرائهم في ذلك . وأقول أيضا إذا كان الله هو الذى أنزل القرآن وهو نفسه الذى خلق هذه المزارع التى أراها فى القرى . فلماذا لا نسمع فى ديننا أثرا لذكرها وإذا كان صانع العالم هو منزل الكتاب فكيف يذكر الصلاة والصيام والبيوع ويعرض عن ذكر المزارع والأشجار مع أن المتكلم ينطق بما يعمل وبما يصنع . كل هذا لأنى كنت أتصور ديننا على حسب ما تعلمت لأن الإنسان أول ما يتعلم انما يقرأ الفقه . فأما جمال الله وحكمه وبدائعه فهذه فى القرآن والمسلمون مستغنون عنها وهذا المقام وضحته فى كتابى ﴿ التاج المرصع ﴾

ولقد ظهر أثر الفكرة الأولى وهى أن العالم يكون أسرة واحدة فى كتاب ﴿ أين الانسان ﴾ أما فكرة ارجاع المجد ومسألة تقصير المسلمين فى العلوم فهى مقاصد أكثر كتبى وأهمها هذا التفسير . هذه هى الخواطر أما الرؤى التى رأيتها فقد ذكرت بعضها فى أول سورة الأنعام وأكثرها وهو الأهم الأكثر لا أجد محلا لذكره الآن وعسى أن ينشرح صدرى لذكره فى آخر هذا التفسير وقد كانت هذا الرؤى سببا فى تأليف هذا التفسير ولولاها لم يكن له وجود . وكان ابتداءها فى نحو سن الخامسة والعشرين وأهمها كان ما بين سن الخامسة والثلاثين والخامسة والأربعين انتهى

### ﴿ الجوهرة الثانية ﴾

( فى البلاغة والاعتبار بالقصص عند العرب وموازنته بقوله تعالى - قال هل آمنكم عليه الخ - )

من كتابى ﴿ المذكرات فى أدبيات اللغة العربية ﴾ صفحة (٨٠) وهذا نصه

كانت العرب تضرب أمثالها على السنة الهوام . قال المفضل الضبي يقال امتنعت بلدة على أهلها بسبب حية غلبت عايتها فخرج اخوان يريدانها فوثبت على أحدهما فقتلته فتمكن لها أخوه بالسلاح فقالت له هل لك أن تؤمننى فأعطيتك كل يوم دينارا فأجابها الى ذلك حتى أئثرى ثم ذكر أخاه فقال كيف يهنا العيش بعد أخى فأخذ فأسا وسار الى حجرها فتمكن لها فلما خرجت ضربها على رأسها فأثر فيه ولم يسمع فطلب الدينار حين فاته قتلها فقالت له مادام هذا القبر بفنائى وهذه الضربة برأسى فليست آمنك على نفسى \* فقال النابغة الديباني فى ذلك

تذكر أنى يحدث الله فرصة \* فيصبح ذا مال ويقتل وآثره

فلما وقاها الله ضربة فأسه \* وللبرعين لا تغص ناظره

فقلت معاذ الله أعطيتك انى \* رأيتك غدارا يمينك فاجره

أبى لى قبر لا يزال مقابلى \* وضربة فأس فوق رأسى فاقره

وقال الله تعالى - هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين - وقال فى هذا المعنى - ولوترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين \* بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا منه وإنهم لكاذبون - وقال أيضا - ولورجناهم وكشفنا ما بهم من ضرر للجوا فى طغيانهم يعمهون \* ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون - انتهى . وهذه الأبيات كنت خستها منذ بضع عشرة سنة وهى ذه

سعت حية يوما لتسكن قرية \* فأودت سرى القوم بالدغ بغتة

فنادى أخوه للمشورة فتية \* تذكر أنى يحدث الله فرصة

\* فيصبح ذا مال ويقتل وآثره \*



فأعطته ما لا تتقي شرَّ بأسه \* وأفضل مال المرء فدية نفسه  
ففاجأها بالفأس بعد لنحسه \* فلما وقاها الله ضربة فأسه  
\* وللبرعين لا تغمض ناظره \*

أتى طامعا في المال يعدو ولم ين \* فقالت نقضت العهد ظلما وخنثى  
فقال وربى لا أسىء لمحسن \* فقالت معاذ الله أعطيك اتنى  
\* رأيتك غدارا يمينك فاجره \*  
أما كان يغنى أن حبوتك نائلى \* أليس جزائى أنك اليوم قاتلى  
وهل يحسن الانسان يوما لصائل \* أبى لى قبر لا يزال مقابلى  
\* وضربة فأس فوق رأسى فاقره \*

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى - رب قد آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث -  
الى قوله - وألحقني بالصالحين - ﴾

اعلم أن هذه الآيات قد جاء فيها ملخص السورة وملخص حياة الانسان ومماته وعلومه . ذلك أن  
الانسان فى هذه الدنيا يسعى لاصلاح الجسد واصلاح النفس . ثم إن جميع العوالم التى تحيط به إما علوية  
وأما سفلية والعلوم انما هى شرح لهذه العوالم والأحوال لاتعدو أمرين إما دنيا وأما أخرى ﴿ وبعبارة أخرى ﴾  
(١) الجسم والروح (٢) والعالم العلوى والسفلى (٣) الدنيا والآخرة فأشار للأول بقوله تعالى - رب قد  
آتيتنى من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث - فالأول للجسم والثانى للروح . وأشار الى الثانى بقوله تعالى  
- فاطر السموات والأرض - الى الثالث بقوله - أنت ولي فى الدنيا والآخرة - ثم ان قوله - قد آتيتنى  
من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث - هو ملخص حياته فإن أيام الحب وأيام السجن كانت محنة تخللها  
علمه بتأويل الأحاديث ويلى ذلك أنه أعطى الملك . فهاتان الجملتان ألتا بتاريخ حياته . فاما قوله تعالى  
- فاطر السموات والأرض أنت ولي فى الدنيا والآخرة - فما هو إلا ملخص سورة الفاتحة . أليست الفاتحة  
ثناء ودعاء وثناء الفاتحة حمد الله على نعمه التى أنعم بها على جميع العوالم العلوية والسفلية . أفليس نداء الله  
بانه فاطر السموات والأرض هو عين الحمد وما الحمد إلا ثناء بجميل لأجل جيل حصل من المحمود راجعا الى  
الحامد أو غيره وههنا ينادى ربه أنه فطر السموات والارض . وهذه الجلة يدخل فيها جميع العلوم فإن العلوم  
الرياضية والطبيعية والالهية لانخرج عن هذه الجلة إذ العلوم كلها ترجع للسموات والارض فهذا هو الثناء أما  
الدعاء فى الفاتحة فهو طلب الهداية الى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم . وههنا يقول - أنت ولي  
فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقني بالصالحين - فالولاية لله عليه فى الدنيا والآخرة وطلبه من الله أن  
يتوفاه مسلما راجع الى طلب هداية الصراط المستقيم وقوله - وألحقني بالصالحين - يقابل - صراط الذين  
أنعمت عليهم الخ -

﴿ مقاصد الدعاء والثناء فى دين الاسلام ﴾

الأئمة الاسلامية أمرت بالثناء فى أول الفاتحة وفى أول التشهد فيثنى المسلم على ربه أنه هو الذى ربى  
العالمين وفى تشهده بأن التحيات والتعظيمات والمباركات والصلوات والطيبات خاصة بالله وفى ركوعه فينزه الله  
ويصفه بالعظمة ويظهر له الخشوع فى سمعه وبصره ومخه وعظمه وعصبه وما استقامت به قدمه وفى رفعه واعتداله  
فيصف الله بأنه محمود جدا يملأ السموات والارض ويملا ما بينهما ويملا ما يشاء الله بعد ذلك حتى يشمل  
العوالم السديمية التى ظهر كشفها والتى لم تعلم بعد . وهكذا فى سجوده فينزه ربه الأعلى ويقول المؤمن  
ان وجهه سجد للذى خلقه وصوره وشق سمعه وبصره . هذه أهم أنواع الثناء التى يقولها المسلم فى

صلاته . وكل هذه ترجع الى قول يوسف - فاطر السموات والارض - وأما دعاء المسلم فهو طلبه الهداية الى الصراط المستقيم وهكذا في قنوت الصبح فانه يطلب الهداية والمعاونة وأن يتولاه الله و يبارك له فيما أعطاه ويصرف عنه الشر الخ وهكذا في الجلوس بين السجدين فهو يطلب المغفرة والرحمة والرزق والهداية والعافية فهنا (أمران) في كلام يوسف ثناء ودعاء . وأمران في صلاة المسلم ثناء ودعاء . وانظر وتعجب ثناء يوسف أكثر من دعائه وثناء المسلم أكثر من دعائه . أثني يوسف بست عشرة كلمة ودعا بأربع كلمات فثناءه ربع دعائه . وهكذا المسلم ثناؤه أكثر من دعائه فهو يثنى في الفاتحة وفي الركوع وفي الرفع وفي السجود الأول وفي السجود الثاني وإنما يدعو في بقية الفاتحة وفي الجلوس بين السجدين وفي القنوت . إذن الثناء أكثر من الدعاء نتيجة هذا المقال

### ( العبادات جسم روحها العلوم )

من تتبع هذا التفسير أدرك أن جميع أنواع العبادات إنما جعلت لبعث الهمم الى العلوم والعلوم هي المقصودة من وجود هذا الانسان فلا دنيا إلا بالعلوم ولا آخرة إلا بالعلوم . لذلك كثرت الثناء في قول يوسف وكثرت في صلاة المسلم ولامعنى للثناء إلا على نعمة ولا ثناء على نعمة إلا اذا عرفها المثنى فالمسلم الذي يحمد ربه لأنه ربي العالمين والذي يتكلم عن السموات والأرض وما بينهما وعن أعضاء جسمه من سمع وبصر ومخ وعظم الخ هذا المسلم اذا ظن أن تكرار هذه الألفاظ هو الذي يرقيه عند ربه ويقربه منه فانه مخطئ . نعم هذه الألفاظ أنطق بها عباده مع استحضار الخالق فذلك فيه ثواب العبادات وثواب العبادات أشبه بجسم ولكن التحقق من المعنى هو الروح ولا يتحقق المعنى إلا بالدراسة والتأمل والتفكير . الله أكبر جل العلم وجل الدين . اللهم انك أنت الذي أوحيت بدين الاسلام وأنت الذي خلقت أوروبا وأمريكا واليابان والصين والدول المحيطة بنا وأنت الذي أنزلت في القرآن مئات الآيات للبحث على العلوم جميعها ولكني أرى انك أثبت لنا بأمر أعجب أمرتنا بالصلوات فكررناها صباحا ومساء والصلوات فيها ملخص علوم الأمم التي تحيط بنا وفيها ملخص علوم القرآن . يثنى المسلم على ربه بخلق العالم العلوي والعالم السفلي ويثنى عليه بأنه خضع له سمعه وبصره الخ وأنه سجدت له جميع الأعضاء التي للحس والتي للحركة . كل ذلك يقوله المسلم في صلاته والمسلم غافل لا يقرأ تلك العلوم . تلك العلوم التي ملأت أوروبا وأمريكا واليابان والصين وهي التي يكرررها في صلواته صباحا ومساء ويكرررها في القرآن والله يقول - أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها - ومن القرآن ما يقرأ في الصلاة . اللهم إن الصلاة عبادة والعبادة روحها الفكر والفكر في الصلاة يهدي الى العلم وكيف يكون حمد المسلم وثناءه على ربه مجديا حيا إلا اذا هداه لدراسة مصنوعاته وجمال خلقه في هذه الدنيا . إذن يكون حظه مستندا الى حقائق علمية ومشاهد طبيعية جميلة والى بدائع هذا الوجود الذي درسته الأمم حولنا ونحن ساهون لاهون . فبالت شعري هل يظن المسلم أن كلمات يكرررها صباحا ومساء بلا عقل ولا هدى ترفعه في الدنيا والآخرة . اللهم إن ما حل بالمسلمين اليوم هو عين ما جاء في قوله تعالى - فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون - فالمسلمون اليوم يصلون وهم عن صلاتهم ساهون . سهوا عن الصلاة فلم يتدبروها ولو تدبروها لأدركوا أن الثناء على الله بلا علم بما في العوالم العلوية والسفلية من العلوم كلا ثناء . فالويل اليوم حل بالمجموع الاسلامي لجهالة بما تفيد الصلاة من تضمنها دراسة العلوم جميعها . وليس معنى هذا أن كل امرئ يعرف جميع العلوم فهذا مستحيل بل القصد أن تكون العلوم العامة في الأمة بحيث يدرس كل امرئ ما يدر عليه فالامة يعرفون ظواهر العجائب بالتعليم الأولى وبعد ذلك تكون درجات العلماء . هذا ما عن لي في هذا المقام والحمد لله رب العالمين

( الجوهرة الثالثة في نفس هذه الآية وهي - رب قد آتيتني الخ - وذلك بهجة العلم وبرد اليقين )



ما أعجب الحكمة والعلم وأبهجهما . أنظر الى أوائل سورة يوسف وأواخرها . الأول هو الآخر . فيها ما يشبه ردّ الحجز على الصدر عند علماء البديع . أول ما خطر ليوسف في حياته وقت النوم اشراق الشمس والقمر والكواكب وقد أول ذلك بما يناسب هذه الدار من الأنساب الانسانية . فأما في الحياة الأخرى فقد ضرب القمر والشمس مثلين لله عز وجل . انظر في حديث الرؤية المذكور في سورة الأنفال إذ جاء فيه أن الله يرى كالشمس ليس دونها سحاب في حديث أبي داود وأنه يرى كالقمر في حديث أبي رزين . الشمس أشرقت والقمر ليوسف في أول حياته مناما . فلما أن ختم الحياة خاطب الله قائلا يا فاطر السموات والأرض فذكر السموات والسموات موضع اشراق الشمس والقمر والكواكب المذكرات بالله كما كان شمسها وقرها مذكرا بالوالدين في أول الحياة . في الحديث ﴿ اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي ﴾ وهذه الذكرى هي التي يقولها المسلم في كل صلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا وما أنا من المشركين - يقول الله تعالى لنبيه ﷺ - فبهداهم اقتده - فنحن من باب أولى فكان ﷺ يقوم في آخر الليل ويقرأ الآيات من آخر سورة آل عمران وهي قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض الخ -

إن المسلم في هذه الحياة الدنيا مأمور أن يتجه قلبه لله ولكن الله لا يرى له هنا فكيف يتجه لمن لا يراه إنما يتجه الانسان لمن يحبه والمحبوب في الدنيا يرى والله لا يرى في الدنيا فتوجهت العناية الى صفاته وصفاته تعرف بأثامه وآثامه أجالها المشرقات العلوية لهذا قال يوسف يا فاطر السموات والأرض وقال المسلم - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيئا الخ -

إن ذلك داع حثيث لمعرفة العلوم كلها . السموات اجالا والأرض اجالا لا يهيجان القلوب الى خالقهما وإنما التفصيل بالحكمة والعلم هما الشائقان لبدءهما . إن ذكر السموات والأرض على لسان المسلم في كل صلاة على طريق العبادة فتح لباب العلم . الله أكبر العبادة في الاسلام دروس علمية جهلها أكثر المسلمين ﴿ الله والشمس ﴾

جلّ الله صانع الشمس . اذا كان الله عز وجل لانراه فقد فتح حديث الرؤية لنا باب المثال إذ مثل بالشمس ومثل بالقمر . الشمس تصبح كل يوم ولديها خزان النور فتثريها على سياراتها وأرضها والأقمار الدوائر حول تلك السيارات ولا يحظى بذلك النور إلا ما يقابل وجهها . أما الذي لا يقابل من الأرض ومن السيارات ومن الأقمار ومن المذنبات فليس له حظ من النور بل هو في ظلام حالك . النور الذي تنشره الشمس على هذه السيارات وعلى توابعها يجري في فضاء شاسع وما هو إلا حركات في عالم الأثير لا اشراق لها بل هو ظلمات . إن الجو الذي بين أرضنا وبين الشمس البالغ بسير قلة المدفع (١٢) سنة وبسير القطار البخاري (٣٦٥) سنة تقريبا مظلم كله فالنور الذي قذفته الشمس لا يرى في تلك المسافة وما هو هناك إلا حركات في ظلمات حالكات وتلك الحركات تنقلب على الأرض فجأة نورا ساطعا مشرقا هكذا الله عز وجل يرسل الادراك والغرائز والمواهب العقلية من عالم قدسه ومهابط وحيه لا يحجب عنها أحدا فهو دائما وهاب لذلك القوى السامية كما أن الشمس وهابة للنور دائما . فكما أن الشمس لا يحظى بنورها إلا ما توجه لوجهها من المخلوقات الأرضية مثلا . هكذا لا يحظى بالسكّال الادراك من هذه العوالم الحية من حيوان وانسان أحد إلا على مقدار استعداده . الله بذر في العوالم بذور الادراك وبنها فيها فليس بمانع عطاءه عن أحد كما أن الشمس أرسلت أضواءها لم تحجب عنها أحدا من توابعها فأخذ كل حيوان منه على مقدار طاقته فنظم النمل جمهوريته والنحل مملكة قفيره والغربان جمهوريتها وهكذا كل حيوان . هكذا الانسان قبل من ذلك النور العقلي على مقدار ما استعدّ له فلم يتنزل الى درجات البهائم ولم يتعال حتى يدبر العوالم العلوية والسفلية بل أخذ على مقدار استعداده . الله ضرب بفعله الشمس مثلا لنوره وبهذا المثل أدركنا أن عطاءه دائم وذلك من

دوام اشراق نور الشمس وكما أن اظلام ناحية من نواحي الأرض والقمر والسيارات لم يكن من نفس الشمس وانما كان من انحراف تلك الناحية عن وجه الشمس . هكذا نقول هنا ليس حجب العلم والحكمة عن المعادن وعن النبات وعن الحيوان لامسك وبخل من الله بل ذلك لعدم استعداد هذه المخلوقات لتلك النعم فلم يمنع النمل عن علم الأنبياء ولا الأسد عن عمل خلايا النحل ولا النمل عن بناء القصور الانسانية إلا أن ذلك ليس من مصلحتها في شئ والمصالح تابعة للاستعداد كما كان من منافع الأرض أن تظلم أوجها تارة وتضيء أخرى ولو دام أحدهما لهلك من عليها . فقول المسلم وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ليس يراد به الوجه الجسمي لأن الله ليس بجسم وانما التوجه الجسمي يصح في توجه الأرض والسيارات والأقمار للشمس فهذه اذا توجهت نحوها استضاءت بنورها . إذن هذا التوجه روحي عقلي فالتوجه في كل شئ بحسبه في الأجسام الجسمي وفي الأرواح روحي والتوجه الروحي يحصر الفكر وحصر الفكر له مقدمات ومقويات فالركوع والسجود والقراءة وما أشبه ذلك كلها مساعدات على ذلك التوجه والتفكير في ملكوت السموات والأرض الذي كان عليه السلام يفعل في سحر كل ليلة إذ يقوم ويقرأ آية - إن في خلق السموات والأرض من أهم أسباب التوجه لله ونحن الذين لسنا أنبياء لا تكفينا تلك النظرة في السحر بل علينا دراسة العلوم كلها في السموات والأرض على سبيل فرض الكفاية من جهة وهكذا يدرس كل مسلم من تلك العلوم متى كان قادرا عليها كل ما يزيد شكرا لله ومعرفة لقوله تعالى - وقل رب زدني علما - واقوله تعالى أيضا - واشكروا لي ولا تكفرون - ويوضح ذلك قوله هنا بعد آيات - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - فهذه الآية تعرفنا معنى - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا - فليس توجيه وجهنا لله من حيث نفس ذاته لأنه ليس في طاقتنا بل ذلك للنظر في آياته التي وبخنا على اعراضنا عنها في هذا المقام فيوسف توجه لله بآياته في السموات والأرض ورسول الله توجه له بذلك وهكذا المسلم . إذن الصلاة في الاسلام مفتاح العلوم لهذا تأخر المسلمون عن الأمم لأنهم لم يفهموا صلاتهم يصلون وأكثرهم لا يعقلون ما يقولون . يتوجه المسلم في الصلاة ويقول - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وهو في الوقت نفسه معرض عن السموات والأرض والله تعالى يوبخه قائلا - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون -

### ﴿ خطاب للمسلمين ﴾

أيها المسلمون . هل يعجبكم هذا . هل يعجبكم أنكم عشتم قرونا وقرونا وأنتم تصلون وتقولون باللفظ انكم وجهتم وجوهكم للذي فطر السموات والأرض وفي الوقت نفسه يقال لأكثرنا انكم معرضون عن الآيات في السموات والأرض . اللهم اليك المشتكى . دين تكون صلاته مذكرة بجميع العلوم بل فيها مفاتيحها ومافاتيحها إلا عجائب السموات والأرض التي اندجت في سورة الحمد إذ الحمد على النعم والنعم هي جميع هذه العوالم فكيف يكون تابعوه أجهل الأمم بعالمه المذكورة في سورة الفاتحة . ولما علم الله أن الناس ربما لا يفتنون لهذه العلوم من سورة الحمد أنزل على نبيه عليه السلام وأوحى اليه أن يقرأ - وجهت وجهي للح - في أول كل صلاة وأنزل في هذه السورة أن يوسف قال - فاطر السموات والأرض - وأتبعه بما يشبه التفسير له إذ ذم القوم الذين أعرضوا عن الآيات التي في السموات والأرض فكأنه بهذا يبين قول يوسف - فاطر السموات والأرض - وأنه ليس مغرضا عنهما فهو مقبل عليهما وبهما يتوجه لله فإذا قال المسلم - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - ثم هو في الحال معرض عن الآيات في السموات والأرض (وبعبارة أخرى) يجهل هذه العوالم التي تعيش فيها فهذا هو باب غضب الله عز وجل عليه لأنه صار كاذبا في قوله فهو يقول انه وجهه لفاطر السموات والأرض ولا معنى لهذا التوجه إلا بالاقبال على الآيات فيهما وهو لم يقبل . إذن



نحن في هذا كالكاذبين أو كالساحرين وان كنا لا نقصد لذلك تأخر الماسمون وانخطوا وتقهقروا لأنهم أعرضوا عن الآيات في السموات والأرض فكأنهم استهزؤا بآيات الله لأعراضهم عنها ولأنهم اتجهوا لفظا ولم يتجهوا فعلا بالعلم . هذا هو الذي فتح الله به في هذا المقام ولعل هذا من أسباب أن هذه السورة أحسن القصص ذلك لأنها أبانت حال المسلمين الآن إذ تبين أن السورة بأكملها رجعت إلى اشراق المشرقات في منام يوسف وانتهى ذلك بصدق الرؤيا ثم انتقل الأمر إلى التوجه لله بالنظر في آياته المشرقات في السموات والأرض والمسلم هكذا توجهه كما توجه الصديق وتبع ذلك ذم المعرضين عن آيات السموات والأرض والمسلم اليوم اتجه لفظا في الصلاة ولم يتجه عقلا فخرم من ميراث الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض فأرسل الله عليه الأمم فأذلت . المسلم اليوم جاهل والله يعاقبه في الدنيا بتألب الأمم عليه . وها هو ذا الآن أخذ يقبل على العلوم جميعها وهذا التفسير من مقدمات تلك النهضة وسيرقى الماسمون قريبا - ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز -

﴿ تذكرة بهية في الخليل عليه السلام وقوله - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات الخ - ﴾  
لقد تبين لك أن توجه يوسف للذي فطر السموات والأرض الخ موافق لتوجه المسلم في صلاته كذلك وأزيد الآن أنه قد تقدم في سورة الأنعام قول الله تعالى - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين - هنالك أخذ الخليل يدرس النجم والقمر والشمس ولما أتم ذلك قال - إني وجهت وجهي الخ - أليس ذلك معناه أن اليقين إنما يكون برؤية ملكوت السموات والأرض . أولست ترى أنه لا يمكن رؤية ملكوت السموات والأرض إلا بدراسة العلوم في هذه الأرض التي نسكنها ولذلك الإشارة بدراسة الخليل هذه الكواكب . أولست ترى أن الخليل عليه السلام لم يقل - إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض إلا بعد دراسة ملكوت السموات والأرض بحسب طريقته

ههنا تبين لك أيها الذكي أن ما ذكرته في هذا المقام استنتاجا جاء في قصة الخليل صريحا فانه نظر فأيقن فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض وبهذا توقن أن قول المسلم - إني وجهت وجهي الخ - لا يتم له إذا كان قادرا على التعلم إلا بدراسة هذه الدنيا التي نعيش فيها فبهذا يكون المسلم متوجها لربه لأنه درس السموات والأرض فأما التوجه اللفظي فهو قليل الجدوى عديم الفائدة . هذه هي المسألة التي تخطئها الأمم الإسلامية فمهدت قرائمها فبارت تجارتها وضلت طريقها وكانت غالبا من الغافلين . ولما كان هذا المقام من أهم مافي القرآن ورد بعد ذلك في الأنعام ما يؤيد ذلك مثل (١) قول إبراهيم - أحتاجوني في الله وقد هدان - ومثل (٢) - نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم - (٣) وفي آية أخرى - يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات - فهذه الدرجات المذكورة هنا كالتطبيق على ذكر درجات أولى العلم لأن الخليل علم نظام الكواكب والشمس فارتقى ومثل (٤) أنه ذكر ذرية الخليل وهم الأنبياء وختم المقال بقوله - أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده - ولم يحج في القرآن جملة بهذا النص إلا في هذا المقام للإشارة إلى أن الايقان وقراءة علوم هذه الدنيا وعلوم الفلك وغيرها ذات مقام سام ومنزلة رفيعة فلذلك أمره بالاقتداء بالأنبياء من ذرية إبراهيم وبأيهم إبراهيم . بهذا تفهم أن قول المسلم في الصلاة - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض الخ - لا يكون تاما إلا بعلمه بهذا النظام الذي نعيش فيه كما فعل الخليل نظرفد رس فتوجه والحمد لله رب العالمين انتهى

﴿ الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء - ﴾

اعلم أن لطف الله عز وجل سار في كل مخلوق ولكن الاجال شيء والتفصيل شيء آخر . ان معرفة هذا اجالا لا تفيد فالناس يحيط بهم اللطف ولكنهم لا يفتنون والتفتن لبعض المخلوقات يفتح بابا واسعا للناس واني

مورد لك الآن بعض ما سقرؤه في سورة النحل عند قوله تعالى - وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها - فسترى هناك أن اللؤلؤ (ثلاثة أنواع) طبيعي ومولد وصناعي فلا أطيل الآن في بيان هذا لأنك ستقرؤه هناك وأنا أذكر لك كيف ظهر لطف الله في هذا . ذلك أولا أن الجير والفحم انما هما مادتان حقيرتان معروفتان ولكن حسن الوضع وجمال الصنع هما اللذان جعلنا هذا المنبؤ المحفور جوهره بديعة فان اللؤلؤة انما هي كربونات الجير فالجير معروف والكربون هو مادة خميرة والمادة الفحمية منها وقودنا وسير قطرنا وادارة آلاتنا للطحن والخبز وبقية أنواع الحياة ومنها دهنا ودهن الحيوان . فانظر كيف ظهر لطف الله بحسن الصنعة حتى صار الفحم تارة دهنا وأخرى نورا في شوارع القاهرة مثلا وأخرى أنواعا من الصباغة وآونة يظهر بهيئة جميلة في أجساد الغادات الحسان . إن هذا العالم الذي نعيش فيه يرجع أوله وآخره الى اللطف وحسن الصنعة والتفنن وهذا هو السحر الخلال

أنظر الى هذا اللطف في اللؤلؤ الطبيعي واللطف في اللؤلؤ الصناعي الذي ستقرؤه في سورة النحل أيضا فسترى هناك أن مادة لماعة خلقها الله على جرم السمك لأجل أن يكون نورها الفضي المنعكس من فوق بطن السمكة مغشيا على أعين أعدائها فيكون ذاك وقاية للسمكة . فانظر كيف عرف رجل فرنسي هذه الخاصية فاستخرجها من فوق جلد السمكة وطلابها الزجاج فصار ذلك الزجاج أشبه باللؤلؤ الطبيعي . ذلك كله باللطف وحسن الصنعة . فالتة أعادى السمكة في البحر هذه المادة لتحفظها من أعدائها بقوة شعاعها والانسان استعملها لتكون بهجة وجمالا للغادات الحسان . هذا من معنى قوله - إن ربي لطيف لما يشاء - فقد ظهر لطفه في الفحم المتنوع استعماله وفي هذه المادة السمكية التي تحفظ السمكة من عدوها وتجلب للغادات الحسان من يعشقها فتلد منه البنين والبنات حفظا وبقاء لنوع الانسان . ها أنت ذاريت بعض لطف الله في اللؤلؤ فانظر في سورة يوسف التي نحن بصدد الكلام عليها فانك تجد اللطف فيها كاللطف في خاق اللؤلؤ وهاك البيان

ألم تر أنه اشتق من بلوى يوسف وذل به حسد اخوته ورميهم له في غيايات الحب نعمته وعزه بادارة ملك مصر ولولا هذه البلوى وهذا الذل لم ينل هذا المجد والشرف . واشتق من سجنه سبع سنين قر به من الملك وتمام النعمة بالملك . أليس ذلك هو عين ما رأيت في اللؤلؤة الطبيعية فان الجير والكربون أى الفحم مادتان حقيرتان فهما في حقارتهمما أشبه بما أحاط بيوسف من حسد اخوته ورميه ثم سجن العزيلة ثم اشتق من ذلك الذل عزه بالملك كما اشتق من هاتين المادتين الجمال والبهاء وغلو الثمن والمجد في اللؤلؤ . فكما ظهر لطف الله في قصة يوسف ظهر لطفه في جميع المخلوقات الطبيعية فكما انما ترجع الى اللطف فهذا فتح باب لفهم معنى قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء -

واعلم أن اللطف محبوب عند عقول النوع الانساني فترى الجاهل والعالم كلاهما مغرم بأدراك أسرار اللطف ولذلك ترى الجهال والمتوسطين من هذا النوع الانساني جميعا مغرمين بقراءة الروايات التي يخترعها الناس لما يرون فيها من حسن التلطف والتحيل وادخال العجائب في وقائعها . ذلك لأن هؤلاء يعجزون عن ادراك اللطف في الطبيعة التي يعيشون فيها فلذلك يلجئون الى ما يتخيله الناس في الروايات حتى يعرفوا شيئا من اللطف الذي جبلوا على حبه وهم لا يشعرون

واعلم أن الأرواح الانسانية انما هي لطائف نورية سماوية فلذلك تهش وتفرح بتلك العجائب اللطيفة و بينها وبين خالق هذا العالم صلة وان كانت محجوبة عن تلك الصلة . والدليل على ذلك أن الانسان متى سمع قولاً أو تكلم هو دخلت معاني ذلك الكلام بهيئة صور ترسم في النفس فيشعر الانسان بتلك الصور ولا يعرف كيف رسمت ولا من أين جاءت . فاذا سمع لفظ شمس أو قر أو شجر أو أسماء أو أراضى رسمت



الصور حالا في نفس الانسان فكأننا نحن في هذه الأرض عالم كبير . فاذا كان الله يخلق بحيث اذا قال له كن كان أى حصل ووجد فعلا بحيث نراه ونلمسه ونعقله فهكذا أرواحنا التي هي في أصل نشأتها من نور إلهي لها قدرة عظيمة جدا وان كنا لانشعر بتلك القدرة المستمدة من موجد نورنا الممد لنا وهو الله سبحانه وتعالى فاذا سمعنا قولاً أو تكلمنا به رأينا نفوسنا قد أظهرته في ألواحها . إذن نحن مملكة واسعة الأطراف وكل روح من أرواحنا توجد بأسرع من لمح البصر عوالم وعوالم في خيالنا ونحن لانفهم هذا السر بل نحقره ونقول إنه خيال . نعم هو خيال ولكن هذا الخيال أمر عجيب . إن هذا الخيال وسرعته ونقش الصور التي لانهاية لها في أدمغتنا كل ذلك من لطف الله المذكور في هذه الآية - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - فهو لطيف وعلیم وحكيم ومن لطفه وعلمه وحكمته أن فطرنا جميعا على هيئة متجانسة من حيث اننا نرسم في نفوسنا صورا سريعة ثم نرسم أخرى وأخرى وهذا هو عين ما نشاهد في هذا العالم فهو صور تتلوها صور وهكذا الى الأبد ونفوسنا نقرأ فيها فترى فيها نفس هذا العالم المشاهد كله ونحن نمحوه ثم نجده ونمحوه ثم نجده مشاكلة لما يفعله الله تعالى كأن هذا رمز الى أن هناك بينكم وبين صانع هذا العالم صلة خفية والفرق بين قدرتك وقدرته كالفرق بين عوالم الخيال وعوالم الحقيقة فالعوالم التي نعيش فيها حقيقية والعوالم التي في خيالنا مجازية فتكون النسبة أشبه بنسبة الوجود الى ما يشبه العدم وهذا هو المذكور في قصة الخضر وموسى عليهما السلام إذ قال الخضر ما معناه ﴿ ما علمى وعلمك وعلم الخلاق في جانب علم الله إلا كمقدار ما أخذ هذا الطائر من ماء البحر ﴾ . واذا كنا نرى ربنا يوم القيامة فبدأ الرؤية موجود في الدنيا وهو الاستعداد العظيم الكامن في نفوسنا فهي بهذه القدرة العجيبة الخيالية قادرة أن تسرع في التعلم والتعقل حتى يقوى علمها فتخلق لها في الآخرة أعين روحية بها تعين الله وهذا كله من قوله تعالى - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - فقد ظهر لطفه في المادّة فاستخرج من موتها حياة للانسان وعاما حتى صار كأنه عالم يشبه العالم الكبير وهو يوما سيري ربه وهذا أعجب اللطف فهو لطف أجل وأبدع من لطف الله في اللؤلؤ الطبيعي واللؤلؤ الصناعي لأن ذلك لطف في المحسوسات استخرجه من الفحم ومن الجير ومن مواد أخرى . ولكن اللطف في استخراج العقول الكامنة التي تستخرج من بواطنها عوالم مثل هذا العالم الذي نعيش فيه . فهذا لطف أعجب وأكمل وأجل . ذلك كله من قوله تعالى - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -

### ﴿ جوهرة السورة كلها ﴾

أيها الذكي ها أنت اذا قرأت سورة يوسف وعرفت تفسيرها ولكن لم يكن فيها من العناية بمجائب الكون ما كان فيما قبلها من السور . لقد ازدانت السور السابقة بجواهر الكون ودرر النظام وجمال العالم ومحاسن الطبيعة وبهجة الدنيا وزخرف النبات وسعادة الحيوان برحة ربه . أما هذه السورة فلم يكن فيها حظ من ذلك اللهم إلا ما استنتج من جمال يوسف والبحث في جمال الوجوه وجمال الثغرات وجمال الشعر وجمال الفلك ودقة حسابه . فاذا خطر ببالك ما ذكر فيها أناذا سألقى عليك قولاً يبين اجال ما فيها . ثم أردفه بالجوهرة التي أضأت فيها فكانت زينة تاجها وقرة لعين قارئها وبهجة للفكرين فقامت مقام الآيات الطوال في السور الأخرى وجعت من المجائب أعلاها ومن المحاسن أبهاها في هذه الكائنات فهذا أنا ذا أتلو عليك ما وعدت وأقص عليك ما قدمت فأقول

### ﴿ سياسة النفس ﴾

لقد عرفت من قصص يوسف أحسن القصص وآثاره وعالم الرؤيا والعبارة والحسد وأخباره والعشق والجمال والعفة والكمال وكيد الغايات وعدم الغيرة في البيوتات وذلك في علم الحكمة هو تهذيب الشخص المسمى بسياسة النفس

## ﴿ سياسة المنزل ﴾

ثم إن آدابه مع أصحاب السجن وصدق قوله وما أسدى إليهم من النصائح وأورد لهم من الدرر الغوالي في الدين وما بدا لهم من كماله وبهجة جلاله وفصيح مقاله واعلامهم بما يأكلون وتفسير ما كانوا يرون في المنام . كل ذلك أشبه بعلم تدير المنزل ونظامه

## ﴿ سياسة المدينة ﴾

ثم إن حسن سيرته مع الرعية ألزمت الملك بالاقبال عليه وتسليم مقاليد الامور اليه وأصبح الجميع له لا عليه فلقد شهدن له بعد أن تناهين في ضلال القيل والقال ونظم السواوين وأراح الرعية ودبر الامور وأفرح الجمهور فرضى الله عليه وأرسل اخوته وأبويه اليه وخروا له ساجدين وارتد بصرأبيه اليه . كل ذلك لتحقيق رؤياه

## ﴿ خاتمة القصة ﴾

ثم إنه نظر نظرة الى العالم الأعلى وخطب ربه ناظرا في أرضه وسمواته قائلا ﴿ فاطر السموات والأرض أمتنى على الاسلام وألحقنى بأولى الفضل الأنبياء الأعلام ﴾ هذا ملخص قصص يوسف أمليته عليك اجالا بعد أن ذكرته تفصيلا

## ﴿ المقصود من هذه القصة ﴾

ههنا أخذ يخاطب نبينا ﷺ وهذا هو بيت القصيد فقال له إنك لم تحضر يوسف وأباه ولم تدرس ما ذكرناه فأنت وقومك نشأتم أميين فالعلم عنكم عازب والدين من داركم نازح فكيف يلقى هذا إلا ما أوحيناه أو يفصله إلا ما بيناه . وههنا أن أن أريك الجوهرة النفيسة تلك هي قوله تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - فكان أن الله يقول أيها الناس ها هوذا نبيّ قصّ عليكم أحسن القصص فإذا لم تعملوا بنصائحها العالية ودرره الثمينة وعجائبه البديعة فليس ذلك بدعا منكم ولا خارجا عن مألوفكم فإن في السموات والأرض التي تشاهدونهما من العجائب ما تحرّ له العقلاء سجدا وأنتم عنها غافلون فلا بدع إذا لم تعبروا قصصا من قصص أنبيائي الذين هم كزهرات في بستان الأرض ومن جهل جمال النجوم وبهجة الشمس والقمر فما أحراه أن يجهل بعض ما في هذا العلم كالقصص الذي أنزلناه . فهذه الجوهرة في السورة جمعت كل يابسة وخضراء وناطقة وبكاء من عجائب الأرض والسماء . وهأنذا الآن لا أدري أأكتب كل علم وكل فن وكل نجم وكل شمس وكل قر أم أدع الكتابة جانبا في هذه الآية . فأما القسم الأوّل فهو محال لأن هذا العالم كله عجائب وعلم العلماء والأنبياء لا يحصيه وانما يحصيه مبدعه وخالقه وهو الحكيم العليم

## ﴿ علم الذرة ﴾

ولأذكر لك الكلام على الذرة فإن ذرة واحدة من ذرات هذا الكون حار فيها العلماء والحكماء وتاهت عقولهم ولم يصلوا لمنتهى العلم فيها فكيف بالعالم كله . ألم تر الى ما حققه العلامة (لوبون) فيها وهو أن كل مادة تتحوّل الى قوّة والقوّة تتنوّع الى ضوء وحرارة وحركة وهي وتنوّعاتها ترجع الى الأثير فأصبح الرأي الحديث أن المادة تنفى ولا يكون لها وزن ومتى صارت قوّة أمكن أن تصير أثيرا وهذا أمر فرضت العقول وجوده تسبح فيه جميع الكائنات ويقول إن الذرة الواحدة العلمية (التي لا نستطيع رؤيتها ولا وزنها إلا بطريق المباحث العلمية الاستنتاجية) تنحل انحلالا بطيئا ويزيد انحلالها تسليط النور والحرارة أو الضوء عليها دهورا ودهورا حينئذ تنفى وأسرع المواد الى الانحلال (الراديوم) فإن جزءا من ألف جزء من جرام (الراديوم) يبقى دهرا وهو يشع ملايين وملايين من تلك الذرات الى أن تتلاشى مادته أخيرا أى تتحوّل الى قوّة وهذا الانحلال والتحوّل لا يمكن إلا بقوّة عظيمة جدا فإن هذه الذرات تقذفها أجزاءها المنحلة المنحوّلة



الى نور سرعته (٢٠٠.٠٠٠) كيلومتر في الثانية فاذن هي مستودع قوة مدهشة وهي أشد القوى المعروفة اليوم ولو أمكن العلماء تحليل المادة لنالوا قوة خارقة للعادة فلوانحلّ جرام من الحديد بحيث ينحلّ في ثانية واحدة لوجدوا أن هذا الجرام يتحوّل الى قوة تعادل ستة آلاف وثمانمائة مليون حصان وهذا المقدار كاف لأن يجرّ قطارا حديديا حول الكرة الأرضية أربع مرات وقرر العلامة المذكور أن الكهرباء والحرارة والنور ماهي إلا انحلال للمادة فهني تتحوّل الى تلك الأعراض . فاضوء الشمس ولا كهرباء البطاريات ولا حرارة النار إلا أعراض قد تحوّل الجسم اليها . فما المادة إلا قوة متكاثفة والأثير تكاثف في الأزمان الغابرة فصار مادة كما تتكاثف المواد الدخانية (الغازية) والعلم الآن يريد أن ينال استخدام القوة التي في المادة فانها لاحد لها متى انحلت ومتى نلناها كانت للناس سعادة لا آخر لها . واذا كان (الروديوم) يشع فهكذا جميع المواد ستصير شعاعا ولكنه هو أسرع منها وما المسك ورائحته العبقّة الذكية إلا كالروديوم ينحل الى ماهو ألطف فيصير رائحة وهذه تنحلّ الى ماهو ألطف فتصير ضوئا والضوء يرجع الى الأثير والأثير هو الأصل الذي فرضوه أرق من الهواء ومن الحرارة ومن الضوء \* هذا هو المبحث الذي يدور فيه بحث العلماء الآن فاذا كان الجرام الواحد وذراته في الأرض وفي السماء قد حوى كل هذه العجائب والقوى وانحلّ فصار حركات وحرارات وأضواء أغنى أم الأرض بأسرها وتحمل أثقلم وتوسع ثرواتهم فكيف يتسنى للناس ان يعرفوا جميع العجائب وأنى لهم ذلك فاذا قال الله هنا - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها الخ - فان المباحث في العجائب لا آخر لها ولا قوة للخلق على استقصائها . وخير ما أقوله في هذا المقام قوله تعالى - ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم - فهذا هو التعبير العام في أمر العجائب ولا مطلق في استقصائه . هذا ما ينبغي في هذا المقام

﴿ بيان تقصير المسلمين في هذه السورة ﴾

أفليست هذه الآية ناطقة بأن آيات السموات والأرض التي لا تنهاى والعجائب التي لاحصر لها من آيات الله جاء في أول السورة - تلك آيات الكتاب - وفي آخرها آيات الأرض والسموات وقد ذمّ الله المعرضين عن الآيتين فاذا حللنا الآيات في سورة يوسف وعرفنا معانيها وحللنا ألفاظها واستفدنا فوائدها فبالأحرى نحلل آيات الأرض والسموات ونستجلي فوائدها ونستخرج حكمها . هذا هو الذي جاء له القرآن فبأي حق يقتصر المسلمون على جزء من (٣٦) من القرآن وهي الآيات المختصة بعلم الفقه ويذرون بقية القرآن كقصص الأنبياء وعجائب الكون والأخلاق فلا يؤلفون فيها استنتاجا وتعلّما كما ألفوا في كتب الفقه وكيف يتركون بقية آيات الله التي هي آيات الأرض والسموات . أفليس هذا هو القرآن . أفليس هذا كلام الله والله هو الذي خلق السموات والأرض وأنزل القرآن وطلب في سورة يوسف قراءة آيات السموات والأرض فبأي حق ساغ للمسلمين أن يناموا ويسبقهم الفرنجة الى آيات الله - إن الله لا يغير ما بقوم - من النلة والانتكاس - حتى يغيروا ما بأنفسهم - من الوسواس والوقوف عند الحواس . إن هذه الآية الكريمة بيت القصيد في سورة يوسف ومحك العقول ومهبط الحكمة . فاذا قال يوسف بعد أن حظى بما كان يتمناه يافاطر السموات والأرض ملتجئا اليه مشيرا الى منهج الانبياء والعلماء من المقصد العلوى والمنهج الحكيمى في العلم ومعرفة حقائق الكون وأن ذلك هو نهاية المطالب وحقيقة الحقائق . فقد خاطب الله نبينا ووضح له الامر ايضا وشرحه شرحا واضحا فندم قوما أعرضوا عما ذرأ في الأرض والسموات . والحق أن كل قصص وكل علم فانما هي مقدمات للمقاصد العليا من علوم العوالم العلوية والسفلية والله يهدي من يشاء . تم تفسير سورة يوسف عليه السلام

﴿ سورة الرعد هي مدنية وقيل مكية الا قوله تعالى - ويقول الذين كفروا الآية - ﴾  
( وهي خمس وأربعون آية )

هذه السورة قسمان ﴿ القسم الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - كذلك يضرب الله الأمثال - في العلوم الطبيعية وعلم التوحيد  
﴿ القسم الثاني ﴾ في الأخلاق والثواب والعقاب من قوله تعالى - للذين استجابوا لربهم الحسنى - الى آخر السورة

### ﴿ الْقِسْمُ الْأَوَّلُ ﴾

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

المر \* تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ \* اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ \* وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ \* وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَبَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضْلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ \* وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ إِذَا كُنَّا ثُرَابًا إِنْآ لَنُنْفِخُنَّ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ \* وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ \* اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ \* عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ \* سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ \* لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ \* هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا



وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ \* وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِجَالِ \* لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفِيٍّ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ \* وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ \* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ \* أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ \*

في هذا القسم علم الشمس والقمر والأرض والجبال والأنهار والأشجار والأزهار والنخيل والأعشاب واختلاف الثمرات وتنوع الحاصلات مع اتفاق العناصر والأنوار والهواء والماء وعلم الأجنة في البطون واختصاصها بعلمه المكنون واستواء السر والعلن عند الله ونظام البرق والسحاب والرعد في الجو وسجود العالم لله طوعا وكرها وظلالهم غدوا وعشيا وكيف كان الحق يخفي أمدا طويلا ويغشيه الباطل ويحجبه عن الناظرين ثم يتجلى سناء ويظهر في الخافقين منفعته وذلك كما في المطر اذا سقى الأرض فامتلاء الوادي به امتلاء وغطاه الزبد ثم زال الغطاء وبقى الماء فكان للزرع نماء ولصاحبه ثراء هكذا كان العلم والدين

﴿ تفسير الكلمات تفسيراً لفظياً ﴾

قال تعالى (عمد) أساطين (ترونها) صفة عمد (ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر الخ) تقدم بإيضاح في سورة هود وسورة يونس فالله استولى على ملكه ونفذ فيه أمره (رواسي) جبالات ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جع راسية (وأنهارا) جعات بعدها لأنها منها تنشأ (زوجين اثنين) جعل فيها من كل أصناف الثمرات زوجين اثنين ذكر وأنثى في أزهارها عند تكوونها فقد أظهر الكشف الحديث أن كل شجر وزرع لا يتولد ثمرة وحده إلا من بين اثنين ذكر وأنثى فعوض الذكر قد يكون مع عضو الأنثى في شجرة واحدة كأغلب الأشجار وقد يكون عوض الذكر في شجرة والآخر في شجرة أخرى كالخل وما كان العضوان فيه في شجرة واحدة إما أن يكونا معا في زهرة واحدة وأما أن يكون كل منهما في زهرة وحده . والثاني كالقرع والأول كشجر القطن فإن عضو الذكر مع عضو الأنثى في زهرة واحدة وسيأتي تفصيل هذا المقام في سورة الحجر (يغشى الليل النهار) يلبس النهار ظلمة الليل فيصير الجوّ مظلماً بعد ما كان مضيئاً فكأنه وضع عليه لباساً من الظلمة (قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع وأخرى لا تصلح وهكذا (صنوان) نخلات أصلها واحد (وغير صنوان) متفرقات مختلفات الأصول

(في الأكل) في الثمر شكلا وقدرًا ورائحة وطعما وخواص (فحجب قولهم) حقيق بأن تتعجب منه (أنذا كنا ترابا الح) بدل من قولهم (وأولئك الأغلال في أعناقهم) مقيدون بالضلالة لا يرجي خلاصهم (بالسيئة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية إذ كان كفار مكة يطلبون العقوبة استهزاء إذ يقولون ﴿اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ (وقد خلت من قبلهم المثلثات) عقوبات الأمم أمثالهم من المكذبين أي وقد مضت من قبلهم في الأمم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم \* والمثلة بفتح الميم وضم الثاء وفتحها نعمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلا ليرتدع به غيره وجمعه مثلثات بفتح الميم وضمها مع الثاء فيهما (لذو مغفرة للناس على ظلمهم) تجاوز عن المشركين منهم إذا آمنوا (لشديد العقاب) للمصرين (لولا أنزل عليه آية من ربه) كعصا موسى وناقة صالح - لولا - أي هلا (منذر) أي ليس عليك إلا الانذار والتخويف والنصح متى ثبت أنك نبي بأي آية فقد كفي وأما اتباع اقتراحهم كأن تفجر لهم من الأرض ينبوعا أو تسقط السماء كسفا فذلك ليس عليك (ولكل قوم هاد) قائد يقودهم إلى الخير جيله الله عليه باستعداده كالأنبياء والحكماء والمجاهدين والصالحين وأنت هاد لهؤلاء . ولما كانت الآيات المقترحات لا تصلح الأمم وفوائدها وقتية وفوائد العوالم كلها ونظامها ودراساتها تورث اليقين أعقبه بآيات نظام الكائنات فقال (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) يعلم الذي تحمله الأنثى أذكر هو أم أنثى وحسن هو أم قبيح وطويل أم قصير وفقير أم غني وشقي أم سعيد (وما تغيض الأرحام وما تزداد) يقال غاض الماء وغضته أي نقص ونقصته وازداد الشيء وازددته . والمعنى ويعلم الذي تنقصه الأرحام وتزداده (١) من عدد الولد فقد يكون واحدا أو اثنين أو ثلاثة أو أربعة (٢) ومن جسده فقد يكون تاما وقد يكون ناقص الخلق وهو المندرج وقد يكون تاما (٣) ومن مدة الحمل فقد تكون أقل من تسعة أشهر وقد تكون أكثر فتكون سنتين وأربعين وخمسا الأول عند أبي حنيفة والثاني عند الشافعي والثالث عند مالك وقد تكون أكثر من ذلك كما ظهر في الكشف الحديث (٤) ومن دم الحيض فإذا حاضت المرأة نقص غذاء الولد لأن الدم هو الذي يغذيه وإذا لم تحض يتم الولد ولا ينقص فقوله تغيض الأرحام وتزداد أي في عدد الولد وفي جسد الولد وفي مدة الحمل وفي دم الحيض زمن الحمل (وكل شيء عنده بمقدار) أي كل شيء في السماء والأرض له وقت معين وحال معينة فلا فرق بين شيء وشيء حتى نقص الولد والجسد ومدة الحمل والدم وتتمام ذلك كله فليس هذا بالمصادفة العمياء بل هو بقدر (الكبير المتعال) العظيم الشأن المستعلي على كل شيء بقدرته (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) طالب للخفاء في مخبأ بالليل وبارز بالنهار يراه كل واحد من سرب سربوا برز أرواذهب في سريره ظاهرا والسرب بوزن النصر الطريق (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) معقبات جماعات يعقب بعضها بعضا من عقبه إذا جاء على عقبه ومنهم الملائكة لأنهم يعقب بعضهم بعضا في حفظه وفي كتابة أقواله وأفعاله فهو لهؤلاء وغيرهم يكونون من جميع جوانبه يحفظونه من المضار ويراقبون أحواله وهؤلاء المعقبات أنفسها من أمر الله لأنها حصلت بكلمة - كن - أو هي تحفظ من أمر الله كالمهلكات والمرضات العاقبة في الكون فهذه من أمر الله فالحفظ منها حفظ من أمر الله وسيأتي إيضاحه (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة والعز والاستقلال (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من العلم والكمال والاخلاص والأخلاق الجميلة (وما لهم من دونه من وال) من دون الله من وال إلى أمرهم فيدفع عنهم السوء وهذا المعنى تقدم الكلام عليه مطولا في سورة الأنفال (هو الذي يرزقكم البرق خوفا وطمعا) البرق لمعان يظهر من خلال السحاب يريه الله لنا للاخافة والاطمئاع فهو يشبه النعم والنقم . نخاف من الصواعق ونخاف من المطر المسافر ومن في جريته أي بيده وفيه الثمر أو الزبيب أو القمح وكذلك نخاف من المطر إذا نزل في غير مكانه أو زمانه (وينشئ السحاب الثقال) أي بالمطر يقال أنشأ الله السحاب فنشأت والسحاب جمع سحابة وهو الغيم المنسحب



في الهواء (و يسبح الرعد بحمده) أى يسبح سامعوه من العباد الراجين للمطر فيصيحون بسبحان الله والحمد لله أى يسبحون ملتبسين بحمد الله أو الرعد نفسه يدل على وحدانية الله وتنزيهه ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته (والملائكة من خيفته) أى الله (ويرسل الصواعق) الصاعقة نار تسقط من السماء (وهم يجادلون في الله) أى الذين كذبوا رسول الله يجادلون في الله وينكرون على النبي وما يصفه به من القدرة على البعث وينكرون الوجدانية باتخاذ الشركاء وذلك بالمغالبة والمنازعة في الخصومات وهذه الجلبة حالية

روى أن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أخا لبيد وفدا على رسول الله ﷺ قاصدين قتله فأخذه عامر بالمجادلة ودار أريد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه رسول الله ﷺ وقال اللهم أكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أريد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات في بيت سلولية • وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وقوله (وهو شديد الحال) أى المماحة والمكايذة لأعدائه • يقال محل فلان بفلان إذا كايده وعرضه للهلاك • ومنه تمحل إذا تكلف في استعمال الحيلة (له دعوة الحق) أى الدعوة المجابة فان من دعاه أجاب أو دعوة الصديق والتوحيد وهي شهادة ألا إله إلا الله (والذين يدعون) أى والأصنام الذين يدعوهـم المشركون (من دونه) أى من دون الله (لا يستجيبون لهم بشئ) لا يجيبونهم بشئ يريدونه من نفع أو دفع ضرر (إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) أى إلا استجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا شعور له ببسط الكفين ولا قبضهما فكيف يجيب دعاءه هكذا أصنامهم يدعونها فلا تجير جوابا (ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) في ضياع لا منفعة فيه فان دعوا الله لم يجبهـم وان دعوا الأصنام لم تستطع اجابتهـم (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها) أى يسجد الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا في الشدة والرخاء والكفرة كرها في حال الشدة كما مر في آيات كقوله تعالى - وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه - وكذلك يسجد جميع ما في السموات والأرض سجود انقياد (وظلالهم) فانها تنقاد تبعا لانقياد الأجسام التي تشرق عليها الشمس فيصرفها الله بالمد والتقليص وسيأتى شرحه (بالغدو والآصال) حال من الظلال اظهر الامتداد والتقليص فيها أكثر في هذين الوقتين والغدو جمع غداة والآصال جمع أصيل والغداة أول النهار والأصيل ما بين العصر والمغرب (قل من رب السموات والأرض) خالفهما ومتولى أمورهما (قل الله قل أفخذتم من دونه أولياء) أى أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه آلهة (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضررا عنها فكيف يستطيعون لغيرهم وقد آثرتموهـم على موجد الأحياء مقدر الآجال والأرزاق وهذا ضلال بين (قل هل يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن أو من لا يبصر شيئا ومن لا يخفى عليه شيء (أم هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا والهمزة للانكار (خلقوا خلقه) أى خلقوا مثل خلقه والجلبة صفة شركاء فهم إذن لم يتخذوا الله شركاء قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه الخالق عليهم) أى فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء أى ليس الأمر كذلك حتى يشبه عليهم الأمر بل إذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الأشياء والشركاء أنفسهم مخلوقون له أيضا فلم يخلقوا شيئا حتى يشبه خلق الله بخلق الشركاء • فالجبة إذن قد لزمت المجادلين (وهو الواحد القهار) المتوحد بالالوهية الغالب على كل شيء (أنزل من السماء ماء) من السحاب مطرا (فسالت أودية) أنهار جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة ثم استعمل في الماء الجاري فيه مجازا (بقدرها) بمتدائها على ما تقتضيه المصلحة (فاحتمل السيل زبدا) الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالجب • وهكذا ما يعلو على النذر عند غليانها • والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زبدا (رايبا) أى عاليا مرتفعا فوق الماء طائيا عليه • هذا مثل أول • المثل الثاني أن الناس يطرحون الذهب والفضة

وسائر الفلزات كالحديد والنحاس والرصاص في الحرارة النارية فيكون منها زبد راب كما أن الماء في الأودية يطفو عليه زبد ويتخذ من الذهب والفضة الحلية ومن الرصاص والحديد والنحاس وما أشبهها متاع وهو ما يتمتع به الناس كالأواني من طبق وقدر وغيرها وما تحرث به الأرض أو يدفع به في الحرب أو غيرها فهذه الفلزات يعلوها زبد وهي تذوب بحرارة النار كما يعلو الماء وهذا قوله تعالى (ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله) فزبد مبتدأ ومما يوقدون خبر (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به (فأما الزبد فيذهب جفاء) أي ضائعا باطلا والجفاء مارجى به الوادي من الزبد إلى جوانبه والجفاء أيضا المتفرق • والمعنى أن الباطل وإن علا في وقت فانه يضمحل ويذهب (وأما ما ينفع الناس) وهو الماء الصافي والجوهر الجيد من الأجسام التي تذوب وهي الفلزات كالذهب والحديد (فيمكث في الأرض) أي يثبت ويبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الأمثال) أي ليوضح بها المشتبهات • انتهى التفسير اللفظي للتسم الأول من السورة

اعلم أن الله لما ذكر في سورة يوسف تلك الدرة القيمة والجوهر البديعة - وكأين من آية في السموات والأرض يبرهن عليها وهم عنها معرضون - وقد ذكرنا هناك أن هذه وأمثالها أهم مقاصد القرآن فلعمري الله أن من عرف هذا الجلال وتغلغل في علم الطبيعة اعتلت نفسه أفق الفضائل وعلا في أفق الجلال واستوى إلى سماء الكمال وارتقى فسكره ونما عقله وعرف ربه ونفسه وأيقن أن الخرافات التي يبتدعها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها لا قيمة لها وأقبل على الله ونبذ البدع فهذه الكائنات كفنا بها لارتقاء عقولنا كان علماء الفلسفة قديما يقولون ليس يعرف الناس ربهم إلا إذا عرفوا علوم الرياضيات والطبيعات حتى إذا أتوها عرفوا ربهم • هكذا القرآن كتاب الله تعالى يكلف المسلمين أن يعرفوا ما في السموات والأرض وألا يغفلوا عنها ابتغاء ارتقاء عقولهم وإكمال صناعاتهم ومتى كملوا عقلا وجسما أدركوا خالقهم وعرفوا ما وراء الطبيعة • فلما كان هذا شأن العلوم الطبيعية وقد أشار لها فيما تقدم قبلا شرع في هذه السورة يفصل بعض تلك المجائب تفصيلا ويأمرنا أن نشرحها شرحا طويلا في هذا التفسير • يقول الله - ثم إن علينا بيانه - وبيان القرآن على أنحاء شتى ومنه ما نحن بصددده وأن الله عز وجل قد خلق وسيخلق أناسا يتكفلون ببيان العلوم الطبيعية لارتقاء العقول أولا ثم معرفة الله • فأما من ظن من المسلمين أنه متى زعم أنه عرف الله جازله أن ينال على المهاد ويظل خائر القوى عديم النفع فأولئك هم الكاسلون النائمون وكثير ما هم • ولقد ضل كثير من الصوفية بهذا القول وهم لا يعلمون أن الله أوجب تروية الجسم وتقوية العقل ومعرفة الله تعالى • فانظر كيف قال في هذه السورة • إني نظمت هذا العالم وفصلته شمساً فدارت ثم دارت ثم دارت فانفصلت من الشمس سيارت ومن السيارات أقمار وكلها دوائر في مدارات وأتم على أرضكم هذه ترون ما فوقكم وهي تلك العوالم المحيطة بكم الملونة بالزرقة الحاملة لتلك الشمس لا تقع عليكم لحفظها في أماكنها بنواميس عامة تسمونها الجاذبية ونحن أعلم بها فنحن نملك السموات والأرض أن نزولا وهذا الذي أحاط بكم وعلا فوقكم من جميع الجهات هو المسمى سماء فلا عمد به رفعتها ولا قائمة بها ثبتناها ولما أتممتها في مداراتها ونظمتها في أفلاكها كان ذلك استيلاء عليها وإقامة لأمرها وتمكنها منها فاستويت على عرشها بالحفظ والتدبير وأقت قسطها بلا تقصير ولها حساب معلوم ونظام مرسوم وقانون مكنون فلا تجرى شمس خارج مدارها ولا أقمار في غير شمسها وجميعها تجري إلى أجل ضربته وموعد أثبته حين تبدل الأرض غير الأرض والسموات غير السموات وتمزق كل ممزق وترجع إلى عالم الهباء ثم يدور عليها الدور وينم لها الأمر وأنظمتها من جديد وأستوى على عرشها في عالم غير عالمكم فأنا أدبر الأمر في العالم العلوي تدبيرا وأفصل الآيات تفصيلا • فلئن دبرت ملكي وأحكمت نظامه وأقت بنيانه لقد بينت ذلك في كتابي



وفصلته في تبيان نظم الملك والملكوت وأوحيت به ورسمته في العقول فالأفلاك منتظمة والعقول بعلمها مرتسمة فلي الخلق في الأول والأمر في الثاني . وإذا كان نظامي قضى أن تعرف العقول بعض ما دبرته وتعقل بعض ما خلقت به فهل يكون ذلك عبثا . كلا بل إن العقول متى أدركت الجمال طلبت الجليل ومتى أحست بالحسن والبهاء والنظام الذي عرفه العلماء وفهمه الحكماء وأوحى إلى الأنبياء طلبت الوصول إلى ذلك المقام وفرحت بالوصول إليه وهذا قوله - يدبر الأمر يفصل الآيات - إلى قوله - بقاء ربكم توقنون - والايقان هنا مسبب من ذلك الجمال المرسوم في العقول فهل مثل هذا يخلق في عقولنا عبثا . ولما فرغ من عالم السماء وعلمه شرع يفصل ما على الأرض فقال بسطت الأرض وأوسعته وثبت الأقدام عليها وجعلت فيها الجبال الثوابت والأنهار الجارية من الجبال وجعلت الثمار مختلفة الأصول عند ازدواجها بحيث دبرت الذكور والإناث في العنب والتين والزيتون والنخل والزرع وسائر ما ينبت على الأرض وليس يعرف هذا إلا من درسوا علم النبات دراسة واسعة . وجعلت الليل والنهار يتناوبان على تلك الثمرات والزرع وغيرها فيتم نظامها . فهذه دلائل للتفكرين وحكم للعاقلين ونعمة للمؤمنين وقوة على الحياة للعاملين . ومن الأرض ما هي سبخة وطيبة ورخوة وصلبة وفي الأرض حدائق غناء ومزارع وأصناف شتى ففي ذلك تجول العقول فتفهم منها الفروع والأصول وينظمون مدنها كما يعرفون ربهم . ولعمري كيف يعرف الله أو يحبه من عمى عن منافع الثمرات وغفل عن هذه الآيات

فلئن تعجب يا محمد من إنكارهم البعث فحقيق بأن تتعجب منه فإن من قدر على إنشاء ما قص عليك كانت إعادة أيسر شيء عليه فإن هذا المبدأ الوطيد إذا لم يكن الميعاد فهو قليل الثمرة . إن أولئك مقيدون بالضلالة مخلدون في النار . هم يستهزئون ويقولون أنزل بنا العذاب الذي أوعدتنا به فلم يستجلبونك بالعقوبة أو ما علموا كيف أهلكنا الأمم قبلهم وجعلنا ذلك مثلاً لهم - وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم - بالامهال والستر كما أمهلنا هؤلاء لننظر ماذا يصنعون - وإن ربك لشديد العقاب - لهم إذا لم يؤمنوا وهم متمادون في الضلالة . وإذا كان ما في السموات والأرض مما ذكرناه لم يكفهم في الدلالة على الله واليوم الآخر فأنهم لا يؤمنون بغيره - إن الإنسان لظالم كفار - يمر على آيات الأرض والسموات ولا تكفيه ولا يؤمن بها غفلة وبلاهة ويتجاوزها فيقول هل من آية كسفاة صالح وعصا موسى وما أشبه ذلك فدع قولهم - فأنما أنت منذر ولكل قوم هاد - وأنت الهادي لهذه الأمة . ولما ذكر السموات وأتبعها بالزرع والشجر الذي لا يقوم إلا بضيء النيرات وحركات الأفلاك وصلاحيات الأرض أتبعها بما هو المقصود في العالم الأرضي وهو العالم الإنساني المنتفع بالثمرات والأضواء وبحركات الأفلاك فأبان أنه تعالى يعلم ما تحمّل الإناث من ذكور وإناث الخ ثم أبان أن كل شيء عنده بمقدار وهو عالم بما غاب وما شؤم - وهو الكبير المتعال . يعلم ما يسرّ الناس وما يعلنون وقد جعل لهم جماعات يحفظونهم من سائر العوالم المشاهدة والغائبة يكتبون أعمالهم وأحوالهم وأن كل ما يتصفون به من الضعة والشرف والخفض والرفع تابع لما في النفوس من الصفات كما يتبع الظل الشبح . فالأحوال الظاهرة شبح الأحوال الباطنة . ولما شرح العالم النباتي والإنساني أتبعه بعالم الجوّ من البرق والسحاب والرعد والصواعق وأخذ يذم الأصنام وتابعها . ثم أتبع ذلك كله بجملة تشمل جميع ما تقدم في الأرض والسماء إذ أبان طاعة كل مخلوق في الأرض والسماء فكلها ساجدة سجد تسخير وهكذا ظلالها التابعات لها وذلك يشمل السحاب والإنسان والنبات والأرض والسموات فهذه كلها ساجدات وظلال المظلمات منها ساجدات بالغدق والآصال . ثم ختم ذلك بأن من لم يفهم هذا فهو في عمى وضلال ومن فهمه فهو على نور من ربه وأتبعه بمثل أم وأكمل وأبين فذكر الأودية والماء والزبد والمعادن ومثل للحق بصافيتها وللباطل بالزبد فوقها والزبد ذاهب والجوهر باق . هذا ملخص هذه الآيات مع تبيان المناسبات وتناسق العبارات وفي هذا القسم لطائف

(اللطيفة الاولى) في قوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها - (اللطيفة الثانية) في قوله - ثم استوى على العرش - (الثالثة) في قوله - وفي الارض قطع متجاورات - (الرابعة) في قوله - يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل - (الخامسة) في قوله - ولكل قوم هاد - (السادسة) في قوله - وكل شئ عنده بمقدار - (السابعة) - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله - (الثامنة) - ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - (التاسعة) في البرق والسحاب والرعد (العاشر) في الصواعق (الحادية عشرة) في الظلال (الثانية عشرة) في قوله تعالى - فأما الزبد فيذهب جفاء -

﴿ اللطيفة الاولى في قوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها - ﴾

وهذه تقدمت في سورة البقرة وقد شرح هناك أمر السموات وعددها ووجودها وما أشبه ذلك ويكفي الذكي الاطلاع عليه . وهكذا ما تقدم في سورة الانعام عند قصة الخليل عليه السلام وفي سورة يونس عند قوله تعالى - هو الذي جعل الشمس ضياء الخ - ولكن نذكر هنا ﴿جوهرتين﴾

﴿ الجوهرة الاولى ﴾

(موازنة بين وصف العرب ووصف القرآن من كتابي ﴿مذكرات في أدبيات اللغة العربية﴾ صفحة (٣٨)

قال الحارث بن حلزة في معلقته يصف ناقته

واني اذا اشتد الخطب أستعين على امضاء همي وقضاء وطري (اذا خف أي ذهب بالرجل المقيم بلا عمل النجاء أي الانكماش) بناقة سريعة كأنها نعام طويالة الساقين ذات أولاد (ملازمة للدو أي الوادي الواسع ذات خف محدودب) سمعت صوتا خفيفا تخافت على نفسها الصياد وقت العصر وقد قرب المساء فتراها ترجع قوائمها وتوقعها على الأرض فيثور غبار دقيق كأنه الاهباء (أي ما يرى في شعاع الشمس النافذ من الكوآت جمع كوة وهي الطاقة) وترى أطباقا من أخفافها خلفها أطباق أخرى سقطت من وعر الصحراء فهذه الناقة أتلهى بالركوب عليها وقت الهجير من ألم يعينني وهم يلحقني إذ يكون كل ذي هم كالناقة البلية أي العمياء التي ربطت على قبر صاحبها حتى تموت وهذا معنى قوله

غَيْرَ أَنِّي قَدْ أَسْتَعِينُ عَلَى الْهَمِّ	مِ إِذَا خَفَ بِالشَّوِيِّ النَّجَاءُ
* بَزْفُوفٍ كَأَنَّهَا هِقْلَةٌ	أَمْ رِثَالٍ دَوِيَّةٌ سَقَفَاءُ
* آنَسْتُ نَبَأَةً وَأَفْزَعَهَا	قَنَاصُ عَصْرًا وَقَدْ دَنَا الْإِمْسَاءُ
فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ وَالْوَفِّ	جِ مَنِينًا كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ *
وَطِرَاقًا مِنْ خَلْفِهَا طِرَاقُ	سَاقِطَاتُ اللَّوْتِ بِهَا الصَّخْرَاءُ
أَتَلَهَّى بِهَا الْهُوَاجِرَ إِذْ كُلُّ	لِ ابْنٍ هَمٍّ بَلِيَّةٌ عَمِيَاءُ *

أقول ولما كان القرآن لا يتنزل لمثل هذه الأوصاف وجب أن نذكر وصفا ما كقوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون \* وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون - الى قوله - لآيات لقوم يعقلون -



فانظر كيف وصف الشاعر الناقة وسرعتها وشبهها بالذمامة الخائفة من القانص وذكر الغبار وضعف خف الناقة ووصف الله في القرآن السموات بلا عمد والأرض وتسخير الشمس والقمر وجريهما الى انقضاء العالم ثم ذكر تدبير العالم وتفصيل كل شئ ثم استنتج لقاء الله المدبر لهذا العالم ثم ذكر مد الأرض وأنهارها ونباتها بالجبال وما فيها من أنهار وأبان كيف كانت قطع الأرض متجاورة ثم هي مختلفة فمنها الحدائق الجميلة والجنات ذات الأعناب وذات المزارع والتخيل الذي نشأ من أصل واحد وغيره وكيف سقيت كلها بماء واحد وفضل بعضها على بعض في الطعم واللون والدوق . اهـ

### ﴿ الجوهرة الثانية ﴾

( اشراق النفس . بهجة السماء وجالها من كتابي سوانح الجوهري )

أذكر أني ليلة خرجت من القاهرة مساء لزيارة صديق فجلست في حقله وكان ذلك وقت الترويض والظلام حالك والليل قد أرخى سدوله وأحاط ظلامه بكل حي فنظرت السماء اذا هي جنة ذات بهجة للناظرين هي بحر من نور تتلألأ نواقب الزهر في مائه وتسطع شوارق الأنوار في أرجائه خيل لي أن نور جبال الكواكب قد ملأ الجو وأحاط بما حولى من العوالم وتأملت نفسي والعوالم حولى اذا أنا في عالم عظيم كبير أصغر كوكب في نظري قد يفوق الشمس حجما ونورا والشمس تفوق الأرض آلاف مؤلفة وهذه النجمة القطبية تبعد عنا خمسين سنة ممتدة بسير ضوئها مع ان الشمس يخرق نورها الآفاق في (٨) دقائق و (١٨) ثانية فكيف يكون مقدار ذلك الكوكب وكيف حال المجرة وهي جميعها كواكب تضاقت في نظر الانسان وأصبحت بالنسبة لنا ذرات تكاد تشبه اللبن وكل واحدة من تلك الذرات شمس كشمسنا . عالم واسع وملاك كبير . واذا رأيت ثم رأيت نعما وملاكا كبيرا . فما الأرض ومن عليها وما الدول والملوك والحروب والسياسات وما الأرض إلا ذرة لا قيمة لها ولا وزن فمن الناس ومن أمراءهم وخزائهم ما أصغر الأرض وما أضعف الناس وما أوسع العالم وما أكبره . الله أكبر كبيرا . لقد صغرت في عيني هذه الدول والملوك وسياساتهم وممالكهم وأيقنت أن هناك حالة لنفس الانسان سينسى فيها الأرض وما عليها والاحقاد لما يغشيه من العلم وما يوحى اليه من الحكمة . الناس يخضعون للجمال والقدرة والعلم فأرباب الأموال وذوو النفوذ والجاه ذوو قدرة الأولى مالية والثانية جاهية وذوو الجلال يجذبون النفوس اليهم وذوو العلم يتبعهم السامعون والفاهمون . فاذا رجع بهم في بحر من نور العلم وأشرقت على قلوبهم شمس الحكمة واطلعوا على سعة العوالم ونظامها وجالها فبهروهم الجلال وأدهشهم العلم وغشى على أفئدتهم سعة تلك المخلوقات الهائلة أنساهم ذلك ما كانوا فيه من العيش واللذة والألم والكن متى يخلص الانسان من ذنوبه القواطع فيحاط بتلك الأنوار . قال أرسطاطاليس ﴿ إن هذه البهجة لا تدوم أكثر من لحظة ﴾ وتبعه الامام الغزالي في ذلك وأكبرها ابن سينا في آخر الاشارات وأتى فيها بمقامات تبلغ العشرين . أما أنا فأتخذ ما أجده منها دليلا على جمال وبهاء سيصل اليه المرء بعد التجرد من عالم الطبيعة كما استنتجته الأقدمون من أحوال نفوسهم

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - ثم استوى على العرش - ﴾

أنظره في سورة يونس وسورة هود

﴿ اللطيفة الثالثة - وفي الأرض قطع متجاورات - ﴾

تقدم بعضه في سورة البقرة ونذكر هنا زيادة عليه فنقول

يذكر الله في هذه السورة - وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب - من جملة ما فصل فيها تبياننا لقوله في سورة يوسف - وكأين من آية في السموات والأرض الخ - أفلا يحب المسامون كيف كانت عناية الله بالمجانب الأرضية والسموية فانه لما أجملها في سورة يوسف فصلها في سورة الرعد ورمز الى أغلب

علم الطبيعة وهل هذه العناية وجهت الى الوضوء مثلا والى البيع ونحوهما . كلا فالعناية هنا تتم وبأبسط شعري ما هذا القصور وما هذا التقصير وما هذا الغرور أمة هذا شأن كتابها في العناية بالمعاني الكونية ثم هي تفصل القول تفصيلا في فروض الوضوء والماء المستعمل وغيره وتؤلف في هذا وتوسع الدائرة حتى اذا وصلت الى ما توجه اليه عناية الله في العوالم نكص الناس على أعقابهم . فلماذا لم تسقوا أيها المسلمون بين آية وآية . هل هذه الآيات ليست من القرآن . أراكم تقيسون الوجه طولا وعرضا في كتب الفقه لما سمعتم قوله تعالى - اغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ - وكذلك يبتغى كل عضو وحدوده وأحسنتم احسابا عظيما في هذا ولكن هلا فعلتم ذلك وأمثاله في مسألة القطع المتجاورات وكيف كان فعل الله فيها . واذا كان هذا هو الذي سيكون في مستقبل الاسلام والأمة الاسلامية ستأخذ حظها من العلوم فلا بين هذا المقام فأقول نقلا من كتاب لي في الفلسفة ملخصا

إن سطح الأرض جبال وبحار وبراري ومزارع . والجبال (أربعة أقسام) القسم الأول الجبال الصخرية كجبال تهامة فما هي إلا صخور صلبة وأحجار صلبة لا ينبت عليها إلا يسير \* والقسم الثاني منها جبال ذات نبات لأنها صخور رخوة وطين لين وتراب ورمل وحصيات ملس متبدلات ساف فوق ساف متماسكة الأجزاء كثيرة النبات والأشجار والحشائش مثل جبال فلسطين وجبال لكهن وطبرستان \* والقسم الثالث منها جبال النار فإنه يرى في أعاليها ليلا ونهارا دخان معتكر ساطع في الهواء مرتفع في الجوّ . وكان القدماء يعلمون ذلك بأن في باطن الأرض كهوفا ومغارات وأهوية حارة تجري اليها مياه كبريتية أو نفطية دهنية فتكون مادة لها دائما مثل التي بحزيرة (صقلية) وبحبل (زامهر) من خورستان أما علماء العصر الحاضر فانهم يقولون ان الأرض كرة نارية وقشرتها لا تزيد عن قشرة البطيخة بالنسبة لكرة الأرض وقد تقدم شرح ذلك في تفسير سورة (آل عمران) \* والقسم الرابع جبال ذات هواء لطيف يهب عليها دائما أو في بعض الأوقات مثل جبل الثلج الذي بدمشق والذي ببلاد (داور) من جبال (غور) وجبل دماوند فهذه الجبال لما كان الثلج فوقها فإنه عند ذوبانه يتحلل الى أجزاء بخارية لطيفة فيرتفع في الجوّ ويلطف الهواء

### (الأنهار)

ثم إن الأنهار تنبع الجبال لأنها منها نشأتها والى البحار نهايتها فمنها ما يجري من الشرق الى الغرب كنهر (ماوند) ومنها ما يجري من الغرب الى الشرق كنهرين ببلاد (أذربيجان) ومنها ما يجري من الجنوب الى الشمال كنيل مصر . ومنها ما يجري من الشمال الى الجنوب كدجلة وأما البحار فانها جميعها ملحة وذلك لتلطف أبخرتها الجوّ وتختلط بالهواء وتمتوج معه يمينا وشمالا وشرقا وغربا فتدبغه وتملحه وتمنعه من التغير والفساد والتعفن ولولا ذلك لمات الحيوان المستنشق للهواء دفعة وأيضا لولا الملح المستكن في الماء الممتزج به لصار الماء آسنا وتغير ومات الحيوان الذي فيه جلة واحدة فتجب من الملح كيف صار نعمة في البحر ونعمة في البر . فأما البراري والقفار فانها تدخل فيما سذكره من خصائص الأماكن لأنها مناطق يتنازعها النبات والحيوان

- (١) الفيلة لا تتولد إلا في جزائر البحار الجنوبية تحت مدار برج الحمل
- (٢) الزرافة لا تتولد إلا في الحبشة
- (٣) السمور وغزال المسك والسنجاب لا تتولد إلا في البراري والقفار
- (٤) الصقور والبزاة والنسور وأمثالها لا تفرخ إلا في رؤس الجبال الشاهقة
- (٥) القطا والنعام لا تفرخ إلا في البراري والقلوات



- (٦) البط والطيطوى وأمثالها لا تنفرخ إلا على شطوط الأنهار  
(٧) العصافير والفواخت والقمارى وأمثالها لا تنفرخ إلا بين الأشجار والدحال والقرى والبساتين

﴿ أما كن النبات ﴾

- (١) النخل والموز لا ينبتان إلا في البلاد الحارة والأرض اللينة  
(٢) الجوز واللوز والفسق والبندق وأمثالها لا تنبت إلا في البلاد الباردة  
(٣) الحلبة والذلب وأم غيلان لا تنبت إلا في البرارى والقفار  
(٤) القصب والافصاف لا ينبتان إلا على شطوط الأنهار

﴿ المعادن ﴾

- (١) الذهب لا يتكوّن إلا في البرارى الرملية والجبال الصخرية  
(٢) الفضة والنحاس والحديد والرصاص وأمثالها لا تكون إلا في الجبال والأحجار المختلطة بالتربة اللينة  
(٣) الكبريت لا يكون إلا في الأرض الندية والرطوبات الدهنية  
(٤) الجصّ والاسفيداج لا يكونان إلا في الأراضي الرملية المختلطة بالجص  
(٥) الزاج والشب لا يتكوّنان إلا في التراب العفص  
(٦) الدر والمرجان لا يتكوّنان إلا في البحار في أحوال خاصة

﴿ عجائب هذه الدنيا ﴾

فانظر كيف رأيت الجبل فوقه النسروالباز والصقر والثلج والنار ورأيت في باطنه ماء وزئبقا ورصاصا وحديدا وذهبا وفضة وفيه عيون نابعات وقبر ونفط وملح وكبريت ثم اذا نزلت من الجبل رأيت القطا والنعام في الفلوات والبط على شط المهر والعصفور في المرج والنخل والموز في الأرض الحارة والجوز في الباردة والحلبة في القفر والتصب على الماء . فانظر للعجب العجائب في هذه الأرض التي نحن راحلون عنها الى عالم أعلى منها كيف جلت وحسنت وظهرت وبهرت وازينت للناظرين فما أجمل أرضنا وما أبهج حسنها وما أعظم شكلها وما أبدع اتقانها . هذا هو الذي يكون أمثاله في تفسير قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات الخ -

﴿ حكايات عجيبة ﴾

في أيام تأليف هذا التفسير وردت حكايات عن نباتات عجيبة في الجرائد والمجلات العلمية فرأيت أن أذكرها هنا تفكها وتبصرة لمناسبة هذه الآية إذ جاء فيها - يسقى بماء واحد الخ -

﴿ الأولى . الضوء من الأشجار ﴾

تمكن عالم فرنسي من كشف طريقة استخراج الضوء من نفس الأشجار اذا وصل لوحا نحاسيا مدفونا في الارض بآخر ببطه في الشجرة بجهاز (حلفانومتر) وهو جهاز يقيس التيارات الكهربية الصغيرة ثم زاد القوة بجمع ثلاثة أشجار ثم أوصلها الى عشرين شجرة ثم لوحين نحاسيين في الارض وبينهما ستة أقدم وتمكن بواسطة التيار الكهربي الذي حصل عليه من اضاءة لمبة كهربية صغيرة . وهذه المسألة الآن تحت التجربة . انتهت الحكاية الاولى

﴿ الحكاية الثانية . النبات المضحك ﴾

لقد كنا نقرأ في أسفار السندباد البحري من الاساطير ما نظنه لاحقيقة له كقوم رأهم في إحدى سفرائه في جزيرة وكان معه أصحابه فأطعموهم طعاما نباتيا فغير أخلاقهم وجعلهم شرهين على الطعام وزالت قواهم العقلية وأخذوا يسمنون بسرعة وأعدتهم القوم للذبح كأنهم غنم أما هو فانه سلم بمرضه وضعفه فهرب الى بلدان أخرى وما كنا نعلم ما جاء اليوم في الجرائد يوم (٢) اكتوبر سنة ١٩٢٤ إذ وصف أحد علماء الطبيعة

لجميع علمية بعد رجوعه من بلاد العرب نباتا غريبا سماه ﴿ الضاحك ﴾ وانما سماه كذلك لأن كل من أكل من بذره يستمر مدة قصيرة في الضحك المفرط وينتهي أخيرا بنوبة عصبية والوطنيون هناك ينشفون أوراقه ويسحقون بذوره ويحفظون المسحوق للوقت المناسب فيقدمونه للذين يكرهونهم وإذا ضوعف المقدار المأخوذ تؤدي النتيجة حتما إلى الجنون فيسقط الإنسان بعد تعاطي المقدار في نوم عميق وقد أضعافا كثرته وتبدلت عاداته . انتهت الحكاية الثانية

### ﴿ الحكاية الثالثة . زيت يستخرج من الجراد ﴾

ذكرناه في هذا المقام لأنه شارك النبات في إعطاء الزيت . جاء في المجلات والجرائد أن بلاد جنوب أفريقيا مصابة بالجراد الذي يأكل مزارعها كما أصيبت مصر بدودة القطن لكن الجراد وجدوا فيه زيتا عجيبا به تدار آلات الطيارات . تلك البلاد تصدر الآن مقادير كبيرة لهذا الغرض . وتقول جريدة أخبار مديري السكك الحديدية التي تصدر في (جوهانسبرج) بجنوب أفريقيا أن ثمانيا وثمانين بالة من الجراد وزن تقريبا ثمان عشرة (طونولاته) صدرت أخيرا من (كازيرن) إلى دربان لشحنها إلى (هولاندا) وهذه المقادير من الجراد تستعمل بصفة طعام للدواجن وغيرها من الحيوانات المنزلية الأليفة بعد أن يستخرج منها زيت تدار به آلات الطيارات . وقد أذيع أن لهذا الزيت خواص نافعة جدا وأنه يبقى في أعلى طبقات الجو سائلا كما هو على سطح الأرض . هذا ما جاء في الجرائد يوم (٢٩) أكتوبر سنة ١٩٢٤ أثبتته هنا فهل يعلم المسلمون ذلك . أفلا يعلم المسلمون أن هذه النعم خلقت لنا وللفرجة معا . أولاي علم المسلمون أن الله أذخر الجراد وخرن فيه الزيت . ولما خلق الطيارات أفهم العقول أن زيت الحيوان الطائر يناسب الطيارات فهو يمتاز عن زيت النبات لأنه مخلوق في طائر فليكن في الطيارات . أليس هذا قوله تعالى فيما سيأتي - وكل شيء عنده بمقدار - فمن الأشياء هذا الزيت النافع للطيارات ولم يعلمه الناس قبل الآن لا بخلا من الله ولكنه أبقاه لينتفع به الذين يرتفعون بالطيارات - وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وهلا يرى المسلمون أن ظهور عجائب القرآن في هذا التفسير وفي غيره بوضوح قد جاء مناسبا للزمان وأن ظهور ذلك بهذا الوضوح قبل الآن لم يكن مناسبا للزمان وأن الله خزن علوم القرآن كما خزن الزيت في الجراد حتى إذا جاء أجله أبرزه . أوليس لهذا القول حظ من قوله تعالى - ولما يأتيهم تأويله - أفليس هذا بعض ما يؤول إليه القرآن من انكشاف حقائقه . أوليس ظهور هذه العلوم في القرآن اليوم مناسبا للمسلمين المتعطشين للعلم كما ظهر الزيت لرجال الطيارات المتعطشين للطيارات . فليقرأ المسلمون العلوم فكفي جهلا وخزيا وعارا وشنارا وبعدا عن الله رب العالمين

﴿ جوهرة مضيئة في قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - وقوله تعالى - وينشئ السحاب

الثقال - وفي قوله تعالى - جعل فيها زوجين اثنين - ﴾

اعلم أن الأجسام كلها لا تخلو اما مضيئة وهي ما يصدر عنها النور كالشمس والنار واما مظلمة وهي ما لا يصدر عنه نور بل ينعكس عنه نور غيره اذا وقع عليه وهذه لا ترى إلا بنور مكتسب من غيرها كالقمر والحجر ثم الأجسام من حيث نفوذ النور منها إما شفاقة أو شبيهة بالشفاقة أو ظلية . فالشفاقة ماتعيق النور قليلا عن سيره كالزجاج فتري الاشباح من ورائه والشبيهة بالشفاقة هي التي تعيق النور كثيرا عن نفوذه كالورق المزيت ونحوه فلا ترى الاشباح من ورائها والظلية هي التي لا ينفذها النور كالبحر ونحوه وتبقى ظلا كثيفا على الأرض وعلى ذلك نرى أن الهواء أشبه بالزجاج فهو شفاف وهكذا الماء واليابسة كالقارات أشبه بالظليل ثم ان انعكاس الانوار أي رجوعها عن الأجسام بعد وقوعها عليها من جسم منير على نوعين نوع يسمى (النور المستطير) اذا كان الجسم الذي يقع عليه النور خشن السطوح فاذا تنفرت الأشعة منه إلى كل مكان فيرى من كل جهة

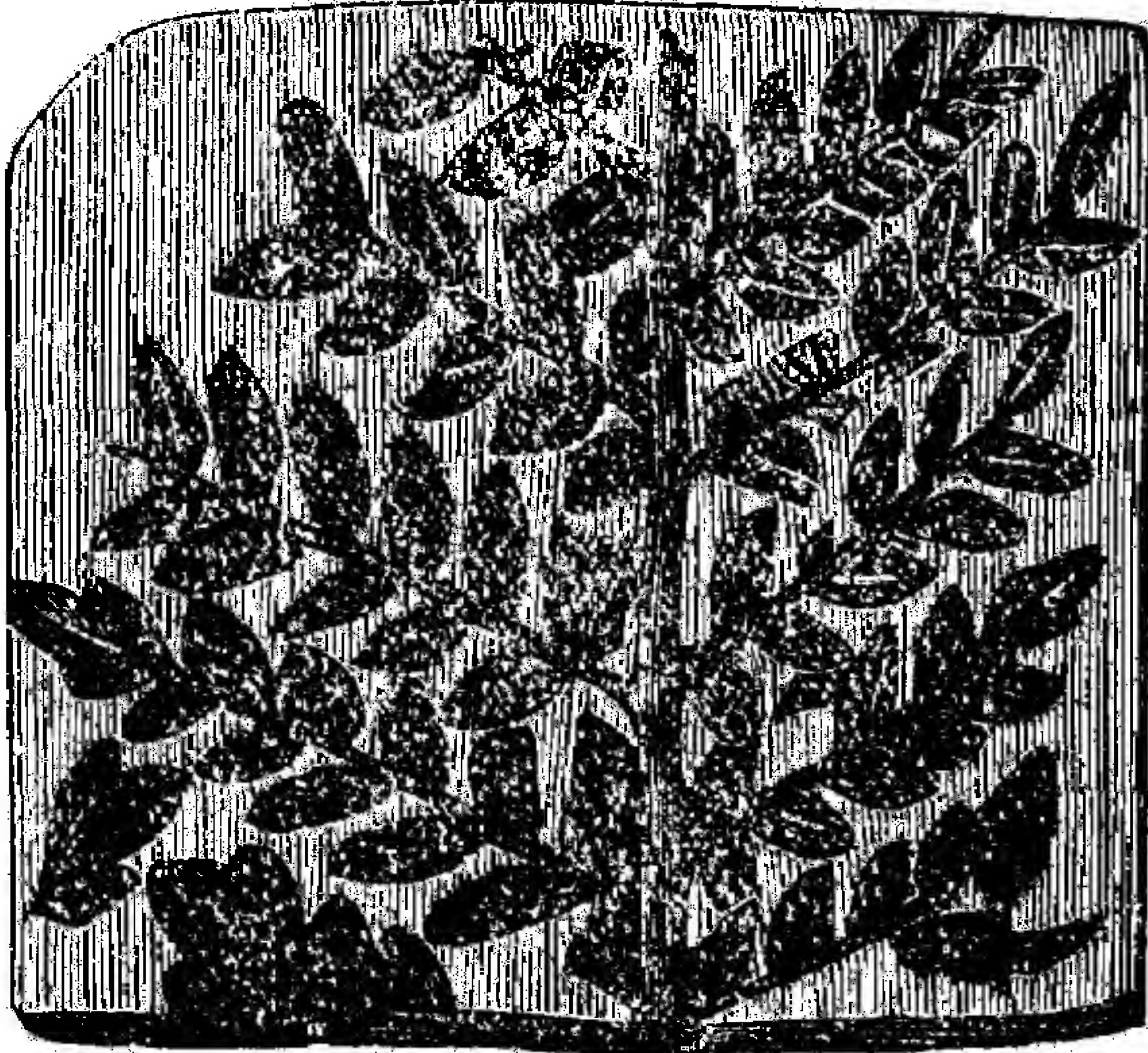


ونوع يسمى (النور المنعكس) اذا وقع على سطح أملس صقيل فتندفع أشعة النور عنه الى جهة واحدة أو الى جهات معينة فلا ترى الاشباح منه إلا اذا وقفنا في تلك الجهات المعينة . ومثال الاول الجبال والاودية والمنازل فهذه نراها بالنور المنعكس من كل مكان أى ترى نفس الجبال الخ ومثال الثانى المرآة مثلا فاننا لانراها وانما ترى الصور التى ظهرت فيها وانما لانراها لأنها صقيلة فنحن نرى المنزل ولا نرى المرآة الصقيلة وانما نرى ما فيها من الصور ولا نراها هي إلا اذا قلت صقاتها ويكون ذلك بالنور المنتشر

اذا علمت هذا فتعجب من العالم الذى نعيش فيه وابتهج بما ستسمع من حكمة وماترى من جلال فى العالم الذى خلقك الله فيه . أنظر أرضنا ففيها الاجسام الظليلة كالجبال والاجسام الشفافة كالماء ومثله الهواء وكما نرى الهواء والماء ينفذ النور من خلاهما نرى الاشجار ظليلة فالمباني مثلا نورها مستطير والبحار العظيمة اذا قرأنا العلوم الفلسفية عرفنا أن نورها من نوع المنعكس أى ان النور منعكس عنها كما ينعكس عن المرآة إن للأرض نورا منعكسا على القمر . ان الارض قر للقمر تلقى عليه نورا اذا لم تضئه الشمس يساوى النور الواصل منه الى الارض نحو (١٤) مرة . إذن البحار مرآة الأرض . ألا ترى أن الماء أشبه بالزجاجة ووراءه من قاعه أرض يابسة فهو إذن يعكس النور كما تعكسه المرآة فالهواء زجاج والبحر مرآة واليابسة ظليلة . واذا أوقدنا نارا على الأرض كان عندنا إذن الجسم المضيء . ضع شمعة متقدمة وأمامها حائط ومرآة ولوح زجاج الشمعة كالشمس والحائط كاليابسة والبحر كالمرآة والهواء مثل لوح الزجاج نحن نعيش في وسط كامل مضيء ومستضىء وشفاف وعاكس لضوء منتشر وعاكس لضوء منعكس . إن العالم الذى نعيش فيه جميل نور مشرق وأجسام لطيفة شفافة وأجسام أخرى مختلفة . إن الله جعل هذه الأرض قطعاً متجاورات ليتّم الانتفاع بها . هل لك إذن أن أريك جبال تلك القطع المتجاورات أبين من هذا

### ( فصل فى الفحم الحجري وفى البلور الصخري وفى الزجاج ) ( الفحم الحجري )

إن الفحم الحجري يستخرج من باطن الارض كان قديماً غابات عظيمة غطت سطح الارض قبل خلق الانسان ثم دفنت وضغطت عليها طبقات أرضية فوقها . وأكثرها كانت من نباتات خفية الزهر كأنواع السرخس التى كانت فى ذلك الزمان، مكوّنة لأشجار عظيمة . وهذا شكل أوراق بعض الأنواع التى تكون عنها الفحم الحجري (شكل ١)



وأنواع الفحم الحجري كثيرة الاستعمال فيها قوام كثير من الصنائع ولو فقد النوع الانساني الفحم دفعة واحدة لاختل نظام الهيئة الاجتماعية اختلالاً تاماً . ولقد ذكرت لك فى أول سورة الأنعام أنواع الفحم وكيف استخرج الناس منه غازاً به تضاء الشوارع فى المدن وهكذا أصباغ كثيرة تعدّ بالآلاف وبفحم المعوجات أيضاً نور الكهرباء . فيا عجباً هذا هو الفحم وهو فى بعض قطع الأرض المذكورة فى الآية . ومن هذا الفحم المظلم اشتقت الأنوار وانبعثت عنه كما انبعثت عن الشمس . إن نور الشمس قد خزن فى الفحم

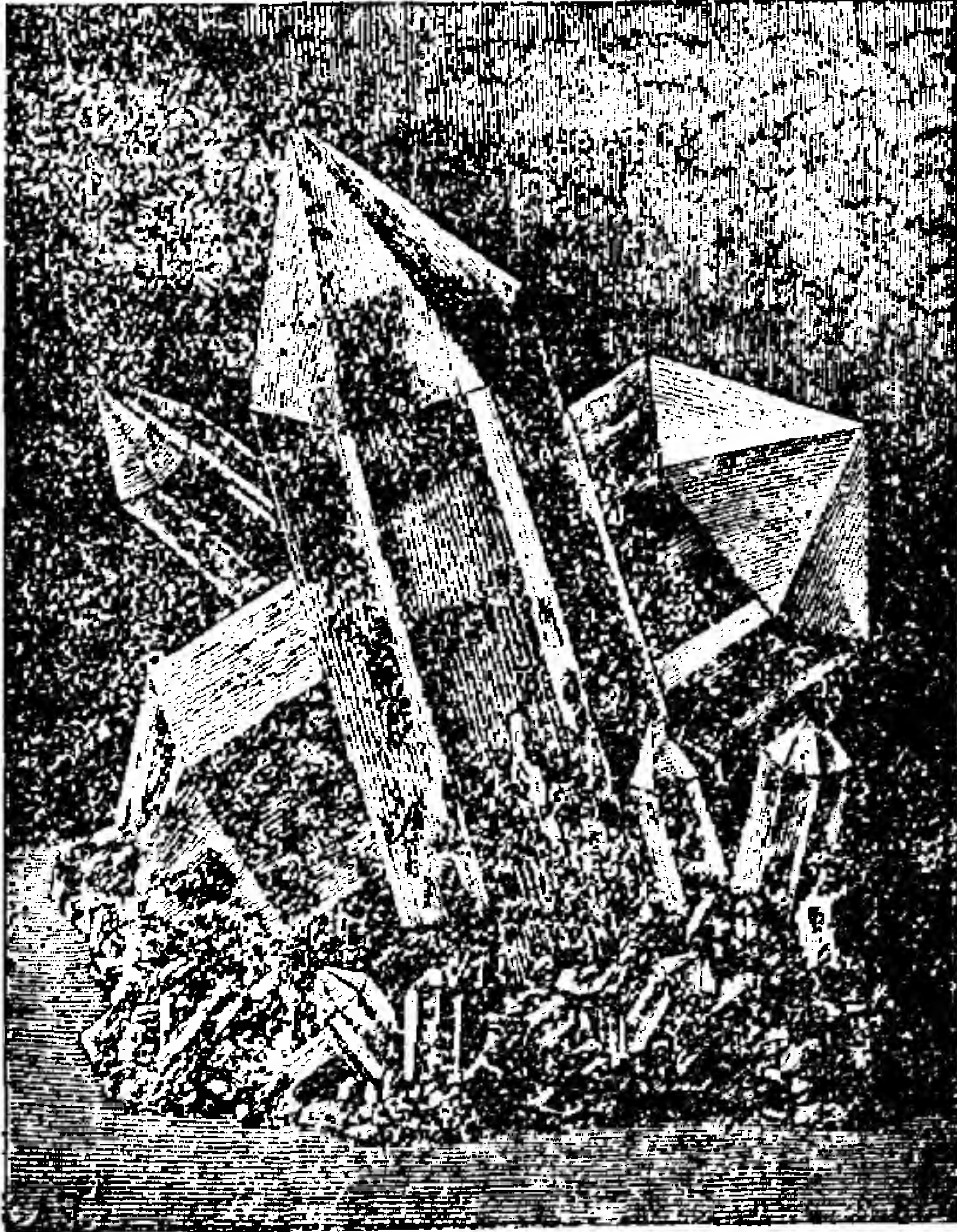
( شكل ١ )



والناس يستخرجونه الآن بالطرق الصناعية . فاذا رأينا شمسا تضيء لنا من السماء فهى مخازن أنوارها  
حاصلة في الفحم الغائر في الأرض على بعد عظيم . الفحم جسم ظليل معتم لا ينفذ النور منه وبالعمل فيه  
يصبح جسما مضيئا فهو جسم أرضى على حاله وبالعمل فيه يصير جسما مضيئا . إن في الفحم الضدين الظلمة  
والنور والماس الذى تكوّن منه جسم شفاف فقد جمعت مادة الفحم نور الشمس وكثافة الأرض وشفافية  
الهواء . واذا وضع وراء قطعة من الماس جسم ظليل انعكس النور عنه فكان كالمرآة . هذه الدنيا عجب  
وكلها جلال وبهجة وحكمة وسعادة للمفكرين العاقلين . هذا هو وضع العالم الذى نعيش فيه . أنظر  
ماذا ترى فيما بعده وهو

### ﴿ البلور الصخرى ﴾

اعلم أن من القطع المتجاورات في الأرض (الكورس) وهو المسمى عند العامة (الزلط والحصي) والرمل  
منه فهو كورس على هيئة حبوب صغيرة ويدخل في أعمال الزجاج والبلور ومن أنواعه الصوان وشظف  
البنادق . ومنه نوع هو المقصود في هذا المقام يسمى (البلور الصخرى) هو كورس عديم اللون شفاف  
منظره كالبلور متبلور بلورات منشورية مستتة منتهية بهرمين كما في الشكل الآتى (شكل ٢)



وهذا النوع موجود في جبل الطور وقد يكون  
متولنا باجسام مختلفة تشبه بعض الأحجار الكريمة  
وتسمى بأسمائها فنه (السكر كهان) الملون بالبنفسجية  
(وياقوت بوهيم) وهو كورس وردى لطيف المنظر  
نادر جدا (والياقوت الاصفر الهندي) وهو كورس  
أصفر هندي . أنظر هذا النوع من الكورس  
وتأمل كيف كان مستسا هرما . وتعجب كيف  
رأينا التسديس في بيوت النحل وفي نظام الثلج كما تراه  
مرسوما في سورة آل عمران وستراه قريبا وهكذا هنا  
تسديس متقن وجمال باهر ثم كيف ترى أن بعض  
القطع من الأرض كالطور برز فيها ما يشبه الأحجار  
التيينة جالا وبهجة وقد خرج عن حال الظلمة  
الى حال الجسم الشفاف فكان كالماء وكالهواء ليفتح  
للناس باب العمل واستخراج الزجاج

( شكل ٢ )

### ﴿ الكلام على الزجاج ﴾

اننا نعيش في عالم عجيب . نظرنا فرأينا ماء شفافا وهواء شفافا . نحن محتاجون الى الاجسام الشفافة  
لماذا . لنجعلها في نوافذنا فتمنع عنا الغبار والهواء وتدخل الضوء . والهواء والماء ليسا جامدين حتى نفعل  
بهما ذلك والثلج في البلاد الباردة ينوب من حرارة الشمس فساطانه في البرد . فهاذا نفعل إذن وأيضا نحن  
في حاجة الى أجسام زجاجية تكبر لنا الصغير عند الحاجة وتقرّب البعيد فبالأولى نريد أن نعرف خفايا  
النبات ونكشف خبايا الاجسام فنرى الطب والصناعات . وبالثانية نعرف الاجرام السماوية وندرس جبالها  
وأنهارها ولا يكون ذلك كله إلا بالاجسام الشفافة . هكذا نحن في حاجة الى ما يقوى أبصارنا على عملها اذا



ضعفت ويكبر الحروف لنقرأها . كل ذلك يحتاج الى جسم شفاف صلب لاسائل كالماء ولاغاز كالهواء .  
لهذا خلق الله هذا البلور الصخري وكأنه يقول أى عبادى أنظروا الى المادّة الارضية المعتمّة . هاهوذا  
البلور الصخري جسم شفاف فها أناذا فتحت لكم الباب فادخلوه

### ﴿ تاريخ الزجاج ﴾

قال المرحوم أستاذنا فى هذا العلم أحمد أفندى عبد العزيز ماملخصه  
انه قبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف سنة كانت صناعته فى مصر وفى فينيقيا متقدّمة متقنة جدّا والمصريون  
هم الذين علموا اليونان والرومان صناعة الزجاج والطريقة عند القدماء هى نفس الطريقة الحالية والرومانيون  
نبغوا فيه . وفى القرن الخامس حينما أغار البربر على الرومانيين ( المراد بالبربر هم آباء الاوروبيين الحاليين )  
اضمحلت هذه الصناعة ومكثت أوروبا زمانا طويلا لاتتقن هذه الصناعة وكانت مزهرة فى الشرق ثم إن أهل  
( البندقية ) تعلموها ومنهم انشرت فى أوروبا الحديثة

### ﴿ الزجاج وكيف يصنع ﴾

الزجاج مادّة شفافة قابلة للكسر . ومنه ألواح الشبائيك المعروف منفعتها . ومنه ( المرايا ) التى يسهل  
بها الاعتناء بالنظافة وهى ألواح من الزجاج مغطى أحد سطحيها بطبقة من القصدير أو الفضة وكالأواني الكثيرة  
الاستعمال والعدسات والأنابيب . ولولا هذه وما قبلها لم يصل علم الكيمياء والطبيعة والفلك والتاريخ الطبيعى  
وغيرها الى حال النقّدم والفلاح

### ﴿ تحضير الزجاج ﴾

الزجاج يحضر من الرمل والجير أو الطباشير والصودا أو البوتاسا . تترج المواد التى يجهز منها جيّدا  
وتسخن فتصهر بتأثير الحرارة وتستحيل الى عجينة يعطى لها الشكل المطلوب

### ﴿ البلور ﴾

هو زجاج استبدل فيه الجير أو الطباشير بأوكسيد الرصاص . ويستعمل فى تحضيره رمل أبيض . هذا  
قبس من نور قوله تعالى - وفى الأرض قطع متجاورات - هذه هى القطع المتجاورات أيها المسلمون .  
فقطعة فيها الفحّم الذى يضىء منازلكم وشوارعكم ويولد الكهرباء . وقطعة فيها رمل وأخرى فيها جـير  
أو طباشير . وقد تقدّم فى سورة آل عمران كيف كان الطباشير متراكما من حيوانات دقيقة لاتعدّ فأصبحنا  
نكتب به على ( السبورات ) لتعليم الاطفال . وقطعة فيها الصودا وأخرى فيها البوتاسا . هذه القطع منها  
أخذنا هذه المواد وصنعنا الزجاج فتعلمنا علوم السماء وعلوم الارض وارتقينا ولكن الذى عرف ذلك فى زماننا  
غير المسلمين . إن المسلمين يحتاجون لجيل واحد يتعلم ثم ترتقى الأجيال الأخرى بعده وسيكون هذا إن  
شاء الله قريبا . القطع المتجاورات أشبه بمخازن خزن الله فيها عناصر السعادة والحياة ودلنا عليها . ولم  
تكن الأرض قطعا متجاورات لكانت الحياة عليها لانطاق . واسكنها قطع متجاورات فيها الانواع المختلفة  
وكأنما هى أسواق تباع فيها جميع ماتشبهه الأنفس وتلد الأعين . إن هذه الدنيا جميلة عند العلماء والحكماء  
مظلمة عند الجهلاء . انهم لا يرون شيئا مما نقول بل هم من هذا يسخرون أنظر ضوءا منتشرا من الشمس  
وأجساما ينفذ الضوء منها وأخرى ينعكس الضوء عنها وهى الهواء والارض . كيف جعل لنا فى الارض قطع  
متجاورات لتتخذ منها ما نشاء لما نشاء . ياسبحان الله . رمل وجير وبوتاسا نجتمعها من أماكن مختلفة  
ونكوّن منها تلك العدسات المختلفة الأشكال التى بها نجمع النور تارة ونفرّقه أخرى . العدسات الآتى رسمها  
﴿ قسمان ﴾ قسم يجمع النور وقسم يفرّقه وهى لاتخرج عن ستة أنواع ثلاثة للتفريق وثلاثة للجمع . أنواع  
العدسات ست . فهذه الأشكال مقسمة قسمين لاثالث لهما قسم للجمع وقسم للتفريق



يا سبحان الله . إن في هذه السورة قوله تعالى - جعل فيها زوجين اثنين - وفي آية أخرى - ومن كل شئ خلقنا زوجين - ولقد علمت أن الكهرباء (زوجان) موجبة وسالبة وفي النبات زوجان ذكر وأنثى وهو واضح في سورة الحجر فيما سيأتى فيما ترجمته عن كتب (اللورد أفبرى) فالزوجان كما كانا في النبات كانا أيضا فيما صنعه الناس من العدسات الآتى بيانها وهكذا الحساب جمع وتفريق إذ علم الحساب كله لا يخرج عن الأمرين فالجمع والضرب للجمع والطرح والقسمة للتفريق . وليس الحساب كله إلا هذين هكذا هنا جمع للنور بزجاجات ثلاث وتفريق بزجاجات ثلاث وهذه صورتها (شكل ٣)



( شكل ٣ )

هذه هي العدسيات والعدسية في الأصل بلورة بشكل العدسة ثم توسعوا فيها فأطلقوها على كل جسم شفاف له سطح واحد منحني على الأقل والعدسيات (قسمان) محدبة ومقعرة وكلها تندرج تحت ستة أشكال (أ) مزدوجة التحديق (ب) مفردة التحديق (ت) مزدوجة التقعير (ث) مفردة التقعير (ج) هلالية (ح) مقعرة محدبة . فالأولى والثانية والخامسة تضم أشعة النور والبواقي تفرجها هاهنا صنع الانسان وذلك صنع الله . صنع الله لنا الصخر البلورى والهواء والماء ووضع لنا في القطع المتجاورات في أرضه مخازن منها نتخذ ما نضع فصنعنا تلك العدسيات لمنفعتنا . فماذا جرى . رأينا أن المزدوجة التحديق هي التي وضعها الله في أعيننا . اختار الله هذه العدسية المزدوجة ووضعها في أعيننا . لماذا . لأنها تجمع النور وكلما قرب الشبح منها بعدت بؤرتها المنظمة والبلورة هنا تجمع النور الداخل من العدسية وكلما بعد عنها قربت صورته منها ولكن رأينا صنع في أعيننا ما لا تقدر على صنعه نحن . ألم تر ان العدسية التي نضعها في ثقب الخزانة المظلمة التي نستعملها لتصوير ما أمامنا لان رسم الصور بواسطتها إلا على بعد مخصوص . ولكننا نحن نرى الأشياء على أبعاد مختلفة . ولو كانت بلورية عيوننا جامدة كالتي نصنعها لم يمكننا أن نرى الأشياء إلا على بعد واحد . إن العين لو بقيت على تحذب واحد لوقعت الصورة تارة على الشبكية وتارة أمامها وتارة وراءها . إن الشبكية (التي يمكن أن تعرفها في سورة آل عمران هناك موضحة) بمنزلة الحاجز تلقى الصور عليه في الخزانة المظلمة في يد المصور واذن لا ينظر الرائي صورة نظرا صحيحا إلا على بعد مخصوص ولكننا نرى أن الصور جليلة على أبعاد مختلفة لأن الانسان يكيف العدسية فيزيد تحديقها وينقصه كما يشاء فنحن نزيد تحذب البلورية في النظر الى البعيد ونقلل التحذب في النظر الى القريب بحيث تقع بؤرتها على الشبكية في الحالين

### ( قصر النظر وطوله )

ويقال للانسان انه قصير النظر اذا كان لا يرى الكتابة الصغيرة الحروف ونحوها إلا على بعد ينقص عن عشرة قراريط أو اثني عشر تقريبا . ويقال له طويل النظر اذا كان لا يرى هذه الحروف ونحوها إلا على أبعد من ذلك . إن قصر البصر من زيادة التحذب في القرنية والبلورية (انظرهما في آل عمران) وطول البصر يحصل من تسطح البلورية بعكس قصر النظر ولقصر النظر توضع عدسات مقعرة أمام العين ويصلح طول البصر بوضع عدسات محدبة أمام العين فالأولى تفرج الأشعة أمام العين والثانية تضمها قبل انكسارها

انى أحمد الله عز وجل إذ انتهيت في هذا المقام الى نتيجة بهجة جميلة تحتاج الى درس طويل في علم الضوء وعلم المعادن وعلم الكهرباء وغيرها من العلوم والصناعات . وقد غصت لك على الجوهر واجتزيت من العقد بدرة واحدة أهديتها لك جميلة بهجة تسر الناظرين . العلم جمال والعالم جمال . نظرنا في النور ونقوده في الأجسام الشفافة كالهواء وانعكاسه عنها مستطيرا تارة كالبيوت وغير مستطير تارة أخرى كالمراة وجلنا جولة في العوالم فرأينا الصخر البلورى مسدسا جيلا شفافا فانفتح للناس طريق عمل الزجاج . فإذا حصل . أخذوا الرمل مصحوبا بالجير والصودا أو الطباشير والبوتاسا فصنعوا أنواع الزجاج فكان منها أنواع العدسات وهي لم تخرج عن جامعة للنور ومفرقة له ثم انتهينا الى أن العدسة الموضوعة في أعيننا أحسن صنعا وأتقن وضعها وأعجب من البلورية التي نحن نصنعها . فإذا جرى . رأينا أن أنواع العدسات التي صنعناها المنقسمة الى قسمين قد ساعدتنا فكان قسم منها مساعدا لنا في قصر النظر والقسم الآخر مساعدا في طوله يا عجبنا . جاء في أول السورة -- جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار -- فالليل والنهار زوجان والنبات كما قدمنا زوجان والعدسات المفترقة والجامعة للنور زوجان والكهرباء زوجان موجبة وسالبة وأعيننا يقصر نظرها ويطول وذلك زوجان . وقد جعل الزوجان في العدسات على مقتضى الزوجين في النصر والطول في أعيننا -- إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم -- فهذا هو اللطف وهذه هي الحكمة . اللطف في خالق بلوريتنا أعجب من بلورية الخزانة المظلمة والحكمة في أنه هيا لنا الأسباب حتى صنعنا عدسات تقصر النظر وتطوله عند الحاجة

## ﴿ وجوب درس هذه العلوم ﴾

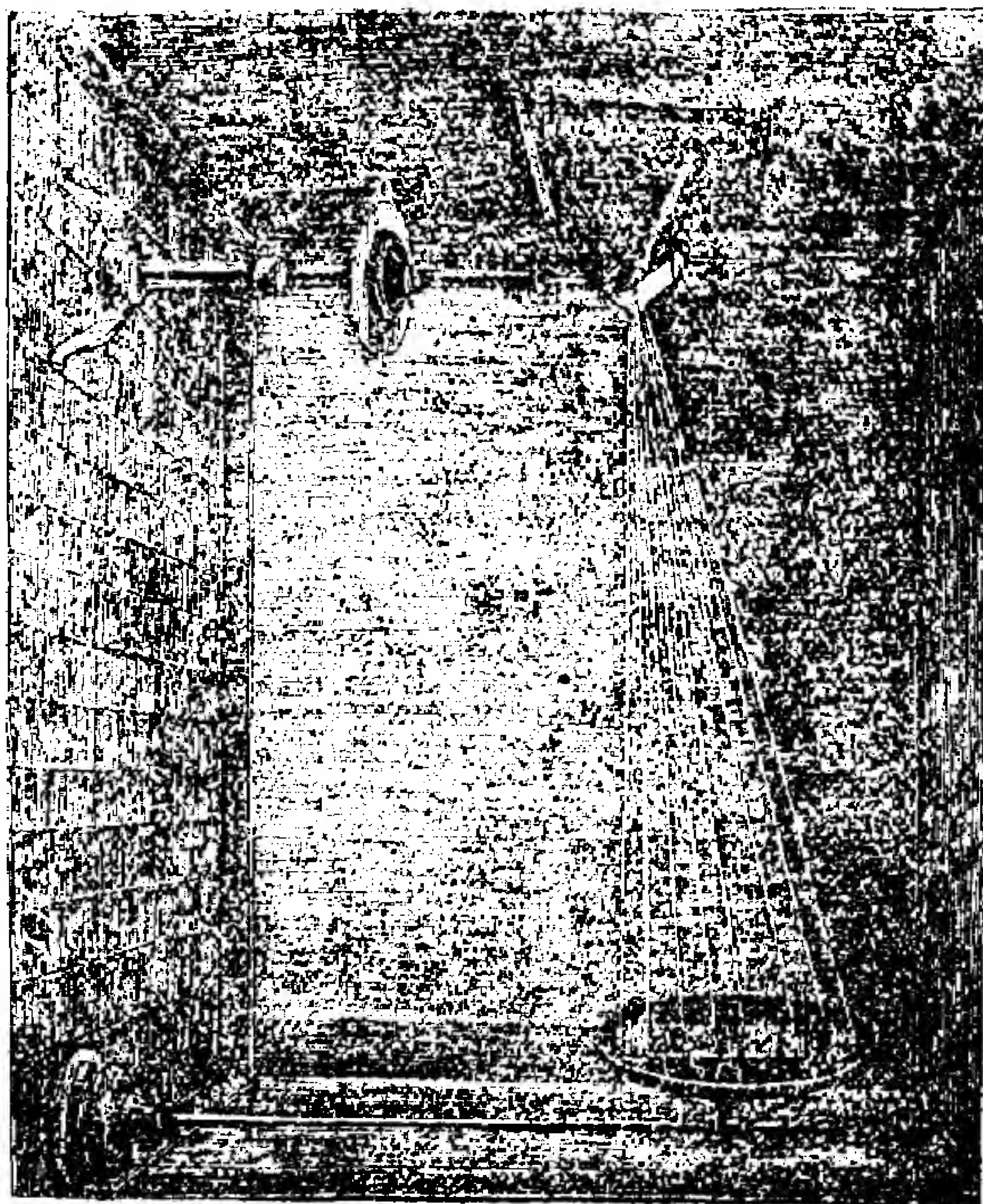
ذكرت في سورة المائدة في قصة ابني آدم والغراب أن هذه العلوم كلها واجبة على سبيل فرض الكفاية أعني أن يكون في الأمة قائلون بها جميعها ويكفونها عن أوروبا وغيرها . وقد ذكرت هناك نص الامام الغزالي إذ قال ان علماء الاسلام في زمانه شر من الشياطين لأنهم لما عكفوا على علم الفقه وحده وزينوا للناس ذلك صرفوهم عن العلوم الأخرى . أقول لك وهذا هو الذي أوقع المسلمين في المذلة والهوان . لهذا ألفت هذا التفسير وبأمثاله أرجو أن تنقذ العقول الكبيرة من هذا الجهل وبهم تستنير هذه الأمة . ثم إنى أقول الآن ان هذه المباحث التي أقولها الآن ليست علما خاصا بل تجدها من علوم مختلفة لأن هذا هو الذي يجب على من يتصدون لقيادة المجموع . ومعنى هذا أن الذين يتصدون لقيادة الأمة الاسلامية من علماء وملوك وأمراء يجب أن يتعلموا من كل فن طرفا صالحا جيلا أشبه بما كتب في هذا التفسير . أقول هذا فرض عين على القادرين والخواص من الأمة كما يؤخذ من كلام الأئمة الأعلام . فأما النبوغ في علم أو صناعة فذلك فرض كفاية كمسألة العدسات المتقدمة فإني وأنا أكتب هذا لست طبيبيا حتى أتقنها فالطب مثلا فرض كفاية ولكن معرفة الأشياء العامة أمثال ما ذكرته لك فرض عين على الخاصة وقواد الأمة ومن العار أن يكون رؤساء الدين في الاسلام يجهلون هذه العلوم العامة . فانظر لعلم تفرغت عنه صناعة كصناعة العدسات وهكذا كل العلوم يتفرع منها الصناعات كالطب والزراعة والتشريح وعلم النبات . وقبل أن أترك هذا المقام أريد أن أريك جمال العدسات وبهجتها في الأنوار وتحاليلها للضوء وكذلك السحاب

## ﴿ الطيف الشمسي . لون ضوء الشمس البياض ﴾

فاذا وقع على منشور أو عدسية ونفذه فانه نضلا عن أنه ينكسر ويميل عن استقامته كما مر ينحل أيضا الى ﴿ أضواء سبعة ﴾ وهي البنفسجي والنيلي والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالي والأحمر على هذا الترتيب وقد نظمها بعضهم فقال

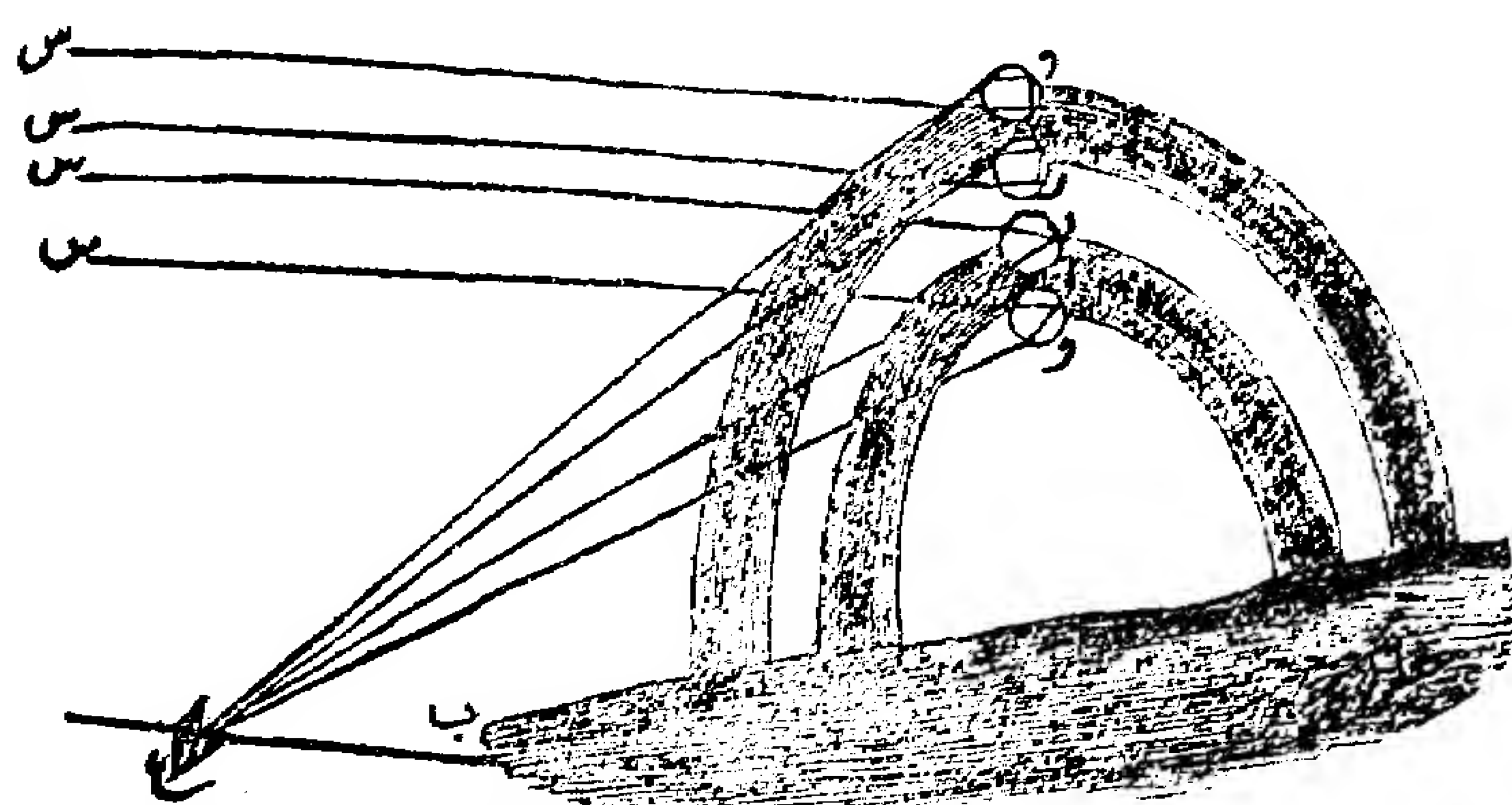


بنفسجي ثم نيلي يلي \* وأزرق يليه ثم الأخضر  
وأصفر وبرتقالي كذا \* وفي ختام الكل يأتي الأحمر  
وهذه نعرفها بأحدى حالين (الحال الأول) أن ندخل جبلا من ضوء الشمس من خرق في الحائط الى  
غرفة مظلمة ونلقيه على منشور ثم نستقبل النور بعد ثبوته منه بقرطاس أو ما أشبهه فإنا نجد الألوان سبعة  
مرتبة كما سمعت وهذه صورتها (شكل ٤)



(شكل ٤)

(الحال الثانية) أن ننظر نفس هذا العمل في السحاب المذكور في الآية التي نحن في الكلام عاينها  
فنجدها في قوس قزح . قوس قزح منطقة مستديرة ملونة بألوان الطيف الشمسي من الأحمر الى البنفسجي  
كما تقدم وهذا القوس يقابل الشمس عند وقوع المطر وسبب ذلك انكسار ضوء الشمس وانعكاسه عن نقط  
المطر فينحل الى ألوانه السبعة وقد يرى قوسان معا أحدهما واضحة وهي الداخلية وتسمى (القوس الأصلية)  
والأخرى أقل وضوحا منها وهي الخارجية وتسمى (القوس الفرعية) وتخالف الأصلية في مواقع ألوانها فلون  
الحررة في الأصلية فوق البقية وفي الفرعية تحتها وهذه صورتها



(شكل ٥)



ما أجل العلم وأبدع الحكمة وأبهج هذه الأنوار . أضاعت الشمس فأشرقت بنورها الأرض فأثارت بحرارتها بخارا من الماء واستخرجته من البحار والأنهار والآجام وسائر الرطوبات في الأرض أي من جميع القطع المتجاورات فحملته الرياح فكان سحبا مبعدا عن الأرض لئلا تبتل منه الأمتعة والناس والحيوان ولم يكن بعيدا جدًا فلاتراه العيون لئلا ينزل على الناس وهم لا يشعرون فيستضرون ولا يزيد بعده عن ١٦ ستة عشر ألف ذراع تقريبا وجعل له برق ليستعد الحيوان ويتأهب فلا يؤخذ على غرة وهكذا الرعد ثم يطر وقد يكون من ذلك البخار المنعقد ثلج وبرد ومنه صقيع وجليد وغيرهما . قلنا ان الشمس هي التي أثارت بحرارتها والرياح هي التي رفعت . فماذا جرى بعد ذلك . أرسلت الشمس نورها على قطرات الماء في السحاب فحلت تلك القطرات الضوء الى ألوانه السبعة البسيطة . فالشمس أثارت السحاب والهواء حمله وهي بضوئها زوفته . إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم .

### ﴿ الآلات البصرية ﴾

هذه الآلات أصبحت كأنها حاسة سادسة وهي ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ الأول آلات مكبرة (مكرسكوب) وهو الذي نرى به دقائق الأشياء وهو لم يخترع قبل غرة القرن السابع قد كشف به علماء النبات النسيج الخلوي في النبات ودوران العصارة فيه ووظيفته وأوراقه . وكشف علماء الحيوان عجائب جمة مثل أن القطرة من الماء الراكد فيها ألوف ألوف من الحيوانات المختلفة الأصناف ومثل أن العفن الذي نراه على الخبز مؤلف من نبات كما تتألف الغابة من القصب . هذا هو (المكرسكوب) ﴿ القسم الثاني ﴾ الآلات المقربة للأشياء البعيدة سماوية كانت أو أرضية \* يروى أن أولاد رجل فلامنكي كانوا ينظرون بعديسات الى برج كنيسة فاتفق أن أحدهم وضع عدسة محدبة في مقعرة ونظر بها شبحا فراه كبيرا وقريبا فأخبر والده مندهشا فوضع والده العدسيتين في أنبوبتين ينزل أحدهما في الآخرفسنع (التلسكوب) ﴿ القسم الثالث ﴾ آلات شتى لالقاء صور الأشباح مكبرة أو مصغرة على حجاب أو نحوه تسهلا لتصويرها أو كشف دقائقها الخ . ثم ان القسمين الأولين غالبا لا بد فيهما من عدسيتين واحدة يقع النور عليهما من الشبح وتسمى (بلورة الشبح) وأخرى تنظر بها العين الصورة . وهذه الآلات كلها لم تخرج عن تنوعات في وضع العدسيات المتقدم ذكرها وهذا آخر ما وصل اليه الناس . استخدموا الرمل والجير والصودا وأمثالها في توسيع نطاق العلم والاطلاع على خفايا الاجسام وتقريب ما بعد من الاجرام والمسلمون غافلون - والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم -

### ﴿ لم خلق الله الصحراء والأرض القفراء ﴾

هذا هو السؤال الذي كان يحش بخلطري حينما أخلو بنفسي وأفكر في نظام هذه الدنيا . ولطالما هجس بالقلب هذا الخاطر أيام زيارتي لحوان القرية من القاهرة وأذكر أني مرة زرتها وبت فيها ليلة وقد خرجت الى الصحراء المحيطة بها من كل جانب في الهواء الطلق وقد أحسست في نفسي بانسراح وبهجة في ذلك الهواء النقي الصافي الجاف وصرت أقول هاكذا تكون جبال وصحارى وأودية لا أنيس فيها ولا جليس ولا ديار ولا نافخ نار . إذن لم خلقت ثم أجبت نفسي بنفسي وقلت ان الله اذا فعل ذلك فقد خلق لنا اللسان والحواس وأنامها طول الليل فاذا كان اللسان لا ينطق ليلا فليس معناه أنه لاحكمة له بل أبقاه لينطق بالنهار وان لم تظهر حكمته بالليل وقد كان هذا وأمثاله جوابا عن أكثر ما أجهله في هذا الوجود وبينما أنا كذلك إذ سمعت حشرات لها طنين موسيقى في غاية العجب فقلت أليس هذا من المخلوقات التي تطرب في هذه القفار فهذا بعض حكم الصحراء . هذا ما كان في الأيام الحالية واكتنك الآن قد رأيت ما هو أبدع وأجل من المنافع العجيبة التي شرحتها لك تارة بالصور وتارة بالعبارة وأزيدك الآن بيانا وتفصيلا وحكمة وجالا حيا الله العلم وحيا الله العلماء . هاأنذا أريك من آيات الله العجب في الصحراء كما اطلعت عليه اليوم



في كتب الفرنجة والمسلمون نائمون . أنظر رعاك الله الى عجائب الحكمة في الصحراء  
(١) حرارتها (٢) رياحها (٣) تنقيتها للهواء (٤) تجفيفه (٥) ولولاها لم يعيش حيوان ولا انسان  
فيما جاورها من البلدان

(١) و (٢) إن الله عز وجل خلق الصحراء لغير ما كنا نعلم وحجبه عن أكثر الناس وهو لا يعطى العلم  
إلا لطالبه ولا الحكمة إلا لمن يشاق إليها . احتجب الله بجماله وتعالى في كماله وخبا العلم عن العقول  
والمعلوم حاضر منظور . نحن نسير في الصحراء ونسافر كثيرا في الخلاء ولكننا ننظر ولا نعلم فهناك البيان  
إن الصحارى تتقد حرارة بما ترسله لها الشمس من الأشعة النورية فيخفف هوائها ويعلو في طبقات  
جوها كما رأيت في الكلام على الرياح في سورة الأعراف وغيرها فيحل الهواء البارد محل ما ارتفع بالحرارة  
ولامعنى للرياح إلا هذا . ما الرياح إلا هواء تحرك ولا حركة إلا بباعث والباعث تلك الحرارة في هذه  
المواضع التي خلت من الرطوبة . تجري الرياح إذن وتحمل السحب وتمطر على ما جاورها من البلدان  
فتنفض الأبدان وتحرك ما سكن وترفع البخار من البحار الى الحقول في القرى والأمصار

(٣) و (٤) ثم انها خاليات من المزارع فهوؤها لا رطوبة فيه ولا عفونة . فاذن هي مخففة له ملطفة  
ومنقية من الجراثيم الثالثة الفاتكة بالانسان

(٥) إذن لولا الصحارى والقفار ما كان العمران ولم يعيش انسان ولا حيوان بجانبها لترادف الرطوبات  
وتكاثر العفونات . وقد ضربوا لذلك مثلا نهرين نهر النيل ونهر الكنج

إن نهر النيل في بلادنا المصرية ينتهى بأرجه البحرى الشتمل على ما يسمى الدلتا . إن هذه البلاد  
تحيط بها الصحراء من كل جانب . يقولون فلولا الصحراء بقربها ماءش حيوان فيها ولا انسان لأن الصحراء  
لها تبعث الرياح وتجففها وتنقيها بخلاف دلتا نهر الكنج . هذا ما قرأته اليوم . ألتست بهذا تفهم قوله  
تعالى - إن ربى لطيف لما يشاء - . أليس من اللطيف أن يخلق صحراء لا أنيس بها وتكون هى السبب  
فى الأتس والحياة لجيرانها . إذن العامر جعل تنورا للعامر من الأرض . فالتنور يجفف الخبز وهذا يجفف  
الهواء وجعل مخزنا للحياة تنبعث منه على العامر . إن العلم يعكس قضايا الجهل فبذلك الجاهل يقول لاحكمة  
فى خلق الصحراء اذا بالعلم يقول \* كل الصيد فى جوف المرا \* ويقول \* أطرق كرا إن النعام فى القرى \*  
ومن أنت حتى تعلم . اللهم إناك أنت الذى حكمت على الأمم الاسلامية أن تنام آمادا وآسادا وقضيت على  
الخالف أن يتبعوا السلف وأنت الذى جعلت الليل والنهار آيتين يخاف كل منهما الآخر فأرنا آية نهار العلم فى  
هذه الأمم باستيقاظها بعد أن أريدنا آية ليل الجهل بنومها - إناك على كل شئ قدير - واجعل هذا الكتاب  
من موقظاتها ومرشداتها واملا أقطارهم بنور العلم والمعدل كما مامت بظلمة الجهل والجور - إناك أنت  
السميع العليم - انتهى

إن الصحراء منبع الحياة والحياة تحتاج الى منبعين (١) احدهما يكون من الجبال فيعطى الماء لسقى  
الزراع والحيوان (٢) وثانيهما يكون من الهواء فوق القفار ليعطى الجفاف والصفاء فلولا الأنهار لم تكن حياة  
ولولا الهواء وتناوته وهبوبة لم تدم الحياة . تحتاج الى منبع ماء ومنبع هواء . فمنبع الماء من المطر النازل  
على الجبال وما والاها ونحو ذلك ومنبع الهواء تلك الصحارى والقفار . وهناك دواع أخرى للصحراء كأن  
تكون مأوى المظلومين فى المدن ومبارة الذين يحبون أن يعيشوا أحرارا فارتين بدينهم أو بعرضهم كما كان  
يفعل الرهبان وكما ستره فى سورة الحديد فى قوله تعالى - ورهبانية ابتدعوها - وكما نشاهد العرب فى صحراء  
مصر أصح أبدانا وأقوى أجساما وأقرب للفضيلة كما يقول ابن خلدون من سكان الحضر . ثم هى أيضا  
حرم آمن فاصل بين الممالك لينع بعضها عن بعض حتى تستقر كل أمة فى مأمنها عاكفة على عملها آمنة

مطمئنة لا ترهب غزو جاراتها إلا في الأزمنة النادرة . هذا ماعنّ لي في هذا المقام وهذا ما حضر في تفسير قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - انتهى

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل - ﴾

يقول الله تعالى - يسقى بماء واحد - ولم يقل يتغذى بغذاء واحد . علم الله عز وجل أننا معاشر المسلمين ستمرّ علينا القرون تلوا القرون ونحن لاهون عن عجائب النبات كما أننا لاهون عن غيره . وعلم أننا لانصدر ولا نرد إلا عن القرآن . وعلم أن هناك طائفة من المسلمين قليلة تتعلم العلوم لذات العلوم وهي تظن أن الدين لا يطلبها أو يعادىها ولا يلائمها فأشار في هذا المقام بقوله - يسقى بماء واحد - الى معنى عجيب دقيق يهدي جميع طوائف المسلمين الى النبوغ في علم الحيوان والترقى فيه لنظام هذه الحياة ولنظام العقول ورفقها بالحكمة . ولعلك تقول . ولماذا تشير هذه الجملة في الآية . أقول لقد أظهر الكشف الحديث أمراً عجيباً أظهر ما لا يخطر ببال ولا يتصوره خيال بل لاتسيغه الأحلام ولا خطرات الأوهام . اللهم إن فضلك علينا عظيم اللهم لو لم يكن في هذا التفسير بل لو لم يكن في العلوم كلها سوى ما سأذكره في هذه المقالة لكفى الأمم كلها سعادة عامة وجمالاً حكماً وكلاً عقلياً . ولو أن امرأاً قيل له إن في النبات ما يفترس الحيوان ويفعل ما تفعله الوحوش والاسود والنمور في اقتناص الغزلان والأنعام . أو قيل إن النبات له من الحيل ما للانسان في استغفاله واحتياله على الآساد . يحفر حفرة في طريقه حتى اذا مرّت عليها وهو لا يشعر وقع فيها الأسد وهو أسير . أو كما تفعل دول أوروبا مع أهل الشرق إذ تغدق النعم على عظماء الشرق وبذلك تستدرجهم الى احتلال بلادهم وابتلاع ثروتهم . اذا قيل ذلك عند قائله غير عاقل يهرف بما لا يعرف . ولكن هذه أصبحت اليوم حقائق ثابتة لاتقبل الشك كما ستراه وسترى صور هذه النباتات في هذا المقال

﴿ أقسام النبات ثلاثة ﴾

اعلم أن النبات ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قسم يتغذى بالمواد الأرضية ممزوجة بالماء والمواد الهوائية وقسم يتغذى بجسم نبات آخر كما تتغذى البراغيث والقمل والحيوانات الضارة من جسم الانسان مثل (المكروبات) اللدني تحدث الأمراض المختلفة كالجمي والجدرى الخ وقسم لا يكون غذاؤه إلا من الحيوان فالقسم الأول من النبات هو المعروف والقسم الثاني من النبات هو المسمى (الكشوثي) وهو نبات يعيش على غيره لا جذر له في الأرض بل يمتصّ من جسم نبات آخر وقد رأيت بعينى نوعاً منه في حديقة مصرية في بعض الدواوين عندنا . والقسم الثالث هو الذي أفردت له هذا المقال ولم أره إلا في كتاب ﴿ الوسوعات ﴾ بالانجليزية الجزء الأول من صفحة ٢٤٠ الى ٢٤٨ واعلم الله لم يكن ليخطر لي قبل هذه الأيام أن أطلع على موضوع شائق جليل مثل هذا فأحمد الله على توفيقه وأشكره على أن أراني هذا وفوق ذلك وفقني لايضاحه لأذكاء المسلمين . وقبل أن أترجم هذا الموضوع من الكتاب المذكور أبين مناسبتة لقوله تعالى في الآية - يسقى بماء واحد - كما وعدت من قبل . ذكر الله عز وجل أنه يسقى النبات بماء واحد ولم يذكر التغذى لأن كل نبات لابد له من الماء والماء واحد ولكن ليس غذاء النبات واحداً . لم يقل هو غذاء واحد ولم يقل هو متعدد أى انه ترك هذا لنا لندرسه فهنا نحن ندرسه الآن فوجدنا الغذاء ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ قسم معدنى عام وهو الذى يتغذى به النبات المعروف وقسم نباتي وهو الكشوثي وقسم حيواني وهو ما سأبينه فأقول

هذا ملخص ما في ذلك الكتاب المسمى ﴿ علوم للجميع ﴾ للعلامة (روبرت براون) قال

معلوم أن جمهور النبات من الطوائف العليا إنما يجتذب غذاءه من الطين بواسطة عروقه الضاربة في الأرض واذا كان يعيش في الماء كالأعشاب البحرية التي تنبت في الطين اجتذب غذاءه من الماء الذى يعيش فيه . ثم قال اننا نعلم أن العروق النباتية الضاربة في الأرض لا يتسنى لها أن تمتص المواد الجامدة



وأنها لا تمتص غذاءها إلا على هيئة مواد سائلة أو مواد (غازية) وهناك قاعدة وهي أن الجذور ليس لديها طريقة كيميائية بها تتحول الجوامد إلى حال السوائل أو الغازات • كلاً • إن في النبات عدداً محصوراً للغذاء له إلا من الحيوان بطرق تختلف ما عليه سائر النبات وأهم أغذية هذا النبات هي الحشرات وحيوانات أخرى صغيرة ولذلك تسمى هذه الأنواع (ممزقة الحشرات) أو (آكلة اللحوم) وههنا أحضر الكاتب نوعين من النبات وهما (ندى الشمس ذوالورق الملتف) و (بتورد) وصورتهم ستأتي في (شكل ٦ و ٧) فلنخص الأول الآن بالكلام

#### { وصف ندى الشمس ذى الورق الملتف }

ورقة فيه حمرة له زهر أبيض يظهر في شهرى يوليو وأغسطس من كل سنة والأوراق مدوّرة وهى أشبه شئ بالمعلقة المفرطحة وسطح الورقة الأعلى يشبه الشعر وهومنته برؤس مغطاة بسائل لزج • وأحسن ما تسمى به أن يقال (قرون الحشرات) أن هذه القرون التى تغطى رؤسها بسائل لزج صمغى إذا نحن لمسناها بطرف قلم الكتابة رأينا بعضها يمتد امتداداً عظيماً وهو يحمل ما يشبه السمع الذائب أو الدبس • فإذا وقع على تلك المادة اللازمة حشرة أوحب أو شئ صغير فإن ذلك القرن ينقبض ويصك بذلك الواقع عليه كما يحصل للطائر الصغير إذا وقع على غصن مغطى بمادة لزجة معدة لاصيده أو كما يحصل للذبابة إذا وقعت بجهالة وغرور على دبس • إذا نحن نظرنا إلى أوراق (ندى الشمس) المذكورة فأننا نشاهد أن كل ورقة قد حصل في جسمها أجسام صغيرة معطلة فيها بواسطة تلك القرون كالذباب والحبوب والأوراق الصغيرة وما أشبه ذلك • وبينما نحن نبحث في تلك الأوراق قد نجد ذبابة وقعت على ورقة وقد اشتبكت أرجلها في تلك القرون أو نجد حبا أو ورقاً عصف به الريح • ثم قال الكاتب • إن الإنسان عادة لا يحتمل البقاء في المستنقع الذى فيه النبات المذكور فاذن يمكن الإنسان أن يحفر عليه ويأخذه إلى منزله ويزرعه هناك ويجعله فيما يماثل ما كان فيه من المستنقع الذى لا يثبت عادة إلا فيه واذن ندرسه في حال فراغنا • فإذا شرع الإنسان في استخراج ذلك النبات لاحظ أن جذوره ضعيفة جداً وتغذيته قليلة • فإذا استوى ذلك النبات في منازلنا هنالك نأخذ في امتحانه فنبتدى أولاً فنضع ذبابة فوق رأس (قرن صمغى) من تلك القرون ونلاحظ نتيجة ذلك فيكون ما يأتى

(١) أن ذلك القرن الذى وقعت عليه الذبابة لا تمضى عليه دقيقة حتى يبتدىء يحنى نفسه نحو مركز الورقة ويستمر في ذلك الانحناء حتى يصل إلى المركز

(٢) وبعد انحناء ذلك القرن تسرع القرون التى تجاوره في الأخذ بيده كأنها عرفت حديث {يد الله مع الجماعة} أو كأنها جميعها تريد الاشتراك في الغنيمة فتحنى جميعها لاغتنام هذه الفرصة وأخذ القنينة (٣) السائل اللزج الذى يصبه رأس ذلك القرن يأخذ في زيادة المقدار حتى يغطي الذبابة جميعها وهذا يكون سبباً في موتها لأن هذا السائل يستمسك جسمها • ولا جرم أن المسام في الحشرات بها التنفس فتنت سدت المسام انقطع التنفس فمات الحيوان

(٤) أن هذه الذبابة التى أصبحت أسيرة في قبضة تلك القرون تتدحرج نحو مركز الورقة بتحريك القرون الطويلة التى فى الأمام وتسلمها إلى القرون القصيرة التى جهة المركز

(٥) أن حافة الورقة تكون منحنية كثيراً أو قليلاً حتى أن حواشها تكون هيئة حوض عند قاعها الذى استقرت فيه الذبابة وغمرها ذلك السائل اللزج الذى أفرزته تلك القرون

(٦) وبعد بقاء الذبابة في هذا الوضع ساعات بل ربما كان ذلك أياماً معدودة نرى تلك القرون تأخذ في الانتصاب والاعتدال كرة أخرى وترجع بالتدريج إلى سيرتها الأولى ووضعها المعتدل المستقيم وترجع الورقة

كما كانت مفرطحة كالملعقة مثل عاداتها ويقلّ فرز القرون لسوائها بل ربما تراها جفت . وإذا نحن بحثنا عما بقي من تلك الضحية وجدنا أنه لم يبق منها إلا ما لا ينفع للغذاء كالجلد والأطراف والأجنحة وما عدا ذلك فلا وجود له وهذا تمام التجربة الأولى . التجربة الثانية : نضع بدل الذبابة أى طعام آخر مقبول كقطعة من اللحم والجبن وبياض البيض والحبوب الصغيرة وهكذا كل شئ يؤكل فإذا فعلنا ذلك وجدنا ما يفعله النبات هنا هو عين ما يفعله مع الذبابة غاية الأمر أن الانهماك والاسراع يكون أقل أو أكثر على حسب المادة الموضوعه فترى اللحم وكل طعام آخر للحيوان أقوى وأسرع تأثيرا من غيرها . التجربة الثالثة : أن نضع بدل ما تقدم شئ لا يصلح للطعام كشيء من الشعر أو الخيط أو العظم أو الزجاج وما أشبه ذلك . إذا وضعنا هذه رأينا القرن المدكور ينعطف ولكنه ليس بالسرعة التي سبقت مع غيره والسائل يكون افرازه بطيئا وتليلا والقرون بعد انعطافها زمنا قليلا ترجع الى سيرتها الأولى . التجربة الرابعة : أن نلمس بكرة مثلا الرأس المدكور لقرن من تلك القرون مرة أو مرتين . فأننا نلاحظ أنه لا يكون لذلك أثر ما دأما إذا كررنا ذلك اللمس مرارا أو اتخذنا الضغط بذلك سبيلا فإن القرن يأخذ في الانعطاف كما في الأحوال المتقدمة . فمن هذا ينتج أن اللمس مرة أو مرتين لا أثر لهما كما في حال ضعيف الأوراق المجاورات لذلك النبات إذا هبت الريح فلمست تلك القرون فذلك لا أثر له . هكذا هطول الأمطار وما أشبهه

#### مسألة من الكيمياء في هذا المقام

اعلم أن هذه المادة المفترزة ليست من الأحماض . كلا وليست تكون من الأحماض إلا إذا أفرزت في حال التهيج كما يتأثر ريق الانسان ويفرز عند شهوة الطعام وحضوره وكما تفرز المعدة مادة حمضية عند مقابلة الطعام . وقد جرب العلماء لذلك تجارب فوضعوا على ذلك السائل ورقة كيميائية تسمى (ورقة ليتمس) ومن شأنها أنها إذا غمست في خل أو أى حامض آخر فإنها تلون باللون الأحمر فلما غمسوها في ذلك السائل وهو على حاله لم يلون باللون الأحمر فلما أن قربوا تلك القرون قطعة لحم وتحركت نحوها بانعطاف هنالك غمسوا الورقة الكيميائية في السائل فصار لونها أحمر فاستدلوا من ذلك على أنها عند تقرب الطعام منها تفرز حامضا كما تفرز المعدة فأما إذا لم يقرب الطعام فذلك السائل ليس من الحوامض فدل ذلك على أن هذه النباتات تهضم بهذه الحوامض طعامها ولا تفرز إلا عند تعاطي الطعام . وهنا أتى المؤلف بهذا المحصل فقال (١) ان قرون أوراق (ندى الشمس) لها قدرة على القبض على الذباب وصغار الأشياء والاستحواذ عليها متى لامست المادة اللزجة على رأس تلك القرون

(٢) ان القرون وأطراف الأوراق لها قوة على الحركة بحيث تنعطف على ما تصطاده بأطراف القرون المدكورة وتدحرجه الى مركز الورقة

(٣) هذه الحركة إنما تحصل برأس ماسميناه (قرون الحشرات) أما بتكرار اللبس أو بدوامه  
(٤) القرون يدوم انعطافها وانحوائها على الفريسة وهي مطهشة ساكنة زمانا طويلا إذا كانت الفريسة صالحة للأكل وقليل في عكس ذلك

(٥) المواد العضوية لاسيما المواد الحيوانية القابلة للهضم أسرع تأثيرا مما لا يصلح للأكل فالأول كاللحم والثاني كالعظم وبقاء انحناء القرن على الفريسة يطول في الأول ويقتصر جدا في الثاني

(٦) ان حركات القرون يصحبها افراز سائل من رؤسها لاسيما إذا كان مسبب الحركات مادة تصلح للأكل

(٧) ان نتيجة افتراس مادة صالحة للأكل كل بهذه القرون أن يعمها ذلك السائل المفروز وأن الأجزاء الصالحة للتغذية لا تظهر بعد ذلك وما لا تؤكل لا يتبع عليها أثرا

(٨) المادة المفروزة من تلك القرون ليست تكون من الأحماض إلا عند ملامسة ما يهيجها من المواد

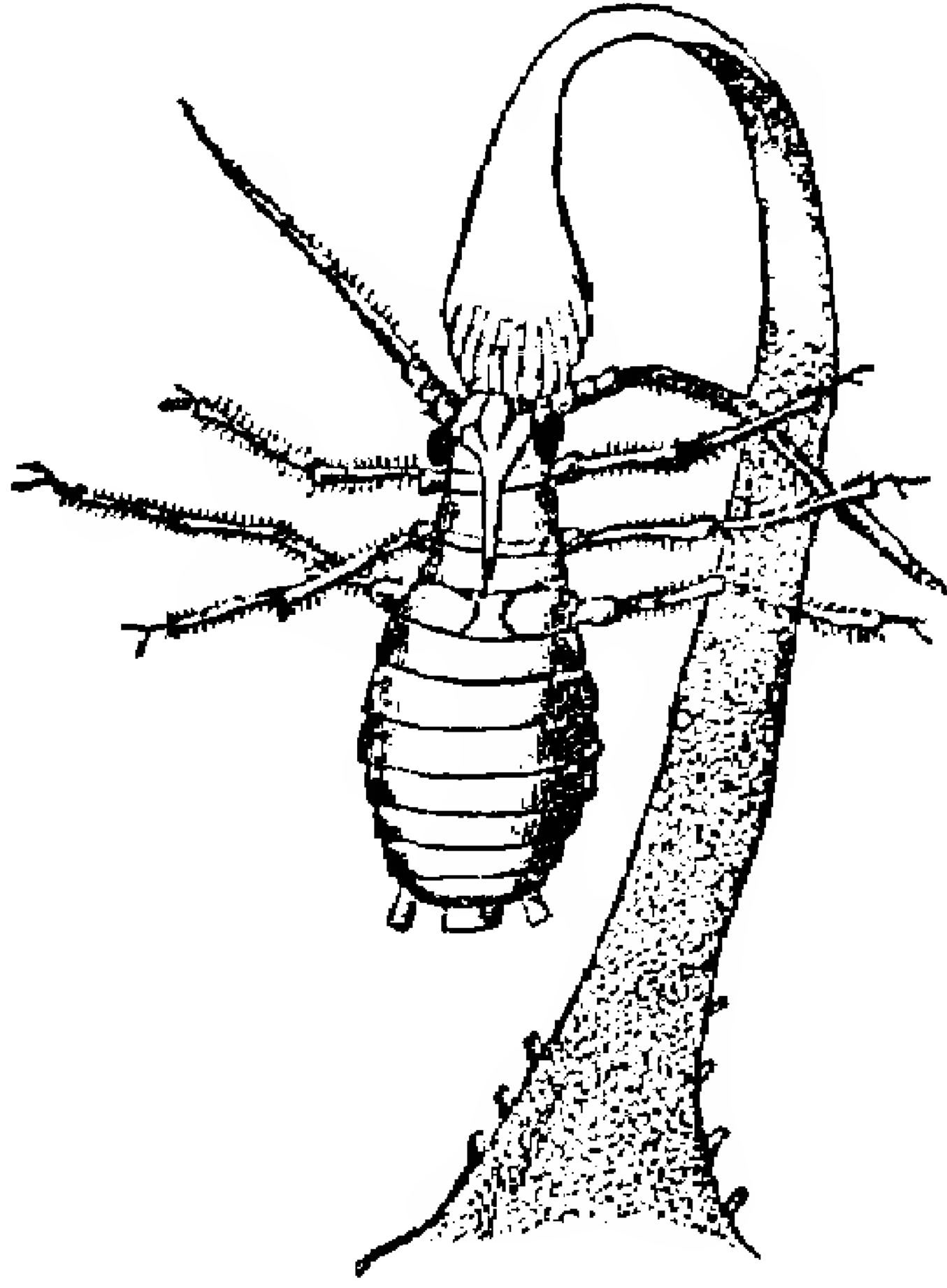


المأكولة . هذا واعلم أنهم قد تحققوا أنه لا فرق بين المادة الهاضمة في معدة الانسان المسماة (بسين) وبين المادة الهاضمة في هذا النبات فهما سواء . وهذا الحامض الذي في النبات يكثر عند ملامسة مواد خاصة

﴿ فائدة جذور هذا النبات ﴾

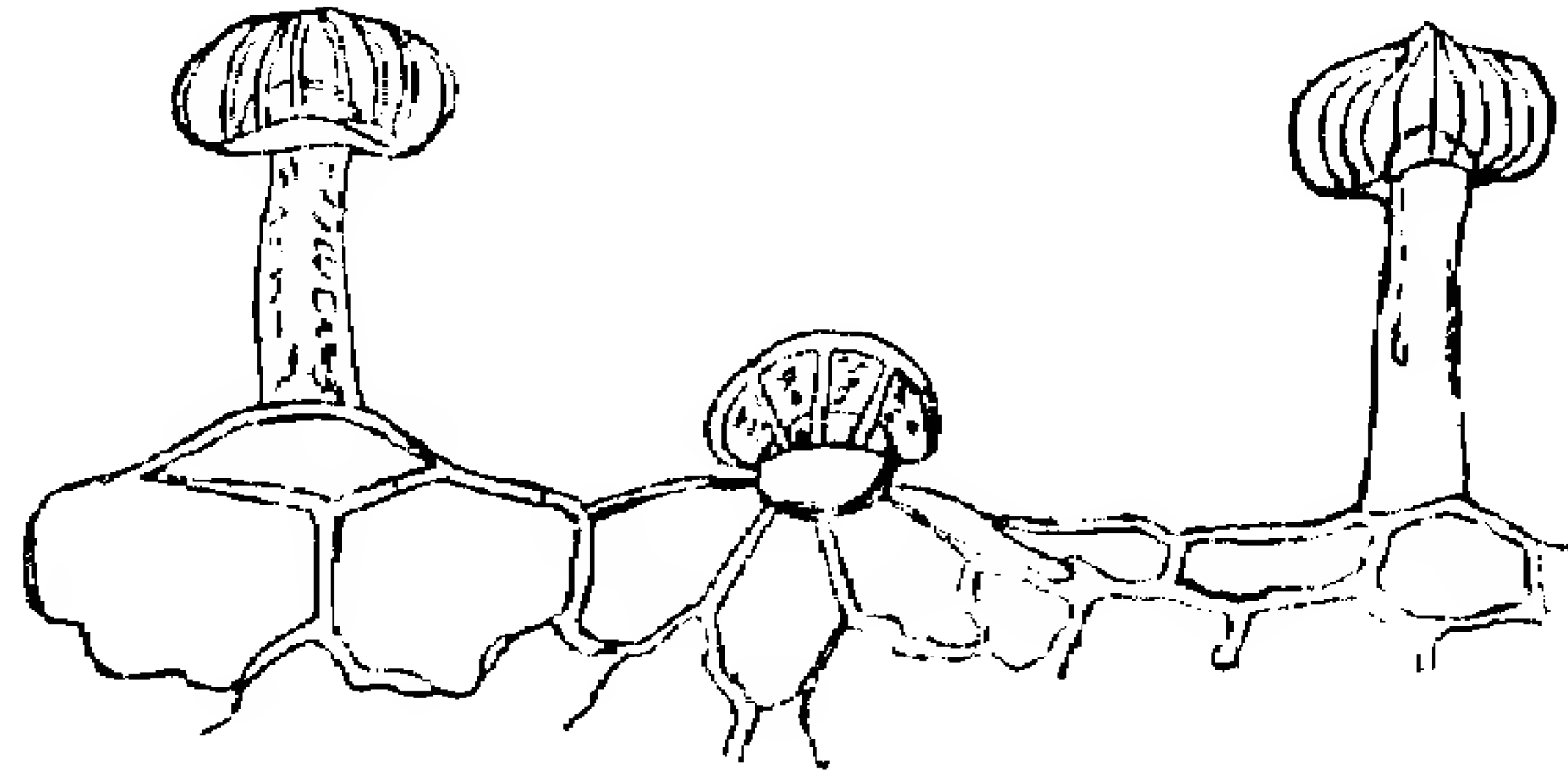
(سؤال) . علمت أن هذا النبات يتغذى من الحشرات وغيرها فما فائدة جذوره في الأرض (الجواب) أن فائدة هذه الجذور ﴿ أمران ﴾ الأول انها لتثبت النبات في الأرض . الثاني انها تجذب له الماء الصاعد في أوراقه فأما جلب الغذاء فلا . انتهى الكلام على نبات (ندى الشمس) المذكور ( شكل ٦ )

﴿ عدد النباتات المفترسة هي تبلغ مائة ونيفا ﴾



( شكل ٦ )

قال المؤلف ان عدد النباتات التي تأكل الحيوان في بلاد الانجليز غير هذا الذي شرحناه وهو (ندى الشمس الملتف الورق) نوعان فقط فأما الموجود في العالم من ذلك فهو نحو مائة نبات وكلها من غير استثناء تصطاد الحشرات كالذي شرحناه سواء بسواء وكل غذائها منها . واذ فرغنا من الكلام على النبات الأول وهو (ندى الشمس الملتف الورق) فلنبين حال الثاني وهو ( بترورد ) شكل ٧



( شكل ٧ )

ولقد أخذ الكاتب يشرح هذا النبات ويذكر التجارب التي صنعت فيه كما كان ذلك مع النبات الأول فلانطيل به





٣

٤

( شكل ٨ )

هذه النباتات الست قد وصف الكاتب بعضها . وها أنا ذا أوجز القول فيها فأقول  
النبات نمرة (١) فهذا يسمونه (النبات الجزار) وهو نحو (٣٦) نوعا وليس من الأشجار بل هو بر



من نوع الأنجم أى التى لاساق لها وينبت فى البلاد الحارة والذى كشفه هوالمستر (هوكر) أنظر الى ورق هذا النبات فى الركن الأعلى من اللوحة فى جهة الشمال فانك ترى الجزار فيه على شكل الآلة الموسيقية أو على هيئة آنية بأحجام مختلفة يتصل به ساق قد يطول جدًا وهو عند أعلى الورقة وهذا الجزار قد يطول من عقدة وعقدتين الى أكثر من قدم ويقويه غطاء ذو فتحة صغيرة أو كبيرة • واعلم أن فم ذلك النبات والسطح الداخلى منه جيلان بلون بديع وهيئة جميلة وقد يفرز أيضا مادة عسلية • فههنا اجتمع جمال المنظر وحلاوة العسل فهذان يغران الحشرات المسكينات فيدخلن ذلك النبات • وهنا أخذ الكاتب يفرض أن أحدنا لو كان مكان الحشرة ورأى ذلك المظر والمذاق الحلو لكان حقا يسرع الى ذلك الجمال والحلاوة ويهجم على المكان هجوما شديدا فندخل أولا باب ذلك الجزار قال وقد نجد ما يغرتنا من جمال الداخلى فزيد في التوغل فى الداخلى حتى ندخل فى الأنبوبة التى تشبه المدخنة • ولسوء طالع الداخلى يرى أنه يتعذر عليه الرجوع فزيد فى التوغل داخلا • فإذا نرى • نرى هناك سطحا أشبه بالزجاج لاستقرت الرجل عليه فاذن ننزلق عليه وحينئذ يجد هذا الداخلى أنه قد غرق فى ذلك السائل الذى يعم جسمه فيقطع أنفاسه ويكون طعاما سائغا مهضوما • وهنا نرى العجب • نرى أن هذا النبات الجزار لم يصطد فريسته بقوة ولا بثقله وإنما اعتمد على خطة الغش والخداع بجمال الألوان وبالعسل أولا وباستدراج الفريسة الى الدخول فى الأنبوبة السهلة الدخول المانعة من الخروج ثم يكون الاستقرار فى المكان الذى يشبه الزجاج فى نعومته ثم يكون الموت والهضم • وهذه التجربة كانت بمعرفة الاستاذ (هوكر) وقدمها للجمعية البريطانية فى اجتماع (بلفاست) سنة ١٨٧٤ م ووصف الكاتب النبات الثانى (نمرة ٢) الذى تحت الأول أى فى الركن الذى جهة الشمال من الأسفل فى اللوحة فقال إنه ينبت فى شمال بلاد (كردولينا) وهو مثل النباتين المذكورين أولا هنا • قال وهو ينبت فى أرض المستنقعات مثلهما والورقة ذات فصين يكوّنان مع بعضهما زاوية أقل من القائمة وترى عند مركز كل فص من الفصين ثلاث شعرات تشبه الأسنان • ومن العجب أننا اذا لمسنا واحدا من هذه الشعرات بآبرة مثلا أسرع الفصان فانطبعا معا حالا ويبقيان هكذا معا فيعسر فصلهما إلا بتمزيقهما • واذا نحن نجحنا فى فصلهما رجعا فاتحدا ثانيا ويبقيان نحو يوم لا يريدان الانفصال • واذا لمسنا جزءا آخر بآبرة مثلا من الورقة غير تلك الشعرات لا تتحرك الورقة وهكذا لاحرك لها بهبوب النسيم ولا بنزول قطرات المطر على تلك الشعرات التى تشبه الأسنان كما قلنا سابقا • ولواننا وضعنا على الورقة ذبابة مقطوعة مثلا أو قطعة من لحم لرأينا أن رأس الشعرات التى كالقرون التى مستها الذبابة أو قطعة اللحم أخذت تفرز سائلا لزجا وأخذ الفصان الاذان انقسمت اليهما الورقة يقتربان وينطبقان • وهذه التجربة قد حصلت فى كل ما يصح أكله فكانت النتيجة ما حصل فى اللحم والذباب فهناك افراز وهناك انطباق الفصين أو مصراعى الورقة • أما مالا غداء فيه كالزجاج ونحوه فلا تتحرك له الفصان ولا يفرز النبات له سائلا • واذا انطبق الفصان على الفريسة فانهما لا يفترقان نحو ثلاثين يوما ثم اذا انفصلا فانهما تقل قوتهم بعد ذلك وتصعب عليهما الفريسة الكبيرة التى قدرا عليها فى أول مرة • ومتى فتح الفصان بعد انقضاء عدة الأيام للانطباق فانا لانرى للفريسة أثرا إلا ما صعب هضمه كالجلد والرجلين ونحوهما • ثم وصف النمر الثالثة وهى الموضوعة فى أسفل اللوحة فلم يطل الوصف فيها اتكالا على ما سبق • ووصف النمر الرابعة التى فى الجانب الأيمن من الأسفل باللوحة فقال ان ورقتها ملففة ولها قرون وهى من نوع (ندى الشمس) المتقدم ولم يطل فيه ولا فى الخامس ولا فى السادس لأن أوصاف هذه النباتات متقاربة • ثم ختم المقال بقوله • ان اقتصاص النبات للحيوان كان موضع شك من العقلاء ولكن ما ذكرناه الآن أثبت هذه الفكرة وأن بعض النباتات مفترسة كما يفترس الحيوان • انتهى ملخص هذا المقال مترجما يوم الأحد ٢١ أغسطس سنة ١٩٢٧

## ﴿ جوهرة ﴾

ها أنت ذا أيها الذكي اطلعت على عجائب ما كان ليخطر لأحد أنها حقة . اطلعت على عجائب تدهش العقول . الناس عرفتوا النبات بأنه يتغذى وينمو ويلد ويموت . وعرفوا الحيوان بأنه متصف بذلك كله ويمتاز بالحس والحركة ولكن بعد هذا البيان أصبح الحيوان لا يمتاز عن النبات فإذا قلنا النبات لا يحس ولا يتحرك فما بالناس ترى بعض الذي رسمناه ووصفناه في هذا المقام يتحرك لأدنى لمس للشعرات الثلاث اللاتي خلقت في مركز الفصين المتقدمين في أحد النباتات التي في اللوحة المذكورة وما بالنا نراها كلها تتحرك عند حصول ذباب أو غير ذباب عليها . أليست هذه حركة . أليس هذا هو الحس بعينه . اللهم إنك بهذا فتحت البصائر وأنرت القلوب . ولما وصلت الى هذا المقام حضر أحد أصدقائي الفضلاء واطلع على هذا فقال يا عجبا لك أباختلاط الحقائق فتحت البصائر أنت تقول ان النبات والحيوان قد اختلطا وأصبح أمرهما غير مضبوط فالنبات حيوان فهل هذا انفتاح البصائر . كلا بل هذا هو اظهار جهل أهل الأرض قاطبة بهذا الوجود فأوضح هذا المقام والا فالقول غير مقبول . فقلت لماذا عجلت على فلا أوضح المقام الآن فأقول . إني قصدت بانفتاح البصائر هنا ﴿ خمسة أمور ﴾ الأول أن هذه النباتات أرتنا سرّ قوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل - ﴿ الثاني ﴾ أنها أرتنا لطف الله في الامانة كلطفه في الاحياء ﴿ الثالث ﴾ انها أرتنا كيف تتنوع الأرزاق بتنوع المخلوقات مع عجائب التدبير والاحكام والنظام الغريب ﴿ الرابع ﴾ انها أرتنا معنى قوله تعالى - ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم - ﴿ الخامس ﴾ انها أرتنا أن تحريم اللحم لأجل الرحمة لبرهان عليه . فقال فما ايضاح الأمر الأول . فقلت إن الله يقول - يسقى بماء واحد - كما قدمت سابقا ولم يقل يتغذى بغذاء واحد وههنا ظهر السرّ ظهر هنا بأعظم وضوح فتعجب . ألم تر أن جذر بعض تلك النباتات المفترسة لم يكن له عمل إلا جذب الماء وتثبيت النبات في الأرض فأما جلب الغذاء فلا لأنه يتغذى من الحشرات وغيرها . إذن الماء هو المادة العامة لكل نبات وليس الطين كذلك فهذا سرّ قوله - يسقى بماء واحد - ولم يكن الناس يعلمون ذلك قبل زماننا هذا ولم يكن أحد ليعقل أن النبات لا يتغذى من المواد الأرضية وإنما يتغذى من نفس الحيوان فهذا سرّ قوله تعالى - يسقى بماء واحد - ولم يقل يتغذى بماء واحد . أليس هذا من عجائب القرآن . ومن عجب أنك ستري في هذه السورة صور الثلج أنواعا كثيرة وتري أنه قد ظهر بأساليب عدة وهو محلى بما يشبه ورق الأشجار وبهجتها . فهذه الأشكال النباتية التي سترها في الثلج دليل على أن نظام النبات أسه من الماء ولذلك كان منه ما يأكل جادا وما يأكل حيوانا فكانت جميعها كأشكال الثلج التي سترها اه

## ﴿ ايضاح الأمر الثاني ﴾

أما ايضاح الأمر الثاني وهو لطف الله عند اماتة الحيوان فانظر وتعجب . أليس الناس على الأرض يموتون بالمرض تارة وبالحرب والقتال تارة أخرى . فيا للعجب يموت الناس غالبا وهم فزعون من الموت أما هذه الحشرات فان الله عز وجل قد مهد لها السبيل الى الموت في راحة وسعادة . ألم تر الى العسل الذي أعد لها والى الأنبوبة اللطيفة التي تدخلها والى المنزل الذي يشبه الزجاج في نعومته . أعد الله ذلك للحشرة وزين لها ظاهر الورق وباطنه ومدخله لترى جمالا فتسرع اليه وقد فعل الله معها ما فعله مع هذا الانسان إذ قال له - حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا الخ - فهذه الحشرات التي تدخل النبات المفترس يغرها الجمال الفتان في الورق والعسل الحلو في داخله والمزلق اللطيفة حتى اذا اطمأنت جاء لها السائل الذي تفرزه تلك القرون من رؤسها فتموت حالا فهذا موت لا ألم فيه بل أخذها الموت في حال لا تحس بها . وأما ايضاح ﴿ الأمر الثالث ﴾ وهو تنوع أسباب الأرزاق



بتنوع الحيوان فهو ظاهر واضح فانك ترى بعض هذه النباتات يقتنص الفريسة بالخداع واطهار الجمل والعسل فتخدع الحشرات وبعضها يعتمد على حركته واخراج السائل فيقبض بشعرة من شعراته على القنينة ثم يبتلعها بأخرى ويفرز السائل الذي يقتل الحشرة . فهذا اعتماد على قوة بطشه وعلى آلة قتله كما يفعل الانسان وأما ما قبله فقد اعتمد على الحيلة والدهاء والمكر كما يفعل السياسيون وكما يفعل الانسان مع السباع أما ايضاح ﴿ الأمر الرابع ﴾ وهو قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها الخ - فاعلم أن ذلك تقدم في سورة هود مفصلاً ولكن هنا نذكر ما يناسب هذا المقام . أنظر الى هذه العجائب نبات لا ينتقل من مكانه وقد حكم عليه أن لا يأكل إلا من حيوان . فإذا فعل الله له . خلق له الحشرات وأكثرها ولم يغفل عن خلق هذه النباتات وقال لها أيتها النباتات اني حكمت عليك بالبقاء في المكان ولكني سهلت لك السبيل ومهدت الطريق وجعلت من الحشرات أفئدة تهوى اليك فرزقتك من اللحوم وغيرها . أنا الذي حكمت عليك بالبقاء وأنا الذي أنعمت عليك بالحشرات الطائفات لتغذي بها غذاء تاما . هذا معنى قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - فهذا هو الأخذ بناصية الدواب وهذا منها

أما ايضاح ﴿ الأمر الخامس ﴾ فان تحريم اللحم لأجل رحمة الحيوان لا برهان عليه لأننا رأينا الحيوان يقتنص الحيوان ويقتنصه النبات . وهما هي ذة النباتات حرم عليها أن تأكل غالباً إلا من حيوان وهكذا الاسود والتمور حرم عليها أكل النبات ووجب عليها أكل الحيوان فعلمت أن نظام هذه الدنيا راجع الى ﴿ أمرين ﴾ الموت والحياة والموت مقصود في هذه الأرض والحياة أيضاً مقصودة فهما أمران كل منهما واجب وجوده . وعليه لا معنى لتحريم أكل الحيوان الذي نريجه بقتله واخراجه من ضيق الأرض الى فسيح الفضاء هذه جنة العارفين . إن العلم بهذه الحكم والعجائب جنة العارفين ونعمة الحكماء وبهجة الأولياء . واعلم أن علم الله لا حد له وفضله لا نهاية له - وقل رب زدني علماً - اهـ

﴿ منظر جميل في قصر منيف ﴾

( حقيقة أم خيال )

لما كتبت هذا الموضوع كان ذلك في صباح ليلة الأحد وقد كنت قبل الكتابة مشغولاً به شغفاً لا حد له فما كدت أتمه حتى أحيت أن أستريح مقاوماً ما يساورني من المعاني التي تحوم حول هذا الموضوع مكتفياً بما كتبت . ولكنني في ليلة ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٧ خطر لي وقت الصباح خاطر لم أقدر على مدافعة وظنّ تلك على وجداني وأنا به ثمل فقد خيل لي هذه الدنيا كأنها قصر جميل ذات بهجة وحسن وكأن السماء جميعها مضيئة مشرقة تحيط بي من كل جانب وكأنني في حياة أسعد من حياة أهل الأرض التي أعيش فيها فلم أربداً من كتابة ما لاحظته في هذا المقام . وهنا أخذني ما يشبه سنة النوم وكأن هذه السماء التي تبدت لي مضيئة قد صارت قصراً جميلاً بهياً بديعاً فأخذت أنظر في جوانبه وأتأمل عجائبه وأسرح الطرف في محاسنه . هنالك تبدت لي حيطانه الأربعة مصنوعة من الذهب مزخرفة باللاتي البديعة والأحجار الثمينة وأنواع المرجان وكل ما هو جميل وتخيلت أن في أركان القصر نوراً يشع ثم أخذ يزداد شيئاً فشيئاً فأخذ بمجامع لي لما تنوعت ألوانه وأشرقت صورته فكنت أرى صوراً مشرقة بديعة بهيئة ألوان (قوس قزح) وهنا رأيتني في عالم غريب عجيب فخرت في أمرى وصرت أقول ياليت شعري أين أنا الآن . أنا أكتب في موضوع ذلك النبات الآكل اللحم الذي كشفه القوم وهما هي ذة صورته مرسومة أمامي فما هذا القصر وما هذا الجال . فبينما أنا على تلك الحال إذ رأيت شخصاً كأنه طيف خيال . فقال أراك في حيرة فسلني عما تريد فقلت ما هذا القصر ولمن هو . فقال هذا القصر لك أنت ولأمثالك . فقلت وكيف ذلك . فقال قد حضر في خيالك ليمثل ما كتبه الآن . فقلت لم أفهم ما تقول . فقال ألم تعلم أنك الآن تكتب في عالم الحيوان

والنبات وقد أتيت بأعجب ما فيه - ما وهو النبات الذي يأكل اللحم . فقلت بلى . قال إن المعدن والنبات والحيوان والانسان تمثل حيطان القصر الأربعة . فأما أركان القصر فهي الصلة بين كل حائط وما يجاوره فركن يمثل اتصال المعدن بالمادة الأصلية كالخشب والزجاج وأمثالهما فهذه معادن أقرب الى المادة الأصلية ومثل ذلك أنواع الشبوب وأوسط المعدن الرصاص والذهب ونحوهما . والركن الثاني يمثل اتصال المعدن بالنبات وأعلى المعادن الياقوت والذهب ونحوهما وأقل النبات ما يظهر بالغدوات أيام الربيع من نبات صغير ويحف في نخوة النهار وفي اليوم الثاني يطاع كعادته ويحف ضحى وهكذا ويسمى (خضراء الدمى) والركن الثالث يمثل اتصال النبات بالحيوان والركن الرابع يمثل اتصال الحيوان بالانسان وذلك في أنواع القرود والفيلة والحيل فالقردي يقرب من الانسان في تقليده والفيل في ذكائه والحيل في أدبه . فأما الركن الثالث فهو الذي كنت تكتب فيه وأنا أبين لك ما في نفسك . لقد تبدى لك في هذا الركن الذي يصل ما بين النبات والحيوان نور أولاً قليلاً ثم ازداد وتلاً وتوقع . فأما ظهور النور أولاً فهو ما كنت ترقوه في كتب أسلافك من أن أعلى النبات النخل والكشوثي أما النخل فلأنه يشبه النبات من حيث أنه اذا قطع رأسه مات كالحيوان وأما الكشوثي فانها تعيش على غيرها من النبات فنفسه حيوانية وشكله نباتي . فهذه أشبهت الحيوان من حيث انها تأكل النبات والنخل أشبهه من حيث انفصال الذكر عن الأنثى ومن حيث أنه اذا قطع رأسه مات وأدنى الحيوان دودة في جوف أنبوبة تنبت على الصخر الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار . هذه هي الأركان الأربعة وأمثالها . هذا هو معنى النور الذي ظهر لك أولاً في هذا الركن . فأما النور المتلألئ الذي ظهر بعد ذلك فانه يمثل لك الجمال الذي ابتهج به قلبك والعلم الذي نلت بالاطلاع على نفس صور النباتات المفترسة وكيف أدهشك ذلك النبات الجزار الذي قد رسم أمامك في أعلى اللوحة المتقدمة من جهة اليسار الذي كشفه الاستاذ (هوكي) فانك لما رأيت صورته ووجدت وصفه وأن فوهته وأسفل سطح الغطاء متلألئان جيلان في غاية الحسن مزودان بالعمل . أقول انك لما رأيت ذلك دهشت أشد الدهش لأنك تطلب الحقائق وصارت نفسك تحدثك قائلة هذا نبات لا حراك له إلا قليلاً فما هذا الجمال وما هذا العمل . هذا الجمال وهذا العمل خلقا ليغش بهما الحيوان فيقدم عليهما ليموت فأخذت نفسك تحدثك قائلة أيضاً إن الذباب وكثيراً من الحشرات عمرها قصيراً كثيراً يموت في أوائل الشتاء والحكمة قضت أن لا معطل في الوجود فلذلك أعدت هذه المذاهب ووضعت هذه الأعاجيب بلطف وحيلة حتى يكون لموت هذا الذباب فائدة لأنه اذا مات في العراء فلا فائدة منه . فأما اذا التهمه هذا النبات فقد أصبح غذاء له واذن الموت مطلوب والحياة مطلوبة كلاهما مقصود ولكن موت الحشرات على هذا النمط أجل حكمة وأشرف مقصداً وهكذا لما رأيت النباتين اللذين رسما في جهة اليمين من اللوحة المتقدمة وعرفت وصفهما بحيث ان الفم وأسفل الغطاء شكلهما ولونهما جميل وقد وجد فيهما العمل كما تقدم أيضاً وهذا العمل قد يسيل الى الأرض ليغمر الحشرة ويهديها الى طريق الموت بسهولة فاذا جاءت لتشربه فرحت بالمنظر فسارعت لتدخل فيقابلها دهليز أملس ثم تمر على ممر زجاجي لا تستقر الأرجل عليه ثم يقضى عليها فتكون طعاماً موضوعاً سائفاً للآكلين . فهذه المناظر البديعة التي رأيتها في علم الحيوان زادتك علماً وأمارت بصيرتك فانتعشت قوتك العلمية فبعد أن كانت معارفك في هذا لاتعدو النحلة ونبات الكشوثي المتقدم وهكذا تلك الدودة التي تنبت على شطوط الأنهار وكنت تقرأ في كتب المتقدمين أن تلك الدودة حيوان نباتي لأنها أعطيت الحركة وحاسة اللمس وذلك لأنها تمتد لأكل الرطوبات المناسبة لها فهي إذن شاركت الحيوان في حاسة اللمس وفي الحركة وأيضاً ان كل نبات في الأرض يحس بالضوء . وبرهان ذلك أنه اذا وضع في مكان مظلم وذلك المكان دخله نور من نافذة فان ذلك النبات يميل للنور فدل ذلك على أنه يحس بالنور . وهو أيضاً يتد عروقه للمواضع



النديّة وفروعه الى جهة العلوّ فهو إذن يعرف جهة العلوّ وجهة السفلى . وترى النبات اذا امتدّ على حبل فانه لا يتعداه ولا يميل عنه . هذا ما كنت تقرؤه في كتب المتقدمين . فلما أن رأيت عجائب الاحكام وتبدى لك ما كنت تجهله من قبل إذ رأيت الحكمة العالية القدسية لم تذر هذا النبات مهما بل جعلت له عدّة وقوّة وسهات له السبل وأغرّت الحشرات بطرق تخدعها وتستدرجها حتى تقع في فخ هذا النبات فيقتنصها فهالك الأمر ورأيت تدبيراً محكماً وقصداً ظاهراً وليس هذا أمراً اتفاقياً ولا حادثاً جاء مصادفة وانما الذي فعل هذا يقصده ويدبره . هذا هو الذي خطر لك فبعد أن كان النبات يتحرك حركات بسيطة ظهر لك الآن أنه له مملكة منظمة وسلاح . وكما أن الأمم لها مدارس للحرب ومعامل للسلاح لتسطو على غيرها . هكذا هذا النبات له سلاح وجنود وسلاحه الجبال وجنوده العسل كما في قول معاوية رضي الله عنه ﴿ ان لله جنداً من عسل ﴾ قالها لما دس السم الى الأشر بعض قواد سيدنا على من قتله بالعسل المسموم . فهذا السلاح العسلي هو الذي استعمله النبات . هذا هو الذي هالك وأدهشك فانشرح قلبك فتمثل لك ذلك بالألوان البديعة والصور المشبّكة المتدخلة التي تتّوج بألوان (قوس قزح)

ثم قال فهذا القصر الذي رأيته واركانه مثال خيالي للعلم الذي درسته الآن وقد قام بذهنك أن ماتكتبه الآن سيقروّه كثير من شبان المسلمين في حياتك و بعد موتك فزاد سرورك لأنك اعتقدت وأنت على حق أن شبان المسلمين حين يقرؤن هذا يكونون قد وقفوا بغتة على آخر وصل اليه العلم فيتعاطونه شرباً لذيذاً سائغاً للشاربين ويكون هناك جيل جديد لم تحلم به الأوائل لأن المسلمين قد حرّموا من هذه العلوم حرماً تاماً وليس لهم ملجأ يلجؤون اليه فاذا عرفوا أن القرآن يطلبه كما تكتبه أنت انحلت العقدة وانطلقوا سراعاً الى العلوم وفتح لهم الباب على مصراعيه فيتعلمون وهم مجتدون . هذا هو النور الذي رأيته لامعاً ثم ازداد حتى صار سمروراً للناظرين . فقلت أوضح لي مسألة الخيال والحقيقة ايضاً أتم . فقال لكل امرئ من الناس قوّة ترسم فيها الصور كهيئة الآلة المصوّرة يقال لها الخيلة وقوّة أخرى تدرك المعاني الكلية وهي تسمى (المفكرة) فالمفكرة تفهم المعاني والقوّة الخيلة تجاورها . فالمعاني الجيلة التي في القوّة المفكرة تصوّر لها في الخيلة صور تماثلها وتكون مشاكلة لها . فهذا القصر وهذا النور يمثلان ما في قوتك العاقلة من المعاني . فقلت له وهل لهذا نظير في القرآن . قال نعم ألم تقرأ سورة الواقعة ألم يذكر هناك هذه الحيطان الأربع لهذا القصر وهذا النور الذي ابتداء صغيراً ثم تلاحاً . فقلت وكيف ذلك . قال ذكر الله أولاً خلق الانسان فقال - أفرايتم ما تمنون الخ - وهذا يتضمن خلق الانسان والحيوان لأنهما معا مخلوقان - من ماء مهين - فهذان حيطان من حيطان القصر . ثم ذكر الزرع والماء والأول هو عالم النبات والثاني يعبر عما ليس نباتاً ولا حيواناً ومن ذلك المعادن . فهذه هي الحيطان الأربع وأركانها فيها . إن الذي يطلع على هذه الحيطان الأربع وأركانها يدعش اذا عرف حقائقها فلذلك تراه آخر ذكر النار فقال - أفرايتم النار التي تورون - ولا جرم أن النار لا تختص بالشجر المذكور في الآية بل النار تكون في دهن الحيوان وفي المعادن وما أشبهها كالسائل المسمى (بالسترول) وكذلك يحترق بها بعض الناس يوم القيامة والأججار كما قال تعالى - وقودها الناس والحجارة - فالنار عامّة لذلك آخرها وهذه النار الخسية يقابلها نار الشوق للعلم والعشق للحكمة التي ظهرت لك أولاً في الاتصال بين سلسلة النبات والحيوان في كلام المتقدمين قليلاً وشأن العلم أن يكون أولاً قليلاً فاذا تأثر صاحبه عليه أنار الله قلبه وزاده علماً كما قال تعالى - والذين اهتموا زادهم هدى وآتاهم تقواهم - فمن فتح الله عليه بعلم استنارت بصيرته أولاً بقدر ما علم وعند المنارة تفتح له أبواب العلم من عند العليم الحكيم . ونظيره في سورة الواقعة أنه ذكر النار بعد ذلك فقال - نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين \* فسبح باسم ربك العظيم - فذكر النار وأنبعها بالتسبيح ثم أشار الى الفتوح السماوى فأقسم

بالنجوم وأبان أن هذا القسم عظيم وأنه لا يعرف عظمة هذا القسم إلا العالم بالمقسم به  
 فهذه هودا ابتداء بالحيطان الأربعة وهي المخلوقات الأرضية التي تحيط بكم . ثم ذكر النار التي تنقد بها كما  
 يشرق قلب الإنسان بعلمها . ثم أبدع فذكر النجوم وأفاد أن أمرها عظيم لمن يعلمون فأما الجهال فليس  
 لهم حظ من هذا الجلال . ففي (الواقعة) ذكر العوالم الأرضية وختم بنارها ثم بالكواكب وفي هذه السورة  
 ذكر أنه رفع السموات بغير عمد ثم استوى على العرش وذكر تسخير الشمس والقمر ثم تدير الأمر اجبالا  
 ثم تفصيله ثم أتبع ذلك بمجائب الأرض في قطعها المتجاورات والجنات من الأغناب . إذن المذكور دنا العالم  
 العلوي أولا ثم السفلي وفي سورة الواقعة السفلي ثم العلوي إشارة إلى أن كلا منهما مرتبط بالآخر . فاذا درست  
 النجوم فلتدرسوا ما أثرت فيه بالمنافع والنمو . واذا درست النبات والحيوان فلتدرسوا ما أفاد فيهما . إذن  
 إذا درست السبب فادرسوا المسبب والعكس بالعكس فهذا إيضاح مماثل لك في خيالك وما يطابقه من القرآن  
 فإذا قال الله هنا - يدبر الأمر - فهذه هودا تدير الأمر وأي تدبير أعجب من هذا . يعتمد على نبات لا قوة  
 له ولا قدرة فيزيهه ويعطيه عسلا ويرسل له الحشرات فيختطفها النبات . إن هذا تدبير عجيب يسر الحكماء  
 وأن مارسه في هذه المقالات من الصور التي عرفها أهل أوروبا من تفصيل الآيات الذي ورد في القرآن فهو  
 الذي يدبر الأمر وهو الذي يفصل الآيات . فآيات الله التي تظهر على هذه الأرض كلها مفصلات بعلمه  
 وأتبع ذلك بقوله - لعلمكم بقاء ربكم توقنون -

عبر عنها بالايقان كما عبر في سورة الأنعام في قصة الخليل إذ قال - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات  
 والأرض وليكون من الموقنين - فهذا التفصيل الذي ذكرته أنت في هذا التفسير وبالمجائب التي اخترتها  
 ووضعها فيه يكون الايقان . أما الايمان فلا يكفي الأمم الآن ولا يكون اليقين إلا بمثل العلوم التي أخذت  
 تشرحها فهذا يكون اليقين والمسلمون إن لم يسعوا إلى هذا اليقين فهم هالكون . فقلت له إن الآيات  
 هي آيات القرآن . فقال والقرآن معناه هو هذه المخلوقات فالمخلوقات آياته والقرآن آياته فإذا قال - تلك آيات  
 الكتاب - فقد قال - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - وهكذا غيرها في مواضع كثيرة من القرآن  
 وأن تفسيرك للقرآن اليوم هو نفس العلوم التي انتفع بها الناس في الأمم الراقية فأصبحت جميع هذه الدنيا  
 ونظمها مقصودة للقرآن بهذا التفسير واذن كل من برع في علم من هذه العلوم وهو مؤمن بالقرآن يكون  
 موقنا . وكما أن كتاب الله للناس قاطبة هكذا تفسيرك سيقرؤه كثير من عقلاء الأمم لأنهم يحدونه فسر  
 القرآن بهذا العالم الذي يعيشون فيه وليس أحد من أهل الأرض يشك في هذه الدنيا ونظامها وانها موجودة  
 فإذا اطلع على هذا الجلال وانتظام العلم مع الدين دهش أشد الدهش . فقلت له إن ما كتبت في هذا المقام  
 منقول عن أهل أوروبا كما تعلم فكيف يقرؤنه . فقال انك تنقل مثل هذا المقال عن الكتب العالية  
 عندهم وليس كل امرئ مطلعاً عليها . ثم إن القوم هناك بالنسبة لحكماء الشرق أشبه بالفلاحين عندهم  
 بالنسبة لنساجي القطن . قلت فما معنى هذا . قال معناه أن الفلاحين في مصر يزعمون القطن ولكن  
 الذي ينتفع به هم أهل الصناعة في أوروبا . فهكذا علماء أوروبا الذين تعلموا من آبائكم الأولين وفاقوهم  
 ورقوا العلوم . هاأتم أولاء أخذتم تنقلون آخر ما وصل إليه العلم عندهم ثم يجعلونه في أصل الدين وهو القرآن  
 فيسظهر في الشرق رجال يفعلون بعلوم أوروبا ما فعله صناعتهم بقطنكم . فكما غزل صناعات أوروبا ونسجوا  
 قطنكم لأنهم أعلم بالصناعات . هكذا سيظهر بعد هذا التفسير وأمثاله في السويداء رجال ويتخذون علوم  
 القوم قاعدة لهم ويتقنون فيها كما تفنن صناعتهم في قطنكم لأن العقول الشرقية النائمة الآن هي التي ستنتفع  
 بعلوم القوم وترجع لسابق عهدها في التفكير والتنظيم وتحدث آراؤها رجة في الشرق والغرب وسيكون ذلك  
 بعد تمام هذا التفسير وأمثال هذا التفسير



فسأله قائلا . لم أزل لا أفهم ماذا تعني بقولك ان هذا القصر لى ولأمثالى . فقال كان ينبغي لك أن تكتفى بما قلته ففى ذلك متنع للاجابة ولكنى أزيدك ايضا فأقول بضرب مثل مثل الناس مع ربهم كمثل صبية أشبههم حكيم وبنى لهم قصرا وزينه بأحسن زينة وملاؤه بالخيرات وأعطاهم الحرية فيما يختارون فأخذ كل يبعث فى القصر عما يلائم طبعه فمن منكب على لذاته ومن عاكف على زخارفه ومن مستريح فى حدائقه . وهكذا أخذ كل منهم يتخذ لنفسه ما يناسبها . هكذا حال الناس مع ربهم وله المثل الأعلى . لقد زين الله هذه الأرض بأحسن زينة وملاها بكل خير ولم يدخر عن عباده شيئا . إن من أمثال هذه الدنيا ما صنعه قدماء المصريين من بناء الهرم الأكبر . لقد أحسنوا صنعه وجعلوه منظما بحيث يشاكل العالم العلوى من حيث هندسته وحسابه ويفيد أهل الأرض فى موازينهم ومكاييلهم كما سبق فى سورة يونس موضحا بجلل الله وجل العلم . أبدع قدماء المصريين هرمهم بحيث نقل نظام السموات فأعطاه لأهل الأرض كما تقدم . هذا ضرب مثل لحال هذه الدنيا وان كان المثل له أجل وأكمل . فبالت شعري ماذا يفعل الله للناس بعد ما خلق لم يذر ضربا من ضروب الحكمة والعلم إلا أبدعها ولا فنا من فنون الابداع إلا أحدثه ولا حكمة من روائع الحكمة إلا أودعها فى أرضكم هذه وأتى أبداع أجل مما رأيناه فى هذا المقام نبات لا قوة له ولا حول يعطى قدرة وقوة وحكمة ويخضع الحيوان لغذائه فيتخطى عالم النبات وعالم الأنعام والبهائم ويشارك الآساد والنور فى افتراسها . إن هذا لشيء عجيب . ذلك هو الابداع . ماذا يريد الله بذلك . يريد أن يصطفى من الناس أقواما فى كل أمة ويقول - هاؤم اقرؤا كتابيه - هذا كتابى كتبته يدي . لمن كتبه الله . كتبه للناس قاطبة . ولكن لا يفرح به ولا يعقله إلا الأقلون هؤلاء هم الذين كنز الله لهم هذه الكنوز . كنزها لهم وألهمهم أن يستخرجوها . الله أكبر . هؤلاء هم خلفاؤه فى الأرض . هؤلاء هم الهداة الحكماء الفضلاء . هؤلاء الذين يفرحون بهذا النظام ويعقلونه ويسكرهم ويهيجهم . هم الذين يدينونه للناس . هم الذين يهدون الناس السبيل وتشرح صدورهم لذلك ويثبون فى قلوب الناس حبا وغراما وعشقا وهياما لهذا الوجود . الله أكبر ما هذه النباتات الجزارة المتقدمة وأى شئ هى وأى شئ هو . ذلك النبات المسمى (ندى الشمس) إن بعض هذه النباتات انما تنبت فى المستنقعات . لماذا . لأن الله يعلم أن هذا النبات لا يفيد الناس غذاء ولا كساء وانما يفيدهم حكمة وعلم فوضعه فى أحسن الأماكن . لماذا . ليعتد عنه المغرمون به . هؤلاء المغرمون لا تعاف أنفسهم شيئا فيرون الجمال والحكمة أينما تكون لا يفرقون بين حال وحال . ثم ماذا يرون . يرون فى النبات الجزار مثلا المتقدم رسمه عسلا سائغا للشاربين وجمالا وبهجة وألوانا منظمة أشكالها فإذا يفعلون يقفون مبهورين ويقولون إن السوائل كثيرة كالزيت وكالمياه المعدنية وهكذا مما لاحدله . وهكذا الجوامد والغازات فلم يختير العسل خاصة لهذا النبات . نعم اختير العسل لأنه هو الجاذب للحشرات حينئذ يقولون هذا معنى قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها - ويقولون هذا معنى قوله - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فهادونا أعطى هذا النبات الجزار هذا العسل ثم هدى اليه الحشرات لتكون فريسة له . ويقولون أيضا هذا معنى قوله تعالى - وقل الحمد لله سبىكم آياته فتعرفونها - ويقولون أيضا هذا هو حق اليقين . ويقولون أيضا اذا كان هذا النظام على هذا النوال كما نشاهده فستحيل أن يكون بلا عقل يدبره والا فما هذا الاحكام . فما هذا الذى خصص هذا النبات بالعسل وهذا العقل هو الذى كان يقوله القدماء . انه هو العقل الكلى المدبر للعالم خلقه الله لذلك ومنه اشتقت العقول كلها كما أن الشمس منها اشتقت السيارات حولها وهذه السيارات تستمد من الشمس . فهذه النفوس الأرضية من نباتية وحيوانية وانسانية كأنها أشعة من العقل العام الذى نظم السموات والأرض وذلك العقل العام خلق من خلق

الله يسمى بلسان الشرع (ملك) و بلسان الحكمة (عقل) كما علمت . ثم أخذ يقول لى  
 إن أمثال هذه العلوم عند المغرمين بها هي الجنة الحقيقية والقائم بها اليوم يحسن في نفسه بسعادة يجهلها  
 أكثر الناس في الأرض فأما قولي لك إن هذا القصر لك ولأمثالك فعناه أنك في حال اشراق نفسك بهذه  
 المعاني تكون في حال تحجبك عن رذائل هذه الدنيا ومشاغلبها فتتسى هموم الحياة مادمت على هذه الحال  
 وتحسن أنت بسعادة يجهلها أكثر المتعلمين . فهذا الشعور ليس يفقهه ولا يصدقه إلا من رزقه . هذا  
 معنى كون هذا القصر لك ولأمثالك والا فهذه الحال يصغر في جانبها أهل الأرض وقصورهم وصورهم لأن  
 العقل المتصرف في الامور العامة يتعالى عن هذه المحسوسات ويستغرق في أنوار الجلال وبهجة الكمال  
 فلما سمعت ذلك وعيمته وفتحت عيني وكتبته فأنا الآن لا أدري أ كنت في أحلام أم كان ذلك حديث  
 نفسي في اليقظة أم هو إلهام - والله هو الولي الجيد - اه

﴿ أسمعت النغمات في الأحجار كما تسمعها من الأوتار ﴾

( مقدمة لفهم هذا العنوان )

ربما يظن بعض العقلاء أن هذا العنوان في هذا المقام من المبالغات أو الامور الشاذة في تفسير قوله  
 تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات الخ - . ليس من السهل على جميع الناس ادراك الجلال في هذا  
 الوجود . إن هذه الدنيا دار جلال وهذا الجلال لا يدركه حق ادراكه إلا قليل . إن الله عز وجل أبرز  
 للناس في هذه الدنيا بعض الجلال ليعرفه العامة والخاصة ثم أخذ يصطفى طائفة وراء طائفة لادراك خبايا الجلال  
 والبهاء والحسن والبهجة والكمال وذلك في حسن النغمات وجمال الوجوه وبهجة النجوم وحكمة التشريح  
 وعجائب الجبال وأحجارها ومعادنها . اصطفى الله أحسن الأشكال والأوضاع لهذه الدنيا . فلنبدأ بالنغمات  
 المشهورة فنقول

كل بني آدم يفرحون بالنغمات المطربات ويعشقون الوجوه الجميلات . ذلك أمر يستوى فيه الجهال  
 والعالمون والحكماء والمدعون فترى جميع الناس يصبون للنغمات المطربات وللوجوه ذات المحاسن والأشكال  
 البهجة وانتظام العينين والفم والأنف والحدتين . هذا هو الأمر العام في سائر الأمم والأجناس  
 وإنما استأنذوا بالنغمات في العيدين وأوتارها لما هناك من النسب المنظمة التي لا يسعها هذا المقام ولنكتف  
 بوصف (أوتار العود) لا لنضرب عليه وإنما لتريك مامعنى الجلال الذي عشقه الانسان في العود ولماذا يهتز  
 طربا . أكثر الناس يطر بون للعود وهم لا يعلمون سبب الطرب كما يستملنون بالمأكل ويجهلون سبب تلك  
 اللذات فأقول

انه لا معنى للجمال ولا للحسن إلا بالنسب والوزن واتقان الحساب أو نظام الهندسة أو نحوهما . فكما  
 كان الوجود أكثر نظاما كان أوفق لحواسنا وكما قل النظام كان أبعد عن ذوقنا والعود لم تستلذه الآذان  
 إلا لما فيه من حسن الاتقان في وضعه . انظر الى أوتاره عند القدماء فقد جعلوها أربعة وزاد المتأخرون  
 عليها غيرها . ولكننا نكتفي بهذه الأربعة لذلك على سير هذا العلم . والأوتار الأربعة هي (البم والمثلث  
 والمثنى والزير) فالبم (٦٤) طاقة حرير ابريسم والمثلث (٤٨) طاقة والمثنى (٣٦) طاقة والزير (٢٧)  
 طاقة . هذه هي الأوتار الأربعة تمتد على وجه العود مشدودة أسافلها في المشط ورؤسها في الملاوى فوق عنق  
 العود . فهذه الأوتار الأربعة بعضها أغلظ من بعض على النسبة الأفضل فغلظ البم مثل غلظ المثلث ومثل  
 ثلثه وغلظ المثلث مثل غلظ المثنى ومثل ثلثه وغلظ المثنى مثل غلظ الزير ومثل ثلثه وهذه عندهم نسبة فاضلة  
 فهذه الأوتار الأربعة لها هناك تقسيمات أخرى ذكرها ابن سينا واخوان الصفاء وغيرهما وزاد المتأخرون  
 كثيرا . ولسنا من علماء هذه الصناعة ولكننا طلاب حقائق والحقائق هنا أن هذه الأوتار لما وضعت على



نسب فاضلة تقدم بعضها في سورة آل عمران في أوائلها استلذتها النفوس لأنها قدامت زجت فيها نغمات غليظات ثقال بنغمات حداث خفاف . فالغليظات كالأجساد والحداث كالأرواح وعلى قدر الانتظام يكون الامتزاج فيحصل للنفس طرب وهي لا تدري من أين جاءها . إن النفس مولعة بالنظام عاشقة للاتقان وأقرب الأشياء إليها النغمات لأنها سهلة سريعة فتدركها النفس وتعرف متافرها وموزونها . لذلك كان الناس على الأرض غالبا يدركون هذه المزية ولكل قوم مغان تخصهم وموازين تناسبهم وإنما جعل الله هذا علما ليعطى للناس جميعا نموذجاً لحكمته وذكرى لصنعه . فنغمات العود الموزونات يألفها الناس بل الطيور والحيوانات والسمك كما هو معروف متداول

### ﴿ نغمات الأشجار والحشائش وأنواع الرياح ﴾

ومن الناس من يطربون لما يسمعون في الحقول والحداث والمروج وأعشابها وفي الغابات وملتف الشجر وأصوات الرياح المختلفة وغويز الأعشاب وحنين الطير وتغريدها ويطربون لترنح الأغصان كأنها الوطن وترنم عيدان الزان وأوراق الشجر المختلفة وتفتح لهم معان ومدارك يجهلها سواهم والناس حولهم غافلون لا يعلمون

### ﴿ علم الفلك ﴾

وما عجائب علم الفلك وحركاته الموزونات وطرائق نجومه وحسن نظامه إلا كأوتار العيدين ونغماتها فاقراً مامراً في قوله تعالى - إن في خلق السموات والأرض الخ - في سورة البقرة وفي آل عمران تركيف كان للفلك حساب منظم يشابه في نظامه انتظام حركات العيدين . إن الناس طربوا لنغمات العود لما فيها من النظام والحساب المتقن ولكن الخاصة اوتوا علماً أعلى فأدركوا نظام الفلك وألفوه متقناً فابتهجوا أكثر من ابتهاج العامة بالعيدين فالعامة بالعيدين يطربون والخاصة يزيدون عليهم بنظام حركات الشمس والأقمار والسيارات ويرون الشتاء والصيف والربيع والخريف والليل والنهار نغمات لحركات الأفلاك فحركة الأرض حول نفسها وحركتها حول الشمس أحدثتا ظلاماً وضياء وحراً وبرداً مع النظام في البدء والنهاية فأى فرق بين العود وبين نظام الأفلاك . العود نظمت حركاته وجمعت هناك نسب . وهنا نظمت الحركات وصحت النسب . هذه نغمات لا يعقلها إلا العالمون

### ﴿ جمال الوجوه ﴾

إن جميع الناس يدركون جمال الوجوه . وما جمال الوجوه إلا بالتناسب بين العينين والخدين والأنف والقم . هذه أربعة كلما اعتدلت كان الجمال أتم وكلما اختلفت كان القبح وعلى قدر التوافق والاختلاف يكون اشتداد الحسن والوسامة أو القبح والدماة . إنما أظهر الله هذا للناس لأمرين ﴿ أولاً ﴾ ليستدلوا بالظاهر على الباطن غالباً فعلى قدر جمال الظاهر يكون جمال الباطن وقد يعكس الأمر ﴿ ثانياً ﴾ ليفتح لأناس اصطفاهم لقربه فيبحثون عن جمال أتم ومعان أكمل في تشريح الأجسام ونظام أعضائها . لقد مر في سورة ( آل عمران ) نموذج من جمال الأعضاء ونموذج من الوضع الموسيقي الحسن وأن للأعضاء مقاييس خاصة متى صحت مقاييسها كان الجمال ومتى لم تصح كان القبح فلانعيده هنا

### ﴿ الجمال في التشريح ﴾

وإنما نريد هنا أن نبين أن تناسب الباطن أجل وأوسع مدى والباطن ﴿ قسمان ﴾ قسم خلقى وقسم جسمي . فالقسم الخلقى هو أربعة العفة والشجاعة والحكمة والعدل . هذه أربعة تقابل الأربعة التي في الوجه فتى كان الإنسان عفيفاً في الشهوات شجاعاً في القوة الغضبية حكماً بالقوة العقلية معتدلاً في هذه الثلاثة فهو الحسن الخلق والخلق جمال كما للوجه وهذا هو الجمال الحقيقي في الإنسان والقسم الجسمي هو نظام الأعضاء

وان يعرف إلا بالتشريح وقد تقدم في سورة آل عمران في أوائلها . ياليت شعري أليس من العجب أن نرى صدرا حوى ريتين وقلبا بينهما ولم يختلط ذلك القلب بالامعاء والمعدة إذ لا تجانس بين العضوين . الامعاء والمعدة خاصتان بالطعام أما القلب فخاص بالدم فجعلت الرئة بجانبه لتصفي له الدم فيسير في الدورة ولم يجعل في هذا الصندوق كبد ولا معدة ولا امعاء ولا كليتان . لماذا هذا . لأن هذه الاعضاء كلها عاملات في الطعام حتى تجهزه وتصفيه ليكون دما فالمعدة تطبخه والامعاء تخلصه من الفضلة الغليظة والكليتان تصفياه من الماء وعضو الكبد له عمل في الدم والصفراء تنقي الدم من خلطها والطحال كذلك . فكل هذه الأعضاء جعلت في مقام أدنى حتى تحضر الدم ويرسل للقلب والرئة بجانبه وجعل بين الطائفتين حجاب حاجز . ان ذوى العقول السليمة يظربون لهذا النظام والتناسب طربا لا تبلغه نغمات الموسيقى . كلا

### ﴿ الحكماء والمغنون ﴾

تباركت يا الله وجل فعلك وحسن وضعك وبهر نظامك . أحببت عبادك وأبرزت لهم مكنون فعلك وجوهر صنعك . يا الله خلقت في كل أمة من هم أحسن وجوها وأبهج جبالا وأرق أصواتا وأحسن نغمات لتدل الناس على جلال صنعك حتى يظهر الجلال للحكيم والجاهل والذكي والغافل والعالم والبليد أراك اصطفت في كل جيل وكل قبيل فتينا وفتيات جعلت أصواتهم وحكمت عليهم بالفقر ليسمعوا الناس جلال نغماتهم لتتم حكمتك وتعم نعمتك ثم لم تشأ أن تدع الخاصة بلاجال يرونه فاصطفت في كل أمة أناسا للبحث في الحكمة والعلم حتى يسمعوا نغمات العوالم العلوية والسفلية فيخبروا الناس بما يسمعون ويحبوهم فيما يحبون . فهؤلاء يدركون في الأشجار ونظامها وأنواعها ما يدركه غيرهم في الأجسام ونظامها والنغمات وأوتارها والأفلاك وحركاتها والوجوه واشراقها

### ﴿ النغمات في الأشجار كالنغمات في الأوتار ﴾

ههنا قد وصلت الى المقصود من المقال بعد المقدمات فأقول

يا عجباً لهذه الدنيا ويا عجباً لهؤلاء الناس الذين خلقنا فيهم . اللهم اننا جئنا الى هذه الأرض ونحن راحلون عنها . خلقنا مسافرين فيها . حكمت علينا بهذا السفر الطويل وأرقتنا جلال صنعك واتقانه . وحكمت علينا ألا نصل الى مقام القدس والبهاء الأسنى إلا بعد أن نمرّ على الأوضاع الأرضية وندرسها وحينئذ نستحق أن ندرس ما هو أجل من صنعك العالى الذى هو أبداع اتقاننا وأحسن نظاما في عوالم أخرى بعد موتنا . هذه أرضنا التى تجلى فيها نورك وظهر حسنك وخلقنا منا أناسا يعيشون ويموتون وهم لا يعقلون . نعم يعقلون أن هذه الأجسام تطلب الغذاء والشراب والنساء والبنين ويموتون وهم لا يعلمون كيف ركبت ولا لماذا خلقوا . واذا نظروا الى هذه الأرض وما عليها لم يعنهم منها إلا أن يسبوا فيها ليالى وأياما آمنين ليحفظوا بالغانيات الناصرات فى القصور وليقتحموا الأخطار ويتجشموا الأسفار لطلب الربح والمال بالتجارة أوليكونوا سفراء للدولة أوليقابلوا الملوك أو تضرب لهم المدافع وتصطف لهم الجنود وترفع لهم الأعلام والبنود ثم يموتون ولا هم يذكرون صم بكم عمى فهم لا يعقلون

هذه هى حال أغلب أهل الأرض التى خلقنا عليها فأهل أوروبا اليوم قد برعوا فى كل العلوم وأكثر من يشار اليهم بالبنان انما يهتم بما ينفع الأمم من هذه المواد . أما جبالها ونظامها فلا يدركه إلا خواصهم وقليل ما هم . وقليل من عبادى الشكور . اللهم إنا خلقنا فى الدنيا للعلم والعمل ونحن اذا اقتصرنا على العمل كنا كالنحل أو كالتل ولكن علينا العلم وعلينا العمل والعلم الآن هو ما جاء فى آية - وفى الأرض قطع متجاورات - فلندكر كيف كانت الأشجار وأنواعها نغماتها عند الحكماء أبهج وأدوم من نغمات الأوتار فى العبدان لحسن النظام والعدل والبهجة والاتقان . ولأذكر لك أيها الذكى قلا من كل من المخلوقات وانى اذا



أتقنت القليل في هذا المقال كفاك عن الكثير ولاقتصر على ما يكثر وجوده

الأرض والماء والهواء والبخار والملح الجبلي والحجر الجيري والحجر الرملي والرخام والجرانيت وحجر الرصف هذه أربع مخلوقات كلية وستة أنواع جزئية من الحجارة بمصر اختلفت أحوالها ومنافعها فكانت منفعة الغافلين ولذة المفكرين . ان هذا الموضوع يعوزه بحث في أمرين ﴿ أولاً ﴾ الجاذبية العامة ﴿ وثانياً ﴾ قوة التلاصق اعلم أن الأرض والشمس والكواكب كلها متجاذبات متحابات ولولا ذلك لم نعش يوماً واحداً . فلولا أن الأرض تجذب من عليها لطاح الحيوان والانسان وكل مخلوق عليها فهذه الجاذبية نعمة أنعم الله بها على المخلوقات فاستقرت . ولولا هذه الجاذبية لطاحت أرضنا وغابت عن الشمس وتاهت فمقنا في أقرب زمن ولكن جذب الشمس لها أبقاها في أمان وسلام . أما قوة التلاصق وهي المقصودة هنا فاعلم أنها من أعجب النعم وأبدع الأحكام فهذه القوة تختلف في المخلوقات اختلافاً بينا وهذا الاختلاف لمصالح المخلوقات . انظر انظر الى الماء والى الهواء . إن الهواء تباعدت أجزاؤه ولم يشتد التصاقها فكان أخف من الماء (٨٠٠) مرة أى ان الرطل من الماء يوازنه من الهواء ما يعادل مقدار الحيز الذى يشغله ثمانمائة مرة . ثم ان الماء اذا صار بخاراً بالغليان مثلاً أو بحرارة الشمس فان الماء إذ ذاك يأخذ حيزاً أوسع من حيزه وهو ماء (١٧٢٨) مرة إذن البخار أبعد تلاصقا من الماء ومن الهواء فانظر لتلاصق الماء وتلاصق الهواء وتلاصق البخار الذى كان أصله ماء فتجد الماء أشد التصاقاً والهواء أقل التصاقاً والبخار أقل من الجميع . ولهذا رأينا الهواء يعلو على الماء ورأينا البخار طائراني الجوّ وارتفع كما يرتفع المنطاد وعلا علواً عظيماً ثم صار سحباً

هذا ما تراه في الماء والهواء والبخار وهذا وضع عجيب عند الحكماء . أما الجهال وأنصاف المتعلمين في الأمم الاسلامية وغيرها فهم لا يهتمون بمثل هذا النظام ويكونون في نظر هذا أشبه بالجهال في كل أمة إذ يعيشون في أجسامهم ويتركونها للدود وهم لا يعرفون نظام هياكلها ولا يدرسون عجائبها ولا هم يعقلون ولا يذكرون . أفلا ترى أن هذه أوتار أرسلها الله في الطبيعة لخواص الأمم فيرون للبخار وللماء وللحوائط من الخصائص ما كان يراه العامة والخاصة في أوتار العود من الاختلاف المنظم الذى أنتج حسن النعم . فكما كان البلم والمثلث والمثلثى كل واحد أثقل مما بعده وأخف مما قبله بنسب خاصة كذلك هنا كان للماء وللحوائط وللأرض خواص في التلاصق اختلفها أوجب حسن النظام والاتلاف فجرى السحاب في أعلى الجوّ وزين بقوس قزح وأرسل المطر وكان الهواء فوق الماء . فكما ترى في العود البلم والمثلث والمثلثى والوزير هكذا ترى في الطبيعة الأرض والماء والهواء والبخار فالأرض كالبلم والماء كالمثلثى والهواء كالمثلث والبخار كالوزير . هذا هو الوجود عند الحكماء . وهذا هو النعم عند عامة الناس وعند خواصهم . الخاصة يشاركون العامة في النعم المعروف ولكنهم يختصون بعجائب هذه الدنيا وكما انتظمت الأرض وما فوقها اجالا انتظمت الأشجار تفصيلاً . البلم أغلظ من المثلث والأرض أثقل من الماء والمثلث أغلظ من المثلثى والماء أغلظ من الهواء والمثلثى أغلظ من الزير والهواء أغلظ من البخار - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - سبحانه خلقنا في جوف من الموسيقى والجمال . خلقنا في نفحات عقلية ولكن أكثر الناس لا يسمعون . أبرزت تلك النفحات لنا في العود وأكثر الناس لا يفهمون الأشجار وجمالها ونظامها

أنظر الى الملح انه يكون في الجبال كما يكون في البحار كما قدّمناه في آخر سورة آل عمران تعجب من ذلك . أنظر اليه . اتنا نأكله لأنه يدخل في تركيب عظامنا . قد احتجنا اليه بخلقه الله لنا وجعل قوة التلاصق فيه ضعيفة جداً والا لم تقدر على فصله من الجبل ولا على هضمه في معدتنا

﴿ حجر الجير ﴾ الحجر الجيري لونه البياض المائل الى الاصفرار وهو حبات صغيرة التصق بعضها ببعض يكسر بسرعة ويخدش بالسكين بسهولة . إذن هو سهل النحت والكسر لذلك استعمله الناس في البناء

ومنى سخن عدة أيام مع الفحم فى ﴿ قين ﴾ تحوّل الى جير وهذا الجير يجعل ﴿ ملاط ﴾ ويسمى فى مصر (المونه) تطفى به الحيطان ويحضر منه ماء الجير للاستعمال فى الطب ويكون مطهرا ونحو ذلك ﴿ الحجر الرملى ﴾ ألوانه مختلفة السمرة أو الصفرة أو الجرة وهو حبات مستديرة من الرمل التصق بعضها ببعض فكوّنت طبقات رقيقة وهو أيضا سهل الكسر والنحت يستعمله الناس فى البناء وفى أساس الأبنية . ومنه نوع اختلط به حبوب من حجر (الصوّان) . وهذا يجعل أحجار (الرحى) ويجعل فى أساس المنازل ودعائم القناطر

﴿ الرخام ﴾ والرخام من الحجر المذكور قد اشتدت صلابته ولذلك يقبل الصقل فإذا عاملناه بالرمل صار سطحه صقيلا جميلا . وكلما زدناه حكا بالرمل زاد رونقا وجمالا ولمعانا وبهجة وهو أبيض أو أخضر أو أحر أو أصفر أو أسود أو أبيض فيه عروق سود وقد تكون فيه بقع ذوات ألوان جميلة بهية تسر الناظرين . ومن هذا ما يسمونه المرمر . وإذا أردت أن ترى الرخام فادخل المساجد والكنائس وانظر الأعمدة وتأمل البهوات الواسعة عند أهل الثراء والغنى . وكذلك السلام والمغاسل والمناضد والتماثيل التى تصنع من الذى لونه البياض الناصع

﴿ الجرانيت ﴾ الجرانيت أشد صلابة وأصعب كسرا ونحطا يغلو ثمنه فلذلك جعله قدماء المصريين فى معابدهم وتماثيلهم ومسلاتهم التى تراها فى (المطرية) بمصر وهى فى بلاد الانجليز والفرنسيين وغيرهم . إن الجرانيت فيه البياض والصفرة الضاربة الى الجرة والبياض اللامع كما تلمع الفضة ﴿ الصوّان ﴾ هو أصلب وأمتن من كل ما سبق لا يؤثر فيه الحديد الصلب ولونه إما البياض وإما الصفرة وإما السواد . ولقد شاهدنا هذا الحجر فى أيدي الزراع من بلادنا المصرية أيام الشباب وهم يشعلون به النار فىأتون منه بحجرين يضربون أحدهما على الآخر فيخرج من بينهما شرر يتلقونه بمادة تسمى (الصوفان) وهذا يسمى (الزناد) وهذا الحجر يستعمل فى رصف الشوارع

هذه هى الأحجار الشائعة فى مصر ويقاس عليها البلاد الأخرى . علم الله قبل أن يخلق السموات والأرض أننا فى حاجة الى ماء كل والماء كل لا بد لها من المالح فخلقته لتتكوّن منه العظام وسلطانا عليه وسهل لنا تذويبه فى الماء وهضمه ولأنه فعل به ما فعل بالصوّان أو بالجرانيت لم ننتفع به فهو جعله موافقا لأمر جتنا وسهله لنا وأكثره فكان أقل التصاقا حتى نستعمله ثم هو يعلم أننا نعيش على الأرض . فإذا فعل . خلق (حجر الجير) وصوّره قابلا للنحت وللكسر وسلطانا عليه فأوقدنا عليه النار واستخلصنا منه ما نشاء لنظام منازلنا وجعل (الحجر الرملى) قريبا منه حتى نستعمله فى أساس منازلنا وجعل من هذا الحجر نوعا قويا لما فيه من حبوب صوّانية لنطحن به حبوبنا (أنواع الغلال) ويساعدنا على سهولة الغذاء وليكون من مقويات القناطر . وعلم أننا نحتاج الى اقامة أماكن عظيمة للعبادة أولاد الدولة فخلق الرخام وحلاه بألوانه الجميلة

وجعل الجرانيت أصعب مكسرا وأقوى وأمتن حتى حفظ به القدماء العلوم لمن بعدهم وصنعوا التماثيل التى كانت جائزة عندهم ولم نجد فى زماننا أصاح لبناء سدّ خزّان اسوان منه فاستعمله المهندسون المصريون ومن معهم فيه فهل يسدّ الحجر الجيرى أو الرملى مسده . كلا ولأنهم وضعوهما فى مكانه لفرقت البلاد ولحقها الفساد . نعم فى الأرض قطع متجاورات فيها الملح والرخام والمرمر والجرانيت والجير والصوّان والحجر الرملى اختلفت قوّة التصاقها فتباينت نتائجها . لا يسدّ الصوّان مسدّ الجير ولا الملح ولا يسدّ الملح مسدّ الجير . كل له عمل لا يصلح له الآخر . لولا الجرانيت لم نطلع على المسلات التى ننحتها المصريون . ولولا الجير لم نطهر بيوتنا من كل ما يكون سبب الوباء والأمراض . نعم فى الأرض قطع متجاورات . هذا هو تفسير الآيات اختلف الماء والهواء والبخار والأرض اختلفت فى قوّة الالتصاق فأشبهت أوتار العود البهم والثلاث والثنتي



والزير • هكذا اختلفت الأشجار في الجبال وهي متفرقات في أركانها متعاونات في نتائجها • اعتزل الجير والحجر الرمل والجرايت والصوان • اختلفت أماكنها وقوتها وصلابتها واتحدت وجهة غايتها • فغاياتها نظام هذا الانسان • ففنها ما يدوم لأجل بقاء علومه في رسومه • ومنها ما لا يدوم إلا أزمانا على قدر الحاجة إن اختلف حجر الجير والجرايت والملح والصوان مثلا أشبه اختلاف الأرض والماء والهواء وأمرها عجب - إن ربك هو الخلاق العليم -

### ﴿ نعمات الأشجار والأشجار ﴾

تبارك الله ما أجل صنعه • اختلفت النفوس وعواطفها كاختلاف الأشجار والأشجار ومنابتها فن النفوس من لاته قل من النعمات إلا ما تسمعه من الأوتار ولامن الجبال إلا ما تراه في الوجوه الحسان • ومنها من صفت سرائرها وارتاحت وعلت على هذه المادة وتخاصت من قيود الدلة فرأت ما لا تراه العيون وسمعت ما لا يسمعه الغافلون • فصرير الأقلام وحفيف الأشجار ونغمات الطير وخفة الهواء وارتفاع البخار وبهجة السحاب وألوان (قوس قزح) كل ذلك لأسماهم طرب ولعيونهم جلال ولقلوبهم بهجة وبهاء فاذا ترنحت العذبات في أشجار البان أو غردت القمري على الأفنان أو سمعوا غدير الأعشاب أو أصوات الرياح في الفجاج أو صوت أحجار الرحي دائرات في ظلمات الدجئات فهموا معاني مطربات وتجلت لهم من المعاني آيات وأدركوا نبأ من قوله تعالى وفي الأرض قطع متجاورات - اه

﴿ فائدة ﴾ جاء في بعض المجلات العلمية في شهر ابريل سنة ١٩٢٧ م ما يأتي

### ﴿ شجرة تأكل الناس ﴾

عادت مؤخرا من (جزيرة مدغشكر) بعثة علمية انكليزية أمريكية سافرت إليها تحت رئاسة (يونغ) العلامة الشهير وأكدت للصحف تلك الأسطورة القائلة بأن في تلك الجزيرة شجرة تأكل الانسان والحيوان وقبل ثلاث سنين نشرت صحف ومجلات أوروبا مقالات ضافية عن هذه الشجرة الغريبة التي تتغذى بلحوم الانسان والحيوان • وأول من أذاع هذه الفكرة الدكتور (سولون أوسبورن) وهو من علماء الجغرافيا المبرزين سافر إلى (مدغشكر) فسمع تلك الاشاعة ولم يتمكن من رؤيتها لأنها في الغابات الموحشة وقد قال هو انه لا مانع يمنع من وجودها لأن هناك نباتات تأكل الحشرات • وفي حديقة النباتات بلندن نبات يأكل الفيران والصحف الانجليزية كتبت عنه كثيرا والذي أكد ذلك العالم النباتي (ليكسيه) الذي وصف الحفلات الدينية التي يقيمها الأهالي حول تلك الشجرة ويقدمون لها وقتا دون وقت ضحايا بشرية وقال أيضا في رسالة للدكتور (فريدلوف) إن تلك الشجرة كشجرة الصنوبر باسقة وجذرها ذو عقد كثيرة نائنة وعليها أربع ورقات فقط يبلغ طول الورقة أربعة أمتار وعرضها في الوسط (٨٠) سنتيمترا ونحوها (٤٠) سنتيمترا وهي تتدلى من رأس الشجرة إلى أسفلها وتشبه جلد الجاموس الشخين وأطراف الأوراق مسننة وتوجد أزهار على رأس الشجرة تشبه الأقداح تتصاعد منها رائحة كريهة اذا شمها انسان اعتراه دوار شديد وتسيل منها نقط مادة مسكرة • والأهالي في احتفالهم الديني يتربعون على من يقدم ضحية وقد أصابت القرعة امرأة فأرغموها على أن تتسلق الشجرة وتشرب من المادة المسكرة وما كادت شفتاها تمسان الزهرة حتى ارتفعت الأوراق المتدلية وأطبقت عليها من كل جهة ولبت ملتفة عليها مدة أسبوعين وعادت بعدها إلى ما كانت عليه ولم يبق من جثتها غير رأسها المسلوخ المعلق • وقال (ليكسيه) انه رأى بعيني رأسه ورفع بشأنها تقريرا مسهباً إلى الجمعية النباتية في لندن اه

### ﴿ اللطيفة الخامسة في قوله تعالى - ولكل قوم هاد - ﴾

اعلم أن هذا المقام قد اتضح في كتابي ﴿ أين الانسان ﴾ ولكن لأقل قلا من كل

اعلم أن هذه الدنيا منتظمة عند الحكماء مختلفة عند صغار المتعلمين . فانظر تجد الذكور والاناث في الأرض عددا واحدا تقريبا في كل أمم الأرض متوحشين وتمدنيين كأن الحكمة قضت أن يكون لكل ذكر أنثى . وهذه القاعدة لم تختل قط في هذا العالم وقد يحصل حرب أو نحوه فيموت رجال فيقتلون ويكثر النساء ولكن هذا أمر عارض لا عبرة به وإذا ظهر هذا في الذكورة والانوثة فانظره فانه عام في سائر الاعمال من صناعة وامارة وتجارة فان النبوغ في كل منها مخبوء في العقول محفوظ في النفوس ولو علمت الأمم تعلما صحيحا لخرج من كل أمة هداة على مقدار حاجتهم وصناع وسواس وهكذا على مقدار الأمم . هذا هو الذي يستخرج من هذه الآية وهو المشاهد في العالم ولكن يعوزه التدقيق وفي كتابنا (أين الانسان) شفاء للمقام اللطيفة السادسة في الكلام على قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال - ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . اللهم انك مجود على نعمك العاتمة وحكمك التامة في عالمنا الذي نعيش فيه . اللهم انك أنت أنعمت علينا بنعمة العلم وأحييت قلوبنا بالحكمة وأريتنا من عجائب ملكك وغرائب حكمك ما جعل قلوبنا فرحة بك مستبشرة مبتهجة بالنظام التام والاحكام العجيب - فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم - نحن أينما اتجهنا وقلوبنا وجوهنا وفكرنا رأينا اتقاننا مبناه العلم وتنوعا كثيرا مبناه سعة القدرة والعلم

هنا نحن أولاء سمعنا قولك - وكل شئ عنده بمقدار - وقولك - إنا كل شئ خلقناه بقدر - وقولك - وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقولك - إن الله سريع الحساب - وقولك - الذي خلق فسوى \* والذي قدر فهدى - وقولك - وخلق كل شئ فقدره تقديرا - وقولك - وهو أسرع الحاسبين - وقولك - ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت - وقولك - وما كنا عن الخلق غافلين - وقولك - وأنزلنا من السماء ماء بقدر - وقولك - وأحصى كل شئ عددا - وقولك - وكل شئ أحصيناه في إمام مبين -

اللهم إن هذا هو مناط الحكمة والعلم والسعادة في هذه الدنيا . الناس على هذه الأرض لاحظ لهم من العلم في دين ولادنيا إلا اذا أيقنوا بما في هذه الآيات ونظروها بعقولهم التي أودعتها فيهم وهذه الأمم الاسلامية مضى لها (١٣) قرنا كان أكثرها في غفلة عن ذلك وقليل منهم هم العارفون بهذه الحقائق ولكن كانوا في زوايا الاهمال . اللهم انك اليوم أذنت لأمة الاسلام بالرقى والاطلاع على عجائبك والتحلي بمحاسن العلوم في السموات والأرض فها أنا ذا اللهم أكتب لهم في تفسير كتابك نظرة في عالمك الذي خلقتنا فيه قبل أن أغادره وأسألك أن تهدي به أئمتنا وتشرح به قلوبنا وتنقذ به أناسا من الجهل والدل وترفعهم الى غاية الحكمة والمجد والسلام . أيتها الأمم الاسلامية اسمعي فليت شعري أي الأشياء أذكر لنعرف نظامه . ولقد مضى في هذا التفسير وسيأتي ان شاء الله ما فيه غنية لذي لب

(١) أأذكر الجسم الانساني . وقد مضى في سورة آل عمران من نظامه وبديع احكامه ما يدهش اللب ويشير للعجائب من ترتيب أعضائه ونظام هيكله ودقة عينه وحكمة أذنه فهذه هناك مفصلة أي تفصيل وهل أزيد أمرا يشاهده الناس ولا يعبؤون به وهو

### ﴿ المحل الهندسي ﴾

إن الانسان اذا توهنا أن هناك فيه سطحا مستويا قسمه من فرق رأسه الى أسفل قدميه قسمين مستويين فهذا السطح الموهوم نسميه ﴿ المحل الهندسي ﴾ ومعنى هذا أنك تجد الأذنين والعينين والحددين والصدغين والترقوتين واليدين والكتفين والركبتين والساقين والتقدمين . كل هذه على أبعاد متساوية من هذا السطح الذي توهنا أنه قسم الانسان . فيا عجباً نحن نعيش ونموت ولا ندري أن هناك نظاما فينا بحيث



يتساوى بعد العينين والأذنين الخ عن ذلك السطح الذى يقسم الجسم وهذا جال نتج من الاتقان وحسن النظام كما نشاهد نظيره فى المباني المنظمة بحيث نشاهد شباكين أو نافذتين على بعدين متساويين من باب البناية (٢) أم أذكر نظام الأشجار الساقطة من أعلى الجبل إلى أسفل البئر . وقد مرّ ذلك فى أول سورة آل عمران بحيث ترى هناك عجبا عجبا وأن نظام أعضاء الجسم وحسنها الموزون بالأشكال الهندسية له نظير فى حركات الأشجار الساقطة بحيث ترى الحجر يقطع فى نزوله المسافة بطريق الترييع فلا أطيل به هنا لئلا يكون التكرار المعبى فاقراء هناك واعجب من حجر مجذوب إلى الأرض تزداد سرعته فى الثوانى الزمنية المتوالية على طريق الترييع بحيث ينزل الحجر فى الثانية الأولى (١٦) قدما مثلا وفى الثانية التى بعدها (١٦) فى مربع اثنين وهو أربع وهكذا . ولأذكر هنا لطيفتين تناسبان المقام

### ﴿ اللطيفة الأولى فى معرفة عمق الآبار ﴾

إذا رمينا حجرا فى بئر وعددنا الثوانى التى تمرّ قبل أن نسمع صوته عند وقوعه فى أسفله فلنربع عدد الثوانى ونضربها فى (١٦) قدما يكون الناتج عمق البئر أقداما وتعدّ الثوانى إما بساعة وإما بدقات النبض فمحسب كل دقة ثانية

### ﴿ اللطيفة الثانية ﴾

ان النور يقطع (١٩٢) ألف ميل فى الثانية ولعظم سرعته لا يشعر به على الأرض فيظهر للناس جميعا فى لحظة واحدة ولودار حول الأرض لأكمل دورته أسرع من لمح البصر . وسرعة الصوت فى الهواء هى (١٠٩٠) قدما فى الثانية فإذا رأينا البرق ثم سمعنا الرعد بعده بخمس ثوان علمنا أن البرق لمع على بعد (٥) فى (١٠٩٠) أو (٥٤٥٠) وتعرف الثوانى إما بالساعة وإما بضربات القلب . فاعجب لنظام بهيج حركة تمرّ حول الأرض فى أقلّ من لمح البصر وأخرى ألف قدم وتسعون . إن الصوت بالنسبة للضوء كالسلاحفة بالنسبة للأرنب والصوت بالنسبة للجياذ من الخيل أشبه بتلك النسبة معكوسة وهكذا - وربك يخاق ما يشاء ويختار - . لذلك يرى البرق قبل الرعد ولهذا قدّم الله البرق على الرعد فى الآية

(٣) أم أذكر ﴿ جنة العرفان فى تفسير القرآن ﴾ وهى

(أ) إن شدة الصوت تقلّ بمقدار ما يزيد مربع البعد عن الجسم الصائت كما إذا أتينا بأربعة أجراس بحجم واحد ووضعناها على بعد (٤٠) ذراعا ووضعنا جرسا آخر بحجمها أيضا على بعد (٢٠) ذراعا فانا نجد صوت الأربعة كصوت الواحد لأن بعدها كبعده مرتين و (٢ فى ٢) تساوى (٤) فاذن يكون كل واحد من الأربعة صوته كربع صوت الجرس القريب فأصواتها كلها كصوته وهو المطلوب

(ب) شدة النور تقلّ بمقدار ما يزيد مربع البعد عن الجسم المنير فاستبدل المصابيح بالأجراس فى المثال فيكون نور المصباح القريب مساويا لنور الأربعة البعيدة بالمقادير المتقدمة

(ج) ان شدة الحرارة تقلّ بمقدار ما يزيد مربع بعدها عن الجسم المتقد نارا فاستبدل المواقد بالمصابيح والأجراس وفى تلك المواقد نيران متساوية فان الموقد القريب تساوى حرارته حرارة الأربعة البعيدة بالمقادير المتقدمة

(د) الجاذبية . وهالك نظام الجسمين الخفيفين كالفلين الساجين على سطح الماء كما تقدّم فى آل عمران وكيف يجرى أحدهما ليلاقى الآخر بطريق الجذب على عكس الترييع بحيث يكون اسراعهما إذا كان بينهما ذراعان مثلا أقلّ مما لو كان بينهما ذراع واحد فإذا كانت السرعة فى الحال الأولى مترا فى الثانية فانها فى الحال الثانية تكون أربعة أمتار أى ان بعد الذراعين أخذ مربع الواحد وهو واحد و بعد الذراع أخذ مربع الذراعين وهو أربع

هذه مسائل أربع الجاذبية والصوت والنور والحرارة • أنظر وتعجب هذه كلها قاعدة واحدة تزداد في القرب وتنقص في البعد بعكس التربيع • فيأليت شعري كيف نفسر القرآن في هذا الزمان • تالله هذا هو التفسير • هذا هو الدين الاسلامي • كيف يقول الله - وكل شيء عنده بمقدار - ويقول - إن الله سريع الحساب - ويقول - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - فأى تفاوت وجدناه بين الضوء والحرارة والجاذبية والصوت • لم نجد تفاوتاً بل وجدنا اتحاداً • وهذه الأربعة عليها مدار حياتنا فأصول حياتنا متحدة نظاماً عجيباً • هذه نبضات القلب كيف كانت كدقات الساعة في الثواني • كيف يكون القلب ونبضات العروق على نظام تقريبي أشبه بنظام الساعة من حيث الثواني حتى أمكننا أن نقيس بها عمق البئر ثم كيف ربحنا الثواني حين ضربها في الأقدام كما ربحنا أبعاد الضوء والصوت والجاذبية العامة والحرارة

هذا هو علم دين الاسلام والمسلمون في المستقبل هم الذين يدرسونه • هذا هو علم التوحيد وهذا هو شكر الله وهذا قوله تعالى - وقل رب زدني علماً - فليردد المسلمون علماً في مثل هذا اقتداء بالخليل عليه السلام ونبينا ﷺ وشكرا لله وتوحيداً ورقياً في دنيانا وآخرتنا والحمد لله رب العالمين

(٤) أم أذكر نظام رقاصى الساعة اللذين قصر أحدهما وطال الآخر وهما في مكان واحد فان بينهما نسبة التربيع كما هنا وكذلك ذراعاً ميزان القبان أى ذراع القوة وذراع المقاومة (وبعبارة أخرى) الذراع الطويل الذى فيه الرمانة والذراع القصير الذى يعلق فيه الموزون فهناك بينهما نسبة منظمة لا محل لاطالة شرحها هنا لئلا نخرج عن المقصود

(٥) أم أذكر نظام الكواكب السيارة بالنسبة للشمس • أم نظام السنين الكبيسة والبسيطة إني اذا ذكرت ذلك النظامين هنا أخرج عن المقصود ولكن أقول قولاً وجيزاً فيهما • أما أبعاد السيارات عن الشمس فهو أمر سهل بسيط تفهمه بما يأتى

اذا حفرنا مكاناً أثريا فوجدنا فيه تماثيل والتثال الثانى يبعد عن الأول ثلاثة أذرع والثالث يبعد عن الثانى ستة أذرع والرابع يبعد عما قبله (١٢) ذراعاً والخامس (٢٤) والسادس (٤٨) والسابع (٩٦) ذراعاً • اذا عثرنا على التماثيل على هذا النظام لم نشك أن واضع التماثيل حكيم ومهندس ماهر وقد جعل كل تماثيل في البعد ضعف ما قبله من التماثيل • هذه هي الحال في السيارات بالنسبة للشمس • فاذا جعلنا لعطارد صفراً والزهرة (٣) والأرض (٦) والمريخ (١٢) وكوكب مجهول عرفت آثاره (٢٤) والمشتري (٤٨) وزحل (٩٦) اذا فعلنا ذلك نكون قد عرفنا أبعاد السيارات عن الشمس مع اضافات لكل منها مذكورة في محالها فاذن تكون هذه السيارات التى نراها موضوعة في أماكنها بقوانين ترجع الى النسبة الهندسية فان نسبة ٣ الى ٦ كنسبة ٦ الى ١٢ وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين أى ان ٣ في ١٢ تساوى ٦ في ٦ وهذا من العجب أن نرى كواكب موضوعة بنظام هندسى بديع وهو المسمى المتوالية الهندسية والناظر بالعين لا يعرف شيئاً من ذلك والناظر بالعلم يعرف هذا النظام • اللهم انك أدهشتنا بأحجارك وحركاتها وأدهشتنا بنظام كواكبك ونظام أجسامنا وكل نظام

(٦) أم أذكر حساب السنة الكبيسة والبسيطة العربية لأبين لك حركات الكواكب كما بينت وضع أماكنها أعنى أنى أذكر حساب حركات الأرض حول الشمس في السنة لتعرف أن هذه الحركات لها حساب منظم كما أن بعد السيارات عنها بحساب منظم ولكنى لا أذكر هذا هنا لأنه تقدم في آخر سورة آل عمران وفيه أن السنة القمرية (٣٥٤) يوماً وسدس يوم وخمس يوم وهذا السدس وهذا الخمس بتكرارهما كل سنة يزيدان ١١ يوماً في مدة ثلاثين سنة فترى كل ثلاثين سنة تكون منها ١١ سنة كل منها (٣٥٥) يوماً و١٩ سنة كل منها (٣٥٤) يوماً فالأولى هي الكبيسة والثانية هي البسيطة • ولا أذكر لك الحساب هنا



لأنه تقدم هناك وثلاثا تخرج عن المقصود من النظام التام . فكما رأينا أبعاد الكواكب بنظام هندسي  
هكذا رأينا حساب سير كل كوكب بحساب محتم فأولهما هندسة في المكان وثانيهما حساب في الزمان . هذا  
هو النظام التام

(٧) أم أذكر لك نظام الشعر العربي ونحوه والموسيقى . إن ذلك يطول شرحه ولكني أبين لك أن  
الشعر حسابه لحساب الفلك والنجوم زمانا ومكانا وأبين لك ذلك بغاية الاختصار مع الوضوح . اقرأ البيت  
المشهور الآتي

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل \* بسقط اللوى بين الدخول فومل

هذا البيت من بحر الطويل ولا معنى لبحر الطويل إلا هذا الوزن وهو فعولن مفاعيلن ٤ مرات ومعنى  
ذلك أنه (٤٨) حرفا إذا لم تدخل علل تحذف بعض الحروف . وهذه الثمانية والأربعون منها ما هو أوتاد  
ومنها ما هو أسباب ومعنى الوتد حرفان متحركان وحرف ساكن ومعنى السبب حرف متحرك وحرف ساكن  
فالأول مثل على والثاني مثل من وعن وهكذا فهذا البحر فيه (١٢) سببا وفيه (٨) أوتاد فالمجموع (٤٨)  
حرفا من ضرب (١٢ في ٢) ومن ضرب (٨ في ٣) فقولك فعولن فيه وتد وفيه سبب وقولك مفاعيلن  
فيه وتد واحد وسببان وبتكرارهما أربع مرات يكون عندك (١٢) سببا وثمانية أوتاد وربيع البيت من  
الطويل فيه (٧) متحركات وخمس سواكن ونسبة ٧ الى ٥ كنسبة ١٤ الى ١٠ كنسبة ٢٨ الى ٢٠  
وحاصل ضرب الطرفين يساوي حاصل ضرب الوسطين

الله أكبر . جل الله وجل العلم وجلت الحكمة . اللهم انك أريتنا جمالك في أجسامنا ونظامها  
وترتيب أعضائها وفيما يتحرك من أعلى الى أسفل وفي أبعاد كواكبك وفي حركاتها وفيما ننطق به من الأشعار  
مشاكاة لما أتفت أنت من حركات الأفلاك وأبعادها . اللهم إن هذا هو الجلال الذي من حرم منه فقد حرم  
من مقصود هذه الحياة ومن جلال الحياة الأخرى . فيعجبنا ننطق بما هو منظم كنظام الأحجار الساقطة  
والموازن المنصوبة والكواكب الجارية . كل ذلك بحساب ونظام بحيث تكون آيات الشعر حاملة جمال  
النسبة وبها إذا يكون حاصل ضرب الطرفين كحاصل ضرب الوسطين مثل ما تقدم في أبعاد الكواكب عن  
الشمس فالنسبة المتقدمة هنا فيها ضرب (٧ في ١٠) يساوي ضرب (٥ في ١٤) كما ضربنا سابقا أبعاد  
الكواكب . اللهم إن العلم هو السعادة التي بها رأينا ما ننطق به الأطياف من الأسجاع وما ينطق به الإنسان  
من الأشعار على وزان نظام أبعاد الكواكب ونظام حركاتها . هذا هو الجلال وهذه هي السعادة النفسية  
الباقية الأبدية التي بها يستعد الإنسان لحال أرفع مما عليه أهل الأرض الآن الذين يدرسون هذه العلوم  
وأكثرهم لا يفكرون في أمثال هذا وسيكثر في المسلمين بعد ظهور هذا التفسير رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع  
عن ذكر الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة بل يتحلون بعلومهم عن سفساف هذه الدنيا ويقرؤون حكم ربهم  
ويشهدون آثاره في خطرات الأفكار وحركات الأشجار ونغمات الأوتار ورنات المثاني والمثالث والأشعار  
(٨) أم أذكر نظام الماء المركب من غازين خفيفين وهما الأكسوجين والودروجين ونسبة أولهما الى  
ثانيهما كنسبة (٨ الى ١) فكل (١٦) جزءا من الأكسوجين بحسب الوزن يكون معهما جزآن اثنان من  
الودروجين وإياك أن يصعب عليك أمر هذين العنصرين فإيهما إلا عنصران أشبه بالهواء الذي نعيش فيه  
فالماء يحلل اليهما تحليلا حقيقيا وقد حلل أممي في مدرسة دار العلوم وها هو الآن يحلل في مدارس العالم قاطبة  
فترى هذا الماء الذي تشربه ما هو إلا نوعان من شئ لا نراه فإذا اجتمع هذان النوعان معا حصل الماء  
فرايناه وشربناه وهو سائل وهما غازان

الله أكبر هذان العنصران لهما أيضا نسبة شريفة فنسبة (٩ الى ١) كنسبة (١٦ الى ٢) وضرب (٩)

(٢) يساوى ضرب (١ في ١٦) وهذا عجب عجاب . أصبح الماء والحجر والكوكب والشعر وجسم الانسان جميعها بنسب هندسية ولولاها لاختل النظام ولم يكن ماء ولا شمس ولا كوكب ولا انسان - وكل شئ عنده بمقدار - . إن الله أذن للمسلمين اليوم أن يتبوؤا مكائهم بين أهل الأرض . ومن أبى قبول ما أكتبه اليوم من أمم الاسلام فانهم سيكونون في الأسفلين في هذه الدنيا وفي الآخرة لأن الله أذن للأمم كلها أن ترتقى فاذا نامت أمة ما فلانلوم إلا نفسها واتى بهذا الكتاب أنذر المسلمين . أنذرهم الطامة الكبرى في هذه الحياة وفي الآخرة اذا جهلوا جمال ربهم الذي أبرزه لهم في الأرض وفي السموات

(٩) أم أذكر نظام النبات والعناصر الداخلة فيه المذكورة الموضحة في سورة البقرة عند قوله تعالى - وانظر الى حمارك الخ - وكيف كانت العناصر داخلة في كل نبات بنسب محددة كما حددت حركات الكواكب وأبعادها ونظام جسم الانسان من حيث المقادير المذكورة في أوائل سورة (آل عمران) إذ ترى مثلا طول قدم الانسان كطول ما بين أذنيه وكلاهما شبر ورببع وبعد ما بين ثدييه وما بين سرته وعانته كل منهما شبر واحد وهكذا فانظره هناك

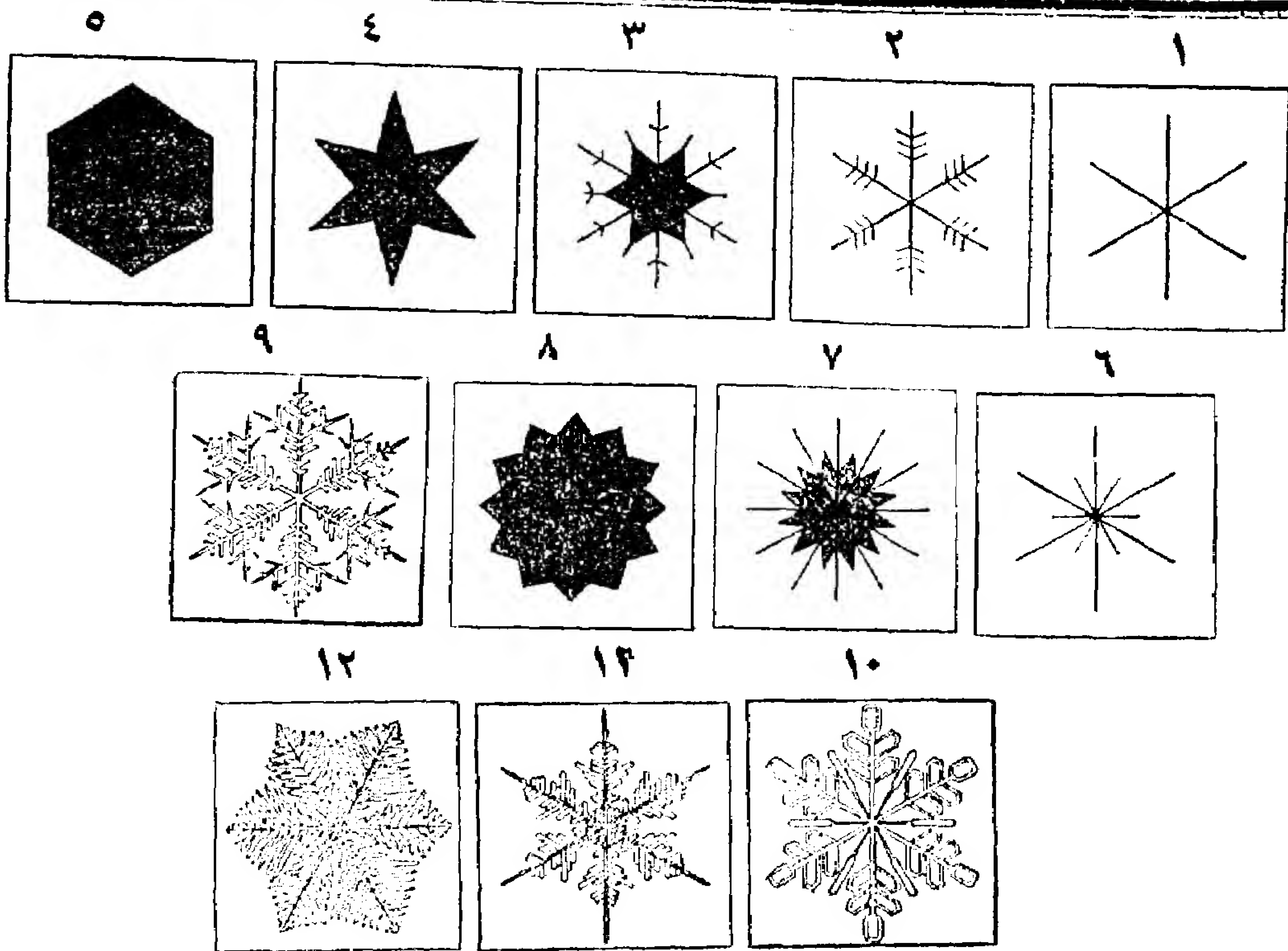
(١٠) أنا لا أطيل لك في شرح ما تقدم لأنك تكنتي بما ذكرته لك لاسيما اذا راجعت ما أشرت اليه في هذا التفسير انما الذي أردت أن أشرحه اليوم شرحا وافيا حتى تتهيج بنور الحكمة والعلم وتقف على جمال الله عز وجل الذي أبرزه على أيدي علماء أوروبا وأهل الشرق نائمون جاهلون غافلون مع أن القوم كان ابتداء تعلمهم من آثار آبائنا الأولين . فانظر رعاك الله تنوع الماء فانه يكون بخارا في الجو وثلجا ويكون سائلا على الأرض وجليدا أنا لا أريد اليوم أن أذكر تنوعه في باطن الأرض فيكون أنواعا مختلفة تنفع لأعراض شتى ولا أطيل في جمال تكونه في الجو بخارا تارة ومطرا أخرى وثلجا آونة . ولا أسهب في عجائب ألوانه في البحار العظيمة ولا في أنواع حيوانه ونباته وانما أكتفي بشئ واحد وهو الآتي بيانه

﴿ أشكال الثلج المسدسة ﴾

أما الآن كتاب انجليزى اسمه ﴿ كل العلوم ﴾ في هذا الكتاب ضروب من العلم وقد وقع نظري فيه على مقال ممتع في نظام الثلج وأنا وان كنت رسمت أشكال الثلج في أوائل سورة (آل عمران) فاني لم أكن إذ ذاك قد اطلعت على محاسن جمال تلك الأشكال ولا بهجتها . اللهم إن النظر الظاهر لا يكتفي به إلا الغافلون والجاهلون . اللهم انك أودعت فينا غرائز لا تقف عند حد فنحن نشتهي الطعام والشراب والزواج والمال والصيت وجمال الوجود وجمال الأشكال ولكن توغلنا في ذلك ضارنا لأنه يعود بالوبال وانما ذلك كله كشبكة صائد وكلوح يقرؤه التلاميذ وانما الفطرة العظمى الباقية المودعة فينا التي هي المقصودة بالذات هي فطرة الحقائق العلمية . ان فطرنا كلها على نمط واحد وهو أن تقول هل من مزيد ولكن المزيد في الامور المادية المحسوسة وحدها انما هي سبيل الحيوان فالجاهل يكتفي بجمع المال أو الجبال أو الذكرا والصيت ولكن الحكيم العالم بل المؤمن الحقيقي هو الذي يكتفي من الامور المحسوسة بأقلها ويبحث في البواطن فهناك أشكال الثلج المسدسة التي كتبت في ذلك الكتاب بقلم الاستاذ (روبرت جيمس) فقدرسم في صفحة ١٧٨ من المجلد الثالث من الكتاب المذكور (١٢) شكلا واصطفى هذه الأشكال من (١٥١) شكلا رسمها وحفرها وطبعها الاستاذ (جلشر) في سنة (١٨٥٥) ورفعت مع تقرير رسمي الى الجمعية البريطانية العلمية وقد لاحظت تلك الأشكال في ثمانية أيام من شهر فبراير ومارس من تلك السنة

قلت لك ان هذه الأشكال أمامي الآن وهاهي ذه مرسومة أمامك





( شكل ٩ )

فهما أناذأ أريتكم الأشكال الاثني عشر المسدسات التي انتخبها ذلك الكاتب من (١٥١) شكلا ويقول ان الأشكال المسدسة الثلجية التي عرفها الناس الى الآن تبلغ نحو ألف شكل كلهم سدسات ولكل واحد منها ستة أضلاع ابرية الشكل شعاعية والتنوع الذي لانهاية له لا يخرج الشكل عن التسديس ولا عن الأضلاع الستة ويقول ان بين كل ضلعين شعاعيين من هذه الأضلاع (٦٠) درجة فمعنى هذا أن مجموع الزوايا ٣٦٠ من ضرب (٦٠ في ٦) وهذه الدرجات تقاس بها الدائرة التي ترسم فوق هذه الأضلاع وانما ترسم الأشكال على هذا النمط في الجو حيث تكون درجة الحرارة ٣٢ بميزان (فارنهایت) وذلك أن ذرات الماء الطائرات المسميات بخارا اذا ضربها البرد على تلك الدرجة اجتمعت على شكل منظم كما رأيته وأبسط الأشكال الشكل الأول وهو الذي حوى ستة أضلاع ابرية الشكل شعاعية ويليها الثاني وهو الذي ترى تلك الأضلاع فيه قد حليت من جانبيها بأشعة ابرية كأنها أوراقها ويليها الثالث والرابع والخامس ففي الثالث ترى الأضلاع الشعاعية قد حليت بأجنحة او أغشية في داخل زواياها وفي الرابع كانت تلك الأجنحة قد صارت أتم أما في الخامس فقد صار الشكل كله منشورا سداسيا له ستة أضلاع وستة رؤس . وفي الشكل السادس حصل أمر جديد وهي ابر أخرى شعاعية قد تدخلت بين الأضلاع الأولى الطويلة . أما السابع فان هذه الأضلاع الشعاعية الحديثة قد ساوت الأضلاع الشعاعية الأولى وحليت جميعها بأجنحة أو أغشية الى أنصاف الأضلاع تقريبا . أما الثامن فان تلك الأغشية قد ملأت جميع الفراغ في ذلك الشكل . أما الشكل التاسع فقد حاز الجمال والحسن كله والبهجة والرواء وباهر الطلعة فأجمله وما أعجبه ففيه ترى الأضلاع الشعاعية الأولى قد حليت بأغشية لطيفة منتظمة كثيرة كأنهار روض باهر حسن بهيج اوراقه مشبكة خائله مهندمة أيما هندام

أما الشكل العاشر . والحادي عشر . والثاني عشر فهي كالعاشر حسنا وجمالا ونضرة فالأضلاع الشعاعية مزدانة بزينة الجواهر اللؤلؤية التي تشبه أوراق الأشجار وأبدعها وأبعدها مرمى هو الشكل الثاني عشر هذا ملخص ما وصفت به هذه الأشكال مع تصرف يناسب جمال المقام . هذا بالاجمال فحوى ما يقوله ذلك الكاتب الانجليزى مع زيادة وملح يتتبع بها المفكرون . وأنا أقول أيها الذكى اعلم أن عالمنا الذي نعيش

فيه قد قسم الله فيه العقول والأرزاق والأخلاق والملكات والفضائل وجعل لكل من الناس مقاما ولكل مقام مقال ومقام ذلك الكاتب الانجليزى فى علم الطبيعة المشاهدة وقد وصف هذه الاشكال بما يلائم علم الطبيعة فوصف ما يشاهده الناس بأبصارهم ولم يتعرض لما فى علم الرياضيات إلا بكلمات قليلة لايضاح المقام . أما أنا فى هذا التفسير فأتى أسير مع القرآن والقرآن يقول الله فيه - وكل شئ عنده بمقدار - فلم يخص للمقدار بعلم من العلوم فعلى إذن أن أفسر الآية بما يفتح به على من العلوم مع مراعاة ذوق الأذكياء من قراء هذا التفسير . إن علم التفسير يرجع الى النظام العام وهو المسمى ﴿ العلم الأعلى ﴾ ويسمى أيضا ﴿ علم ما وراء الطبيعة ﴾ وإياك أن تظن كما يظن كثير ممن لا علم عندهم ان علم ما وراء الطبيعة فوق مدارك الناس . كلا . وإنما هو العلم الذى يشمل جميع العلوم الرياضية والطبيعية فهو إذن وراء الطبيعة ليس قاصرا عليها وأيضاً هو يدرس بعد علم الطبيعة لأن الأمم عادة تدرس الرياضيات ثم الطبيعيات ثم تقرأ الاهليات وما الاهليات إلا العلوم التى هى أعم من هذين . فعرفة الله ومعرفة الروح وما أشبه ذلك . كل ذلك لا يختص بعلم واحد فإذن العلم الرياضى والطبيعى داخلان فى العلم الإلهى وهو الذى نريد التكلم عنه الآن فنقول مستمدين من الرياضى والطبيعى معا . أنظر رعاك الله الى هذه الأشكال من وجهين ﴿ الوجه الأول ﴾ أن نظام الشكل المستدس فى الثلج فى الأقطار العلوية الباردة قد تقدم أنه ملازم للتسدس وللاضلاع الستة وزواياها الستة المنظمة وهذه الاشكال تنوع الى ما لانهاية له مع المحافظة على الاساس . رسم الله ذلك الشكل من قطرات البخار المائى الذى احتجنا اليه حينما صار ثلجا . أحوجنا الله الى الماء وكذلك الحيوان والنبات بحيث لا يعيش حتى إلا به ونرى أننا بجبلتنا نحصر عليه ويقول تعالى - أفرايتم الماء الذى تشربون \* أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون - يمتن الله بالماء ويحوجنا اليه ويؤمنا بالعطش اذا لم نشربه . لم هذا كله وكان يكفى أن نعيش على حال غير هذه ولكنه ربطنا بالماء وملاؤه علما وحكمة وقال انظروا فى ملكوت السموات والأرض وقال فى الماء على أحد تفسيرين - ولقد صرفناه بينهم ليدذكروا - وعبر عن القرآن والعلم بالماء . فها نحن أولاء نتذكر فى الماء لما صار ثلجا فوجدنا أنه بتنوعه الذى لا يتناهى صار مضاهيا لما يتكون منه من النبات والحيوان فالنبات كانه ينمو ويلد ويموت وهو متنوع فوق مائتى ألف نوع والحيوان بحسب ويتحرك وتنوعه يعد بالآلاف والآلاف وهذا نوع الحشرات قد قالوا انها ستبلغ المليونين . إذن تنوع الماء صار أشبه بتنوع ما تركيب منه دلالة على وحدة هذا العالم ووحدة صانعه ودلالة على اتحاد موضوع هذه الدنيا ألا ترى أن الكواكب كلها من مادة واحدة ولا اختلاف بينها إلا بالتنوع وهذه المجرة التى نعيش فيها قد أحصوا ما فيها من الشمس الكبيرة فوجدوه فوق مائتين وأربعين مليونا من الشمس الكبيرة وهناك ما لم يعلم للآن . وهناك مجرات أخرى ولها شمس كهذه الشمس . ويقول العلماء ان تركيب الكواكب متقارب من عناصر بعضها معلوم وبعضها مجهول وكلها دوائر وكلها منظمات فإذن صار تنوع الماء كتتنوع النبات والحيوان وكتنوع الشمس والكواكب والتوابع والأراضى والأقمار وهذا قوله تعالى - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت - وهذا معنى وحدة العالم الدالة على وحدة الصانع الذى نوع الوحدة فجعلها سارية مع الكثرة فبينما نحن نقول حيوان واحد نراه متنوعا آلاف وآلاف وجميعها يطلق عليها اسم الحيوان فالوحدة إذن سارية فى الكثرة هكذا الأعداد المركبة كلها من الواحد الذى بتكراره جاءت الأعداد كلها ومع ذلك نقول مائة واحدة وألفا واحدا بل نقول فى العدد الذى لا يتناهى إنه واحد إذن الوحدة سارت مع الكثرة لم تفارقها وهذا تمام الكلام على الوجه الأول ﴿ الوجه الثانى ﴾ ننظر نظرة رياضية فى هذه الأشكال المستدسة فإنا نرى عجائب . ذلك انك تعلم أن هناك إبراهيم شعاعية ستة لا تفارق شكلا من الأشكال التى عامت للناس وهذه الابر الشعاعية أنصاف أقطار الشكل المستدس . إن من يعرف مبادئ علم الهندسة يعلم أن كل ضلع من أضلاع الشكل المستدس المنتظم كالذى هنا يساوى نصف القطر فانصاف الأقطار الستة هنا تساوى أضلاع



المستس وعليه اذا رسمت خطا فوق كل خطين متجاورين فانك تحصل على مثلث متساوي الأضلاع متساوي الزوايا . إذن هنا عندنا (٦) مثلثات متساويات و (١٢) ضلعا متساويات و (١٨) زاوية متساويات لأن كل مثلث فيه ثلاث زوايا وهي كلها متساويات والأضلاع متساويات وكل زاوية (٦٠) درجة والزوايا الثلاث (١٨٠) درجة ومعلوم أن زوايا المثلث الثلاث تساوي قائمتين والقائمتان (١٨٠) كل منهما (٩٠) هذا في أبسط الأشكال واذا كانت الزوايا التي حول المركز (٦) فبضربها في (٦٠) يكون المجموع (٣٦٠) ألا تعجب معي أيها الذكي من هذا الجلال . خلقنا الله وأحوجنا الى الماء وجعل لعقولنا فيه مجالا حينما يكتب به في صفحات الهواء . خلقنا الله في الأرض ولكنه خلق لنا عقولا أوسع من الأرض وهي عقول تعجب وتفرح بالنظام . هذا النظام الباهر العجيب جعل العلماء الجلال في التساوي فالمساواة والتنصيف والتربيع والاثمان والاثلاث كلها فيها الجلال وقالوا ان أحسن الاشكال الدائرة ولذلك ترى جميع هذه العوالم دوائر وانما كانت الدائرة أحسن الاشكال لأن المساواة فيها لانهاية لها فأضاف أقطارها التي لا تنهاى متساويات وكذلك الاقطار وهكذا الدوائر التي ترسم على محيطها كلها متساويات وهذه أجمع الاشكال وأوسعها وهكذا الشكل المكعب فانظره تجد أن له (٦) وجوه متوازيات كل اثنين متقابلين متوازيان و (٨) زوايا مجسمات متساويات و (١٢) ضلعا متساويات كل اثنين منها متوازيان و (٢٤) زاوية مسطحة متساويات فاذن فيه (٥٠) من المتماثلات وهي ٦ و ٨ و ١٢ و ٢٤ فهذه خمسون فاذن كل ما كان التساوي في الشيء أكثر كان أجمل ولذلك نرى جمال الشجر والزرع كل ذلك لتساوي الاوراق والاغصان والازهار الخ

وهذا الشكل المستس الذي رسمه الله بالثلج من قطرات الماء نرى فيه (٣٦) من المتساويات المثلثات (٦) والزوايا (١٨) والأضلاع (١٢) وهذا كله في الشكل البسيط فما بالك بما هو أكمل وأتم كالشكل (١٠) المتقدم ففيه فوق ما تقدم (٦) زوايا أخرى وبها يتضاعف عدد التساوي فيكون (٧٢) واذا أضفنا اليه الاوراق التي نبتت على الأضلاع الشعاعية الاصلية وهي في كل واحد (٥) تصير كلها (٣٠) فيكون المجموع (١٠٢) فاذن هذا الشكل فاق المكعب وصار أكثر من ضعفه . أما الشكل الثاني عشر فقد بلغ نحو المائتين . هذا هو سبب الجلال الظاهر في هذه الاشكال فالجمال في هذه راجع الى كثرة التساوي ولذلك يقول علماء الارواح وعلماء الحكمة ان الارواح بعد الموت تفرح بأمثالها من كل روح شريفة كاملة فتزيد أخواتها افراحا وتزداد لذات أهل الجنة بازدياد الأرواح الواصلة اليهم لأن في تلاصق الاشكال زيادة الجلال وزيادة الجلال هي السرورة والفرح والبهجة والكمال

#### ﴿ نظرة أخرى في عدد (٦) ﴾

قد تقدم في أول (آل عمران) أن عدد (٦) يسمى عددا تاما وبيانه كما هناك أن العدد إما ناقص واما تام واما زائد فجميع الأعداد إما زائدة واما ناقصة ولانام فيها إلا النادر وذلك النادر هو (٦) في الآحاد و (٢٨) في العشرات . أما الأعداد من مائة الى ألف فليس فيها إلا عدد واحد هو التام فالعدد الزائد هو الذي اذا جمعنا أجزاءه كانت زائدة عنه والناقص هو الذي تنقص أجزاؤه عنه والتام هو الذي تساويه . مثال ذلك عدد (٨) وعدد (٤) وعدد (١٢) فعدد (٨) أجزاؤه (٢ و ٤ و ١) فالجميع (٧) ومعنى هذا أن مضاربيه مضافا اليها واحد من (٧) مجموعها (٧) وعدد (١٢) أجزاؤه (٣ و ٤ و ٢ و ١) فهي اذن (١٦) وعدد (٤) أجزاؤه (٢ و ٢ و ١) الجميع (٥) فاذن (٤ و ١٢) عددان زائدان (٨) عدد ناقص أما عدد (٦) فأجزاؤه (٢ و ٣ و ١) تساوي (٦) فهو تام ومثله عدد (٢٨) فانه مركب من (١٤ و ٢ و ٧ و ٤ و ١) لأنه مركب من (١٤ في ٢) ومن (٧ في ٤) ومن (١ في ٢٨) ولا شريك لهذا العدد في الاعداد من عشرة الى مائة . وقد بحث العلماء في هذه الأعداد التامة فوجدوها نادرة فربما تمر عشرات آلاف ولا تجد فيها إلا عددا واحدا كما هو موضح في محله

ثم اننى لما قرأت هذا العلم وهو المسمى خواص الأعداد قلت فى نفسى هل الاعداد مثل التام منها قل كما قل الكمالون من بنى آدم و بعد سنين اطلعت على كتاب علم خواص الأعداد لاستاذنا المرحوم على مبارك باشا فرأيت ذكرا هذا فقال ان ندرة العدد التام يشبه ندرة الحكماء والأنبياء فى الناس . أقول وهذا حق لأن الناس جميعا مقلدون والنادر هم المفكرون الذين يسوقون الأتم الى مجدهم . وعليه يكون عدد (٦) من الاعداد التى لها شأن أعظم وهى نادرة الوجود كما ندر الحكماء وعليه اختاره الله حين صنع المستدسات الثلجية فجعلها مستدسة الشكل ونوع فى التسديس كأنه يقول للناس ها هوذا نظامى جعلته على أتقن وأندر ما يكون من الحكمة . إن الحكيم يجعل نظامه على أحسن الصور ويتجافى عن الصور الرديئة والصور المنحرفة لانهاية لها بزيادة أو بنقص . فأما التامة فهى التى لا نقص فيها ولا زيادة وهذا هو النظام الموضوع لهذا العالم أصالة كنظام مستدسات الأشكال الثلجية فأتى رأيها منتظمة غاية النظام فتسديسها النادر الوجود مناسب لنظامها التام . ولا جرم أن الله بنى عرشه ونظام ملكه على العلم والحكمة وتعام الامر فقال فى سورة هود - ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرتها ومستودعها كل فى كتاب مبين \* وهو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء الخ - وقال فى سورة أخرى - ثم استوى على العرش يدبر الامر - فرة يقول ان العرش على الماء . ومرة يقول - ثم استوى على العرش يدبر الأمر - ولا جرم أن الماء على حقيقته فيه حياة الحيوان المذكور فى نفس الآيات وفيه عند ارادة مجازة الاشارة للعلم والاتقان فلك الله كله قائم بالحكمة المعبر عنها بالماء والحيوان خاصة المذكور فى الآية السابقة قائم بالماء على حقيقته فاذا كان عرش الله على الماء فذلك لتدبير الكائنات عامة ولتدبير الحيوان مع النبات خاصة فاذن صارت الآية الأولى والثانية فى معنى واحد . فاذا كان العرش فى الأولى على الماء فهو فى الثانية للتدبير ولان التدبير لا يعلم والعلم لا يكون إلا بحقائق ثابتة . ومن أعجب الحقائق المستدس الذى ظهر سره فى الثلج الذى هو تنوع فى الماء الحقيقى فبين الماء باعتبار حقيقته وباعتبار مجازة مناسبة فالماء الحقيقى منظم الاشكال عند تجرده والعلم مبنى على حقائق ثابتة بديعة والعلم به يحيا العالم والماء به يحيا الحيوان والنبات

فسبحانك اللهم أبدعت الماء بتسديس أشكاله وأبدعت نظام الافلاك فجعلت أبعاد الكواكب عن الشمس كما تقدم راجعة الى عدد ٦ و ١٢ و ٢٤ و ٤٨ و ٩٦ فاذن هذه الابعاد مبنية على عدد (٦) وهو العدد التام فهنا نحن أولاء ننظر فى هذا الوجود نرى عدد (٦) الذى هو نادر الوجود لأنه تام قد سرى فى أشكال الماء وفى أبعاد الكواكب عن الشمس وهكذا مما ذكره الله فى الآية السابقة فى عدد أيام خلق السموات والأرض فجعلها فى ستة أيام ولعل هذا من حكم تخصيص عدد الأيام بعدد (٦) لأنه تام فكأنه يقول ان ملكى مبنى على أتم نظام والا فلماذا خصص عدد الأيام بعدد (٦) مع ان الأيام ليست كأيامنا فقد يكون اليوم نحو ألف سنة أو خمسين ألف سنة أو أكثر أو أقل فان الكواكب العليا لها أيام لانعرفها ودورات عظيمة فلا حد لليوم عند الله فلم خصه بهذا العدد إلا أن يكون لنحو ما ذكرناه والحمد لله رب العالمين

﴿ شكر المؤلف لله ﴾

اللهم انى أجدك فقد علمتني على مقدار طاقتي . أذكر لك أيها الذكى نعمة الله على طالمنا جلست على شاطئ نهر أبى الأخضر الذى هو بقرب قرينتنا ( كفر عوض الله حجازى ) وأنا أفكر فى أمر هذا الوجود وذلك منذ نحو (٤٥) سنة قبل تأليف هذا الكتاب وقد كانت سننى إذا ذاك حوالى (٢٠) سنة ولم يكن لى علم إلا بكتب النحو والفقه وبعض علم التوحيد الذى هو بطريق جدلى لا يفيد فتارة أصلى وأدعو الله بعد الصلاة أن يعلمنى نظام هذا الوجود الذى أراه فى نظرى لانظام له وتارة أبحث عسى أن أجد حيوانا فيه شبه نظام هندسى أستدل به على أن للعالم صانعا وانى أذكر الآن أنى مرة وجدت حشرة عليها خطوط هندسية



مقاطعة بيض وجر فكان ذلك لي أعظم سرور مع أني لا أعرف هندسة ولا حسابا إذ ذاك . فها أنا ذا أجد الله عز وجل . مضت سنون وأنا أطلب من الله أن يعلمني وكأن اليأس قد تغلب عليّ ولكن الدعاء مستمر فأجاب الله الدعاء وحقق طلبي بعد اليأس والله يقول - خلق الانسان من عجل سأريك آياتي فلا تستعجلون - سبحانك اللهم وبحمدك اجبت دعائي فلا أعانني شكري ولا بشرك أيها الذكي فاعلم علما يقينيا أنك اذا رأيت شيئا مما أذكره في هذا الكتاب قد عسر عليك فهمه ووجدت في صدرك حرجا واشتقت أن تعرف أصل العلوم التي ذكرت منها ما اشتقت اليه فإياك أن يخامرك شك في أن الله سيعلمك . واعلم أنك كلما اشتد شوقك للعلم كان ذلك دلالة على أنك ستدال مطلوبك . فانظر لما روى عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات والأرض ﴾ فها أنا ذا حين كنت على شاطئ النهر أفكر في نظام هذا الوجود كيف كنت غافلا عن نظام عيني وبقية المحل الهندسي الذي شرحته في أوائل هذه المقالة . وكيف كنت أغفل عن نظام النبات والحيوان وكلاهما حاضر لدي . وكيف كان الثلج يمرّ فوق رأسي على بعد ربما كان (١٥) ألف قدم أو أقلّ أو أكثر

ألم تر الى ما جاء في الكتاب الانجليزي السابق الذكر أن الثلج يكون دائما عند القطبين فوق الأرض مسافة (١٢٠٠) ميل ويكون الثلج الدائم مرتفعا في الجوّ أعلى فأعلى كلما اتجهنا جهة المدارين . ففي بلاد (اسويزرلند) فوق (٩٠٠٠) قدم وفي (البرنيس) كذلك وفي (أررات) ١٤٠٠٠ قدم و١٦ ألف قدم فوق بعض جبال (همالايا) قال وقد يتكوّن الثلج في منطقة الاعتدالين على بعد (١١ و ١٢) ألف قدم ولكن هذا ليس من الثلج الدائم والدائم هناك يكون أعلى من هذا البعد . فاذن أنا حينما كنت على شاطئ أبي الأخضر أبحث عن نظام وجمال في الطبيعة قد كان يحيط بي الجمال وأنا غافل عنه فالنظام في جسمي وفي النبات حولي وهكذا الحيوان وهكذا ماء نهر أبي الأخضر الذي يصير بخارا ويعاود في الجوّ . ومعلوم أن بلادنا في عرض (٣٠) درجة فالثلج يكون دائما أو غير دائم في الطبقات العليا في الجوّ التي تبلغ فوق عشرة آلاف قدم . إذن النظام كان يحيط بي ولكن الجهل هو الذي حال بيني وبين هذا الجمال

أيها المسامون إياكم أن تناموا عن هذا الجمال واعلموا أن في هذا الوجود من الجمال والبهاء ما هو مستور عنا جميعا - وفوق كل ذي علم عليم - والحمد لله رب العالمين

﴿ ثلاث زهرات زاهرات باهرات ناضرات بهجات لزّينت بها هذه القالات المنشآت في رياض العلوم ﴾  
﴿ الزهرة الأولى ﴾

تبين من هذه للمباحث السابقة في الأشكال المستدسة الثلجية أن الشكل الأوّل منها ساذج لاحتية فيه ولا زيادة على ما كان من المثلثات الستة وزواياها المتساويات الخ ويزيد عليه الثاني بتلك الزيادات القائمة على أنصاف الأقطار للشكل المستدس وهكذا لاتزال الأشكال تتزايد درجة فدرجة وجمالا فجما لا حتى انتهت الى أجملها شكلا وأبهائها حسنا وأبدعها نظاما مما قد حوى ما يشبه الأوراق المتناسقة المترادفة المتساوية المبدعة بغاية الاحسان والجمال . فهذا الابداع الذي ظهر في الأشكال الثلجية في الأقطار الجوية الباردة فوق رؤسنا قد فتح لنا بابا من العلم نلج منه الى مكنونه ونوازن ما بين هذا وما بين السلسلة الحيوانية والنباتية ونقول لقد رأى الناس السلسلة الحيوانية لها أدنى ولها أعلى ولها وسط فهي سلسلة أدناها أقرب الى عالم النبات وأعلاها أقرب الى الانسان . ونرى الاسود والنمور أرقى من عالم البهائم وعالم البهائم أرقى مما هو أخط منه حتى نصل الى أدنى الحيوان مما يدب على العود من الدود وما يكون منه في بطون الحيوانات الكبيرة فنرى تلك السلسلة متناسقة متناسبة لها أدنى ولها أعلى . الله أكبر الله أكبر ظهر العلم وبهر وازدهرت به الأجيال المقبلة وأشرقت شمس غاب ليله . يا عجباً للأهم التي نعيش فيها \* قال الشاعر

فقل لمن يدعى عالما ومعرفة \* عرفت شيئا وغابت عنك أشياء

نظر الناس قديما وحديثا هذه السلسلة فقل قائل منهم إن هذه جاءت بطريق النشوء والارتقاء ومعنى هذا أن الحيوانات العليا كانت في الأصل حيوانات أقل منها ثم تولاهما التغير والتبدل بالوسط والبيئة والانتخاب الطبيعي والحوادث الطبيعية فارتقت طائفة و بقيت أخرى مكانها فكان أعلاها القرد وعلا عنه الانسان بهذه الوسائط . هذه آراء علماء القرن التاسع عشر . أما علماء القرن العشرين فقد قالوا . كلا . ان هذه القضية كاذبة واستدلوا بحشرة أبي دقيق وقالوا انها تكون دودة ففيلجة أي (شرنقة) وهي عبارة عن كرة منسوجة من خيوط كذلك التي ترى في دودة الحرير ثم تكون حشرة كاملة فهذه الحشرة لم تحتاج الى آلاف آلاف من السنين لتنتقل من حال الدودة الى حال الحشرة بل كان انتقالها في زمان قليل بل يعد بالأيام . إذن ليس يلزم في نظام الحيوان أن يكون أعلاه مشتقا ومرتقيا عن أدناه وقالوا أيضا ان الذي نراه في غرائز الحيوان من الرأفة والرحمة ودقة الصنع يعجزنا أن نحير جوابا فكيف يتسنى لنا أن نقول ان الانتخاب الطبيعي هو الذي أوجب هذه المراتب الحيوانية وتجد هذا المقام مذكورا في سورة (آل عمران) في أولها عند مبحث المحكم والمتشابه في الطبيعة في بيان قوله تعالى - هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء -

إن النظر في هذه الأشكال المستدسة الثلاثية التي كلامنا فيها يؤيد أقوال علماء القرن العشرين في مسألة السلسلة الحيوانية الذين ذكرنا منهم (٢٠) عالما في هذا المقام الذي ذكرناه لك في سورة (آل عمران) ان هؤلاء العلماء يقولون ان البط يعوم لأنه وجد نفسه أرجلا مغطاة تصلح للعوام وأن هذه الحيوانات أعدت قبل للعوام وهذا كلام أحدهم العلامة (أدمون برييه) في مجلة (العالم الحى) سنة ١٩١٢ ولا جرم أن مستدسات الأشكال الثلاثية لم يكن ارتقاء أعلاها عن أدناها بطريق النشوء بل وجد أعلاها ووجد أدناها من غير أن يكون الأعلى كان أدنى ثم أخذ يرتقى عنه تدريجا بل هي سريعة التركيب سريعة الزوال . إذن هذه الأشكال تؤيد قول علماء القرن العشرين وتوضح برهانهم وتزيده حسنا . انتهى الكلام على الزهرة الأولى

﴿ الزهرة الثانية في الكلام على حسن النظام وعمومه ﴾

اعلم أن جمال هذه المستدسات يأخذ بالألباب ويهيج العقول . ولذلك ترى العلماء يجتهدون للبحث عنه ويجتهدون لماذا لما فيه من دقة الصنع وأنت خير أن هذا الجمال الذي رأيته في الأشكال نشاهد نحن مثله في سفرنا وحضرنا وشبابنا وشيئنا . ألم تر الى ما هو أجل من هذه الأشكال فانه لم يزد عن أوراق الشجر في الحسن والكمال . ترى أوراق الشجر صباحا ومساء وكل غصن من شجرة عبارة عن محل هندسي تساوت أبعاد نهايات الأوراق المتقابلة عنه حتى يمكننا وصفه بالمحل الهندسي تجوزا فائن ظهر المحل الهندسي الذي شرحته لك في جسم الانسان . لقد ظهر في أوراق الشجرة المحلية لأغصانها النباتات على جوانبها المتناسبات الأبعاد عنها كتناسب العينين والأذنين فيما قدمناه . إذن نحن مغمورون في الجمال فالجاهل والعالم يحيان ويموتان وهما يشاهدان نظام الكواكب جميعها والشمس والقمر وهي تجري بنظام ويشاهدان المحال الهندسية في أجسامهم وأجسام حيواناتهم وحشراتهم وفي الأعشاب وأوراق الأشجار وأجهل الناس يرى ذلك النظام في الأبنية التي يبنونها للناس ليعيشوا فيها . وإذا كان الأمر كذلك فيقال لماذا إذن اهتم الناس بالأشكال المستدسة في الثلج (الجواب) اعلم أن الناس على مقدار مغموروا ودفنوا في الجمال قد حجبوا عنه فالناس يغدون ويروحون في وسط البهجة والنور ولكنهم جميعا عنه محجوبون إلا قليلا منهم وانما حجبوا عنه لأنه مألوف فانهم يخلقون صغارا وهم يشاهدون ذلك الجمال ولا عقل عندهم ولا تمييز فاذا كبروا كبروا وهم يألفون هذه المناظر فسقط اعتبارها عندهم فلم يكثر ثوابها وانما يفرحون بما غاب عنهم ونذر كمسألة الأشكال



الثلجية فلك الأشكال يرونها برهة ثم تغيب عنهم ثم من ذا الذي يراها انما يراها الذين في الاقطار الباردة وقليل منهم من يفكر فيها ويصورها فأشكال الثلج أشبه بالكلمات التي يكتبها المعلم لتلميذه في اللوح يقرأها ثم يحوها . هكذا فعل الله لنا . وآنا على الارض كالصبيان الذين لاعلم عندهم فرسم لنا الثلج بأشكاله المنظمة وقال لنا هذا هو عملي نظام بديع وترتيب سريع وتناسق غريب ودرس لكم حديث ثم يحوه وهكذا هذا ما ينطق به لسان حال الاشكال الهندسية الثلجية النادرة الوجود والا فنحن خائفنا في عالم كله نظام وأجسام مهندمة مجندرة مسواة مهندسة حتى انك لتهي المسلم في صلاته لشدة اتقان الاجسام الانسانية يمثل في قيامه الخط المستقيم ويقرأ في فاتحة الكتاب وهو على هذه الحال - اعدنا الصراط المستقيم - فهذا الدعاء مناسب للاستقامة في الوقوف . ويمثل في ركوعه لزاوية القائمة . وفي سجوده تكرن له مثلثات مثل ما بين ساقيه فذلك مثلث متساوي الساقين . ومثل ما بين ساقيه وقدميه والارض فهما مثلثان أيضا متساويا الساقين ساق هو الساق الانساني وساق آخر خط وهمي على الارض والقدم تمثل الخط الثالث . هذا ما أردت ذكره في الزهرة الثانية

### ﴿ الزهرة الثالثة . حكمة الجبال في هذا الوجود ﴾

اعلم أن الجبال البارعة في هذا الوجود على ﴿ قسمين ﴾ جبال للعموم وجبال للخصوص . أما الجبال التي للعموم فهو الجبال الذي أبدعه الله في الوجوه الجميلة النادرة المثال والاصوات البهجة الشجية القايلة الظير إن الله عز وجل لم يذراثة من الامم إلا هيأ لها من الصور الجميلة والاصوات البديعة ما به يصبو حلیمهم ويوقظ نائمهم وتحيا قواهم الحيوية السكائمة فيهم فيهيجهما في الغالب لتحاب الجنسين وانجذاب الذرية والسعي لما يؤدى لذلك وما الصور الجميلة ولا الاصوات البديعة إلا نتائج الهندسة والحساب والنظام . فلعمرك لم يكن البارعون والبارعات في جمال الوجوه إلا لتناسب الحدين والأنف والعينين والفم فتى كمال التناسب بين هذه الأربعة كان الجبال بارعا ومتى نقص كان القبح على مقدار النقص - وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة - فاذا رأيت وجهها فاق الوجوه فاعلم أن عينك قد نقلت صورة ذلك التناسب التام الى المخ فأدركته النفس وعدته جيلا فعشقه لأنها من عالم الجبال وكيف أدركت هي الجبال إلا اذا كانت قد فهمت دروسه في عالم غير عالمنا فأى هندسة وأى حساب قرأه كثير عزّة ومجنون ليلي وقيس لبنى وهم لا يسمعون باسم الهندسة ولا يعقلون علم الحساب . هكذا ترى الجهال والعلماء جميعا يسمعون الأحن والمعنى يضرب على العود فيطربون وأكثرهم لا يعقلون لم يطربون . هم لا يعلمون أن المعنى والضارب على العود قد أتيا بحركات وسكنات موزونات متناسبات متناسقات مثل ما يذناه في بيت من الشعر سابقا في هذا المقام

ليس يعلم سامعوا ضارب العود أن بين أوتاره في الثقل والخفة نسبة معلومة مطردة كما لا يعلمون أن بين الحركات والسكنات نسبة هندسية مثل التي ذكرتها لك في بحر الطويل

لقد تقرر في علم الموسيقى أن كل النغمات في جميع العالم من عرب وعجم ترجع الى النسب كما قرره علماء (اخوان الصفاء) فاذا جاء في النوع من الغناء المسمى (بالمأخوري) الذي يشبه في حركاته وسكناته بحر البسيط إن نسبة متحركاته الى سواكنه كنسبة (٧) الى (٥) و(١٤) الى (١٠) و(٢٨) الى (٢٠) وهذه أشبه بما تقدم في بحر الطويل وحاصل ضرب (٥ في ١٤) يساوي حاصل ضرب (٧ في ١٠) فانه يتبين لك كيف يكون السامع في طرب من أمر محسوب منظم وهو يجهل ذلك الحساب كما يجهل الناظرون للجمال حساب الأعضاء في الوجه والنسب بينها . فالناس جميعا يحبون الوجوه الجميلة والاصوات البديعة المشجية والنغمات الموزونة وهم يجهلون لماذا اشتهجوا بجمال الوجوه ولماذا أسكرهم جمال الصوت والحقيقة أنه لا فضل لجسم ولا صوت لأن الأجسام والاصوات في حد ذاتها لا بهجة فيها وانما البهجة والجمال لدقة الحساب

والنظام والنسب • رجع الأمر أوله وآخره الى أن قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - هو سرّ جمال هذه الدنيا سواء أكان في النجم المسدس • أم في بيوت النحل المسدسات • أم في نظام السيارات الجاريات حول الشمس التي قدرها العلماء كالعلماء (يود) في أوائل القرن التاسع عشر بأنها تبعد (٣ و ٦ و ١٢ و ٢٤) وهكذا كما تقدم فهي إذن راجعة الى نظام التسديس الذي اعتبره علماء قدماء المصريين في حساب الفدان وفي حساب الأرطال وفي حساب المسكيات فقالوا الرطل (١٤٤) درهما وهو (١٢) أوقية كل منها (١٢) درهما فسكرانهم نظروا للتسديس في أبعاد الكواكب التي عرفها علماء أوروبا اليوم وقلوا الأرب (١٢) كيلة و (٦) ويات وقلوا الفدان (٢٤) قيراطا والقيراط (٢٤) سهما • فاذن نظم الناس مكاييلهم وموازنهم ومساحاتهم بنظام السموات في أبعاد الكواكب مشاكلة لنظام ربهم

وهكذا عدت الأيام التي خلقت فيها العوالم ستا مشاكلة لنظامها • كل ذلك يشمله قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقوله - إنا كل شيء خلقناه بقدر - وبهذا انتهى لكلام على الجمال العام وبيان أسبابه

﴿ الجمال الخاص ﴾

أما الجمال الخاص فهو الذي اختصت به طائفة الحكماء • وهو الذي أبدعه الله في الطبيعة ونظام العوالم وهو الذي اشتمل عليه هذا التفسير الذي جعله الله رياضاً من رياض الجنة يترى فيها أسس لا يزالون في الأصلاب وفي الأرحام ومنهم أحياء الآن يقرؤون فيطربون شوقاً الى جمال العلم وبهاء الحكمة وبهم يكون في الشرق وفي أمم الاسلام رجال يقودون هذه الشعوب الاسلامية المتأخرة الى سبيل النجاح وهذا الجمال الخاص على نوعين نوع هو أخلاق فاضلة في نفوس كريمة تكون نموذجاً للتقوة والسير الحسن وهم الصالحاء • ونوع هو الحكمة وجمال العلم ونظام هذا الوجود الذي ظهر بعض سرّه في هذا الكتاب • إن لسان الحكمة أبلغ من لغة الألسنة • وإن تعجب مما ستسمعه من بلاغة اللسان فيما حكاه الأصمعي وغيره فأعجب منه منطق لسان الحكمة المسموع لأولى الأبواب في السموات والأرض المرموز له بقوله تعالى - وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً - فإياك أن تقف على بلاغة اللسان فلا تفقه بلاغة لسان الحكمة في الأكوان • ولأذكريك ما حكاه الأصمعي كما وعدتك من بلاغة اللسان قال

كنت أطوف بالبيت إذ سمعت فتاة في الرابعة عشرة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول ﴿ اللهم اغفر لي ذنبي كله • قتلت قتيلاً لغير حله • كذبت في دله • وهلال في شكاه • في منتصف الليل ولم أصل له ﴾ قال الأصمعي رحمه الله ما أبلغ هذا الكلام • فتألت أو تعدّ هذا بلاغة بعد قول الله تعالى - وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين - ألم تر أن فيه أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين • الأمران أرضعيه وألقه • والنهيان ولا تخافي ولا تحزني • والخباران أوحينا وخفت • والبشارتان - إنا رادّوه اليك وجاعلوه من المرسلين -

وهكذا أذكر لك ما حكاه غيره قال سمع اعرابي رجلاً يقرأ - والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم - فقال ليس هذا كلام الله كيف يغفر وقد قطع اليد فذكر الأري وقال - والله عزيز حكيم - فقال هذا حق لأنه عزّ فيكم فتمنع ولو غفر ورحم لم يقطع

هاتان القصتان نبتان من بلاغة اللسان العربي في القرآن وهذا جميل ولكن الوقوف عند جمال اللفظ نقص لأن جمال اللفظ كجمال الثياب والحلي والمقصد الأكبر جمال الأخلاق فإذا دلّ ظاهر الانسان وجمال ملابسه على ذوقه وحسن اختياره فليس الدليل بمساو للدلول عليه في القيمة وليست المذمة كلنتيجة • وإذا أحب الناس جمال أوجوه فما ذلك إلا لأنها غالباً تدلّ على جمال البواطن والأخلاق • فالمتصود في العالم الانساني أخلاقه ومواهبه لاملابسه وحلاه \* قال الشاعر



ليس الجلال بأثواب تزيننا \* إن الجلال جمال العلم والأدب  
( وقال السموعل )

ليس الجلال بمئزر \* فاعلم وان رديت بردا  
ان الجلال محاسن \* ومناقب أورثن مجددا

فاذا كان هذا في حال الانسان فهكذا حال القرآن فان جمال اللفظ بحسن البلاغة لم يكن إلا مقدمة واللفظ لباس المعنى والمعنى هو المقصود فن وقف على ظواهر البلاغة فهو من العامة والجهلاء ممن يتقف من الانسان على ظواهر ملابسه ولا يدرك أخلاقه وعلومه . ومماثل الذين يضيعون حياتهم في ظواهر البلاغة إلا كمثل الحاج يضيع زمانه في إعداد الزاد والراحلة مستكثرا من ذلك وقد فاتته الركب فلم ينل وطره من مقصده الأعظم وهو الحج . وسيكثر أولئك الذين يدركون عجائب هذه الدنيا بعد نشر هذا التفسير في أمم الاسلام ويطيرون شوقا الى الحكمة ولا يكتفون بعلم البلاغة وحده الذي وقف عنده الأكثرون . وما جمال البلاغة إلا حلية الألفاظ كتناسب الخبرين والبشارتين الخ فيما تقدم وكمناسبة العزة والحكمة للقطع فيما تقدم أيضا وأى شئ هذه وما شاكلها بالنسبة لنظام الحكمة والابداع فيما خطه الله في هذا الوجود من الحساب والاتقان الذي تضمنته آيات القرآن من العجائب التي لا تحصى كقوله تعالى - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - وقوله دنا - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض الخ - فن اكتفى من ملكوت السموات والأرض بما ظهر من البلاغة في الألفاظ كما في الروايتين المتقدمتين فهو ( اذا كان ذكيا قادرا على الفهم ) من - الأخسر من أعمالا \* الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا -

إن الجلال الخاص كما قدمنا يمثله الصالحون بأخلاقهم والحكماء بمباحثهم في هذا الوجود والأولون أشبه بمن جلت وجوههم وآخرون أشبه بمن حسنت أصواتهم في الجلال الظاهري الذي قدمناه . وحكماء الأمم الاسلامية الذين سيظهرون ان شاء الله بعد نشر هذا التفسير وأمثاله هم الناطقون بلسان الحكمة الذي هو أبلغ وأبدع وهم الناظرون في ملكوت السموات والأرض وهم الذين يظهرون للمسلمين سرّ قوله تعالى - وان من شئ إلا يسبح بحمده - إن تسبيح المخلوقات لربهم لا يظهر إلا بدراسة جميع العلوم وفي هذا التفسير قبسة من نوره بها يعرف المسلمون بعض تسبيح المخلوقات . إن أهل الحكمة هم الذين يسمعون الناس ألحانا تبهرهم وتسحرهم أكثر ما تبهرهم ألحان الموسيقى . واذا بهر الناس أصحاب الأصوات الجميلة فان أذكىاءهم سيسحرهم بيان الحكماء وصوت المفكرين فيفقهون من غفلاتهم ويستيقظون من نومتهم وسترى أيها الذكي كيف يقوم في العالم الاسلامي من الحكماء من يوقظون هذه الأمم الاسلامية الغافلة ويحيون قواها العقلية أكثر مما تحي وجوه البارعين في الجلال ونعمات الملحنين القوى الحيوية الانسانية . فكما تهيج القوى الحيوية في الأمم بالصور الجميلة والأنعام الشجية هكذا تهيج القوى العاقلة في الامم الاسلامية لدراسة العلوم وكمال النفوس والوقوف على الحقائق واتقان الصناعات بسماع صوت الحكمة ولسان البيان العالمي ويفهم الناس قوله تعالى - وان من شئ إلا يسبح بحمده - فهذه العلوم التي أشرنا اليها في هذا التفسير يكون بعض فهم التسبيح بحمد الله في الوجود ومتى فهم الناس بعض هذا التسبيح بالعلوم ارتقوا في أعمالهم كلها دنيوية وأخروية . كيف لا والتسبيح بحمد الله يرجع لتزويده عن صفات النقص ووصفه بصفات الكمال وهي التي توجب الحمد . وكيف يحمد الناس ربهم إلا على نعم عرفوها ولا معرفة لنعمة إلا بدراستها ومتى درسوها انتفعوا بها ومتى انتفعوا بها كان ذلك شكرا لأن الشكر صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق لأجله وكيف يصرفه فيه وهو يجهله . إن الله عز وجل أذن للمسلمين بالارتقاء والارتقاء بالعلم وبالعلم

يعرفون هذه الدنيا وهذا التفسير من مقدمات هذه النهضة المباركة إن شاء الله تعالى

قلنا ان المفكرين يقولون في الأم كما يقل ذوو الأصوات الجسيلة والأقولون يحبون القوى العقلية كما يحبي الآخرون القوى الحيوية وقلنا انهم سيكتفون في أم الاسلام وقلنا ان هذه الأم ستحييا بعد مآمات في زماننا وفيما قبله . وأريد الآن أن أختم هذا المقام بحكاية ذكرتها في كتاب ﴿جواهر العلوم﴾ ذلك أنه قد أخبرني شاب مصري من أبناء بلادي كان حاكما في بعض بلاد السودان قال سمعت طائر ينناو بان الغناء على الأشجار بنغمات موزونات كما توزن نغمات العيذان وهما زوجان فرحان بتلك النغمات قال فأمرت الجند فاصطادوا أحد الزوجين ولم يتمكنوا من صيد الآخر قال وبات الزوج المصيد عندنا الى الصباح فلم نسمع صوته ولا صوت صاحبه الذي على الشجرة وماطلع الفجر حتى رأيناه خيرا صريعا في قفصه حزنا وكدا فبحثنا عن أليفه فوجدناه أيضا قضى نحبه في شجرته . هذا ما ذكرته هناك وأقول الآن هذا مثل ضربته للحكيم وللحكيمتهما فهما زوجان لا يفترقان فالحكيم يموت اذا لم تكن الحكمة والحكمة تموت اذا لم يكن حكيم كما مات أحد الزوجين الجسلي الصوت إذ فارقه أليفه وغاب عنه أنيسه . اذا غابت الحكمة عن الأم أظلمت شمسها وجن ليلها وأفل سعادها كما غابت عن الأم الاسلامية المتأخرة وستشرق شمس العلوم والمعارف من الآن وتسحر أصوات الحكماء والمفكرين قلوب النفوس الشريفة فيحيون الشرق بعد موته - ولتعلمن نبأه بعد حين - والحمد لله رب العالمين

﴿فائدة﴾ جاء في بعض المجلات ما يأتي

﴿فوائد وفكاهات . عالمنا العجيب وبعض أخباره . أخبار علمية﴾

عرض الأرض أوسع من طولها (٢٧) ميلا وهي مغناطيس أي جسم جاذب لأنها تجذب وتجذب . وتكتسب جاذبيتها من الشمس التي هي نفسها مغناطيس أيضا أي تجذب الأجرام للدوران حولها . أعظم جب حفر في الأرض يباغ عمقه (٦٥٧٠) قدما . عمر الأرض (١٥) مليون مليون سنة . وآخرون يقولون عمر الأرض مائة مليون . إن الهواء يمتد ارتفاعا الى علو خمسمائة ميل فقط . أعلى غيم يصل الى نحو عشرة أميال فوق رؤسنا . أعلى علو استطاع أن يصل اليه الانسان (٧) أميال فقط . (يقول المؤلف ولكن الطيارات ارتفعت أعلى من ذلك) . أبعد محل يسكن فيه الانسان شمالي سيبيريا الشرقى . أشد الأماكن حرا على الأرض صحراء أفريقيا حيث تصل درجة الحرارة الى (١٢٢) . قد مضى على الانسان وهو يسكن الأرض مدة مائة ألف سنة وغيرهم يقول أقل . عدد سكان الدنيا مليار ونصف ويموت منهم كل سنة (٣٢) مليون تقريبا مائة ألف كل يوم وأكثر من أربعة آلاف كل ساعة . ولكن كل (٦٧) شخصا تموت في كل دقيقة يولد بدلها سبعون طفلا . فالحساب يكون كل ماتر عينك مرة يفارق الدنيا واحد ويلاقيها ثان فسبحان الباقي . أطول حياة في الدنيا حياة الفيل الذي يعمر قرنين . أقصر حياة حياة (ذبابة آذار) التي تولد وتنمو وتلد وتموت في (٢٤) ساعة فقط أو أقل . معدل حياة الانسان (٣٣) سنة وربع البشر يموتون قبل السنة السادسة ونصفهم قبل (١٦) ولا يعيش (٦٥) سنة إلا انسان واحد في المائة . انتهى

﴿اللطيفة السابعة في قوله تعالى - له معقبات من بين يديه ومن خلفه الخ -﴾

اعلم أن الآية ليست خاصة بشئ واحد مما خلق الله في هذا العالم بل الحافظات للانسان أنواع كثيرة . ولأضرب لك مثلا بالنبات . لقد ظهر في العلم الحديث أن النبات لا يمتص الأغذية من الأرض بلا مساعد فان هناك في تربته أنواعا من الحيوانات الصغيرة المسماة (المكروبات) تجدد في تفتت الأغذية والعناصر الأرضية وتحت كل نبات منها ما لا يحصى من هذه المخلوقات الحية فهذه تفتت الأغذية تفتت دقيقا لتصلح



لامتصاص الجذور لها واذن ينمو النبات • وإذا كان هذا شأن النبات فكيف تكون حال الانسان  
 إن الله جعل كل ماحولنا ﴿قسمين﴾ ضارا ونافعا ولأنك لهما كما قال - ومن كل الثمرات جعل فيها  
 زوجين اثنين - فليس من نبات ولاحيوانات ولاحجر ولاشجر إلا وهو بالنسبة لنا على هذا المنوال • فترى  
 الحيوانات الدنيئة في أجسامنا ﴿قسمين﴾ قسما يسمى السكريات الحمراء وآخر يسمى السكريات البيضاء • فأما  
 السكريات الحمراء فهي حيوانات تعد بالملايين بها ترى دمنا محمرا وهي فيه عائمة لاصلاحنا وبقاء حياتنا • فأما  
 السكريات البيضاء فهي كثيرة العدد قد أعدت لتلافي الخطر ودرء الهلاك فإذا أقبلت على الجسم مكروبات  
 ضارة في حى أو نحوها أخذت هذه البيضاء تقاتلها وتهجم عليها فإذا ماتت هذه خلفت جندا وراءها وهكذا  
 نسل بعد نسل وجيل بعد جيل • وكلما تناسلت الأجيال كان الأخير منها بما ورثه عن آباءه أقوى شكيمة  
 وأرفع قيمة وأرقى عزيمة في اخراج الحيوانات المهلكة الضارة فلا تزال في نضال وقتال أجيالا وأجيالا ولذلك  
 ترى الأطباء يحقنون المريض بالجدري وغيره وهذه الحقن تبعث في الجسم الغارة الشعواء ويحتدم القتال  
 فتقوى تلك الجيوش البيضاء المدربة على القتال فإذا هاجمتها جيوش أخرى بعد ذلك كانت أقوى على غلبتها  
 ومماثل التقيح لأجسامنا ولأجسام حيواناتنا إلا كمثل تعليم الجندي • أو كمثل فتح مدارس الخريفة واعداد  
 الوقائع العملية في المناورات الخريفة ليستد ساعد المقاتلين وتقوى قلوب المجاهدين • فهذا مثل ضربته لك  
 من أمثال الجنود المجندة المتعاقبة على صيانة الانسان وحفظ حياته • وترى حواسنا كالسمع والبصر والشم  
 والذوق قد ميزت الضر من النافع • فترى أهداب العين تمنع التراب وتدخل الضوء • وترى شعرات الأنف  
 تمنع البرودة أن تصل الى الحياشيم فيكون الزكام • وقد نص الأطباء في زماننا أنه لا يجوز نتف هذا الشعر  
 وهكذا ترى حاسة الذوق تعرف ما يلائم من الأطعمة وتنفر مما لا يلائم وهكذا حاسة الشم • أفليس هذا كله  
 من نوع الحراسة والحفظ • وإذا قال الله - إن كل نفس لما عليها حافظ - وقال هنا - له معقبات من بين  
 يديه ومن خلفه - فهذا مثل من أمثال الحفظ والحراسة • وترى أن من الحيوانات ما يذيقنا الموت كالخشرات  
 المؤذية ببلاد السودان فإن لها قوة سمية تنوم الانسان ولكن لا تكون إلا في نادر منها فقد أخبرني طبيب  
 أن هذه القوة لا تكون إلا في واحدة من خمسمائة وعملها كعمل الفيران والناموس • فهذان النوعان ينقلان  
 الأمراض المعدية من جهة الى جهة فتجد الناموس يمتص الدم من زيد ومتى جثم على عمرو اختلط الدم بالدم  
 فمرض الثاني بمرض الأول • هكذا هذه الحشرة تنقل مرض النوم من رجل لآخر وهذا المرض يبقى كامنا  
 في الانسان أياما وشهورا وأعواما ومتى ظهرت أعراضه نام أياما وأياما ثم يعثره الانحلال

هذه جنود الاهلاك أشبه بالحيوانات المؤذية في الجسم فإذا رأيت السكريات البيضاء في الدم قد ساعدت  
 السكريات الحمراء على قتال الحيوانات الحديثة لأنواع الحمى والجدري وجميع الأمراض القاتلة وحدث هناك وطيس  
 الحرب الذي ينتج منه الحرارة القوية في الجسم من شدة النضال فهكذا هنا قد ساعد الله جنودا على هذه الجنود  
 الحيوانية فعلم الناس كيف يفتكون بالناموس بأن يصلحوا البلاد ويردموا المستنقعات والبرك • وألهمهم في  
 أيام الوباء الناجم من حيوانات صغيرة أن يستعينوا ببعض الأدوية بشرائط خاصة كالنظافة واستعمال الزيت  
 لاسيما المتخذ من الزيتون بشرائط خاصة فهذا قاتل لك المكروبات وهكذا مما لا مجال له إلا علم الطب الواسع  
 ولن نجد ماحولنا من سام أو ضار إلا وله دواء يمنع فعله • فهذه الأدوية جيوش وجنود معقبات للجيوش  
 الموقعة بنا ضرا • هذه نبذة من العالم المحسوس

#### ﴿الأحاديث النبوية﴾

فإذا سمعت قوله ﷺ كما في البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﴿يتعاقبون فيكم  
 ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم

وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ﴿ وإذا سمعت أن لنا ملكين ملكا من اليمن وهو صاحب الحسنات وملكاً من الشمال وهو كاتب السيئات • وإذا سمعت في أقوال علمائنا أن ملكاً موكلًا بعيني العبد يحفظهما من الأذى وملكاً موكلًا بفيه لا يدعه يدخل في فيه شيء من الهوام يؤذيه وأمثال ذلك فاعلم أن ذلك من هذا الباب • وإذا كان النبي ﷺ ذكر لنا ملائكة النهار وملائكة الليل فقد فتح الباب لدرس العالم المحيط بنا ومن العار أن يعيش الإنسان في هذه الدنيا ولا يدرسها إن العلوم الطبيعية كلها دراسة دينية • فإذا أسمعنا النبي ﷺ أن الملائكة يكتبون أعمالنا فكأنه يقول لنا إن لكم عوالم لا ترونها ترتقب أحوالكم وهو قد ترك لنا العالم المشاهد لنبحث فيه فكأنه يقول لنا ادرسوا بعقولكم ولا تكونوا عالة على غيركم فأنبأوكم لم يرسلوا لاختاء عقولكم ولكن أرسلوا ليوقظوكم فإذا قالوا لكم كل شيء قد تركوكم بلهاء جهلاء ونحن علينا أن نلهج لكم ونرمز عليكم أنتم الجدة والاجتهاد وما أعمال ملائكة الليل والنهار إلا احصاء الأعمال حسنة وسيئة وهذا له نظير مشاهد في العالم حولنا فإن الأمم في المدن العظيمة اليوم قد أصبحت ولاقطرة ماء يشربونها ولا كهرباء يوقدون بها ويضيئون بها منازلهم إلا ولها آلة تعدّها كما تعدّ الدراهم والدنانير وهاتحين أولاء نشاهده في بيوتنا ونرى الجهاز المعد لحساب الكهرباء والماء وغيرهما يفعل ما يفعله دقرب الساعة في حساب الزمان • فإذا ورد أن الملائكة يحسبون أخلاقنا وأعمالنا ويحسونها فليس شياً بدعا بل نحن نشاهد نظيره وهذا سرّ قوله تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - ومن عجب أن تكون آية للعقبات بعد آية - وكل شيء عنده بمقدار - ايضاحاً لها وتفسيراً وتطبيقاً فهذه الآيات أنزلت لتسوق المساهين الى دراسة ما يحيط بنا من العجائب والجنود المجتدة • وليس يعرف المسلمون سرّها إلا إذا توغوا في جميع العلوم فعرفوا مضار الانسان ومنافعه والجماعات المتعاقبة على حفظه المهلكة لضدها • أما عالم الملائكة الذي ورد في الحديث فإن الكشف الحديث قد دخل في هذا المضمار •

الأتري أن علماء الأرواح كاللورد (أوليفرلودج) يقولون ان الأرواح تحيط بنا من كل جانب يلهمونا الخير وقد قال هذا العلامة كما نقلناه عنه في كتاب ﴿ الأرواح ﴾ إني أصبحت موقناً أننا تحيط بنا عوالم عالية نحن بالنسبة لها أشبه بالخل بالنسبة للانسان وأيقنت انها من فوقنا ومن تحتنا وهي تهتم بنا أشد الاهتمام فيعجبنا لدين الاسلام وأمة الاسلام • يقول الله - له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله - ويقول النبي ﷺ الذي أمر أن يفسر القرآن ان ملائكة يتعاقبون فيكم ثم يحصى علماء أوروبا فيقولون نحن قد كشفنا عوالم تهتم بنا • أفلم يكن الأحق بهذا كله الأمة الاسلامية • إن دين الاسلام هو الذي يطلب هذه العلوم • إن دين الاسلام مظلوم في الأمم التي اعتنقته • إن من يقرأ هذا الكتاب ولا يذيع هذه الآراء مطالب بين يدي الله تعالى • إن الله يحاسب كل من اطلع على مثل هذا في هذا التفسير أوفى غيره من كتب العلماء ولا يذيعه • إن الله حكم أن لا يبقى في هذه الأرض إلا النافعون فإذا لم يصلح هؤلاء المساهون للإخلاق في الأرض أزالهم من أرضه واستبدل بهم قوما آخرين • وهاهوذا يسلط عليهم الأمم كما سلط الناموس على البلاد التي لم يصلح أهلها ما حولها من البرك والمستنقعات وكما سلط الذباب على عيني من لم ينظفهما وكما سلط الحيات على قوم لم ينظفوا بيوتهم من القاذورات والأبنية الخربات فإن لم يفقه المساهون هذا الوجود طردهم الله منه وأسكن فيه قوما آخرين كما أهلك سكان أمريكا الأصليين وأحلّ محالهم أهل أوروبا فعمروها وهم لها مصلحون • فهذا أنا أقول ليعلم ذلك كل قارئ لهذا الكتاب ولينشر الفكرة والافالته هو الذي يماقب المتقصر الذي يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو شديد العقاب للظالمين



﴿ اللطيفة الثامنة والتاسعة في البرق والسحاب والرعد وفي قوله تعالى - إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْيِرُ مَا بَقِيَ مِنْهُ - ﴾

حتى يغيروا ما بأنفسهم - ﴿

لا يغيرها من العاقبة التي هم عليها حتى يغيروا ما بأنفسهم من الحال الجيدة بكثرة المعاصي • ومعلوم أن العكس كذلك فإن تغير الأمة من الفساد إلى الإصلاح إلا بالتربية العامة في الأمة وليس لأمة سعادة إلا بعموم فكرة الإصلاح فيها وأن يشملها نظام تام وآداب شاملة • فأما إذا ارتقى فيها قوم وتركوا المجموع فذلك المجموع يصبح مفكك العرى لعدم الثام الأخلاق ولذلك عوّلت الأمم اليوم على تعميم التعليم الابتدائي شاء الناس أم أبوا ومن لم يتعلم أكرهوه على ذلك لعلمهم أن المجموع مرتبط فاذا اختل بعضه فالباقي آيل للاختلال والزوال • فليقم المصلحون ومن آتاهم الله علما فلينبهوا الأمة وليخطبوا بالإصلاح وليكن تعليم ليلي للعامة وليقم كل بما قدر عليه لإصلاح المجموع فليس يغير الله حال المسلمين من الانحطاط الذي اعتراها إلا بتحويل العقول عن مجراها وتنويرها بالخطب والجرائد والمجلات وتفسير الآيات تفسيراً يطابق الإصلاح فينهض المجموع فأما إذا بقي المسلمون على ما هم عليه فإن جمعهم يتداعى ووحدتهم تتصدع فالأمر كله من القلب فإن تنور نشطت الأعضاء للعمل وإن أظلمت ماتت الأعضاء وكسبت وبعكس ذلك إذا كانت الأمة راقية وقيصر لها مفسدون ففتحوا لها باب الترف والنعم واحتقار عادات الأمة وأدائها وأخلاقها انحطت الأمة وساء مصيرها - وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال - • ومن أعظم الآثار في النفس التفاؤل والتشاؤم وعلى ذكر التفاؤل والتشاؤم نذكر هنا المقال الآتي وها هو ذا

### ﴿ التفاؤل والتشاؤم ﴾

( للكاتب الأمريكي الأشهر (امرسون) • عرّبه بعض أدباء المصريين )

إن الدنيا بخذا فيرهما تنساق إلى المتفائل المستبشر إذ كان التفاؤل مبعث العزيمة الماضية والهمة الثاقبة التي كأنها تخاق للمرء عينين جديدتين يرى بهما من ضروب الحيل والتدابير ما لم يكن رآه من قبل • إن المتشاؤم يسكن الجنة فيصيرها من جلاء سخطة وضجره حمياً • ويسكن المتفائل النار فيصيرها بفضل انشراحه وعزمه وسعة تديره فردوساً • والمتشاؤم إذا لبس جلد الفيل وفروة الدب لم يجده ذلك نفعا ويظل في بوبه الدفيء يرتعش ويرتعد • بينما الاسكيمو ساكن القطب الشمالي يظن لحسن تفاؤله وانشراحه فرحاً طروباً مملوئاً نشاطاً ومرحاً يصنع لنفسه من الثلج والزهر ريثاباً دفيئة

إن الإنسان بفطرته وطبيعته متفائل ميال إلى الانشراح والنشاط وهذا التفاؤل هو الذي يجعله صالحاً لسكنى هذه الأرض التي لا تنهب الإنسان أدنى شيء من ثمارها وفوائدها إذا لزم خطة السخط والتبرم وفقر الهمة والعزيمة وتسخر له كل شيء إذا استشعر الابتهاج والتفاؤل وما يورثانه من سعة التدبير والحيلة • ومن ثم ترى الرجل المتفائل النشط وكأنه جعبة مملوءة بالكفاآت والقوى وكأنه قضيب مغناطيس فوق كرة من الحديد يجذبها إليه ويتداو لها كما شاء • ومن كان هذا شأنه أصبح وكأنه مخترع ومستكشف قد أبحر في سياحة ميمونة مباركة يسترشد فيها بخريطة ذهنه ويظل وكأن هذا العالم الأرضي في نظره كله منافذ وأبواب مفتحة ومسالك وفرص ومغانم وكأنه جوهر حساس في كل موضع منه وتر موسيقى يجاب جواب أقل لمسة منه بنغمة مطربة ويقابل كل جسة بفيض سيال من الروح والشعور • وهذا العالم الأرضي الحي الحساس حاضر الخير سريع السخاء للرجل المتفائل فسواء طرقته بمحراث آدم أو بسيف قصراً أو بقارب كولومبو أو بمرصد غاليليو أو بمنطاد زبلين فلا بد أن يجيبك على كل واحدة من هذه التجارب بأبداع جواب وأروع وانما بفضل التفاؤل وما يورثه من القوة والقدرة العجيبة استطاع الإنسان أن يفجر بالخيرات والبركات صخرة هذه الأرض الصلدة ويسخر الطبيعة الهائلة في قضاء ما ربه وأوطاره ويتغلب وينتصر على المادة ويسيطر ويهيمن على العناصر ويؤلف من

شتاتها نظاما ومن فوضاها ناموسا ومن فسادها صلاحا . وعلى الضد من ذلك ترى التشاؤم مصدر الوهن والعجز والفتور والتبدد وفقاً الأعين ويشل الأيدي وبطنى سراج البصائر . وأى خير فى التشاؤم ومنظاره الأسود الذى يكسو عروس الطبيعة ثوب الحداد ويحيل مهرجاناتها مأتما وبشيرها نعيًا وصفوها كدرا وحلاوتها مرارة ويطلع فى وجنة الشمس الصقيلة بثة سوداء ويجرى فلك السعود نحسا

هذا العالم الذى نعيش فيه وتقلب بين أعطافه إنما هو مصنع هائل مفعم بقوة الخصب والانتاج التى تؤتى كل شئ باذن القادر على كل شئ . وهل ترى لتخاطر الطبيعة من نفاذ . وهل حاولت مرة أن تزن بالقناطر مياه الجدول الصغير المنسكب فى مزرعتك هذا على أن الطبيعة لا تبدى لنا من ذخائرها الهائلة سوى القشور وانها من تحت ذلك بعيدة الأغوار تقدر أعماق كنوزها بالملايين من الفراسخ . ولقد يروق طائفة المتشائمين ويلذهم أن يسخروا من مذهب التفاؤل تظاهرا منهم بالفلسفة وادعاء باطلا للذكاء والفطنة على أن آمال المتفائلين البراقة وما تشيد خيالهم من قصور الهواء المزخرفة أحسن ألف مرة وأعود بالمنفعة على الناس مما لا يزال المتشائمون يحفرونه من حجور الهم والنكد وسجون الغم والشقاء . وماذا يستفيد الناس من المتشائمين الذين لا يبرحون ينصبون فوق رؤسهم فى كبد السماء كوكبا أسود يشوهون به لآلاء الضياء وجمال السحب البهيجة الأصباغ والألوان . وأى الرجلين أنفع للمجتمع وأصلح من يحررك فيك نسيم الأمل ويشعر قلبك روح الثقة وبرد اليقين . أم من يسقيك كأس الجزع والأسى ويجررك غصص الكرب والشجن ويذيقك كأس الخوف والقنوط

لقد جعل الله للطبيعة روحا وما روحها إلا الفرح والجدل . ولعلك اذا استطعت أن تنفذ الى سر الكون ولباب الوجود ألفت قلبا خفاقا بالسرور يدفع لى كل نبضة من نبضاته تيارا متدفقا من الخبور والطرب . ولن ترى فى أنحاء الكون موضعا تخلاله قفرا مجذبا إلا كان فى الحقيقة مفعما بالخير والبركة . فأقفر الأمكنة فى نظرك يحتوى من الثروة مالا يكاد يحصى ولا يعد وأجذب محل فى وهمك لا تنفذ حاصلاته ولا تفنى ثمراته وكل صوت من أصوات الطبيعة يبدأ بلحن وينتهى بنغمة . وكل صفحة من صفحاتها قد زخرف

البارى المصور حواشيها بأبدع الصبغ وأبهج الألوان لا تعلق على جدران غرفتك الصور المحزنة ولا تشوه أحاديثك بسواد الشكوى وظلمة التشاؤم ولا تكثرن من الأنين والحنين والثأف والتأفف وكن على أن تظل صداحة تطرب الملاء بموسيقى الأفراح أحرص منك على أن تظل نواحة تبكيه بمرائى الأتراح ولا يصدرن عنك من المقال والفعال إلا ما جدد من أمل أو حفز الى عمل أو استنفرهمة أو استنهض عزيمة

لقد جاء فى حكمة الندماء أنه لن يستطيع مسرة الجلاء من كانت نفسه عارية من المسرة فان الحديث الخافل بغير الأفكار ودرر المعاني اذا صدر عن لسان رجل متشائم متبرم كان جديرا أن يبهرك ويروعك ولكنه ان يسرك ولن يفرحك . ولا عجب فان الذى يدخل عليك السرور والطرب ليس هو براعة الحديث فى ذاته ولكن حلاوة أنس الحديث ورقة شمائله وهذه الرقة والحلاوة لن تكون للرجل المظلم الهواء الموحش الجنب . وما ذلك إلا لأن الذهن شئ والروح شئ آخر وغير ممكن ولا منتظر أن يستطيع امرؤ براعة الذهن وحدها اجتذاب الأرواح واستصبااء النفوس دون أن يكون له ذاك الظرف الذى ليس إلا من معينه يفيض الطرب والمسرة . وكيف يفرح الناس من أقفرت نفسه من الفرح . ومن ثم كان أعظم كتاب الفكاهة الذين قدّموا الى أبناء البشر أشهى ألوان السرور والضحك على مائدة الفنون والآداب كلهم من ذوى الطباع الفرحية المبتهجة والأمزجة الرطبة الندية أمثال (شكسبير وموليير وسرفنتير الأسبانى) صاحب كتاب (دون كيشوت) وأديسون ودكنز ورايبليه وواضع كتاب (ألف ليلة وليلة) وكل هؤلاء على الضد من كتاب



الفكاهة المتشائمين أمثال (فولتير ويرون وسويفت) صاحب كتاب (أسفار جاليفار) وبوب صاحب كتاب (السفهاء) وهاني . أولئك الذين قد مزجوا فكاهاتهم بعلمهم الهجاء والسخرية وحفظ النعمة والنكال وسموم القذف والاقذاع فخرجت مؤلفاتهم أدنى إلى الإيجاع منها إلى الاطراب . وأجلب للإيلام منها للإعجاب وللإحاش منها للإناس . بل جاءت أنكى شبة من ابرة العقرب وناب الافعوان . ذلك إلى الجمل العديد من مساوى تلك المؤلفات التشاؤمية وسوء أثرها في المجتمع مما يضؤل إزاده كل ماحوت من مزايا وحسنات حتى ذهب فريق من رجالات الأدب وجهابذة النقد وأعيان الفلسفة إلى اعتبار مؤلفيها ضمن عوامل الفساد والشر فقال لنا الفيلسوف (نيتشه) أغلقوا بيرون وافتحوا جوت

والسر في مساوى هذه المؤلفات يرجع كما أسلفنا إلى ماقد ركب في غرائز مؤلفيها من مرارة الطبع وحرافة المزاج وحوضة السليقة وما يتبع ذلك من قسوة الأفراد وغلظة الأكباد . إن من أقوى مبررات التفاؤل وأقطع البراهين على صوابه ووجوب الأخذ به هو أن الطبيعة التي أوجدت آفات الحياة وعلاها أوجدت معها أدويتها ووسائل شفاها وما ذلك إلا لأن روح الطبيعة إنما هو العدل وأساسها هو النظام وما غايتها إلا الإصلاح والرقى فإذا رأيت الطبيعة أحدثت آفة فاعلم أنها لم ترم بذلك إلى التلف والبوار ولا إلى الفساد والفوضى . والحقيقة أن هذه الآفات والعلل ليست في الواقع إلا أسبابا متكررة ترمى في النهاية إلى الإصلاح . وما هي إلا عقبات ضرورية لابد أن يتحتمها المجتمع ليصل على جسرها المخوف إلى ماقد هي له من درجات الفلاح والرقى . فإذا شئت مثالا على ذلك فانظر إلى أوراق الشجر وأجزاء النبات . ألا تراها تسقط فتدبل فتعفن ثم تتحلل وتبلى ويخيل إليك أنها قد فسدت وتلفت وهلكت وهي في الحقيقة لم تمت ولم تفسد إذ لاموت ولافساد في الطبيعة وكل ما تراه بلى وموتا إنما هو تطوّر وانتقال من حال إلى أخرى أرقى وأكمل . فهذه المواد النباتية التي نخالها قد بليت وماتت لن تلبث أن تستعيد حياتها وقوتها وتجدد بهجتها ونضرتها بل قد تستحيل على التطوّر والتحوّل إلى صنف أسمى وأسنى . تلك سنة التطوّر والارتقاء التي تجري عليها الطبيعة في جميع أركانها من الذرة والهباءة إلى النظام الشمسي والدورة الفلكية وذلك ناموس النمو والصالح الذي هو أس الوجود وروح الطبيعة - سنة الله التي قد خلت في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا -

ومن أعظم الآثار في النفس أيضا المخاوف والأوهام

### مخاوفنا وأوهامنا . أسبابها وعلاجها

لازبد بالمخاوف والأوهام تلك التي تستثيرها المشروبات الروحية أو الحيات التي يتخيل فيها المدمن أو المريض وجود عمالقة من الشياطين في طريقه أو في غرفته يطاردونه ويضايقونه حتى لقد يقذف بنفسه من نافذة هربا منهم أو يتوهم أنه يرى حيوانات تطير في الهواء أو حشرات تنسل بين ملابسه لأن كل هذه ترجع إلى حالات مرضية وقتية يفقد فيها الشخص ذاكرته وقدرته على التفكير المنطقي . وإنما نعني تلك المخاوف والأوهام التي تساور الإنسان في أحوال عادية فتؤثر في سلوكه في المجتمع من حيث علاقته مع الناس وطريقة تأديته لعمله كما تؤثر في صحته من حيث سوء تأدية عمليات التمثيل والتغذية واستفحال الأمراض التي يكون مصابا بها . وقد قدّر أحد علماء النفس أن تسعة من بين كل عشرة أشخاص يصابون بهذه المخاوف والأوهام التي تشتد وقت الليل حيث يضعف نشاط الإنسان عن مقاومتها بعد مجهوده اليومي . ومن أهم المخاوف الشائعة بين الناس عامة والسيدات بوجه خاص الخوف من الأمراض ولاسيما (السل) إذ تجد السيدة تخاف من القذارة والمكروبات خوفا يقرب من الجنون فتبالغ في النظافة وتدقق في اختيار الماء كولات والمشروبات الموافقة حتى لقد حكى عن سيدة (وأماها كثيرات) أنها كانت تحتم النظر إلى مائتا كلة أو تشربه بمنظار مكبر قبل أن تمد يدها إليه حتى تطمئن إلى نظافته وخلوه من جراثيم الأمراض وتأتي إلا أن تغسل الأغطية

والملايس وأظهرها عدة مرات يوميا كلما لامستها يد زائر غريب خوفا على نفسها وأولادها من القذارة التي تسبب الأمراض . وقد أظهر البحث العلمي في كثير من الأحوال المشابهة أن السبب في حدوثها هو ذلك الاهتمام الشديد الذي يظهره كثير من الوالدين بحياة أطفالهم من حيث الملابس والمأكل والمشرب والشغل الكبير الذي يبذلونه بسلامة جسمهم وحفظهم من شر الأمراض الفتالة مما يجعل تلك الحواطر الضارة تنحدر إلى غيابات اللا شعور من نفس الطفل ثم تزداد قوة بما يسعه في حياته من الروايات التي تحكيها السيدات في اجتماعاتهن عما قاسينه أو قاساه غيرهن أثناء مرضهن من آلام كثيرا ما يبلغ في شدتها فيشب الطفل وقد استولى عليه هذا الخوف من الأمراض وملك ناصية نفسه الباطنة ولا يلبث أن يتجلى في وقت من أوقات حياته في سلوكه وأعماله بالطريقة السابقة . ولقد يتوهم بعض الناس أنه مريض حقا وعلى الخصوص إذا فارق منزله أو بلدته ليعيش في أخرى فإذا به مغموم النفس هزيل الجسم فاقد الشهية يتألم من صداع مستديم ويتعب من أقل مجهود ويثور لأي مضايقة . وما ذلك أيضا إلا نتيجة لما تعود أن يلاقه من والديه أثناء طفولته من حنان زائد وحماية مستمرة واهتمام بصحته وعناية بالمحافظة عليه وتدقيق في اختيار ما يوافقه حتى ينشأ جباناً مدلاً يخشى الابتعاد عن منزل أسرته ويتوجس خيفة من جرائم الأمراض التي تهدد حياته التي عرف أنها غالية عريضة ويعتقد أن هذا الشيء يتعب معدته إذا أكله وذلك يؤدي أمعاءه إذا ابتلعه أو يجلبه المرض إذا اقترب منه فإذا حدث عفواً أو اضطراراً أن تناول أولامس ما يعتقد خطأ ضرره منذ الطفولة استهوى نفسه إلى المرض ففرض وجنى على نفسه بذلك شرّ جناية

والى جانب ذلك يوجد الخوف من اللوم والنقد الذي يستولى على كثير من الناس فيجعل الشخص يشعر بأنه أقل من غيره ثروة أو كفاية أو جمالا وإن كان الواقع عكس ذلك فهو يخشى الظهور أو التكلم أمام شخصية بارزة أو جمع حافل وإذا اضطر لذلك امتنع لونه وجف لعابه واضطربت حركاته وعجز عن اخراج المقاطع اخراجاً صحيحاً خوفاً منه من نقد الغير وشعورا بعدم كفايته . وقد لاحظ علماء النفس كذلك أن عدداً كبيراً من الناس إذا حدثهم الإنسان أو تحدثوا إليه أتوا بحركة صغيرة لا فائدة منها ولا معنى لها تكون على الوجه دائماً كأن يمر بيده على شعره إلى الخلف أو يحك ذقنه أو يمسح جوانب فمه بمنديله من حين إلى آخر أو يتبض على وجنتيه باستمرار وعللوا ذلك بأن الخوف من اللوم والنقد يتسلط على هؤلاء الناس في الباطن فيدفعهم إلى محاولة اخفاء وجوههم في الظاهر . وبما أن التقاليد الاجتماعية لا تسمح بذلك فإن الطاقة العصبية تنصرف إلى الانيان بهذه الحركات الصغيرة كما أنه ظهر بعد البحث أن هذا الخوف ينشأ من تلك الملاحظات التي يسمعها الأطفال من والديهم ومن يجالسونه عن نقد مظهر أو سلوك أقر بهم أو جيرانهم مما يفرس في نفوسهم أنهم لابد سينقدون بدورهم في كل أعمالهم وأقوالهم إذا بلغوا تلك السن ويزيد خوفهم من النقد رسوخاً إذا سمعوا من اخوتهم أو والديهم لوماً وتقريعا مستمرا لهم أنفسهم على ثقل في الحركة أو خلط في الكلام فهم لذلك إذا شبوا ووصلوا إلى سن النقد تجلى خوفهم الباطن في حركاتهم وأعمالهم التي كثيرا ما تكون مضحكة . وقد يرتبط الخوف بأنواعه أحيانا بحادثة خاصة كما في أمثال حالة تلك البنت التي لم تكن قد بلغت من العمر إلا ست سنوات فقط والتي كانت جالسة أمام منزلها في الأرياف وحيدة في هدوء وسكينة وإذا بعربة تمر بسرعة محدثة ضوضاء عظيمة انزعجت لها البنت وهبت تجري إلى داخل المنزل فما كان من والديها واخوتها إلا أن انتقدوها نقداً مراراً وعنفوها على سلوكها أمام الناس ذلك السلوك المعيب الذي لا مبرر له واستمروا يعيرونها بتسرعها وطيشها حتى انها نشأت خجولة تخشى الظهور أمام الناس وتخاف أن تبارح المنزل وتظن إذا سارت أو تكلمت أنها هدف لوم والنقد وإن لم يكن هناك ما يستحق ذلك ولا يقل الخوف من الأرواح الشريرة والأشباح الغريبة أهمية عن المخاوف السابقة إذ يعكس صفو حياة



الإنسان ويؤذي صحته أذى كبيرا فهو كلما وجد في الظلام تخيل أشباحا مزعجة ماثلة أمامه تهدده وتشاكسه فيضطرب قلبه ويقف شعر رأسه ويجز عن الحركة وتكثر هذه المخاوف حيث ينتشر الاعتقاد في الخرافة والسحر والعرادة التي تقوم بها قوى خفية إذ يشب الطفل وقد وعى عقله الباطن الشيء الكثير من أخبار الجن والردة والشياطين يتجلى وقت اضطرابه أو وقت نومه في الأحلام برؤيا الأشباح الغريبة . ومن الغريب أن هذا النوع من الخوف لا يمكن انتزاعه غالبا من نفس الشخص وإن زال عنه الاعتقاد في الخرافة والسحر كما أثبت ذلك التحليل النفسي الدقيق لآلاف من الأشخاص

ويبدى بعض الناس خوفا من البحار فهم لا يتجاسرون على السفر بحرا أونهرأ مهما قيل لهم عن وسائل الراحة والطمأنينة والأمان الموجودة في السفن . وقد أظهر التحليل النفسي أيضا أن تلك الحالة تنشأ إما عن الأهمية الكبيرة التي تعلقها الأم حول استحمام الطفل والمضايقة والخوف اللذان يرتبطان به وقت الطفولة وأما إلى تعرض الشخص نفسه للغرق أو رؤيته شخصا يغرق في وقت من أوقات حياته وانفعاله واضطرابه للحادث مما يحدث أثرا عميقا في نفسه الباطنة يزيده قوة ما يسمعه من مخاطر البحار فيتجلى كل ذلك بعدئذ في خونه من الاقتراب من الأنهار أو البحار أو السفر بطريقها طول حياته

وهكذا نجد المخاوف بأنواعها إما ترجع إلى أحاديث وملاحظات بريئة غير مقصودة يسمعها الشخص ممن حوله وقت الطفولة أو إلى تجارب قاسية ماضية تتجلى كلها في حياة الإنسان المستقبلية ولذا وجب أن لا يسمع الأطفال من الأحاديث ما يثير خوفا من حيوان أو شيطان أو يظهر طبيعى أو شخص غريب أو مرض قتال . وأن لا توجه إليهم ألفاظ النقد المتكرر وأن لا يؤخذوا في الزينة باللين الشديد وأن لا يواجهوا من المخاطر ما يثير عواطفهم لأن كل ذلك خطر على حياة الطفل الذي هو أبو الرجل

وقد أحصى العلامة (ستانلى) هول أربعة آلاف من أصحاب المخاوف فوجد أن ١٤٤٦ شخصا يخافون من الحيوانات والحشرات و ٧٩٩ من الظلام والأشباح الشريرة و ٦٢٦ من المظاهر الطبيعية كالرعد والبرق والرلازل والبراكين و ٥٨٩ يخافون من الصوص والغرباء و ٥٤٠ يخافون من الموت والمرض وقد تختلف هذه النسبة باختلاف الوسط

وقد أوجدت الحرب الكبرى ميدانا واسعا لعلماء النفس والأطباء لدراسة مخاوف الجنود وطرق علاجها وكانت أهم وسائل العلاج إثارة خوف مضاد لمخوف الموجود يزول ما زال الخوف الأول فالخوف من الموت ومن التقدم إلى ميدان القتال عولج بنجاح في كثير من الأحيان بإثارة الخوف من العار والفضيحة وكذلك نجحت إثارة عواطف قوية مضادة مثل عاطفة الوطنية والدفاع عن الوطن المهان التي حوّلت انتباه الجنود عن الخوف من الحرب وشوقتهم إلى الجهاد والمغالبة ثم النصر . أما في الأحوال التي يربط فيها الخوف بحادثة خاصة أو تجربة ماضية مجهولة فإن العلاج الوحيد له هو أن يدرك الشخص سبب خوفه بكثرة التأمل الباطنى وبالتفكير إلى تفسير أحلامه تفسيراً علمياً صحيحاً حتى يصل إلى تذكر الحادثة التي كانت أصل خوفه وقت الطفولة ثم يستهوى نفسه إلى احتقار مخاوفه وتركها استهواء ذاتياً مستمرا . انتهى الكلام على آية - إن الله لا يغير الح - ولنبدأ بالكلام على الرعد والبرق ونحوهما فنقول

﴿ الكلام على الرعد والبرق ونحوهما ﴾

اعلم أن أعظم الأشياء أثرا في النفوس حوادث الجو من مطر ورعد وبرق فكم فيها من نعمة وكم فيها من هلاك وذلك بالكهرباء المحدث للصواعق كما سترى شرحه وأن كل ورقة من أوراق العشب الدقيقة تفرغ كهربائية أكثر مما تفرغه الابر وكذلك البراعم فانها أحسن من مانعة الصواعق التي صنعها الإنسان واذن يكون كثير من الأوراق والبراعم والأشجار بمثابة مانعة الصواعق فالنبات والورق والشجر كما

يغذيها وينفعنا كثيرا يمنع فوق ذلك عنا الصواعق • فإذا كان الانسان صنع ما لئلا الصواعق فان الله سبقه بها وملا بها عالمنا في أشجاره وأوراقه وزرعه وهذه بعض المعقبات الحافظات للانسان ولذلك أردف ما تقدم بهذه الآيات التي وردت في البرق والسحاب والرعد والصواعق • السحاب تقدم الكلام عليه في سورة البقرة فأما الرعد والبرق فلا يمكن معرفتهما إلا بعد فهم نوعي الكهرباء

اعلم أن الكهرباء **نوعان** (زجاجية) (إيجابية) وراتنجية (سلبية) ومعنى هذا انك اذا دلكت أنبوبة من الزجاج بالحرير فظهرت فيها الكهرباء من ذلك ثم قرّبت تلك الأنبوبة من لب (السيبان) فانها تجذبه حتى تكهرب به ثم تدفعه ولا تجذبه • ثم اذا أتيت بشمع الختم وهو صمغ راتنجي ودلسته بصوف فتكهرب وقرّبت من لب (السيبان) المكهرب من الزجاج فانها تجذبه حالا حتى يكهرب به ثم يدفعه ولا يجذبه بعد ذلك فلوأعدت أنبوبة الزجاج على اللب جذبت اليها حتى تكهرب به ثانيا فتدفعه فاذا أعدت قضيب الختم عليه جذبه حالا وهكذا ما يجذبه هذا يدفعه ذاك وبالعكس فهما حينئذ **قسمان** كهربائية سالبة وهي الراتنجية وأخرى موجبة وهي الزجاجية وقد عرفت الحقيقة والتسمية اصطلاحية لجرّد التمييز • والأجسام المتشابهة كهربائيتها تتدافع وانتي تخالفت كهربائيتها تتجاذب فلو كهربت كرتين من لب (السيبان) بكهربائية الزجاج وأخرين بكهربائية شمع الختم لتدافعت الأوليان معا والأخريان معا لأنهما متشابهتان في الكهرباء • ولكنك اذا أقربت كل واحدة من الأولين مع واحدة من الآخرين تجاذبتا • هذا ايضا القاعدتين • ثم ان الأجسام إما موصلة للكهرباء وأما غير موصلة للكهرباء

الموصلة للكهرباء	غير الموصلة للكهرباء ويسمونها عازلة أو فاصلة أو موصلة غير جيدة
المعادن	الهواء
الحوامض	البخارات الجافة
الفحم	الشمع • والورق الجاف
النباتات	الكبريت • والحرير والزجاج
الحيوانات	الماس
الماء	الحجارة السكرية واللآلئ
الثلج	

### (كهربائية الجلد والهواء والغيوم)

اذا ثبت أن حث الأنبوبة من الزجاج يهيج الكهرباء فيها وشمع الختم كذلك بالذلك • فلا يكون كذلك الهواء مكهربا دائما إلا نادرا جدا • أفليس الرياح تتحرك ويعارض بعضها بعضا وهي أيضا تصادم وجه الأرض وماء عليها والغيوم والسحب تحتك ببعضها وبالهواء وهكذا ترى الحرارة كما تتقدم تحول الماء الى بخار والبخار الى ماء وهناك أعمال كيميائية ذات تحليل وتركيب فتتحول كهربائية الأرض السالبة الى كهربائية الهواء وتكون كهربائية الجلد ايجابية وقد نتغير فتصير سالبة في أوقات الاضطراب فمن هذا نفهم حدوث البرق والرعد • فالبرق يحدث من تقارب سحابتين مختلفتي الكهرباء حتى يصير ميل الكهرباء الواحدة للاقتراب من كهربائية الأخرى أشد من قوة الهواء على فصلهما فتتهجم كل منهما على الأخرى بنور زاهر وصوت قوى شديد فالنور هو البرق والصوت هو الرعد فالرعد يحدث من تصادم دقائق الهواء الذي تطرده كهربائية البرق أمامها وأما دويه فيحدث من انعكاسه من الغيوم البعيدة والجبال والتلال والأودية ونحوها



وإذا عرفت ذلك فاسمع الحديث وإن لم يكن في الصحيحين ولكنه في الترمذي لما سئل رسول الله ﷺ عن الرعد قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقه بها حيث يشاء الله قل السائلون فما هذا الصوت الذي يسمع منه قال زجره السحاب حتى تنتهي حيث أمرت قلوا صدقت . وفي حديث آخر هو صوت من نور تزجر به الملائكة السحاب . فهذان الحديثان إذا صحا كانا من علامات النبوة لأن المخاريق في الأصل أثواب تلف ويضرب بها الصبيان بعضهم بعضا . والمراد هنا آلة يزجر بها السحاب فهذه المخاريق التي من نار لا شيء سوى الكهرباء . وقد بينا أن كل واحدة من السحابتين تهجم على الأخرى ولا معنى للهجوم إلا بالأسراع وهذا الأسراع بالكهربائية فالكهربية هي التي زجر بها السحاب زجرا فقله ﷺ من نار أي من كهرباء والملك ذكر ليرجع العالم الجسمي إلى مبادئه الأولى فإن هذه العوالم كلها تتصرف فيها عوالم تحفظ كيانها

### ﴿ اللطيفة العاشرة في الصاعقة ﴾

قد تمتلئ السحب بكهربائية والأرض بكهربائية أخرى والهواء فاصل بينهما فمتى قاربت السحب وجه الأرض تنقض الشرارة الكهربائية منها فتزل صاعقة تهلك الحرث والنسل . وقد اخترع (فرنكلن) لمنع الصواعق قضيبا من معدن كالحديد والنحاس دقيق الرأس متصلا مصنوعا رأسه من معدن لا يصدأ ولا يتحات كالذهب والفضة والبلاطين ويمتد طرفه إلى حوض ماء أو تربة رطبة لا تجف ويكون طرفه الأعلى عاليا عن الدار ويجب أن يكون على كل بناء في تلك المنازل المعرضة للصواعق قضيب للصاعقة وأن توصل المداخل التي فيها إما بأرض رطبة وأما بقضيب الصاعقة وأن تصل ميازيب الماء المعدنية وسطوح التوتيا ونحوها بأرض رطبة كذلك أو بقضيب الصاعقة لشدة تعرضها للصواعق . وهذا القضيب يراد به موازنة الكهرباء في السحاب والأرض مع السلامة من الخطر . والأسلم لمن لم يكن في بيته قضيب كذلك أن يكون في وسط الغرفة . وإذا كان في الفلاة وجب أن لا يلتصق بالأشجار العالية ولا يتعد عنها كثيرا لأنها تقيه كما يقيه قضيب الصاعقة في حال بعده المتوسط ثم إن كل ورقة من أوراق العشب الدقيقة الرأس تفرغ من كهربائية الماء أكثر من ثلاثة أضعاف ما تفرغه أدق الأبر وكل برعوم دقيق الرأس يفرغ من الكهرباء بآلية أكثر من أحسن القضبان التي جعلها الناس للصواعق وكل نقطة من المطر وكل قطعة من الثلج تنزل إلى الأرض محملة بكهربائية تسلبها من الجلد والسحاب . وقد يرى طب نارى على رؤس السوارى وأسنة الرماح وآذان الخيل وما ذلك إلا كهربائية أفلتت من الأرض أفلاتا اه

﴿ جوهرة في قوله تعالى - ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال - ﴾ ذكر الله في هذه السورة البرق والرعد والصواعق . الرعد صوت والبرق نور والصواعق نار فلنشرح هذا المقام شرحا يسر المانكرين . اعلم أيها الذكي أن العالم الذي نعيش فيه مملوء جالا وبهاء وحكمة وصنعة مدهشة باهرة تفرق سناء وبهجة للناظرين . ماهي الحرارة وما هو الضوء . ما هما إلا أمر واحد . ضع قطعة من البلاطين في النار فانك تحس أولا بحرارتها ولأولها ثم تشاهد لون الحرة فالبرتقالية فالصفرة فالخضرة وهكذا إلى لون البنفسجية . هذا ما يحصل في البلاطين إذا وضع في النار وهكذا الحديد وغيره . عجب عجب . حرارة تكون أولا فضوء يتدرج من الأدنى إلى الأعلى فالأحر أدنى والبنفسجي أعلى . هذا هو قوس قزح بعينه . وهذا هو قوله تعالى - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - التي سيأتى تفسيرها في سورة الملك . والبرهان العملي الطبيعي هناك على أن عناصر الأرض وعناصر الشمس وغيرها واحدة بسبب الخطوط السوداء التي كشفها (فرنهوفر) تلك الخطوط التي تظهر في طيف الشمس وتظهر في طيف المعادن الملتهبة فكل معدن تشابه خطه بما يرى في الطيف الشمسي فذلك المعدن في الشمس وهكذا بقية

الأجرام العلوية . هذا هو الذي ستره ان شاء الله في سورة تبارك الملك مع العملية المبرهنة عليه وتري أثر ذلك أيضا في سورة الاسراء عند ذكر المعراج وأنه ﷺ بأسرائه وعروجه الى الملاء الأعلى ونظيره في عوالم عند سدرة المنتهى لا يقدر أحد من خلق الله أن يصفها . قد سبق للمسلمين الذين سيكونون بعدنا سنة حسنة وهي أن يدرسوا هذا الوجود مفكرين كما كان يدرس العوالم في اسرائه ومعراجهم مفكرا باحثا منقبا وكيف يقطع نبي أمة عوالم السماء معراجا وتابعوه ساهون لاهون لا يدرسون ما عرفته الأمم حرطهم من تلك العوالم العالية فضلا عن أنهم يفوقون سائر الأمم في ذلك . نبي يقطع السموات سفرا في عروجه والأمم التابعة له لاصقون بالأرض لا ينظرون ما فوقهم ولا ما حولهم . هذا عجب عجاب . فههنا هذه المسألة وهي الحرارة . أنظر وتعجب من حديدية محمجة كيف كانت حرارة أولافنورا ثانيا متدرجا من الجرة الى البنفسجية جل الله . هذا قوس قزح أقل ألوانه الجرة وأعلاها البنفسجية أي ان اهتزاز الأثير المالى لهذا الوجود ان تحرك نيفا و (٧٠٠) ألف ألف ألف مرة في الثانية يكون هو اللون البنفسجي واهتزاز ذلك الأثير في الثانية نيفا و (٤٠٠) ألف ألف ألف مرة يكون لون الجرة وما بينهما النيلي والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقالى . هاهوذا اللون قد تشابه في الحديدية المحمجة وغيرها وفي قوس قزح . خلق الله قوس قزح في السماء وبسط فيه الألوان السبعة وقال للناس هذا كتابى فاقرؤه كتاب كتبه يدي وشرحته وبسطته هأنذا أيها المسلمون أبنت لكم الألوان السبعة في هذا القوس وجعلت ماتزاولونه من أعمال الحرارة جاريا على هذا النمط لتفهموا - ماترى في خلق الرحمن من تفاوت - فالعالم كله على وتيرة واحدة . أعلاه كأدناه وصغيره ككبيره . ألا ترون أن الذرة الواحدة مركبة من جزئيات تدور حول بعضها دوران السيارات حول الشمس

### ﴿ الصوت والحرارة والنور ﴾

هذه الثلاثة ترجع الى الحركات فحركات الهواء اذا اشتدت صارت عواصف وحركات الأثير اذا اشتدت كانت لون البنفسجي واذا قلت كانت لون الجرة واذا اشتدت الحرارة كانت محرقة أو انخفضت كانت هادئة إذن ما عندنا من صوت ومن نار ومن لون كل ذلك حركات . إذن علمنا الذي نعيش فيه للمحركة فيه أكبر أثر فعال

### ﴿ م تكون الحرارة ﴾

تصوّر أيها الذكى رجلا يطرق حديدية وآخر يوقد النار في الخطب وهما معا واقفان في حجارة القيظ وهما يتلظيان بحرارة الشمس فههنا حرارة الشمس وحرارة (ميخانيكية) عند الفرنجة أو (حيلية) عند قدمائنا نسبة الى فن الحيل وذلك بالاحتكاك أو الطرق أو الضغط وحرارة (كيمياوية) (١) أما حرارة الشمس فهى المسماة (طبيعية) إن الشمس وسائر النجوم ترسل لنا حرارة على الأرض ومعنى ذلك أن أجزاءها بشدة حركاتها تؤثر في عالم الأثير فيتحرك فتصل حركاته الى الأرض فنحس نحن بحرارة وما علا من تلك الحركات نحس بها لونا واجتماع الألوان السبعة هو لونا نوري بالشمس وألوان النجوم . والشمس ترسل لنا جزءا يسيرا جدا يصل الى واحد من ألفى ألف من حرارتها وجميع الكواكب يصل لنا من حرارتها أربعة أخماس ما يصل من حرارة الشمس (٢) وأما الحرارة الميخانيكية فهى الحاصلة كما تقدم بأحد الامور الثلاثة وهى فى مثالنا حاصلة بالطرق الحاصل على الحديدية وذلك الطرق نشأ منه حركات والحركات صارت حرارة والحرارة بالاحتكاك معروفة فى القدح بالزناد عند عرب البادية ومثل ذلك الضغط (٣) وأما الحرارة الكيميائية فهى الحاصلة من اتحاد جسم بأخر بينهما ألة . مثال ذلك ما تقدم من



اشتعال النار في الحطب . وما هو الاشتعال . ان هو إلا (أكسوجين) الهواء قد لاس (الهيدروجين) و (الكربون) اللذين في الوقود لما بينه وبينهما من الألفة فنراه يهجم عليهما ويهجمان عليه ويصطدم الفريقان وتهتز دقائقهما ويهتز الأثير الذي حولهما فيتهيج أمواج كثيرة تكون حرارة وتكون نورا . ومما حرارة أجسام الحيوان إلا من هذا القبيل يستنشق السمات وفيها الأكسوجين وهذا الأكسوجين يجد أمامه حبيبيه وهما (الهيدروجين والكربون) فيهجم ويهجمان ونعيش نحن بهذه المعركة أي نعيش بالحرارة الناجمة من التقاء الأحياب سواء أكان التقاء أولئك في أجسامنا أم خارجها . فلنرجع الى ما في الآية نجد ذكر الصاعقة والبرق والرعد فالأولان حركات في الأثير والثالث حركات في الهواء . الصاعقة نار مهلكة ارتفعت حرارتها بوفرة الاهتزاز والبرق نور والحرارة والنور يرجعان لسبب واحد هي الحركات في الأثير ثم إن هذه الظواهر ينقلب بعضها الى بعض . فكل من الحركة والحرارة والضوء والكهرباء ينقلب بعضها الى بعض . ولو أن أرضنا صدمها كوكب فوقفت بغتة عن حركتها لتولد منها حرارة تحوّلها هي وما حولها بخارا . ذلك لأن سرعة دورانها في فلكها حول الشمس لا يقل في الدقيقة عن ألف ميل بل هي في الساعة تجري فوق (٦٨) ألف ميل فتوقفت فجأة تحوّل كل هذه الحركة الى حرارة فجعلتها بخارا

### ﴿ الحب نظام هذا العالم ﴾

يظهر لي أن الحب هو الناموس العام في هذا الوجود

(١) هجم الأكسوجين على الاودروجين والكربون في الحطب فاتقدنارا فكان منها كل ما نصنع في منازلنا وسائر أعمالنا

(٢) هجم الأكسوجين أيضا على الاودروجين وحده بنسبة (٨) من الأول وزنا الى واحد في الثاني فتكون الماء . الماء هو (أكسوجين وأودروجين) تعاشقا وتحابا فاتحدا فكان منهما الماء  
(٣) هجم الأكسوجين من الهواء على أخويه في كل حيوان وكل نبات بالشهيق فكان كل حيوان وكل نبات

(٤) هكذا نرى كل حيوان وكل نبات تحاب ذكرانه واناثه كما نشاهد في تحاب الأكسوجين لأخويه فكما نجم من اتحاد الأكسوجين بأخويه النار والماء وكل حيوان ونبات . هكذا نجم من اتحاد الذكران بالاناث كل نبات وحيوان من حيث التولد . ولعمري أي فارقة بين اشتعال النار بذلك الاتحاد وبين ظهور النرية وصغار النبات بتقارب وتجانس الذكران والاناث

الله أكبر إن هذا الوجود كله حب وكله جبال لاهية في أرضنا إلا بالحب أو بما أشبه الحب . لولا تعاشق الأكسوجين والاودروجين ما كان هذا الماء الذي هو حياة كل حي . وفي الحديث ﴿ إن كل أم يتبعها ولدها ﴾ . أمنا هذه العوالم التي نعيش فيها والعوالم التي نعيش فيها لوجود لها إلا بما يوجب الاتحاد . حياة الماء وحياة النار بسبب التفاعل الموجب للاتحاد . ها هوذا الماء عاش في أرضنا وجرى في سحابنا وفي أنهارنا وهو يدور كدورة الأفلاك . كل ذلك بما فيه من سر الاتحاد بين جزأيه المتحابين (حبا مجازيا) هكذا . هكذا تكون حياة الأمم في الأرض . لا ترقى الأمم إلا برجال يظهر فيها يعشقون العلوم والفضائل . لولا الحب الذي يملأ أفئدة الحكماء مانعوا ولا صنفوا الأمم حرا واحدا . لولا الحب الجم الذي في أفئدة الأنبياء لله وللعلم ولأمتهم ما علموا ولا أفادوا ولا كانت لهم أمم . ليست ترقى الشعوب إلا بحرارة المحبة السارية في أفئدة شبابها للعلم وللرقى الملتبقة في قلوب قادتها . تجانس الأكسوجين والاودروجين فاتحدا فكان ماء وهذا الماء حياة كل حي . هذه نفسها صفة العقول الانسانية المحبة للعلم . أول الفلسفة حب العلم . وأوسطها تحصيله . ونهايتها حب الله . إن الحب الانساني شائع بين جميع الناس وحب العلم يختص

بالعلماء وحب الله أعلى فهو أخص الجميع وكل حب مقدمة لما بعده وأقل درجة منه . أنظر كيف كان الحب سائرا في سبيل واحد لا يحيد عنه جرى مع جزأى الماء ومع عناصر النار ومع أنواع الحيوان وارتقى فكان مع الفلاسفة ومع الأنبياء

يظهر أن هذه الأنفس الانسانية خلقت لأمر رفيعة جدا وشريفة . إني أرى أن صانع هذا العالم جعله على نمط واحد وهو الحب العام وأولى بالحب هذه النفوس الانسانية هي أولى به وأولى . وربما تكون هذه الأنفس يوما ما في عوالم أرقى وأرقى فيكون بينها اتحاد كاتحاد الأكسوجين والودروجين . هذان اتحدا فكونا ماء فكان به حياة كل حي . ففعل أرواح هذا الانسان أى الأبرار منها يوما ما ستكون على هذا الاتحاد السارى في الماء وفي النار وسيكون لها هناك لذات وأعمال لانعقلها الان ويكون رأى الواحد رأى الجميع ولذلك الإشارة بقوله تعالى - ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين \* لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين - \* وفى الحديث ( أنت مع من أحببت ) وفى الآية - أولئك مع الذين أنعم الله عليهم الخ - فهؤلاء الذين أنعم الله عليهم هم المتحابون فى الله . إذن الحب نبراس هذا العالم . به ركب المركبات وبه كانت النار وكان الماء وبه كان الحيوان والنبات وبه كان العلم والعلماء وبه كان الوحى على الأنبياء والحب حرارة أيضا والعلم حركات الذهن . الحب نظام العالم . بالحب كانت هذه الجاذبية العاقمة وبالحب كان التلاصق فى أجزاء الحديد والذهب وكل جامد . بالحب قامت السموات والأرض . نظام هذا العالم هي المحبة . لذلك نسمع المسلم فى صلاته يقول - اهدنا الصراط المستقيم - ولا يقول اهدنى . ويقول اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وتسمعه يقرأ - إياك نعبد - ولا يقول إياك أعبد وتسمعه يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ويصلى على الأنبياء والمرسلين ولا يقول السلام على الله أكبر لاحياة للناس إلا باجتماعهم ولا خير فى اجتماعهم اذا لم يكن حب يشملهم . لهذا شرعت الجماعة وشرعت الجماعة وشرع العيد وشرعت الصدقات ليتحاب الأغنياء والفقراء ويقول تعالى - وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا -

الدين يطلب هذا والعقل كذلك إذ لا يعيش الناس إلا بمساعدة بعضهم بعضا وهذا معنى قول الحكماء ( الانسان مدنى بالطبع ) . رجع أمر الانسان الى حال الماء الناشئ من الاتحاد وهكذا النار وهكذا سائر المركبات . وهذا معنى قوله تعالى - إن ربى على صراط مستقيم - انتهى  
( بهجة الحكمة فى هذه الآيات وقوله تعالى - ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته -  
ولم سميت السورة بالرعد )

اعلم أن السحاب كانسان تبسم ثم تسكلم . تبسم بالبرق وتسكلم بالرعد . وانما المشكل فى هذا المقام التسبيح والتحميد وهنا لا تسبيح ولا تحميد إذ لا يكونان إلا من العقلاء . والجواب عن ذلك أن نظرأيها الذكى ماضى فى سورة هود فى الاستطراد بذكر قوله تعالى - وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم - عند تفسير قوله تعالى - مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها الخ - فقد استبان هناك أن لكل حيوان لونا خاصا وهذا اللون هو الوقاية الحافظة له . فاذا رأيت حشرة على لون زرق الطيور فذلك لم يكن لاذلالها ولا لاهانتها وانما ذلك لجأيتها من نفس تلك الطيور إذ تراها فتعافها لأنها ظهرت لها بهيئة زرقها وهى جائئة على الشجرة فما دامت تلك الحشرة جائئة على الشجرة فكأنما هى من طير الحرم حرم الله صيدها تحريما طبيعيا لا دينيا فهى تنزى الله عن العبث فى وضع هذا اللون وعن قصد التحقير . وبفس هذا الوضع عاش هذا المخلوق وحياته نعمة تستوجب الحمد فهى تنزى ملتبس بحمد . هذا هو التسبيح والتحميد وهذا مثال من أمثلة كثيرة تقدم ذكرها هناك فارجع اليها . واعلم أن تسبيح كل شئ بحسبه فاذا كان هذا



تسبيح الطيور وقد شرح في سورة هود بأبهج طريق وأبدع منهج فما تسبيح الرعد • أقول  
 إن التسبيح والتحميد هنا إيضاح لقوله تعالى - هو الذي يرثكم البرق خوفاً وطمعاً - وذلك أن هذا  
 العالم الذي نعيش فيه عالم طبيعي والعالم الطبيعي امتزج خيره بشره وضرره بنفعه • فإذا كان المطر نافعا فهو  
 ضار • وإذا كان خيرا فهو شر • وليس هذا قاصرا على المطر فالمل والبنون وجميع أحوال هذه الحياة فيها  
 الأمران قد امتزجا ولكن الخبر أكثر من الشر والنفع أكثر من الضر • فإذا رأينا المطر يخيف الناس  
 بالصواعق ويؤذي أهل المدن ونحو ذلك فله منافع معروفة تربو على شروره وهكذا النار والهواء وكل عالم  
 المادّة هذا حكمه • فإذا كان الرعد مخيفا لقوم فهو مطمع لآخرين ولكن الطمع أوسع نطاقا من الخوف  
 فإذا أخاف الله عز وجل بالرعد المذنب بالمطر فهذا ضرر قليل يغتفر في جانب النفع الكثير والحكيم لا يترك  
 النفع الكثير لقليل الضر وهذا هو قوله تعالى - فله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين -

أنت يا الله مجود على المطر وإن كان فيه ضرر • ههنا امتزج التسبيح بالتحميد • تنزه الله عن ارادة  
 السوء والضرر بالمطر الذي أنزله نعمة عامّة فهو ضرر جاء نابعا لا مقصودا لذاته ولكن لا محيص عنه وافلات  
 المخلوقات من هذا الضرر معناه إعلاهم • إذن الله تنزه عن فعل الضرر وذلك التنزيه ملتبس بنعمة توجب  
 الحمد • هذا ما فتح الله به في معنى تسبيح الرعد وتحميده كأنه قيل • لم أخافنا الله بالمطر وهو المظموع فيه  
 لأنه نعمة ولم لم يكن عالمنا كله رجاء لا خوف معه فقال هنا - ويسبح الرعد بحمده - إشارة إلى أن لله الحجة  
 البالغة وأن الله منزّه عن خلق السموات والأرض وما بينهما باطلا لأن ذاك ظن الذين يكفرون بالنعم لجهلهم  
 أصولها وعلومها ولم يدرسوا أصول الحكمة فإن ما هو شر أو ما غلب شره لا ظهور له في الوجود وما هو خير  
 محض أو ما غلب خيره هما الوجودان وهذا العالم الطبيعي من هذا الأخير فلما أن يخلق على هذه الحال وأما  
 أن يبقى في حيز العدم • إذن الله بهذا البرهان العقلي المذكور في إشارات ابن سينا وشرحه أجمالا هناك  
 أفادنا معنى التسبيح الممتزج بالتحميد والحمد لله الذي علمنا وشرح صدورنا وأرانا بعض حكمه وله الحمد في  
 الآخرة والأولى وهو الولي الحميد

### ﴿ تسبيح الرعد وتحميده ﴾

سبح الرعد وسبح لله ما في السموات والأرض - يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم -  
 - ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطيور صافات كل - قد علم صلاته وتسبيحه - • - تسبح  
 له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده -

هذه الجمل وهذا النموذج لم ترد في كلام العرب • نعم سمعنا هذه الجملة في قول الشاعر

\* سبحان من علقمة الفاجر \* هذا هو التسبيح الذي نطق به العرب وهو تسبيح في باب الشتم  
 والذم لأجبال فيه ولا كمال • المسلمون يسبحون ويحمدون فالأول في الركوع والسجود وعقب الصلوات  
 والثاني في الفاتحة وعقب كل صلاة وهذا التسبيح إما بلفظ بلا حضور معنى وهذا لافائدة منه وأما مع حضور  
 المعنى وهذا نافع للتعبد ولنفس الإنسان وحده وأما مع العمل بالمعنى وهذا الأخير هو شأن العارفين والعلماء  
 العاملين وقادة الأمم الإسلامية المفكرين

يقول المسلم • هاأنذا أسمع أن نبينا ﷺ بشره إبراهيم بأن غراس الجنة سبحان الله والحمد لله الخ  
 وذلك في نهاية عروجه في السماء • الصلاة تسبيح وتحميد وبشارة الخليل للأمة تسبيح وتحميد • ما هذا  
 كله وما ثمرة • ثمرة هذا كله لا ظهور لها إلا بالعلم

### ﴿ بـم يكون العلم ﴾

يكون بفهم نظام هذا العالم من السحاب والسماء والأرض • هذه كلها مسهبات • انك عند البحث

تري شرها لم يكن مقصودا لذاته كما تقدم هنا وفي سور كثيرة من أهمها (آل عمران) عند قوله تعالى - بيدك الخير - . السحاب يسم بالبرق وينذر بالرعد وانه يذره بالرعد سمي تسبيحا . وانما خص الرعد باسم التسبيح لأنه صوت والتسبيح يكون بلفظ صوت . بماذا أنذر الرعد . أنذر بقرب هطول المطر لاستعد له . المطر خير وشر وشره قد اغتفر بالبرهان المقسم . إذن الله منزّه عن خالق الشر مقصودا لذاته ولو أنه منعه لم يكن هذا الوجود . إن مسألة الشر والخير هي أول العلم وهي آخره . هناك دين افرس بنى على إلهين إله الخير وإله الشر وإله الخير غلب إله الشر الذي خلق الظلمة وجميع الشرور . هذه المسألة عقدة العقد . هي لغز الحياة . كيف يكون الله أرحم الراحمين ويخلق الآلام والنقض . بهذه المسألة ضلّ قوم فبنوا كل دين وعاشوا ملحدين . والماتوية اعتقدوا إلهين غلب إله الخير إله الشر كما تقدم . والدين الاسلامي جاء بأمر جديد فقال إن الله منزّه عن كل ما لا يليق وما للشر إلا أمر لازم للخير ولو حذفناه لحذف ذلك الخير. الناس يعيشون على هذه الأرض في ألم اذا كانوا مفكرين ماداموا لم يعقلوا وجد هذا الشر ولم ينبتلى به والمؤمن يسبح ويعتقد التنزيه بمجرد الايمان ولكن اليقين لا يكون إلا بالعلم كافي هذا التفسير الذي جمعت لك فيه ابّ الفلسفة القديمة والحديثة . تسبيح الرعد وتسبيح كل مخلوق لا يعقله إلا أولو الألباب بالحكمة والعلم . للرعد تسبيح علمي للعقلاء بل هو مخ التسبيح . واذا سبح الانسان ربه وهو ذكي ثم هو ترك هذه المخلوقات التي حوله فلم يعقلها ولم يدرك لم خلق شرها مع خيرها فمثل هذا لا ينزه ربه بقلبه البتة بل يقول هذا العالم مملوء شرا لاحكمة فيه يقولها بقلبه وان لم ينطق لسانه

( ماذا يقول الرعد )

يقول . المطر أقبل بخيره وشره فاحترسوا من شره . هذه المعاني يفهمها الناس فاما أنهم يفهمون أن هذا الشر من لوازم الخير ولو استأصلنا الأول حرمتنا من الثاني . فهذا المعنى لا يدركه إلا حكماء الناس في هذه الأرض . ولا جرم أن هذا المعنى تسبيح ملتبس بحمد فان خير محمود عليه والشر قد نزه الله عنه وهذا هو ملجأ في ديننا أن نؤمن بالقدر خيره وشره من الله مع أنه رحمن رحيم ومن تحقق هذا أي الجمع بين خلق الشر مع وصف الرحمة فهو من الموقنين . إذن كل العالم مسبح بحمد الله ولا كمال لتسبيح الناس إلا بتفهم تسبيح الرعد والسموات والأرض وان كان فهم الحقيقة على ما هي عليه مستحيلا علينا في الأرض فقوله تعالى - لا تفقهون تسبيحهم - أي على حقيقته فأما فهمه كما قاناه فهذا هو المناسب لعقولنا ولا نقدر على أكثر منه . المسلمون يسبحون باللفظ ومعناه القريب ولكن لا كمال لهم إلا بدراسة هذا النظام وفهم الخير والشر والاقتناع بأن الشر تابع لا أصل . فهذا هو تسبيح الرعد وتسبيح ما في السموات والأرض وتسبيح الطير وقد تقدم في سورة هود تسبيح الطيور المختلفة فراجعها فهناك عجب والحمد لله رب العالمين . انتهى

❦ ستة عشر مليون عاصفة ❦

( الرعد والبرق في العالم )

اقتطفت من بعض المجلات العلمية الصادرة في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٢٦ ما يأتي باختصار وحذفت ما لا يلزم لو أتيج للمرء أن يراقب الفضاء ويحصى عواصف البرق والرعد التي تقع فيه لرأى أنها لا تقل عن ستة عشر مليون عاصفة في العام أونحو (٤٤) ألفا في اليوم والاحصاءات الدقيقة التي أجراها العلماء في جميع أقطار العالم تدل على أن الرقم الذي ذكرناه ليس فيه مبالغة على الإطلاق . وقد ذكر الاستاذ (تلان) مدير الأرصاد الجوية في حكومة الولايات المتحدة أن العلماء لم يوفقوا إلى احصاء عدد تلك العواصف فقط بل



الى رصد مداها وشدتها أيضا وقد أعدوا لها رسوما بيانية تدل على الأزمنة والأمكنة التي تكثرت فيها تلك العواصف أو تقل . ولوعلم الانسان بكمية القوة الكهربية التي تذهب ضياعا في الجو كلما حدثت عاصفة منها لأدهشه اسراف الطبيعة وتبذيرها إذ يؤخذ من الأرصاد التي جمعها العلماء أن تلك الكهربية تكفي لانارة نحو ستة ملايين منزل أي انه كلما أومضت البروق في الجو وأعقبها رعود ذهب من القوة الكهربية ما يكفي لانارة نحو عشر مدن كمدينة لندن . كل ذلك يذهب في الظاهر ضياعا ويدل على اسراف الطبيعة الى حد مفرط . ولا يخفى أن البروق والرعود تحتاج الكرة الأرضية على نطاق واسع جدا وكثيرا ما ينشأ عنها أضرار بليغة كما حدث أخيرا في الترسانة البحرية بمدينة (نيوجرزي) بأمريكا فان صاعقة انقضت من الجو والتهمت تلك الترسانة وأهلكت أنفسا عديدة . وحدث قبل تلك الصاعقة ببضعة أيام أن صاعقة أخرى انقضت على بعض آبار الزيت في (كاليفورنيا) فالتهمتها وكانت الخسارة نحو عشرة ملايين دولار ومما يجدر بالذكر أن الصواعق لا تكفي بأمثال الأضرار التي ذكرناها بل كثيرا ما تنقض على الأحرش والغابات فتحرقها ولا تبقى منها إلا الأثر . نعم ان الأمر يدعو الى أشد الأسف ولكنها أي الطبيعة تهدم اليوم ما بنته بالأمس وتخرّب في لحظة ما أقامته في الالوف من السنين . وفي الواقع أن في الولايات المتحدة الأمريكية أراضى كثيرة كانت بالأمس مكسوّة بالغابات والأحرش وهي اليوم بقلع قفر لأن الصواعق أتلفت كل ما فيها من شجر أو نبات . ثم ان الرعود والبروق كثيرا ما تصحبها أعاصير تحدث من الأضرار ما لا يقلّ عن أضرار البروق والرعود نفسها ولا سيما في البحر وكثيرا ما تنتاب الطيارات في الفضاء فتصعقها كما حدث للطيارة (شندوه) الأمريكية منذ عهد قريب . وقد تعترض أمواج الكهربية اللاسلكية أيضا فتعطلها أو توقفها عن العمل وقد يظلم الجو بسببها فتضطّر الآلات التي تولد النور الكهربي إلى مضاعفة جهدها وفي ذلك زيادة في الاتفاق كما لا يخفى . وقد قدر العلماء الأضرار التي تنجم عن عواصف الرعود والبروق فإذا هي لا تقلّ عن مائتي مليون دولار أو أربعين مليون جنيه في العام . على أن لتلك العواصف بازاء أضرارها منافع كبيرة فهي السبب في هطل الأمطار الغزيرة التي تروى الأراضى القاحلة وتساعد على انماء المزروعات وهي السبب أيضا في (نترجة) الهواء أي اشباعه بالنروجين بحيث يصبح سهادا للتربة . وقد قدر أحد العلماء الفرنسيين ثمن السهاد النروجيني الذي ينشأ عن عواصف البروق والرعود في بلاد الهند الصينية وحدها فإذا هو نحو أربعين مليون جنيه في العام . فإذا كان ارتفاع الهند الصينية بسهاد يبلغ أربعين مليون من الجنيهات فما بالك بالهند نفسها وما بالك بالصين وما بالك بالعالم كله . فاذن ينتفع الناس بمئات الملايين بسبب الرعد والبرق فالضرر من قوله تعالى - خوفا - والنفع يرجع لقوله - وطمعا - والضرر والنفع بالرعد والبرق جار على القاعدة العامة في هذا العالم . إن النفع أكثر من الضرر في الماء والهواء والأرض والحيوان والانسان قال تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - وهذه قاعدة عامة في الحرب والسلام والموت والحياة وهكذا اه

﴿ اللطيفة الحادية عشرة في قوله تعالى - والله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - ﴾

يناسب هذه الآية قوله تعالى - وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين - الى قوله تعالى - وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله - وأيضا - والله جعل لكم مما خلق ظلالا \* وجعل لكم من الجبال أكنانا - الى قوله - وأكثرهم الكافرون - وقوله - ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا \* ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا - وقوله - اولم يروا الى ما خلق الله من شئ يتفيا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داحرون - وقوله - والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون \* يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون -

ترى من هذه الآيات أن القرآن كرر ذكر الظلال وسجودها ولقد شرحت هذا المقام شرحا وافيا في كتاب ﴿نظام العالم والأمم﴾ ولونقلته هنا لطال بنا المتأمل فلاختصر ذلك اختصارا ولاكتف به في آيات الظلال الآتية . إن الشمس كما علمت حسابها منتظم وجميع ظلال الأشجار تبع لها فهي بحساب منتظم أيضا فلن ترى من شجرة صغيرة ولا كبيرة ولا شاخص إلا وله حساب منتظم تمام الانتظام تابع لحساب الشمس ولقد عرف هذا الفلاحون وأهل البدو فجعلوا أعينهم على حسب الظلال . ولقد استعمل علماء الفلك نفس هذا الظل في معرفة مقدار الزاوية التي بين الدائرة الكسوفية ودائرة المعدل المسمى ميل الدائرة الكسوفية وذلك أنهم نصبوا شاخصا في الأرض في محل مستو مكشوف ونظروا ظله في يوم المنقلب الصيفي وقد تقدم في هذا التفسير وفي يوم المنقلب الشتوي وقد تقدم أيضا وقاسوا في هذين اليومين أعظم ارتفاع زاوي للشمس وتوضيحه أن الشاخص يعتبرونه ضلع مثلث وقياسه ممكن وظله على الأرض ضلع آخر والخط الواصل من نهاية الظل ورأس الشاخص الذي هو وتر المثلث المقابل للزاوية القائمة ضلعه الثالث . فالزاوية المنحصرة بين وتر المثلث والضلع الذي رسمه الظل هي الدالة على البعد الزاوي للشمس وهذه الزاوية كلما قصر الظل كبرت وكلما طال صغرت كما هو مبهرن عليه في الهندسة . فإذا راقبت ظل الشاخص فنهاية قصره يكون هناك أعظم ارتفاع للشمس . واذن علم من المثلث ضلعه والزاوية المنحصرة بينهما فيمكن رسم ومقاس تلك الزاوية الدالة على ارتفاع الشمس بكل سهولة على الورق بالرق المشهور في الهندسة أو بغيره وتضع هكذا في يوم المنقلبين الشتوي والصيفي وتقسم الفرق بين هذين الارتفاعين فيكون ذلك النصف هو الزاوية الواقعة بين الدائرة الكسوفية ودائرة المعدل . ويمكنك أيضا أن ترسم خطا بين هاتين النقطتين اللتين وصل إليهما الظل في يوم الانقلابين فذلك الخط هو نصف نهار ذلك المحل وحينئذ متى جاء ظل الشاخص عليه أي يوم من أيام السنة كان وقت الظهر مدى العمر كله . أفلا تعجب كيف أمكن الإنسان بشاخص بسيط أن يعرف أوقاته وأن يحكم على الشمس في السماء ويعين درجاتها . نعم نعم هذا من آيات الله

#### ﴿حكاية مصرية في الظلال﴾

كان رجل يسمى (أراتوستنس) فلكيا عظيما ولد في القبروان سنة (٢٧٦) قبل المسيح وقد تعلم في الاسكندرية وفي أثينا ودعى للاسكندرية سنة (٢٣٤) قبل الميلاد وعاش فيها إلى أن مات سنة (١٩٤) قبل الميلاد . هذا العلامة لما علم أن الشمس عمودية فوق الأرض عند مدينة (اسوان) في آخر القطر المصري جنوبا وذلك في وقت الانقلاب الصيفي وراقب عمودا هناك في ذلك الوقت فاذا هولا ظل له طبعاً فنصب عمودا بالاسكندرية فوجد له ظلا شماليا في تلك الدقيقة الانقلابية فرسم خطا من أعلى هذا العمود إلى طرف ظله فحدت الزاوية التي تكون بينه وبين الظل سبع درجات وخمس درجة وقد تقدم بقية هذا الموضوع في أول سورة يونس فراجعوه وهذا العمل أشبه بما فعله المأمون بعده بأربعة قرون في هذا العمل وهو معرفة الدرجات كما في جغرافية أبي الفداء المسماة ﴿تقويم البلدان﴾ قال ان بطليموس صاحب المجسطى وغيره وجدوا حصة الدرجة الواحدة من الدائرة العظيمة المتوهمة على الأرض (٦٦) ميلا وثلاثي ميل ثم حققوها في عهد المأمون وحضروا في برية سنجار ببلاد ما بين النهرين وافترقوا فرقتين بعد أن حرروا ارتفاع القطب ففرقة أخذت تتجه جهة القطب الشمالي وأخرى جهة القطب الجنوبي فانحط هؤلاء درجة هؤلاء زاد عندهم درجة فكان (٥٦) ميلا مع أحدهما بغير كسر ومع الثانية (٥٦) ميلا وثلاثي ميل فأخذ بالاولى (٥٦) ميلا وقد عمل ذلك العمل مرة أخرى ببلاد الشام بين تدمر والفرات . فانظر كيف قام الظل في ذلك مقام ارتفاع الشمس وقامت زاويته مقام معرفة ارتفاعها القطب . فاذا سمعت قول الله تعالى - وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه - فتأمل ترأثه تعالى جعل الشمس



وظلالها لهما حساب معين لا يتغير ولذلك قال بعدها - ذلك من آيات الله - ولا ترى من حائط أو عماد أو خشبة منصوبة أو شجرة أو جسر أو جبل أو صخرة أو حجر في سهل ولا انسان أو حيوان إلا ولكل من ظلالها حساب كحساب الشمس - والله يسجد الخ - ومعلوم أن السجود هو الاتقياد فلما سجد ما في السموات والأرض سجدت ظلالها ولولا ذلك لم يمكن الاستدلال بالظلال ولا بالمازول على سير الشمس ومعرفة انتقالها

هذا ملخص من كتابي ﴿نظام العالم والأمم﴾ مع زيادات عليه . ثم جاء فيه بعد ذلك موضوع عنوانه ﴿غفلة العقلاء عن النظر في ظلال الأشجار﴾ وجاء في ذلك ما ملخصه أن الانسان يجلس تحت الأشجار في البساتين النضرة والجمال الباهر والظل وارف والغصن مزهر ولا يفكر في أمر الظلال ولا يقرأ قوله تعالى - والله جعل لكم مما خلق ظلالا - الى قوله - وأكثرهم الكافرون - وجاء فيه أيضا . ان من حكم الظل أن الناس اذا سئموا من الشمس لجؤا الى الظل فنجوا من الحرارة وهذه هي الأقسام الثلاثة نور وظلمة وظل . وكما جعل الله الليل لباسا بظلمته والنهار مبصرا بنوره جعل الظل ملجأ من الحر وقوله تعالى - ألم تر الى ربك كيف مد الظل - أي ألا تنظر الى صنع ربك كيف مد الظل وبسطه مع أنه قادر على سكونه ووقوف حركته بأن تقف الشمس التي هي الدليل عليه والحركة له والمادة له يمينا ويسارا . فنحن جعلناها دليلا عليه تدل عبادنا بحركاتها المنظمة المعروفة للناس على سطح الأرض ليرتبوا أعمالهم في نهارهم وأوقات فراغهم وراحاتهم من شغلهم على أوقات ذلك الظل فلا ترى رجلا ولا امرأة ولا صغيرا ولا كبيرا إلا وهم ينتظرون الاستظلال في محل كن لاسيا القفار وبلاد الفلاحين وعند الأعراب . فكل هؤلاء لا يمكنهم الراحة والجد في العمل إلا بنظرهم في أمر الظل لراحاتهم هم وأنعامهم ولولا سير الشمس بحساب ما أمكنهم أن يستدلوا على مواقع الظل قبل مجيئها - إن ربكم لرؤف رحيم -

وجاء في الكتاب بعد هذا تحت عنوان ﴿غريبة وعجيبة﴾ ان هذه الآية - إن ربكم لرؤف رحيم - قد جاءت كتابتها عفوا ولم يكن في ذكرى ان بعدها قوله تعالى - أولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون - . يقول الله أغفل أولئك الجاهلون ولم يروا ما خلقنا من الأجرام ذات الظلال تميل ظلها عن الأيمان تارة وعن الشمال تارة أخرى وتلك الأجرام خاضعة لنا جارية على النواميس التي سنناها وهم صاغرون الخ . ثم قلت هناك بعد كلام . ولقد أطنبت في مسألة الظلال لأنني كنت أرى في نفسي شائقا لا أدري ماهو وأتأمل في هذه الظلال وأقول في نفسي لعل هذه حسابا . وباليك شعري كيف يكون ذلك الحساب وعلى ماذا يدل وما نظامه وكنت أجسد في القلب حرارة وشوقا ولا أدري كيف السبيل اليه ولا أي علم يدل عليه في ابتداء محاورتي بالجامع الأزهر

ثم ذكرت بعد ذلك أن الظلال أضبط في معرفة الوقت من ساعات الجيب وأن كل شجر وحجر ونبت وشخص وجبل وبالجملة كل ماله ظل يدل ظله على جميع الأوقات أفضل من ساعات الجيب ولكن معرفة ذلك عسرة . وهنا ذكرت المزاويل في الكتاب وبينت المزاولة المعتدلة وكيفية عملها كما تلقينها عن أشياخي مع برهانها الهندسي وبينت هناك أن المزاولة في خط الاستواء تكون قائمة على الأفق وكلما مال العرض جنوبا أو شمالا مالت المزاولة جهة خط الاستواء بقدر متمد عرض البلد ففي عرض (٢٥) تميل جهة خط الاستواء (٧٥) وفي ٢٣ كاسوان تميل (٦٧) وهكذا وهنا ذكرت ما يقوله العلماء في الظلال فمن قائل انها أعراض ولكن ورد عليه أن العرض لا ينتقل ومن قائل انها أجسام ولكن ورد عليه أن الأجسام لا تزول بزوال أسبابها فلا يزول البناء بزوال البناء ولكن هنا زال الضوء لما زال المضيء وهو الشمس . ثم قلت الأقرب للصواب أنها أعراض وما هي إلا تموجات في الأثير والأمواج متى زال المحرك لها زالت . ثم بعد كلام ذكرت تحت عنوان ﴿دلالة الظلال على الله﴾ انه كما يستدل على الظل بالشمس هكذا استدل كبار العلماء على العالم بالله

وكما أن الشمس لو فرض زوالها زال الظل هكذا لو فرض زوال الله لزال العالم بالكلية كما يزول الضوء والظل -  
بزوال الكواكب ولا يبقى إلا الظلمة وهي هنا العدم المطلق ومن هنا نزول شبهة العامة

يقولون إن الإنسان يبنى البيت ويموت ولم يعلموا أن الدار لم يكن للباني فيها إلا جمع ما تفرق بخلاف  
هذا العالم فهو كالظلال تتبع الشمس وكالكلمات لا توجد إلا عند تكلمه ومتى سكت لم يكن كلام . فلذلك  
ذكر الله الظل في عدة مواضع كما عبر بالكلام في قوله تعالى - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الخ -  
بخلاف الخط الذي هو جمع ما تفرق من الحروف بمادة على الورق فهذا أشبه بصنائعنا تبقى بعد موتنا فالعالم  
مع الله كالكلام مع المتكلم والظل مع المضيء لا كالكتابة مع الكاتب وقد كرر الكلمات كما كرر الظلال  
فقال - إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون - وقال - وكلمته ألقاها إلى مريم - ثم جاء بعدها  
ولقد رمز إلى ذلك بقوله - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا - إلى قوله - حلما غفورا - وبقوله  
- ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بأذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم - وهذا بخلاف بنائنا فهو باق بعد  
بانيه وليس كالكلمات ولا كالظلال . ثم ذكرت بعد ذلك تحت عنوان (عجوبة الظلال وملح الهندسة)  
فر عصفور من فوق نخلة ووصل إلى الأرض بحيث يرسم في طيرانه خطا مستقيما أوله على الشجرة وآخره  
نهاية ظلها على الأرض ونريد أن نعرف طول هذا الخط فجاء الجواب نقيس طول النخلة وطول الظل الذي  
يمتد من أصلها إلى نهاية الظل ونربع كلا من الضلعين ونجمع المربعين ونجذرهما فالجذر هو المطلوب فإذا  
كانت النخلة أربعة أمتار وطول الظل ثلاثة فربع الأول (١٦) والثاني (٩) ومجموعهما (٢٥) والجذر  
(٥) وذلك من قاعدة أن مربع وتر المثلث القائم الزاوية يساوي مجموع المربعين المنشأين على الضلعين الآخرين  
ولها شكل في الهندسة يسمى (العروس) الذي كشفه اليونان . ثم قلت إن هذه القاعدة لا تدر نخلة  
ولاشجرة ولا زرعاً ولا أصغر من ذلك حتى النملة ظلها يكون على هذه القاعدة وأن ذلك من الميزان الذي قامت  
به السموات والأرض وما بينهما . هذا إذا كان العمود أو الحائط قائما عموديا فإن كان مائلا فلينزل من  
رأسه عمود على الأرض فالمسافة المحصورة من أصل المرتفع وذلك العمود هي مسقط النخلة على الضلع وحينئذ  
نقول إن المربع المنشأ على الضلع المقابل لزاوية حادة من هذا المثلث يكافئ مجموع المربعين المنشئين على الضلعين  
الآخرين منه ناقصا ضعف المستطيل الذي قاعدته أحد الضلعين المذكورين وارتفاعه مسقط الثاني عليه فإذا  
كان ذلك العمود أو الشجرة أو الحائط مائلا إلى خلف كانت الزاوية منفرجة فنضع ما تقدم قبله ونقول إن مربع  
الضلع المقابل لزاوية منفرجة في أي مثلث منفرج الزاوية يكافئ مجموع المربعين المنشئين على الضلعين الآخرين  
منه زائدا ضعف المستطيل الذي قاعدته أحد الضلعين وارتفاعه مسقط الثاني عليه وتمثله غير خاف

ثم قلت فتأمل هذا الارتباط العجيب وكيف أمكننا أن نقيس كل ظل بهذه القوانين الثلاثة فهكذا يكون  
الميزان والعدل والنظام المحكم في السموات والأرض وسواء طال الظل أم قصر أول النهار أو آخره فالنسبة  
محفوظة ثابتة لا تتغير وبهذا يفهم - وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم الخ - وختمت هذا الموضوع  
الذي اختصرته هنا اختصارا كثيرا قائلا واعلم انني وأنا أكتب هذا الموضوع وجدت نفسي فرحة به طالبة  
اطالته تحب أن لا ينتقص ولو أطلعها لم يقف البراع وسبق قفني خوف سامة الذاري

ثم قلت وبالأجل فإن مسألة الظلال وتبعيتها للشمس تشير بطرف خفي إلى أن العالم كله تابع لحركة  
واحدة منتظمة فانتظم كل ما تبعها كما انتظم سير الظلال تبعاً لنظام الشمس فالمادة العمومية متحركة منتظمة  
ظاهرا وباطنا والشمس جزء صغير منها وبحركتها انتظمت الظلال فهذا الجزء دل على الكل للتشابه بين  
العالم كله - ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين - . - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن  
وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حلما غفورا -



﴿ اللطيفة الثانية عشرة في قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها الخ - ﴾  
 شبه القرآن بالماء الذي ينزل من السماء لتسيل به الأودية على قدر الحاجة وبمقتضى المصلحة فينفع الناس  
 والحيوان والنبات ويمكث في الأرض فنه ما يكون فوق رؤس الجبال على هيئة ثلج ومنه ما يخزن في باطن  
 الجبال ومنه ما يسلك في عروق الأرض فيكون منه المجارى في باطن الأرض ومثل الماء في أنه مشبه به القلز  
 الذي ينتفع به في صوغ الحلى واتخاذ الأمتعة المختلفة ويدوم ذلك الى حين وشبهت القلوب بالأودية فكما أن  
 الماء لا يسيل في جميع الأودية هكذا العلم لا ينزل على كل القلوب • وكما أن الأودية لا تأخذ من الماء إلا بقدر  
 هكذا القلوب لا تقبل من العلم إلا ما يناسبها وتأتى أن تقبل ما لا يناسبها • وشبه الباطل بالزبد في قلة النفع  
 وسرعة الزوال • هذا هو المثل وانما ذكرته هنا بعد ما تقدم لأسمعك الحديث

عن أبى موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ إن مثل ما بعثني الله به من الهدى  
 والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها  
 أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان  
 لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فتعلم وعلم • ومثل من لم يرفع  
 بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ﴾

(١) الكلأ الحشيش (٢) اجادب أرض لا تنبت الكلأ (٣) وقوله رعاوا رواية مسلم ورواية البخارى  
 وزرعوا (٤) القيعان جمع قاع وهو المستوى من الأرض وفقه كعلم وظرف أى فهم الأحكام وغيرها  
 ومعنى هذا أن الناس لما كانوا مخلوقين من الأرض أشبهوها (١) فمنها الأرض الطيبة تقبل المطر وتأتى  
 بالنبات • هكذا منهم من ينتفع بالعلم وينفع غيره (٢) ومنها أرض لا تنبت زرعاً ولكنها تحفظ الماء لأرض  
 غيرها • هكذا منهم من يقرأ العلم ولكن لا يفهم له ولا دراية فينقلون العلم الى من يعرف قيمته فيأخذه عنهم  
 ويعلم غيره (٣) ومنها أرض سبخة لا ماء تمسكه ولا مرعى تنبت • هكذا من الناس من لا قلوب لهم حافظه  
 ولا أفهام لهم ثاقبة فهم لا ينتفعون بالعلم ولا ينفعون غيرهم • هذا ما أردت ذكره في هذه الآية من وجهة  
 الأحاديث الشريفة

﴿ نظرة في الآية من جهة العلم الحديث ﴾

اعلم أن في العالم الانساني اليوم فكرة نبئت في انكسار كما يقولون وانتشرت في أنحاء المعمورة شرقا وغربا  
 وهي ﴿ النشوء والارتقاء ﴾ وتلك الفكرة ترمى الى أن كل شئ في هذه الحياة آخذ في الارتقاء موجه الى النماء  
 وهذه الحياة مغالبة ومشادة ومناضلة فلا يفوز إلا الأقوى والضعيف له النكال وعليه الوبال فلا بد للأقوى من  
 الغلبة في الحياة • وقد عمت هذه الفكرة الأحوال الحيوانية والانسانية والسياسية وبنوا على ذلك قتل الأمم  
 الضعيفة بحجة أنها لا تصلح للوجود وساعدهم على ذلك البخار والكهرباء والفحم والحديد والاختراعات  
 والطائرات وانه كلما كان الانسان أقوى استعدادا وأوفر عدة كان أبقي حياة وأسعد حالا وهذا الناموس  
 هو الذي بنوا عليه سيادتهم وسعادتهم فلا يبقى في الوجود إلا الأصلح

﴿ حكاية صينية ﴾

منذ سنين قرأت في بعض الجرائد محادثة بين سفير (صيني) ومكاتب لاحدى الجرائد الفرنسية • ابتدأ  
 المكاتب يصف المكان والزمان والمتاع والنظارات التي على عيني ذلك السفير وابتسامه وأخلاقه وحسن بزمته  
 ثم سأله ما شاء أن يسأل فقال له السفير • لم نراكم يا أهل أوروبا خائفين من رقى الصين ولماذا منعتم بيع  
 الأسلحة الى الصين • فقال له لأننا نخاف أن يعظم أمركم فتأتون أتم وجيرانكم فتسطون علينا • فقال له  
 هوون عليك اننا ليس في تعاليمنا اهتمام حقوق الأمم • ثم ان كونفشيوس وبوذا ومحمد هؤلاء لا يحاربون

أوروبا كما تحاربون الشرق بل نكون سلاماً على الناس . على أنكم مهما كان الأمر وفهل تقفون حركة  
الفلك . فهب أننا نرتقي وهب الناسقاتلكم وتملككم فهل تقدر أن تمنعوا شيئاً من ذلك . كلا . أستم  
تفخرون بأنكم كشفتم ناموس الارتقاء فإذا كان الارتقاء يعم العالم فكيف تصدقنا عنه وهل في قدرتك  
أن تمنعوا الشمس عن المسير . إن النواميس العاقلة لا يقدر أحد أن يصدّها فاما أسلحتكم فانتا تقدر أن  
تأخذ رجالكم بالمال ويصنعون الأسلحة لنا في بلادنا فافعلوا متشاؤن فلا تضرتون الصين . انتهت الحكاية  
إن هذه الآية ملخصها أنه لا يبقى إلا الأنفع فهي عينها نظرية الترقى وبقاء الأصلح فالنماء والفلزات أشبه  
بالأمم الراقية العاقلة الكاملة والزبد أشبه بالأمم الجاهلة التي تظهر غلبتها في أول الأمر ثم يعتريها الاضمحلال  
والانحلال . إن أكثر الأمم الراقية الآن كالأسبان والطلبيان وأهل فرنسا والانجليز قوم قتلهم الشهوات  
واعتراهم داء الطمع وانحلت الأعصاب فهم أقرب الى الانحلال والبرهان على ذلك أن ألفاً من عرب طرابلس  
وألفاً من عرب مراکش يغلبون عشرة آلاف من الطليان وعشرة آلاف من أهل اسبانيا . إن أمم  
أوروبا اليوم قد ضعفت أجسامها وخارت قواها . فأما أمم الشرق فإن قوتهم أمتن وعقولهم صالحة للارتقاء  
وقد جاء دورهم فتي قرأ العرب والترك والأفغان والصينيون علوم أوروبا واستعملوا مدافعهم حلوا محالهم وقاموا  
مقامهم في رقى النوع الانساني فاهل أوروبا اليوم أشبه بالزبد لأنهم ظاهرون وأهل الشرق أشبه بالماء ولذلك  
غلب الترك أوروبا مجتمعة منذ سنة وكذلك الأفغان طردوا الانجليز . وقد آن أو ان يأخذ الشرق دوره  
وذلك من جلة الارتقاء وبقاء الأصلح وهذا هو الذي سيكون كما ظهرت اليابان والأفغان وقوم عبد الكريم  
بالمغرب والسوسيون في طرابلس والترك في الأناضول والفرس في بلادهم . فهذه ست أمم ظهرت في هذه  
الأيام . وسترى في المستقبل القريب رقى الشرق الزاهر ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه ﴾ إن الأمتين العرييتين المذكورتين عند طبع هذا غلبتا على أمرهما لاتحاد الاوروبيين عليهم  
جاء في كتابي ﴿ مذكرات أدب اللغة العربية ﴾ في صفحة (٩٣) مانصه  
﴿ باب التشبيهات في كلام العرب والقرآن ﴾

ذكر في هذا الباب جلا حوت التشبيهات في كلام العرب ثم تتبعها بأخرى من آي القرآن لنعرف أنواع  
الكلام وليستدل المطلع على مقدار ما وصلت اليه البلاغة عند الجاهلية في أشعارهم وكيف تخطاها القرآن وتجاوز  
تلك الدرجة الى ما هو أعلى منها وأسمى \* قال لبيد بن ربيعة العامري في معلقته

وَجَلَّ السَّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تَجِدُ مُتُونَهَا أَقْلَامُهَا  
أَوْ رَجْعُ وَاشْمَةٍ أَسِفٌ نُورُهَا كِفْفاً تَعْرِضُ فَوْقَهُنَّ وَشَامُهَا

يقول لما تنهطلت الأمطار على الديار وحصلت منها السيول كشفت آثار الديار لغسل ما كان متراكماً  
عليها من التراب فكأن تلك الطلول كتب غابت فيها الكتابة اطول عهدها بالكانت وكأن تلك أقلام تجدد  
الكتابة وتظهر ما خفي منها والرجع الاعادة والواشمة التي تصنع الوشم وأسف ذرّ والنور الكحل الذي ترشه  
الواشمة على الجرح والكفف دارات تكون في الوشم وتعرض ظهر ووشام جمع وشم غرز الابرة في اللحم  
حتى يظهر الدم ثم ذرّ الكحل عليه ﴿ المعنى ﴾ وكأن تلك السيول واشمة عمدت الى وشم قد ضعف أثره  
على اليد فرجعته وأعادته بذرّ النور على داراته حتى كأنه جديد لا يضمحل وقوله جلا أي كشف والسيول جمع  
سيل الماء الكثير والطلول جمع طلل آثار الديار والزبر جمع زبور الكتاب وتجدد وتجدد والمتون جمع متن وهو  
بمعنى الظاهر في غير هذا المقام وهنا معناه الكتابة ويقول الله عز وجل - أنزل من السماء ماء فسالت أودية  
بقدرها - الى قوله - كذلك يضرب الله الأمثال - . يقول ان الله أنزل المطر فسالت به الأودية وأخذ كل  
واد قسطه وربا على الماء الزبد . هكذا ترى الناس يوقدون النار ويصهرون المعادن فيعملون على جواهرها



الأجسام الغريبة كما يعلو الزبد على الماء . وهكذا كان الحق والباطل في الدنيا فان الحق في أول أمره يغلبه الباطل ويغشيه بغشاء من الأضاليل ثم ينكشف الغطاء ويصحصص الحق ويتجلى للناس كما أن زبد الماء الرابى عليه وزبد المعادن النفيسة يذهب ويزول بعد أن غلب وغشى على الماء والمعدن فاما ما ينفع الناس من الماء والمعدن كالذهب والفضة فانهما يبقيان . فهذا ينبت الكلاؤ والعشب والمزارع والحدائق والجنات . وهذا تصاغ منه الحلى ويجعله النساء زينة لهن وجالا ويجعله الناس آلات ويعملون به أعمال الحياة . هذا هو الناموس الطبيعي العام الذي افتخر به الاوروبيون وقالوا قد كشفناه ودرسناه وأبرزناه للعالم وهو ناموس بقاء الأصلح للوجود والأنفع للإنسانية والأفضل للحياة انطقت به هذه الآية وجعلت أعمال المجاهدين والفضلاء والحكماء والمخلصين تشابه ما تراء كل يوم فيما أمامنا من الزبد والماء والحلى وأن الحق يعلو وان غشيته الأباطيل والباطل يذهب جفاء وان غلب بالتضليل . هذا هو الناموس المبين فهل ترى له مع قول لبيد موازنة .

أفرايت الفرق بين التشبيهن وكلاهما في الماء . أليس من العجب أن يقتصر لبيد على الطول والبيداء ويتعالى القرآن فيقيس به السياسة والحكمة والحق والباطل فيقول - فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض -

عجب عجاب . هذه هي التي نغريها الاوروبيون وقالوا نحن لها مخترعون . ألا فلينظر العاقلون وليعلم الذين لا يعلمون . انتهى القسم الأول من السورة

### ( الْقِسْمُ الثَّانِي )

لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا  
وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ \* أَفَمَنْ يَعْلَمُ  
أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰئِكَ الْأَلْبَابِ \* الَّذِينَ يُؤْفُونَ  
بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَتَّقُونَ الْمِيثَاقَ \* وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ  
وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ \* وَالَّذِينَ صَبَرُوا أَبْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَؤْنَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ \* جَنَّاتُ عَدْنٍ  
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ  
بَابٍ \* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ \* وَالَّذِينَ يَنفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ  
مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ  
سُوءُ الدَّارِ \* اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي  
الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ \* وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ  
مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ  
تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ \* الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ \* كَذَٰلِكَ

أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ  
 بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ \* وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ  
 الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ نَفْسٍ بِهِ الْمَوْتَى بَلَى اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئُسِ الَّذِينَ آمَنُوا  
 أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ  
 تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ \* وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلِ  
 مِنْ قَبْلِكَ فَاْمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ \* أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى  
 كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ  
 بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلَى زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا  
 لَهُ مِنْ هَادٍ \* لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ  
 مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ  
 اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ \* وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ  
 الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ  
 مَأْبٍ \* وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَنْ تُبَيِّنَ لَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بِعَدَمِ جَاءِكَ مِنَ الْعِلْمِ مَالِكٌ  
 مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً وَمَا  
 كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ \* يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ  
 وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ \* وَإِنْ مَأْرِيَّتَكَ بِعَظْمِ الَّذِي نَعُدُّهُمْ أَوْ تَوَفَيْنَكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ  
 وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ \* أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ  
 لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ \* وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا  
 تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ \* وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا  
 قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ \*

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (للذين استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) المنفعة العظمى في الحسن بأن  
 تكون خالصة من الشوائب الضارة ومن الانقطاع (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة مبتدأ خبره (لو أن)  
 لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب) بأن يحاسب الرجل بذنبه كله ولا يغفر له



منه شيء وإلم أن في قوله تعالى - لا تقصدوا به - سراء صونا يحتلج في القيوب والشفاء لاتلقيه محسوسا في النفوس والناس عنه في تيه . ذلك أننا في هذه الحياة لاحظنا إلفاقنا وحننا وحدها وكل ماعدا النفوس مضمحل الأتري أن أحدا لو أصابه مرض أضعف شديد أو هرم لأصبح لا يحسن بما كان يحسن به في زمن الشباب وقلت آمله وضاعت أحلامه ومتى ضعفت قوة الطام فيه لم تكن له فائدة من المال الذي عنده فشكل شيء دون النفس زبد يذهب جفاء وقوله (ومأواهم جهنم) أي مرجعهم (وبئس المهاد) المكان الممهد والمخصوص بالدم محذوف أي جهنم وقوله تعالى (أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) الهمزة لانكار أن يشك عاقل ما بعد ضرب هذا المثل أن يستوى الذين يعامون والذين لا يعامون وهم عمى البصائر مع أن البعد فيما بينهما كبعد ما بين الماء الصافي والابريز الخالص والزبد والخبث (إنما يتذكر أولوا الألباب) ذوو العقول الذين تذبذوا الوهم والالف واستبصروا بالرأى ثم وصفهم فقال (الذين يوفون بعهد الله) الذي عقده على أنفسهم بشهادتهم برؤيته وشهدت فطرهم في هذه الحياة بصحته وأنزل الكتاب بإيجابه (ولا ينقضون الميثاق) ما أوثقوه على أنفسهم من الإيمان بالله ومن الموائيق بينهم وبين الناس من ذكر العام بعد الخاص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الأرحام والقربات الخاصة وكذلك القرابة الدينية وهي تتم جميع المؤمنين فهم أخوة فيحسن إليهم متى قدر ويذب عنهم ويشفق عليهم ويفشى السلام ويعود المرضى ويراعى حق أصحابه وخدمه وجيرانه ورفقائه في السفر . واعلم أن الإنسان لا تخلو حاله إما أن تكون له قدرة علمية فهذا يجب عليه نشره بين أئمة وهذا أعلى الدرجات وأما أن تكون له قدرة عملية وعجز عن العلمية فهذا ينبغي له أن يصرف أيامه في مواساة الفقراء وعيادة المرضى وفعل المبرات والخيرات وأما أن تكون قدرته عاطلة فلا علم عنده ولا قوة لديه وهذا ينبغي له أن يصرف أيامه في العبادة ويلتزم المحراب وأما أن تكون نفسه خلت من العلم ومن العمل النافع ومن العبادة فهذا خير له أن يدع الناس ويحتجبهم لأنه لم يبق لديه إلا الغيبة والنميمة . فالثلاثة الأولى أشبه بالملائكة على اختلاف درجاتهم فالعالم العام النفع أفضل من المواسى لضعفاء الأمة وهذا الثاني أشرف من العابد الملائم للمحراب والتارك للخير والشر العاكف على النوم وهو الرابع أشبه بالحجر في البقاء لا يملك للناس نفعا ولا ضرا . فأما الخامس وهو من يضع وقته في أذى الناس فهو كالحيات والعقارب والذباب والناموس وأمثالها يؤذي الناس على مقدار ما أوتي من قوة وما نال من همة على درجات متفاوتة تفاوت الدرجات في المشبهين بالملائكة وقوله (ويخشون ربهم) أي وعبيده عموما (ويخافون سوء الحساب) بحيث يحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) عن المعاصي وعلى ما أصابهم من مرض أو أذى من الناس أو فقر وعلى الطاعات ومشاقها (ابتغاء وجه ربهم) لا ليقال ما أكمل صبره أو لئلا يشمت به الأعداء أو لئلا يعاب من الأصدقاء وإنما يكون صبره خالصا لوجه الله لعله بأن ذلك رافع لشأنه مهذب لنفسه رافع لدرجانه مقدر عليه لحكمة (وأقاموا الصلاة) داوموا على اقامتها (وأنفقوا مما رزقناهم) بعض ما رزقناهم واجبا أو مندوبا (سرا) فيما بينهم وبين الله وهذا أولى لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) وهذا أولى لمن عرف بالمال (ويدرون بالحسنة السيئة) فيدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيئ غيرهم أو هم المعطون من حرمهم العافون عن ظلمهم الواصلون من قطعهم التائبون من ذنبهم المغيرون للمسكر إذا رأوه ويتبعون السيئة الحسنة فتمحوها فهذه (ثمان خصال) الوفاء والصلة والخشية ومحاسبة النفس والصبر واقامة الصلاة والانفاق وأن يدروا السيئة بالحسنة فهي عدد أبواب الجنة الثمانية ولذلك أعقبها بها فقال (أولئك لهم عجب الدار) عاقبة الدنيا العاقبة التي تنبئ لهم وأبدل من عجب الدار (جنات عدن) أي بساكنة إقامة \* يقال عدن بالمكان إذا أقام به (يدخلونها) أي الدار التي تقدم ذكرها (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على الواو في يدخلون فالأزواج والذرية يقرنون بهم عند

دخولهم الجنة اذا استحققوا بصالحاتهم وتكون المزية إذ ذاك جمعهم معهم تكرر بما فيقرن بعضهم ببعض لما بينهم من الصلة والتقيد بالصالح للدلالة على أن النسب لا يفيد في الآخرة (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب منازلهم في الجنة أو من أبواب الفتوح والتحف وبشارات الرضا قائلين (سلام عليكم) بشارة بدوام السلامة هذا (بما صبرتم) أي هذا الثواب بسبب صبركم بأقسامه المتقدمة ويصح أن يقال تسلم عليكم وتكرمكم بصبركم والأول أولى لأن الخبر فصل بين المتعلق والمتعلق به (فهم عقي الدار) الجنات . ولما أتم الكلام على صفات السعداء أعقبه بصفات الأشقياء فقال تعالى (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أي من الرحم وحفظ الجوار وإنشاء عدة العاقبة كما تقدم (ويفسدون في الأرض) بالظلم والمعاصي والنهييج وتفريق الكامة (أولئك) أي من هذه صفته (لهم العاقبة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم وسوء العاقبة في مقابلة عقي الدار . ولما كان كل فتنة وتهيج ونقض عهد إنما يكون لقصد الشهوات والحياة الدنيا أخذ يذمها فقال سبحانه (الله يبدط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيقه فقوم فقراء وآخرون أغنياء وما الفقر والغنى إلا كالليل والنهار يمران على البر والفاجر والصالح والطالح فليس الغنى مرمي الأنظار ولا الفقر غاية الأخطار بل هما حالان يعتوران الناس بأقدار غالبية وأحوال عارضة كما يغشى النهار الليل والليل النهار فكيف يفرحون ببسط الرزق في الحياة ويعتدونه أكبر متاع وما الحياة كلها إلا سحابة صيف عن قليل تقشع فما بالك بنفس الغنى ونفس اللذة وما هما إلا حالان عارضان في الحياة فالحياة وشؤون الحياة لا وزن لهما ولا ثمن وهذا قوله تعالى (وفرحوا بالحياة الدنيا) أي بما بسط لهم من الرزق فيها (وما الحياة الدنيا في) جنب (الآخرة إلا متاع) متعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي فهو لاء بطروا وأشروا بما نالوا من الدنيا واعتزوا بقليل المنافع سريع الزوال . ولما أبان ولوعهم بالسراب وانخداعهم بالحباب وجهلهم بما حضر وغاب أخذ يبين ما ترتب على ذلك الغرور من اقتراح الآيات الناجم من بطرهم وأشهرهم فقال (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي إليه من أناب) أقبل إلى الحق ورجع عن العناد فمن أضله الله فلا هادي له وإن نزلت الآيات التي اقترحها فالقلوب تختلف اختلاف الأودية كما تقدم . ثم أبان المهتدين فقال سبحانه هم (الذين آمنوا وطمأن) تسكن (قلوبهم لذكر الله) في الوحدة يسكنون بأنسه . وعند الحاجة بالاعتماد عليه . وعند القلق من خشيته يسكنون برحمته . وعند الشك في وجوده يسكنون بدلائل وحدانيته في آيات الكتاب ومعجائب الكائنات ولا طمأنينة إلا باليقين والشك موجب القلق والاضطراب (ألا يذكر الله تطمئن القلوب) في جميع ما بيناه ولما كان اطمئنان القلوب لا يتسنى إلا بعلم الحقائق وتهذيب الأخلاق أردفه وبين المطمئنين وثوابهم فقال (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) أي فرح لهم وهي جملة خير الدين وطوبى فعلى من الطيب قلبت البياء واوا بعد الضمة وهي مصدر كزلفي وبشرى . وتقول العرب (طوبى لك) أي أصبت خيرا . ومعنى هذا أن أهل الجنة منعمون بكل ما يشتهون فكل ما يسر النفس داخل في هذه القضية . فاذا سمعت حديث البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام ما يقطعها) وسمعت أن البخاري زاد (واقرأوا إن شئتم - وظل ممدود -) وإذا سمعت لأحاديث التي ليست في الصحاح أن ثياب أهل الجنة تخرج من أكمائها وأن الحلى والحلل تكون من أغصانها وأن في كل دار وغرفة في الجنة منها غصنا وأن الله لم يخلق لونا ولا زهرة إلا وفيها منه إلا السواد وأنه لم يخلق فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها وأنه يذبح من أصلها عينان الكافور والسلبيل وأن كل ورقة منها تظل أمة فاذا سمعت هذا كله في الصحاح وفي غير الصحاح فاعلم أنه بعض ما أعد لأهل الجنة من الفرح الذي



تضمنته الجلة والجللة أعم من هذا كله صح أولم يصح وأما الحقيقة فهي أن أهل الجنة لهم ما يشتهون وهذا في الامكان بل أن العوالم التي كشفها علم الفلك بلغت عظمتها حدا لا يتخيله الفكر فإذا كان هذا في العالم الذي نحن فيه فكيف تكون الجنة بل أن كل روح من الأرواح لها قدرة نامّة على اختراع ما تشاء من ملابس وما كل من كل ما تشتهيه وهذا ثبت في علم الأرواح اليوم في الأمم الغربية فإذا كانت كل روح لها قدرة على نوع ما من الملابس والنفائس فذلك أكبر نعمة تفوق ما هو مشاهد في الخارج

إن الحديث أبان للناس ما يقدرّون على فهمه وفتح لهم باب عظمة العالم ليستعدّوا لما سيرونه بعد الموت وما بعد الموت فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وعليه يكون ما سمعناه في الحديث تقريب لعقولنا المحبوسة في هذه العوالم الحسية وإذا كانت الجنة فيها ما لا يخطر ببالنا فهذا ربما يخطر بالبال فما فيها فوقه بما لا حد له اه وقوله (وحسن ما ب) أي ولهم حسن منقلب . ولما كانت الآية أبانت أن ذكر الله به تطمئن القلوب وذكر من ذلك أن لهم ما يشتهون في الجنة أتبعه بأن هذه العقيدة قديمة العهد ليزداد الاطمئنان فليس النبي ﷺ بدعا بل سبقه أنبياء أرسلوا لأنهم فهذا التتابع يدل على صدق الدعوة لأن الأمم تضافرت عليه وما كان باجتماع الأمم فهو حق والحق به الاطمئنان فوعدهم بالسعادة أولا وحقق أصول دينهم ثانيا وأي اطمئنان بعد هذا وهذا قوله تعالى ( كذلك ) مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك ( أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها ) تقدّمها ( أم ) أرسل إليها رسل فهل يكون بدعا إذا أرسلناك اليهم ( لتتو عليهم الذي أوحينا إليك ) لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحينا إليك ( وهم يكفرون بالرحمن ) أي وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة العظيم النعمة قد أحاطت بكل شيء رحمة ووسعت كل شيء نعمته فلم يشكروا احسانه ولم يذكروا انعامه ولم يعرفوا منته في الهداية برسالك اليهم وانزال القرآن لتقرأ عليهم . وهذا القول عام لا يخص حالا بعينها فكفرهم شامل وجهلهم عظيم . فإذا سمعت أن هذه الآية نزلت في صالح الحديدية وأن سهيل بن عمرو لما جاء للصلح واففقوا على أن يكتبوا كتاب الصالح قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب أكتب بسم الله الرحمن فقالوا لا نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة ( يعنون مسيامة الكذاب ) اكتب كما نكتب باسمك اللهم وعليه تكون الآية مكية . وإذا سمعت أن أبا جهل سمع النبي ﷺ وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يارحمن فرجع أبوجهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعو إلهين يدعو الله ويدعو لها آخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن إلا الرحمن اليمامة فنزلت هذه الآية . وإذا سمعت أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ - اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن - . إذا سمعت هذه الروايات كلها وأن الآية نزلت فيها فاعلم أن ذلك لا يغير من المقصود شيئا فكل هؤلاء كفروا بالرحمن فسهيل بن عمرو وأبوجهل وكفار قريش صدقت عليهم الآية . فأما اختلاف الروايات وكل من الرواة يقول نزلت للسبب الذي ذكره فانه من تصرفهم أو من استعمال النزول في معنى أنها تنطبق عليها . وأنت عليم أن شراح البخاري نصوا على أن الحديث ظني فما بالك بما ليس بصحيح واليقين انما هو الآية والحديث المتواتر والآية هنا تشمل ما ذكره وغيره ثم أمره الله أن يصدع بالأمر فقال الله ( قل هوربي ) أي الرحمن خالق ومتولى أمري ( لا إله إلا هو ) لا معبود بحق سواه ( عليه توكلت ) في نصرتي عليكم ( واليه متاب ) مرجعي ومرجعكم ثم إن قوله تعالى - ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه - قد أجاب عنه بقوله - قل إن الله يضل من يشاء ويهدي الخ - فكانت الاجابة بقطع الاطماع عن ايمانهم مهما أنزل لهم مما اقترحوه . ثم ذكر الهداية وصفات المهديين واحتاج المقام الى ايضاح تلك الآيات وزيادة البرهنة على عدم نفع اجابتهم فأفاد أنه لو ثبت أن كتابا - سيرت به الجبال - أي زعزعت من مقارها - أوقطعت به الأرض - وصدعت وتزابت قطعاً - أو كلم به الموتى - فتسمع وتجب لكان هذا القرآن ولم يؤمنوا فاذن هذا إما وصف لعظمة

القرآن واما وصف لشدة عنادهم فلا ينفهم ما يقترحون وهذا قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) ولقد كان نفر من قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية قد جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خلف النبي ﷺ فأنابهم فقال له عبد الله إن سرك أن نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفتح فانها أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعيونا للغرس الأشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الرمح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوائننا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست بأهون على ربك من سليمان أو أحمى لنا جدك قصيا أو من شئت من مونا انما أسأله عن أمرك أحق أم باطل فان عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله من عيسى فنزلت هذه الآية قال تعالى (بل لله الأمر جميعا) أي بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه ولكنه لم يرد ذلك لأنه لا ينتج المقصود من ايمانكم . ثم أتبع هذا (١) بالتبليس من ايمانهم تأكيذا لما تقدم (٢) وبالتهديد لهم بالقارعة التي تحل بهم (٣) وبتسليية النبي ﷺ على استهزائهم به . فالأول قوله تعالى (أفلم ييأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) أي أفلم ييأس الذين آمنوا بأنه لو يشاء الله لهدى الناس جميعا من ايمان هؤلاء الكفار وهذا اذا بقي اليأس على معناه . وقيل ييأس بمعنى يعلم وهذا المعنى في لغة النحج والمعنى واحد أو متقارب على الوجهين والثاني قوله تعالى (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الأعمال (قارعة) داهية تقررهم بأنواع البلايا كالجدب والسلب والقتل والأسر (أو تحل قريبا من دارهم) فيفزعون ويتطايروا اليهم شررها . ويجوز أن يقال أو تنزل أنت يا محمد مع أصحابك قريبا من دارهم وهي مدينتهم مكة (حتى يأتى وعد الله) فتح مكة (إن الله لا يخلف الميعاد) الذى وعدك به من النصر والتأييد والبعث بعد الموت وكل موعود به من موت وغيره . والثالث قوله تعالى (ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا) لما أوعد الكافرين أخذ يسلى النبي ﷺ ويزيد في وعيدهم وأفاد أن الرسل من قبله استهزأ بهم قومهم فأملى الله للذين كفروا أى أمهلهم والاملاء أن يترك ملاوة من الزمان فى دعة وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أى عقابى لهم هكذا هؤلاء الكفار أملى لهم ثم أخذهم وقد تم ذلك فانهم غلبوا ومن أبى قتل وأسلمت جزيرة العرب كلها الى الآن . ولما فرغ من الكلام على النبي ﷺ وتسليته ووعيده أعدائه شرع يذكر سعة علم الله الذى يعلم النبي ﷺ وأعداءه ويجازى كلا بعمله يرفع الصادق ويخفض الكاذب فقال (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أى أفمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبأعمالها خيرا كانت أو شرا ومجازيها على الخير والشر كما علم محمدا والمشركون وأعطى كلا ما يستحقه أى أفمن هو بهذه الصفة لم يوحده (وجعلوا لله شركاء) أى وجعلوا له شركاء وهو اظهر في مقام الاضرار والهمزة للانكار (قل سموهم) أى صفوهم فهل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (أم تنبؤنه) أى بل أننبؤنه (بما لا يعلم فى الأرض) بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقون العبادة لأجلها لا يعلمها مع أنه عالم بكل شئ (أم) تسموهم شركاء (بظاهر من القول) من غير حقيقة واعتبار معنى كما يسمى الناس الزنجى كافورا ثم أضرب عن ذلك فقال (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا بأبطال ثم ظنوها حقا أو كيدهم للإسلام (وصدوا عن السبيل) أى وصرفوا بالبناء للجهول فيهما ان قرئ بضم الصاد أو صرفوا الناس عن السبيل أى الايمان ان قرئ بفتح الصاد (ومن يضل الله) بخذلانه (فأله من هاد) يوفقه للهدى (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) بالقتل والأسر ومصائب الحياة وهمومها (والعذاب الآخرة أشق) لشدة ودوامه (وما لهم من الله) من عذابه (من واق) حافظ

﴿ وصف الجنة ﴾

ولما ذكر أن المؤمنين لهم فرح بقوله - طوبى لهم - فصله بعض التفصيل هنا فقال (مثل الجنة التي



(وعد المتقون) صفتها التي هي مثل في الغرابة وهذا مبتدأ خبره محذوف عند سيويه أي فيما قصصنا عليك  
 صفة الجنة التي وعدنا المتقون حال كونها (تجزي من تحتها الأنهاراً كلها دائماً) لا يقطع ثمرها (وظلها) أي  
 وظلها كذلك بخلاف ظل الشمس المتقدم في قوله - وظلالهم بالغدو والآصال - (تلك) أي الجنة (عقبى  
 الذين اتقوا) أي ما لهم ومنتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار) لا غير فأطمع الأولين وأبأس الآخرين  
 وهذا القول في مشركي العرب . ولما كان أهل الكتاب قد آمن بعضهم كعبد الله بن سلام وأصحابه وبعض  
 النصارى وهم ثمانون رجلاً من الحبشة واليمن ونجران وكفر باقهم ذكر الفريقين فقال (والذين آتيناهم  
 الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب) وهم الذين كفروا منهم (من ينكر بعضه) لأنه لا يوافق  
 ما حرفوه من كتابهم أو شرائعهم (قل) يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) أي قل لهم إني  
 أمرت فيما أنزل إليّ بأن أعبد الله وأوحده وهذا أهم المطالب في الدين فأما ما عدا ذلك من الأحكام الجزئية  
 المخالفة لشرائعكم فذلك ليس بدعا فالكتب السماوية تتفق أصولها وتختلف فروعها لاختلاف الأزمنة والأمكنة  
 والعقول (إليه أدعو) وحده لا أدعو سواه (واليه) لا إلى غيره (ما تب) مرجعي وأنا وأنتم على اتفاق تام  
 فكيف تنكرون المتفق عليه (وكذلك أنزلناه حكماً عربياً) أي وكما أنزلنا الكتب على الأنبياء بلغاتهم  
 ولسانهم أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب حكمة عربية ليسهل لهم فهمه وحفظه وقوله - حكماً - حال ثم إن  
 أهل مكة دعوه إلى أمور يشاركون فيها كتقرير دينهم فقال تعالى (ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم)  
 بنسخ ذلك (مالك من الله من ولي ولا واق) أي لا ينصرك ناصر ولا يقيمك واق . ولقد كانوا يعيبونه  
 بالزواج والأولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم  
 أزواجاً وذرية) نساء وأولاداً كما أنك كذلك (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بأذن الله) فليس يقدر  
 أحد منهم أن يأتي من الآيات بما يقترحه قومه وكيف يأتي لهم بما يقترحون وقد جاء لهم من الآيات ما فيه  
 عبرة لمعتبر وغناء لمفكر ولكنهم أبوا إلا التماذي وازدادوا اقتراحاً كما تقدم في مقال عبد الله بن أبي أمية  
 والآيات المقترحات لا تأتي إلا على مقتضى الحكمة في أزمان علمها الله فلكل زمن حكم على العباد بمقتضى  
 صلاحهم ولاصلاح فيما اقترحوه وهل من صلاح المراهق أن يرضع اللبن من ظئره فإذا لم يحسن في الحكمة  
 أن ترضع الظئر شاباً قوياً وأن يجعل للمراهق مهد يكون فيه . هكذا لا حكم في الزوال الآيات التي اقترحوها  
 وهذا إيضاح قوله (لكل أجل كتاب) أي لكل أمد حكم لا يحسن سواه فيه فلا آية من المقترحات بنازلة  
 قبل وقتها ولا عذاب مما خوفوا به بحاصل في غير وقته ولا نبوة حاصلة في غير الزمان المقدر لها فوسى وعيسى  
 ومحمد عليهم الصلاة والسلام كل حكم الله بوجوده في زمانه الخاص به لا يتقدم ولا يتأخر وهكذا انقضاء أعمار  
 الناس ووقوع أعمالهم وأحوالهم كلها كتبت في آجال ومدد معلومة لا تقديم ولا تأخير . ألا إنما مثل هذه  
 الدنيا من كواكبها وشموسها وأرضها وزرعها كمثل مدرسة رتبت فصولها ونظمت حجرها وأقيم كل مدرس  
 في درسه وجعل له علم مخصوص والتلاميذ لكل من هؤلاء سامعون وناظر المدرسة قد رتب لها مناهج  
 وقوانين وأوقات لامتحان التلاميذ ونهايات لأعمالهم فترى المدرسين كل يوم يعملون وينصرفون إلى أمارتهم  
 ويرجعون والمنهج المرسوم لا يتغير ولا يتبدل . فهكذا هذه الدنيا قد جعل الله لها في علمه القديم نظاماً كأنها  
 مدرسة وهذا النظام على مقتضى الحقائق الثابتة التي تعاقب بها علمه وعلى ذلك العلم جرت الشمس والقمر  
 والكواكب وظهر النبات والحيوان وتعاقب الموت والحياة وظهرت نجوم وفنيت أخرى ونبت زرع وحصد آخر  
 وقام نبي ومات آخر وامتد دين ونقل آخر وكل كوكب من الكواكب التي تصلح للحياة كأرضنا صار كأنه  
 صحيفة يكتب فيها ويمحي على مقتضى المحو والابتن عند الملائكة وذلك تبع لما رسم في المنهج الأصلي تعاقب  
 الأمم والأجيال والزروع والدول والأحكام والنظم ويتعاقب قدماء المصريين واليونان والرومان والعرب والفتار

وأوروبا وأهل الشرق عليها كل ذلك محو وإثبات على مقتضى المنهج المرسوم . وهكذا تنسخ آية من القرآن ويؤتى بغيرها كما نسخ زرع بزرع وليل بنهار وقوم بقوم ودين نبي بآخر كل في وقته . وهكذا يتصدق زيد على رجه فيطول عمره ويجهد الرجل الهندي من الطائفة المسماة (راجايوقا) فيحصر نفسه الذي يتنفسه على هيئة مخصوصة كما في بلاد البنغال وغير البنغال هناك في الهند ويتعد عن الناس فيسكن حركات قلبه دقائق كل يوم بالتدريج فيكون عمره أطول من أعمارنا عشرات السنين ويبطئ شبيهه كما قرأته في كتاب (راجايوقا) بالانجليزية مترجما عن اللغة الهندية وقد كان ألقى خطبا في نيويورك سنة ١٩٦٥ وستة ١٩٥٦ بعد الميلاد فهذا كله يحصل على مقتضى مارسم في العلم القديم . وهذا التفسير جمع لك سائر الأقوال

- (١) فإذا سمعت علماءنا رجهم الله يقولون ﴿ يمحوا الله ما يشاء من الشرائع بالدمخ ويثبت ما يشاء فلا ينسخه ولا يبدله ﴾ أوقرات حديث البخاري ومسلم عنه عليه السلام
- (٢) ﴿ ان خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ﴾
- (٣) وكذا إذا سمعت بعض العلماء يخص المحو بما ليس فيه ثواب ولا عقاب من قول الانسان أكلت وشربت والاثبات بما فيه ثواب وعقاب

- (٤) وكذا إذا سمعت آخر كالحسن يقول ﴿ يمحوا الله من جاء أجله ويثبت من بقي أجله ﴾
- (٥) أوقول عكرمة ﴿ يمحوا الذنوب بالتوبة ويثبت الحسنات بدوها ﴾
- (٦) أوقول السدي ﴿ يمحوا الله القمر ويثبت الشمس ﴾
- (٧) أوقول الربيع ﴿ يقبض الله الأرواح عند النوم فيميت من يشاء ويمحوه ويرجع من يشاء فيثبتته ﴾
- (٨) أوقول بعضهم ﴿ يمحوا الله حكم السنة الماضية ويثبت حكما آخر للسنة بعدها ﴾
- (٩) أوقول بعضهم ﴿ يمحوا الله الدنيا ويثبت الآخرة ﴾
- (١٠) أوقول آخر ﴿ يمحوا الله الحن والمصاب بالدعاء ﴾

فإذا سمعت هذه الأقوال كلها فاعلم أنها لا تناقض فيها بل هي جارية على القاعدة التي ذكرناها داخلية فيها . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وأما ان الانسان يعمل بعمل أهل الجنة ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار وعكسه فذلك أيضا مما سبق به الكتاب وذلك مشاهد معروف كل يوم . ان الانسان يكون معتادا عوائد جميلة ثم يعمل عملا سيئا على غير عادته فتغلب العادة الجميلة عليه فيعمل العمل الصالح وتغلب حسنة على سيئانه فيدخل الجنة وهناك رجل غلبت عليه العادات السيئة فلازمته فتكاف الأعمال الصالحة فعمل بها ولكن السيئات غلبت عليه فزحزحته عن الجنة لأن الصلاح ليس من طبعه وذلك كرجل يصلي ويصوم وهو دائب في رفع القضايا الكاذبة على أهله وجيرانه فهذا سبق عليه الكتاب وغلبت عليه سجيته . وهذا تحرير المقام في قوله تعالى - يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب - وإذا عرفت الحقيقة فسواء أكان أم الكتاب هو علم الله والتغيير في اللوح المحفوظ الذي قال فيه ابن عباس من باب ضرب المثل لنا ﴿ إن لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة نية فيه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ أو أم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذي لا تغيير فيه ولا تبدل والتغيير عند الملائكة في صحفهم التي يكتبونها فيمحون ويثبتون



فسواء أكان هذا أو ذاك فالخلاف لفظي والحقيقة لم تتغير فهناك أمر واقع وأمور مبتدلة وتغير الأسماء لا يضيع الحقائق اه ثم قال تعالى (واما نرينك بعض الذي نعدهم) من العذاب (أوتوفينك) من قبل أن نريك ذلك (فانما عليك البلاغ) أى ليس عليك إلا تبليغ الرسالة اليهم من الله فلاهم بما سينالهم ولكن اهتم بما أوحيناك عليك وهو البلاغ (وعاينا الحساب) أى أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم

ثم اعلم أن الله عز وجل وضع هذا العالم على نظام التغير والتبدل كما مر في آية - يمحوا الله ما يشاء ويثبت - وقد أوضحت في سورة البقرة مسألة نسخ الآيات القرآنية فلم أعدها في آية المحو والاثبات هنا فاما هذه الآية فقد نزلت لحال خاصة وهي التغير في أطراف الأرض بالخراب والعمارة و بعلية قوم وخذلان آخرين وبانهيار شاطئ البحر بفعل الماء ثم يزيد في جهة أخرى وبتبسيط الكرة الأرضية عند القطبين وبانقلاب البحر برا بطول المدى وتطول السنين أو يموت العلماء فيقبض العلم فهذا نقص في أطراف الأرض وهذا عن الجوهرى وثعلب أو الأطراف الأشرف \* قال الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى \* أطراف كل قبيلة من يتبع

وكذلك بفتح دار الحرب بأيدي المسلمين فكان لهم النصر والغلبة وهذا نقص من أطراف تلك الأرض والمقصود من هذا أن التبدل حاصل في أطراف الأرض فن خراب وعمارة وذل وعز ونقص وكمال فهل أمن كفار مكة أن نبذلهم بعد عزهم ذلا وبعد غناهم فقرا وبعد حياتهم موتا . واذا كان فتح البلاد بيد المسلمين قد أحاط ببلادهم وقد نقصنا الأرض من أطرافها فهل أمنوا أن يمتد إلى بلدتهم والعاقل من يتدبر ويتفكر ويعتبر فإلهم لا يستبصرون (والله يحكم لامعقب لحكمه) المعقب الذى يكر على الشئ فيبطله \* وقيل لصاحب الحق معقب لأنه يقف وغريمه بالاقضاء وههنا حكم الله للإسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وماحكم به تعالى لا يمكن نقضه كما حكم على أطراف الأرض بالنقص بمقتضى النظام الذى وضعه والقانون الذى سنه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل في الآخرة بعد العذاب بالقتل فى الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) أى كفار الأمم الخالية والأجيال البائدة بأنبيائهم . والمكر ارادة المكروه فى خفية وماهذه المكر بشئ اذا قيس بمكر الله (فنة المكر جميعا) وكيف يؤبه بمكرهم وهو (يعلم ما تكسب كل نفس) فيعد جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبي الدار) من الحزبين أى العاقبة المحمودة . واذا علم الله عمل كل نفس وأعد لها جزاءها بحيث يقع العذاب على المذنب وهو فى غفلة على خلاف ظنه وهو لا يدري فهذا هو المكر كله (ويقول الذين كفروا لست مرسل) لما أنكر الكفار كون محمد رسولا قال الله له (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) بالمعجزات وببلاغة القرآن (ومن عنده علم الكتاب) أمثال عبد الله بن سلام لعلمه بالتوراة والمسلم الذى عرف اعجاز القرآن فهؤلاء يشهدون برسالتى . انتهى التفسير اللفظي لسورة الرعد والحمد لله رب العالمين . وهنا ﴿جوهرتان﴾

﴿الجوهرة الأولى فى الكلام على البرق والرعد والسحاب والصاعقة فوق ما تقدم فى الآيات﴾

اعلم أن هذه الأربعة ذكرت فى أول سورة البقرة فى قوله تعالى - مثلهم كمثل الذى استوقد نارا الخ - إذ جعل القرآن كالمطر ووعيده كالرعد وحججه كالبرق والهلاك الذى يصيب المجرمين كالصاعقة فارجع اليه هناك ولكن هذا ملخصه وهذا لسان البيان المعبر عن حال الوجود لأن اللسان ﴿لسانان﴾ لسان البيان ولسان الوجود . فأما لسان البيان ومنه لسان الوحى فهو المعبر عن المعانى التى كملت فى النفوس الانسانية لقصور الطبيعة البشرية عن اظهار ما كمن فيها فكان هذا اللسان لجميع اللغات السامية من عربية وعبرية وسريانية وحبشية الخ وجميع اللغات الطورانية كالتركية فى الأناضول والقازانية فى بلاد القازان الخ وجميع اللغات الآرية كاللغات الهندية والأوروبية . هذه كلها وأمثالها البالغة أربعة آلاف لغة لا عمل لها إلا نقل ما فى أفئدة

الناس بعضهم لبعض من المعاني المقصودة لهم لينتفعوا بها ولو أن هذه الأنفس البشرية كانت قادرة على تفهيم بعضها بدون احتياج إلى هذا الترجمان وهو اللسان لم تستعمله . إذن احتياجنا للتعبير ناشئ من هذا الجسد الذي حجب بصرنا عن الاطلاع على ما يجول بالضمائر من المعاني . لهذا خلق الله اللسان فأخذ الناس يتكلمون ولكن أكثر هذا النوع الانساني قاصر لا يدرك الحقائق . ومعنى هذا أن قصور الناس ليس خاصا بالتعبير عما يجول بخواطيرهم . كلا بل نفس هذه الأنفس ليست كاملة العلم والعقل . فاذا عبروا باللسان عما في ضمائرهم لم يجدوا فيها ما يكفي لاسعادهم لذلك خلق الله فيهم أنبياء وحكماء فالأنبياء يخاطبونهم بلسان الوحي والحكماء يخاطبونهم بلسان البرهان والحكمة . فأما لسان الوحي فنه القرآن الذي هو الكتاب الحكيم وقد جاء فيه - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الخ - يأمرنا الله بالتسبيح والصلاة فنصلي وتقول سبحان الله ونحمد الله إلى آخره . هذا هو لسان الوحي وبيانه والوحي هو الذي جعل هذه الأربعة مشبها بها أحوال القرآن من حجج وعلم وانذار الخ

أما لسان الوجود فقد ذكره الوحي هنا فأبان أن نفس الرعد يسبح بحمد الله والناس لا يفقهون تسبيحه الناس يسبحون والرعد يسبح - وإن من شيء إلا يسبح بحمده - . الله أكبر . أنزل الله سورة سماها الرعد بعد أن ذكره في سورة البقرة بهيئة ضرب المثل وذكر معه اخوته الثلاثة هناك وهنا . جعل هذه الأربعة هناك ضرب مثل وجعلها هنا مقصودة بل جعل أحدها وهو الرعد مسبحا وسيأتي في سورة الاسراء تسبيح كل شيء . هذا فتح باب لأن ندرس نفس هذا الوجود . إن في الرعد وإن في الوجود حكمة وعلم وفي هذا العالم جلال العلم المعبر عنه بالبرق وانذار من يتغاضى عن هذا العلم والمعبر عنه هو الرعد وفيه نعم يعبر عنها السحاب . وفيه هلاك يعبر عنه بالصاعقة . إذن هذا الوجود نفسه ناطق . هو هكذا من يوم أن خلقه الله . برق جيل ورعد منذر وسحاب ممطر وصواعق مهلكة في هذه الأربعة حياة وموت وانذار وحجة وأخوف ورجاء . الرعد والصاعقة خوف اهلاك والبرق والمطر رجاء وحياة . إن هذه الحياة كلها ترجع في مجموعها إلى لذة وألم وغنى وفقير وعلم وجهل وكبر وصغر ورجاء وخوف وعزّ وذلل وبالجملة محبوب ومكروه . وهذه كلها يعبر عنها البرق للأول والرعد للثاني . هذه هي أحوال الحياة . ومعلوم أن الحياة ضدها الموت فالحياة كالسحاب ومطره والموت كالصاعقة . فهذه الموجودات الأربع لسان هذا الوجود نطقت بما تضمنه

### ﴿ انذار الرعد للمسلمين ﴾

يظهر البرق في أكناف السماء كل حين والمسلمون ينظرون كما ينظره أهل الأرض . البرق جيل وبهيج . البرق يذكر بحال هذه الدنيا وبهجتها وحسنها ونظامها وبهاؤها . يحدث البرق للمسلمين حديثا عن ربهم أنه كامل وجيل ونور السموات والأرض وما أمره إلا كلح البصر أو البرق الذي يظهر في جزء من ألف ألف من الثانية ولذلك ترى الأشجار في البرق ساكنة في حال الاعصار لأن البرق في جزء صغير جدا فأعرض متأخروهم عن هذا الجمال مع أن البرق بهيج وجيل يكاد يأخذ بالألباب ويأخذ بالابصار فلما أعرضوا أسمعهم الرعد كما أسمع غيرهم والرعد صوت الانذار الكامن في هذا الوجود . ولقد ظهر ذلك الكامن في مقذوفات المدافع القاصفة كالرعد المرمى بها من الطيارات التي اخترعها الناس في عصرنا فأهلك الحرت والنسل . الرعد قد أشبهته الآلات الحربية الحديثة التي ظهرت في الحرب العامة من سنة ١٩١٤ إلى سنة ١٩١٨ هذه هي الرعود التي كانت كامنة في الطبيعة والرعد يعبر عنها بزجرته فكأن الرعد يقول للمسلمين إن لم تدركوا علوم هذه الدنيا الجميلة البديعة التي تظهر لكم وقتا بعد وقت في آيات الوحي البارقة لكم بالبهجة التي أفادتكم أن كل شيء يسبح وأن الرعد يسبح بحمد ربه فاستعدوا لغضب الله الدال عليه بزجرة الرعد



أيها المسلمون إما حياة بالعلم الجليل الذي ينم عنه البرق الذي هو نور الكهرباء السارية في هذا الوجود وأما موت بالجهل الذي يعبر عنه الرعد والصاعقة . وهذا التفسير آخر انذار للمسلمين والمسؤول عن أمم الاسلام هم الأذكياء لاسيما من يعقلون هذا التفسير وأمثاله في بلاد الاسلام . هذا من سرّ تسمية السورة بالرعد إن الله تعالى قد اتجهت عنايته لنا فقال انه يرينا البرق فعلينا أن نراه ونفكر فيه هو وبامعه

(١) الانسان له قوى ﴿ ثلاث ﴾ فالعاقلة كالبرق والغضبية كالرعد والحيوانية كالسحاب  
(٢) البرق مظهر من مظاهر الكهرباء والكهرباء قد تدخلت في عموم الماء والهواء والأرض وكذا الحرارة وهناك ما هو أقلّ لطافة من الكهرباء وهو الهواء فتدخله أقلّ وشموله أضعف فهو يتدخل في الماء بدليل أن السمك يتنفس منه بما خالط منه الماء . ثم الماء تدخله أقلّ فهو يتدخل في الطين . فالقاعدة أن كل لطيف يكون أعمّ وأشمل لما تحته ويحيط به فالكهرباء والضوء يحيطان بما تحتهما والهواء يحيط بالماء والماء يحيط بالأرض والله فوق الكهرباء وفوق ما تحتهما فهو بكل شيء محيط

(٣) الدول لا يتم نظامها إلا بجيوش جارية يمثل لها بالرعد وعلوم وعلماء وأمراء ونواب يمثل لها بالبرق ألا ترى أن المجالس النيابية ومجالس الماوك ورجال العلم أشبه بالبرق اللامع وإن كانت الحرب قائمة على ساقها  
(٤) البرق في علم الأخلاق كاللّين والرعد كالشدّة فهو ذو بطش شديد وما قبله باسم الثغر جيل الطلعة

﴿ الجوهرة الثانية في قوله تعالى - لكل أجل كتاب - ﴾

اعلم أن جميع الأشياء محدّدة آجالها وأحوالها ولكنّها في ظواهرها مشكلة غير منتظمة لأحوال وعوارض تطرأ عليها ومن ذلك أعمار الحيوان . إن أعمارها غير واضحة من حيث نهاياتها لعوارض التي تعرض لها كما في أحوال الانسان ولكن نذكر طرفا منها على مقتضى ما ذكره (اللورد أفبري) في كتابه ﴿ مسرات الحياة ﴾ وإن كان هو نفسه يقول ان ذلك لم يخرج عن حدّ التقريب

الحيوان	عدد السنين	الحيوان	عدد السنين
الارنب	١٠	الخيل	٣٠
الغنم	من ١٠ الى ١٢	الفيل	١٠٠
الكلاب	من ١٠ الى ١٢	البغاء	١٠٠
الخنزير	٢٠	الغراب	أكثر من مائة

ويقول (همبولث) ان ببغاء كان يتكلم ولا يفهم كلامه لأنه كان بلسان قبيلة هندية منقرضة عن بكرة أبيها . ويقول ان نوعا من السمك يقال له (البنيّ) سريع النمو يعيش (١٥٠) عاما وأن سمكة من نوع الكراكي طولها (١٩) قدما وزنتها (٣٥٠) رطلا انكليزيا وجدت في (سوابيا) عام ١٤٩٧ حاملة خاتما منقوشا عليه هذه العبارة ﴿ أنا أوّل سمكة ألقاها بيده في هذه البحيرة حاكم العالم (فردريك الثاني) في الخامس من اكتوبر سنة ١٢٣٠ إذن تكون هذه السمكة عمرها ٢٦٧ سنة والزحافات طويلة الأعمار وقال (غونتر) ان بعض السلاحف عاش ١٥٠ عاما وبعض السلاحف قدروها باعتبار عمرها فكان ذلك (٥٠٠) عاما . وقال (أرسطاطاليس) ان ملكة النحل تعيش (٧) سنين . ويقول (اللورد أفبري) والعلم لا يؤيد هذا أن ملكة النحل قد عاشت عند اللورد أفبري (١٥) سنة

﴿ لطيفة ﴾

في سنة ١٩٢٦ نشر محل (رودلف موس) في برلين الأجزاء الأولى من مؤلف غريب في بابيه اسمه ﴿ في عالم الأرقام ﴾ وقد ذكر فيه أن عدد الذين تجاوزوا السبعين من العمر في ألمانيا سنة ١٩١٠ ميلادية

(٩٧٣) ألفا من الرجال ومليون (٤٠٠) ألف امرأة • والذين يعمرّون أكثر من سواهم هكذا على الترتيب الآتي

رجال الدين • رجال البساتين • الزراع • الصيادون • النجارون • الغزالون • الخياطون  
الأطباء • الجزارون • الشحاذون

ثم قال إن مقابل كل مائة وفاة من رجال الدين مع مراعاة النسبة والعدد بطبيعة الحال يموت (١١٤) من الزراع و١٤٣ من صيادي السمك و١٤٨ من الخبازين و١٨٩ من الخياطين و٢٠٢ من الأطباء و٢١١ من الجزارين و٣٣٨ من الشحاذين • وبما يناسب هذا المقام ما ذكره هو أيضاً أن عدد النساء يزيد في أوروبا على عدد الرجال كنسبة ٥ الى ٤ وفي آسيا بنسبة أقل فكل ١٠٠٠ رجل يقابلهم ٩٧٣ وفي أفريقيا ٩٦٨ امرأة فقط في مقابلة ألف رجل وفي استراليا أقل جداً اهـ

﴿ فائدة طبية للصحة ﴾

يقول العالم الياباني (فوكيسافا) وصايا للناس كي يعمرّوا طويلاً

- (١) امتنع عن شرب الشاي والقهوة والمسكر ولا تدخن
- (٢) اشرب كل يوم ثمانية أقداح من الماء المقطر الصافي
- (٣) خذ في الاسبوع مرتين حماماً بالماء الفاتر
- (٤) اغسل أسنانك وفكك أربع مرات في اليوم (أقول عندنا في الاسلام ربما كان أكثر)
- (٥) لا تغضب
- (٦) لا تتأثر
- (٧) لاتأكل ما كولات مالحه
- (٨) نم مبكراً واستيقظ مبكراً

هذا ما نقل عنه • أما أنا فأقول لك من أهمّ ما جربته في حياتي للصحة مضغ الطعام جيداً مع المحافظة على ذلك وأن تسير في الهواء النقي كل يوم زمناً طويلاً مع الرياضة وأن تغتسل كل يوم وأن لاتأكل ليلاً البتة فان لم تقدر فليكن الطعام خفيفاً جداً هنالك تكون الصحة التامة • انتهى تفسير سورة الرعد



## ﴿ تفسير سورة ابراهيم عليه السلام ﴾

﴿ هذه السورة مكية سوى آيتين وهما قوله تعالى - ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا -

الى آخر الآيتين وهي ٥٢ آية وأقسامها ثلاثة ﴾

﴿ القسم الأول ﴾ في قصص الأنبياء الذين أرسلوا لأمتهم تبياناً لقوله في السورة قبلها - وانما أرسلنا

رسلاً من قبلك الخ - وفي محاورات بينهم وبين أمتهم الى قوله - ومن وراءه عذاب غليظ -

﴿ القسم الثاني ﴾ في عاقبة المكذبين من قوله - مثل الذين كفروا بربهم - الى قوله - إن الانسان

لظالم كفار -

﴿ القسم الثالث ﴾ في دعاء ابراهيم من قوله - واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلداً آمناً - الى آخر السورة

### ( الْقِسْمُ الْأَوَّلُ )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

الر \* كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى

صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ \* اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ

عَذَابٍ شَدِيدٍ \* الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا

عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ \* وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ

اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ \* وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ

أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِآيَامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ

شَكُورٍ \* وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِذْ كُنتُمْ رُكُوعًا لِلْآلَةِ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ

يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِنْ

رَبِّكُمْ عَظِيمٌ \* وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي

لَشَدِيدٌ \* وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ \*

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُوءُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا

اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ

وَإِنَّا لَنِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ \* قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا

بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ \* قَالَتْ لَهُمْ

رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ \* وَمَا لَنَا إِلَّا أَنْتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ \* وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ \* وَلَتُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ \* وَأَسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ \* مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ \* يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ \*

### (التفسير اللفظي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(الر) تقدم في آل عمران وستره في جواهر ابراهيم. هذا (كتاب) والمراد به السورة (أنزلناه اليك لتخرج الناس) بدعائك إياهم (من الظلمات الى النور) أي من الضلالة الى الهدى (بإذن ربهم) بتيسيره والاذن في الأصل تسهيل الحجاب فاستعير لما يمنحون من التوفيق ثم أبدل من الى النور قوله سبحانه (الى صراط العزيز) الغالب بالانتقام (الحديد) الذي يحمده على انعامه (الله) بالجبر عطف بيان للعزيز وبالرفع مبتدأ خبره ما بعده (الذي له ما في السموات وما في الأرض) وهذه الجملة الجميلة قد كررت في القرآن في كل سورة وكل قصة للدلالة على أن مقصود هذا الدين أن يخرج في العالم قوم نجباء حكماء رابيون فضلاء. نعم سيكون ذلك وسيكون من هذه الأمة بعد ما استبان في كتب المسلمين المعاصرين لنا أمثال ما نبينه في هذا التفسير من عجائب السموات والأرض وبدائعها وكيف كان القرآن يبحث على كل عجيبة وغريبة. واذ جاء في سورة يوسف - وكأين من آية في السموات والأرض الخ - ثم جاء في سورة الرعد بما يوضح بعض مطالبها جاء هنا ذكر السموات والأرض مرة أخرى تذكيرا لما بيناه في سورة الرعد واستبصارا لما ذكرناه وتشويقا لما خلقه في الأرض والسموات. فيا عجباً لأمتنا الاسلامية يكرر على أسماعهم صباحا ومساء في كل مناسبة وفي كل حالة - الذي خلق السموات والأرض - وكثير منهم يظنون أن مجرد الايمان يكفي ولو كان ذلك كافيا لكان ذكر الخبز وسماحه عند الجوع كافيا في الشبع فوالله لم يكرر هذه الجملة رب السموات والأرض بلا سبب بل جعلها تذكيرا وترغيبا وتشويقا الى صنعة الحكيم الخبير - الله الذي له ما في السموات وما في الأرض - وتعجب كيف أتى بعدها بقوله (وويل للكافرين) الذين غفلوا عن السموات والأرض وبدائعها وهم مخلوقون بينهما وكيف يسلّمون من العذاب وهم أتوا الى الأرض وراحوا منها صفر اليدين فتركوا عقولهم وشغلوا بالامور المحسوسة التي فطروا عليها لقصد حياتهم وحياتهم انما جئ بها لكالهم فغفلوا عن الكمال ومالوا الى الوقوف عند حد المألوف فحبسوا في سجن الشهوات الى الممات فويل لهم (من عذاب شديد) معد لهم في الآخرة بل ما أشد عذابهم في الدنيا حينما يسمعون أن قوما أعطوا علما وهم منه براء قد حبسوا عنه وتحسروا عليه وهم غافلون \* والويل ضد الوأل وهو النجاة أي هلاكهم مبتدأ وخبر. ولما كان



هؤلاء المنجوسون في سجن الأنفس عن جمال السموات والأرض قد حصروا عقولهم في هذه الحياة أخذوا يصدون غيرهم عن معرفة الحقائق السماوية والأرضية وعن الإيمان ليكونوا مثلهم لأن النفس تحب أن يكثر أمثالها لذلك وصف الله الكافرين بقوله (الذين يستحبون) يختارون ويؤثرون (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها) يطلبون لسبيل الله (عوجا) زيفا واعوجاجا والأصل يبغون لها خذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير (أولئك في ضلال بعيد) فهؤلاء ضلوا عن الحق وذهبوا عنه بمراحل وليس الضلال هو الذي يبعد وإنما البعد لنفس الضال فوصف الضلال بالبعد مبالغة لما بينهما من الملابسة (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) بلغة قومه الذين نشأ بينهم (ليبين لهم) ما أمروا به فيفقهوه بسهولة وسرعة فاذا كان الرسول مرسلًا لقومه خاصة فلامراء في ذلك فأما اذا كان دينه عاما كنبينا ﷺ فهناك مجال الترجمة والنقل وذلك داع الى الاجتهاد والسكد وذلك فيه ترقية لنوع الانسان فارتقاء العقول على حسب الاطلاع واعمال الفكر واستقامة الأعمال أي وهذا الكتاب أنزل بلغة العرب وهو يتلى عليهم فأى عذر لهم ان لم يفقهوه وما الذي صدّهم أن يدرسوا ما ذرأ الله في الأرض والسموات حتى يعرفوا صدق آياته انهم ﴿فريقان﴾ فريق هداه الله وفريق حقت عليه الضلالة وان كان القرآن بلسانهم جميعا فلذلك قال تعالى (فيضل الله من يشاء) فيخذله عن الإيمان (ويهدي من يشاء) بالتوفيق (وهو العزيز) فلا يغلب مشيئته غالب (الحكيم) الذي لا يضل ولا يهدي إلا على مقتضى الحكمة والنظام • ولما كان سيدنا محمد ﷺ قد أرسل لأخراج الناس من الظلمات الى النور ذكر الله قصة موسى مختصرة وفيها نص ماجاء في أول السورة ليأنس الناس بقصص الأنبياء وأن الله لم يترك أمة من الأمم إلا وأرسل لها هداة يهدونها وهذا موسى قال الله فيه (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) كاليد والعصا (أن أخرج قومك من الظلمات الى النور) أن تفسيرية بمعنى أى لأن في أرسل معنى القول (وذكرهم بأيام الله) بوقائعه في الأمم السابقة \* يقال فلان عالم بأيام العرب أى بوقائهم فما من أمة إلا ولها وقائع تشمل النعمة والنقمة فالنعمة للمؤمنين منهم والنقمة للكافرين ومنها وقائع بني اسرائيل أنفسهم فانهم ابتلوا بالاستعباد نقمة وبالنجاة من فرعون وقومه نعمة فيرجع الأمر الى الترغيب والترهيب (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى ان في وقائع الأمم الماضية وحوادثها وما أنعم الله به عليهم من السراء بعد ما أصابهم به من الضراء لآيات لكل من يصبرون على البلاء ويشكرون على النعماء فهؤلاء متى عرفوا ما أصاب من قباهم من الكوارث وكيف صبر قوم فنالوا أعلى الدرجات ولم يصبر آخرون فنزلوا في أدنى الدرجات اعتبروا وقاسوا ما حلّ بأنفسهم على ما حلّ بمن قباهم وجاهدوا في الحياة والعلم جهادهم واذن ينالون مثل ما نالوا • فأما ماسوى الصابرين الشاكرين على النعم الذين يصرون كل ما أنعم الله به عليهم فيما خلّوا لأجله فانهم لا ينتفعون بذلك • إن الانسان في الحياة بين صبر وشكر أبدا فهو إما في مكروه وأما في محبوب فان صبر على الأول وانتزعة الفرصة بالثاني وصرفها فيما خلقت له فذلك هو الذي اعتبر بالقرون الخالية والأمم الماضية ولاسعادة بغير الصبر والشكر ومن الشكر صرف الخواص فيما خلقت له وتدم ضياعها سدى ومنه انتهاز فرص الحياة فلا يمر وقت على الانسان بلا عمل إن الوقت ذهب ومتى ضاع من حياتنا لحظة بلا عمل أسديناه ولا علم حررناه ولا بناء أقمناه ولا مجد بنيناه فقد كفرنا النعمة وأضعنا الفرصة ولم نعتبر بالأجيال البائدة والأمم الغابرة • إن الحياة لنا فرصة عظيمة فلنشكرن الله والشكر صرف كل ما أعطيناه فيما خلق له فليخف كل امرئ من ضياع حياته بلا عمل يليق به وليخف من ندم أبدي وحرن سرمدى على وقت يضيع وعذاب مرير

ولما سمع موسى أمر ربه امتثله وأخذ يذكر قومه بأيام الله فقال الله (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون) أى اذكروا نعمة الله وقت انجائه إياكم الخ فاذا متعلق بنعمة

وقوله سبحانه (يسومونكم سوء العذاب) يعذبونكم بأشد العذاب كما تقدم في سورة يونس مما قلناه عن اللغة (الهيروغليفيه) والآثار المنقولة عنهم يقيناً من الضرب والاذلال (ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) هذه أحوال من آل فرعون (وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم) أي ابتلاء وهذا يوم من أيام الله معكم ففيه نعمة التعذيب وغيره وفيه نعمة الانجاء ولذلك أعقبه بما هو كالنتيجة له فقال (واذ تأذن ربكم) أي آذن كتوعد وأوعد وهو من كلام موسى أي واذكروا يا بني إسرائيل حين أعلم ربكم فقال (لئن شكرتم) يا بني إسرائيل ماخولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من نعمي كالسمع والبصر والسماء والأرض وما فيهما بالعلم بما فيهما والعمل الصالح كالصلاة والطاعات (لأزيدنكم) فإنه ثبت عقلاً وعلماً أن العضو الذي يناط به عمل كلما مرن عليه ازداد قوة على قوة وكلما عظمتاه عن العمل ضمير وانحل وضعف . هكذا جميع النعم ان استعملت فيما خلقت له بقيت وان أهملت ذهبت وهذا قوله تعالى هنا . لئن شكرتم لأزيدنكم . (ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) بحرمانكم من النعم وسلبكم المواهب وثمراتها في الدنيا والآخرة فتعذبون في الدنيا بزوال النعم وفي الآخرة بجهنم وبئس القرار على أن الله لم يطلب الشكر من العباد لمصلحة ولا لتسخير واذلال بل أمر بذلك رحمة منه فمن لم يقبل طبعه ما أهدي من النعم فالله غني عنه مستحق للحمد في ذاته تنطق بحمده الذرات في جميع المخلوقات وهذا قوله تعالى (وقال موسى إن تكفروا إلى قوله (غنى جيد) ولما ذكرهم موسى بنعمة الانجاء من آل فرعون وحذرهم من عاقبة كفر النعم أخذ يذكرهم بأيام الله فيمن قبلهم من الأمم السابقة والأجيال البائدة بطريق عجيب وأسلوب بديع ونظام طلي ومقال جلي فذكر القول اجاليا وأوضح المحاورة ايضاحاً حسناً بهياً إذ أرسل موسى عليه السلام القول كالمحاورة بين الأمم والأنبياء على النهج العام في هذا المقام فذكر أن قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من أمم جلت عن الاحصاء . غاب عن الناس علمها وعند الله احصاؤها (جاءتهم رسلهم بالبينات) كما جاء نبينا ﷺ بها وتليت على الناس ليعتبروا (فردوا أيديهم في أفواههم) أي عضوها غيظاً مما جاءت به الرسل كما حصل من العرب للنبي ﷺ وغابهم الحقد والحسد والغضب فنطقوا بما تكن قلوبهم (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به) بزعمكم وزادوا ذلك تأكيداً فقالوا (وانا اني شك مما تدعوننا اليه مريب) موقع في الريبة وهي قلق النفس فرد الرسل عليهم وقالوا (أفي الله شك) همزة الانكار دخلت على الجار والمجرور لأن المقام مقام المشكوك فيه أي انما ندعوكم الى الله وهل هو محتمل الشك ووصفه بما هو برهان وهو عين البرهان المذكور في أول السورة فهناك يقول . الى صراط العزيز الحكيم الله الذي له مافي السموات ومافي الأرض . وهنا في محاورات الأنبياء جاء بنفس الوصف فقال واصفاً الله (فاطر السموات والأرض) فالعبارة متحدة عند الأنبياء في كلام موسى وعند صاحب شرعنا ﷺ وكل نبي منهم جعل مطمح نظره توجه النفوس الى عالم السموات والأرض فأولاً يؤمنون ثم بعد ذلك يزدادون بقبول النعمة التي في السموات والأرض والانزال بهم العذاب ثم قال (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) لأنهم ملوثون بالجهالة والمعاصي فعبر الله بمن هنا وفي كل موضع ذكر فيه مغفرة الذنوب للكافرين لأنه يخاطبهم في أمر الايمان وحده فأما المؤمنون فان مغفرة ذنوبهم موجهة الى المعاصي فلذلك قيل لهم . هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم . الى قوله . يغفر لكم ذنوبكم . وهكذا كثير من الآيات في التسمين وعطف عليه قوله (ويؤخركم الى أجل مسمى) آخر أعماركم فرد الأمم على الأنبياء (قالوا إن أقم إلا بشر مثلك) لافضل لكم علينا فلم اختصاصهم بالنبوة دوننا وذلك كما حصل للنبي ﷺ فانهم قالوا . لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم . يريدون أن النبوة يجب أن تكون تبع الثروة والغنى فكيف عكس الأمر هنا . ثم اقترحت الأمم على الأنبياء ما اقترحه العرب على نبينا ﷺ كما تقدم في سورة الرعد وهذه السورة جاءت لاتمام هذا المقام وغيره كما جاءت سورة الرعد وأتمت مقام العجائب السماوية



والأرضية على مقتضى الحال وهذا قوله ( تريدون أن تصدقونا عما كان يعبد آباؤنا ) ولا حجة لكم عليه وليس يجوز في العقل أن نترك أمرا بدون أن نتحقق خطئه ( فأتونا بسلطان مبين ) على صحة ما تدعون من النبوة فأما ذكر السموات والأرض وعجائبهما فلسنا نحفل بها وإنما القاهر القادر هو الذي يخرق النواميس ويغير النظام ويأتى بخوارق العادات . فأما المجائب الأرضية والسماوية فلسنا نعقلها وأن سائر البشر ليخضعون لمن يأتى اليهم بما هو خارج عن طور معتادهم فيعظمونه ويجلونه وهذه المشاهدات المحسوسات لا نرى فيها شيئا خارقا للعادة فلا إيمان ولا تسليم إلا بما فوق طاقتنا كقلب العصا حية ونقل الجبال مثلا وما أشبه ذلك فأما السموات والأرض فذلك أمر لا يعطى دليلا ولا يغنى قتيلا ولا قطميرا وأن طباع جهلة الناس تحملهم على الخضوع للذين يفعلون كل ما خالف العادات ولو بطريق التمويه فردت عليهم رسلهم مسامحين أنهم بشر مثلهم ولكن الله من عليهم . فأما الآيات المقترحات التي تقترحونها فلا تكون إلا باذن الله وعلى المؤمن أن يتوكل على الله ويفوض إليه أمره ونحن أول المؤمنين في أمننا وكيف لا نتوكل على الله وقد هدانا إلى سبل المعرفة ومن أنعم الله عليه بنعمة فليشكر الله عليها بالعمل بها وليصبر على ما يصيبه في سبيلها كما تدل عليه وقائع الله وأيامه في الأمم . وإذا كنا نحن هداة الأمم فلنصبر على ايذائكم ولنشكرن على الهداية فندعوكم لله وهو شكر لنعمة الهداية كما نصبر على إذاكم وهذا عين ما جاء في أول السورة - وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور - فههنا تجلى الصبر وتجلى الشكر على لسان الأنبياء أنفسهم فشكروا الله لهدايته الناس وصبروا على أذاهم وهذا هو الكمال الذي جاء في القرآن لنا معاشر المسامحين فلم تنزل هذه السورة إلا لنا . فمن عنده مال أو علم أو نعمة فلينفع بها الناس كالنهر يسقي الزرع والشمس تضيء وليصبر على أذى الناس في جهادهم كما نرى الناس يغفلون عن ذكر أكثر النعم التي حولهم فهكذا الأنبياء أرسلوا لأمتهم ولم يبالوا بايذائهم لأن الهداية خلقوا ليعملوا ولم يطلب منهم أكثر من ذلك فهم هداة بطباعهم ولذاتهم في قلوبهم ومنهم تقل إلى الناس وهذا قوله تعالى ( قالت لهم رسلهم إن ) ما ( نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله إلى قوله ( ومالنا ) أي وأي عذر لنا في ( أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ) أي طرق المعارف والعلوم التي نعرفه بها ( ولنصبرن على ما آذيتونا ) جواب لقسم محذوف أي والله لنصبرن ( وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) أي فليثبت المتوكلون على ما اتصفوا به من التوكل فلما أجاب الرسل بذلك هددتهم الأمم بالقوة بعد الجدل وأنذروهم بالخراج من أرضهم وهو بعينه ما حصل لنبينا ﷺ بعد نزول هذه السورة إذ أخرج من مكة فأوحى الله اليهم بهلاك الظالمين وأن الأنبياء وتابعيهم يرثونهم فيسكنون الأرض من بعدهم واستنصر الأنبياء ربهم فنصرهم وأفلح المؤمنون وخاب كل عات متكبر وهذا أيضا عين ما حصل لنبينا محمد ﷺ فإنه أخرج إلى المدينة ونصر في غزوة بدر وخاب كل عات متكبر من قومه . ثم وصف عذاب هؤلاء بعد الموت بعد ما وصف هلاكهم في الدنيا فأفاد أنهم يدخلون جهنم ويسقون فيها ما يسيل من الجلد واللحم من القيح ويتحساه ذلك المتكبر مرة بعد مرة لحرارته وفتنه ولا يقدر على ابتلاعه وتحيط به أسباب الموت من كل مكان وما هو بميت وله عذاب غليظ غير ذلك وهذا قوله تعالى ( وقال الذين كفروا ) إلى قوله - غليظ - ثم قال ( فأوحى إليهم ربهم ) أي قائلا ( لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ) تفسيره ظاهر ( ذلك ) أي الموحى به ( لمن خاف مقامى ) موقفي وهو موقف الحساب ( وخاف وعيد ) أي عذابي ( واستفتحوا ) استنصروا الله على أعدائهم معطوف على - فأوحى إليهم - ( وخاب كل جبار عنيد ) أي وخسر كل عات متكبر ( من ورأه جهنم ويسقى من ماء صديد ) عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار وهو القيح فهو شراب أهل النار ( يتجرعه ) يتكلف جرعه وهو صفة الماء أي يشربه جرعة بعد جرعة ( ولا يكاد يسيغه ) أي ولا يقارب أن يسيغه بل يغص به فيطول عذابه \* يقال ساغ الشراب جاز على الخلق بسهولة وإذا لم يقارب أن يسيغه

فكيف يسبغه (ويأتيه الموت الخ) أى أسبابه (وما هو بميت) فيستريح (ومن ورائه) أى من بين يديه (عذاب غليظ) أى يستقبل فى كل وقت عذاباً أشد مما هو عليه اه التفسير اللفظى

﴿ جوهره فى قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور - ﴾

اعلم أن كلام الله عز وجل سيد الكلام وإذا كنا نجد الأمم اليوم إذا سمعت قول وزير أو ملك فى خطبة موجزة لا تبلغ بضعة أسطر تهتز الأسلاك البرقية (التلغرافات) والمسرات (التلفونات) وتصدر الجرائد والمجلات فى العالم كله بشرح ذلك وتفهيمة بحيث يكتب على الجلة الواحدة ما لا يحصر باللغات المختلفة فى الشرق والغرب فربما بلغ ذلك حل بعير لوجعه الناس أو أكثر فما بالك بقول الله الذى هو ملك الملوك

﴿ حكاية ﴾

اطلع أحد الفضلاء على ما جاء فى هذا التفسير فى قوله تعالى - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - فرأى أنه ربما يصل الى (١٥) صفحة فقال هذا كثير . فقلت أتدرى كلام من هذا . هذا كلام الملك (فادرك) . قال صدقت فهذا أنا الآن أبين منزلة هذه الجلة من السورة التى نحن بصدد الكلام عليها وانها هى المقصودة منها ثم أقفى بتيان وجيز لما كان من حوادث الدهر وأفعال الله عز وجل بالأمم الإسلامية المتأخرة ونحوها ثم أذكر أن العلماء بعدنا عليهم أن يتهجوا هذا النهج أى أنهم يؤلفون كتباً ورسائل يفهمون المسلمين بها أيام الله وأن هذا هو من أخص ما فى دين الاسلام والعناية به أفضل من العناية بعلم الفقه مع فضله ونفعه العميم

﴿ منزلة هذه الجلة من السورة كلها ﴾

لله در العلم وما أجل الحكمة وأبدع البيان والبلاغة . ابتدأ الله السورة (١) بأنه أنزل هذا القرآن ليخرج الناس من الظلمات الى النور (٢) وثنى بأن كل رسول يعلم بلسان قومه (٣) وأبان أن موسى قبلك يا محمد جاء ليخرج قومه من الظلمات الى النور (٤) وكأنه هنا قيل . بماذا أخرج موسى قومه من الظلمات الى النور حتى يخرج محمد أمته من الظلمات الى النور بالطريق الذى سلكها موسى فقال - وذكرهم بأيام الله - وهذا بيت القصيد فى السورة فحدث الله ووقائعه فى الأمم ونعمه وبلاؤه بتذكرها يخرج الناس من الظلمات الى النور ﴿ خطة موسى فى التذكير بأيام الله ﴾ (٥) ذكرهم بنجاتهم من فرعون (٦) وبأن الشكر يجلب المزيد والكفر يورث العذاب (٧) وذكر لهم وقائع الأمم السالفة (٨) وهلاك الكفار منهم وحسن العاقبة لأنبيائهم بعد صبرهم على التبليغ والايذاء (٩) كل امرئ مسؤول عن نفسه فالضعفاء مسؤولون وإن زين لهم الشيطان أعمالهم وغرهم الرؤساء (١٠) وقصارى الأمر وحجاده أن الحكمة اذا بدى بها فى أمة عمت فهى كشجرة أصلها فى العقول وفرعها فى الأمم جيلاً بعد جيل وهذا الاجال تفصيله فى ذكر خلق السموات والأرض وانزال المطر واخراج الثمرات وجرى السفن وجرى الأنهار والشمس والقمر وما فوق ذلك من نعم لا تحصى . هذا هو أهم أيام الله وما تقدم مقدمات له فهو أعظم التذكير بتلك الآيات . وختم السورة بدعاء ابراهيم ألا يكون أبناؤه مقلدين جامدين وعبر عن هذا بعبادة الأصنام وختم السورة بما ابتدأها وهو انه بهذا يذكر أولو الألباب يقول سبحانه أولاً ذكرهم بأيام الله ويختم القول بأن هذا القول فى هذه السورة كفاية للناس أى ان الموعظة بحوادث الأمم كاف لارتقاء الشعوب اذا تذكروه وعقلوه فبدأ بالتذكير وختم بها . إذن المقصود من السورة كلها هذا البلاغ وهو التذكير بأيام الله

﴿ كيف نذكر الناس اليوم بأيام الله ﴾

اعلم أن هذه السورة وحدها كافية لارشاد الأمم الإسلامية على شريطة أن تكون لنا عقول وأفهام حتى



نعلم الأمم الإسلامية . ألا وإن هذه جملة واحدة كافية لسعادة الأمم الإسلامية فوالله لو لم يكن هناك قرآن غيرها لكفت وهذا هو قوله - بلاغ - فهذه الجملة وتوابعها كافية لاسعادنا اذا كنا عاقلين فبشرحها وتذكر الناس بما حولنا وما سبق لنا نتقد أئمتنا من الهلاك . فأما قراءة القرآن واعرابه والصلاة به وكثرة الثمرة بأن القرآن بليغ أوفصيح فالإقتصار عليه صفة العاجزين فوالله ما نزل القرآن إلّا لما هو أرقى من البلاغة والفصاحة التي صارت مشهورة لا كتبها الألسن وأنستها الطباع فانهجم على المقصود من القرآن ونقول . أنظر كيف قال أن كل رسول مرسل بلسان قومه . لماذا ذكر هذه هنا وأتبعه بقوله - ليبين لهم - وأي مناسبة لها بهذا المقام فاعلم أنه أوردتها هنا ليفهمنا أنه ليس المدار على مجرد النول بل المدار على البيان والتفهم . فإذا كان الرسل جاؤا بلسان قومهم فهذا معناه أن المدار على ما يؤثر في العقول ومن ذلك حوادث الأمم وأيام الله فإذا ذكر موسى بنى إسرائيل بما وقع لهم وللاهم قبلهم فليذكر علماء الاسلام وحكامه ورعاظه الأمم الإسلامية بالوقائع التي هي أقرب أنرا وأشدّ وقعا . فإذا قال موسى لقومه أنتم خلصتم من ذل فرعون ونجوتهم فاذكروا هذه النعمة فإن لم تشكروها عذبتم فليس معناه أن عالم الاسلام يقول هذا القول حين يفسر للمسلمين . كلام كاد . عالم الاسلام الذي يقوم بنشر الدين يصطفي من الحوادث ما يؤثر في عقول الأمة حاذيا في ذلك حذو موسى عليه السلام إذ اصطفى ما يناسب قومه وذلك إنما أخذناه من قوله تعالى - وما أرسلنا من رسول إلّا بلسان قومه ليبين لهم - فالمدار على البيان الذي يعقله القوم فالقرآن نزل للنسج على منواله وتذكر الناس بما يناسب عقولهم . هذه هي عجائب القرآن التي يعجز عنها الفصحاء والبلغاء والحكماء . كلام عام مملوء حكما وغرائب

### ﴿ هذا تذكري للمسلمين ﴾

هاأنذا أبدأ بتذكيري للمسلمين (١) ذل الأمم العربية قبل ظهور الاسلام (٢) عزّهم باتباع الاسلام واجتماع كلمتهم (٣) فتحهم بلاد الله شرقا وغربا (٤) انتشار اللغة العربية التي صارت أداة التفهم بين أمم في الشرق والغرب (٥) ترجمة العلوم ونبوغهم فيها (٦) انحطاط العلم في بلاد الاسلام بعد ارتفاع شأنه (٧) اضطهاد العلماء بنظام هذا الوجود الذي هو أهم أيام الله في السورة كنظام الملك والطبيعة وأخصهم ابن رشد (٨) انتقال العلم بعد أن هجره المسلمون على يد تلاميذ ابن رشد الى أوروبا (٩) تفوق الاوروبيين على المسلمين فيها اليوم (١٠) اضمحلال الدولة العباسية في الشرق والأموية في الأندلس ثم هلاك المسلمين وطردهم من أوروبا وهلاك الأمم الجاهلة كأهل أمريكا الأصليين وأهل استراليا الأولين . كل ذلك لأنهم لم يستيقظوا من الغفلات . هذه هي الذكريات التي سأذكرها للاهم الإسلامية اجمالا ليعلموا مستقبلهم ويقيسوا المستقبل على الماضي اقتداء بموسى عليه السلام الذي قال الله لنبيه ﷺ فيه وفي أمثاله - فبهداهم اقتده - والنبي ﷺ الآن عند ربه وقد جاء في القرآن في سورة الأنفال وغيرها تذكري المسلمين بأيام الله في أحوالهم الخاصة كما فعل موسى عليه السلام . فموسى أخرج قومه من الظلمات الى النور بالكلام على فرعون ونجاتهم منه وهكذا ومحمد ﷺ ذكر الله على لسانه في سورة الأنفال ما يناسب المسلمين . أنظر ماهناك فقد ظهر (١٤) حادثة في وقعة بدر بينها الله كلها تذكريا للمسلمين فذكر البشارة بالملائكة وكيف غشيهم النعاس وقت الشدة وكيف نزل الماء لهم فقتلهم وكيف ثبتت الأقدام وهكذا مما تجده واضحا هناك في التفسير . فاعجب للقرآن كيف ذكر الله المسلمين بوقائعهم على لسان الرسول ﷺ وذكر بنى إسرائيل بوقائعهم وهذا من غرائب القرآن . أنا الآن أعتقد أنك ايها الذكي مقتنع . إني اذا ذكرت المسلمين اليوم فانما أذكرهم بما هو أحسن من الحوادث وأقرب لهم وذلك في كل زمان بحسبه . هذا هو دين الله

فلأشرح هذه الفصول على ترتيبها فأقول

### ﴿ الفصل الأول من أيام الأمم الإسلامية ﴾

لما وصلت الى هذا المقام اطلع عليه صديق مخلص عالم فقال

(س) إن هنا خطوة واسعة لم أجدها في هذا التفسير من قبل . إن ما أزمعت على تسطيره اليوم من الغرابة بمكان لأنك هنا ستجمع ملخص ماوصل الى العرب من العلم وأهم ما جاء في الكشف الحديث اجالا وما انتاب المسلمين من حوادث الدهر والقهر والجهل وسيكون هذا المقام حافلا بأمور شتى . فخذني هل هذا تقتضيه هذه الجملة - وذكرهم بأيام الله -

(ج) فقلت أرأيت لو سمع المسلم قارئنا يقرأ - إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقونا - وأخذ يكررها ألفي مرة كل صباح وكل مساء فهل يكون مصليا بهذا . قال كلا بل قارئنا فقط . قلت وهكذا في الزكاة والحج . قال نعم . قلت هكذا هنا فاذا سمعت هذه الآية فليس معناه انك تقرأها أو تفهم معناها أو تعرف بلاغتها فحسب فكل هذه صناعات لتعليم الصبيان كيف يفهمون ونحن الآن في مقام العلم والحكمة ومقاصد القرآن فاذا كانت الصلاة والزكاة غير الأمر بهما فهكذا التذكير للمسلمين غير الأمر به . وإذا كان المسلمون ألفوا للصلاة وللزكاة كتباً فأولى ثم أولى تذكير المسلمين بالوقائع التي حلت بساحتهم أو كانت قريبة منهم حتى يحترسوا مما وقع فيه أسلافهم كما سأفصله قريباً وما دام المسلم لا هيا عما حدث له في نفسه فانه لا يعتبر ولا يتذكر في أخلاقه ورفقه . هكذا الدولة اذا جهلت ما أحاط بها من النافع والضار والحوادث التي جرت عليها وعلى أسلافها فانه واقعة في الهلاك عاصية ربها معرضة للعذاب في الدنيا والآخرة وهناك يقال لها - يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها الخ -

(س) فقال كيف تقول ان التأليف في هذا أولى من التأليف للصلاة (ج) قلت ستعرف هذا من الحوادث التي مرت بالمسلمين وانهم بالاندلس بعد ما استقروا هناك وعاهدتهم المسيحيون على تأدية العبادات وحرّيتهم فيها غدروا بهم وألزموهم ترك الغسل من الجنابة وترك الصلاة فإذا أفاد المسلم من علم الصلاة وهو لا وافي له ولا حافظ يحفظ سلامته وأمنه في دياره . وهكذا ستري قريباً كيف كان جهل المسلمين أيام (قطب أرسلان) وهجوم التتار والمغول على المسلمين فقد كانوا جهلاء بقوة جيранهم فانتفضوا عليهم على غرّة وهم ساهون وهكذا بلادنا المصرية لما انقضّ عليها الفرنسيون في أوائل القرن الثالث عشر الهجري كانوا يجهلون قوة عدوهم ويفترون بأنفسهم بل كانوا يجهلون ما أمر به الدين الاسلامي من الحجر الصحي أيام الطاعون الذي ورد به الحديث والفرنسيون يأمرونهم به وهم لا يعلمون أنه في الحديث الشريف وفي أعمال عمر بن الخطاب وعدوه عملاً وحشياً . كل هذا استراه قريباً . فاذا ذكرنا المسلمين بمثل هذا فانهم يعرفون أن الدين الى الآن لم يدرس ولم يعرف إلا قشوره ويؤلفون في كل علم وفقّ فجهل قوة الدول وجهل الامور الصحية التي ورد بها الحديث مثلاً كالحجر الصحي . كل ذلك يذل الأمم فاذا تذكرناه احتسبنا أبنائنا من الوقوع فيه بعد الآن لاسيما أن هذه تعدّ في الاسلام من فروض الكفاية وفرض الكفاية قال جمع من العلماء ان ثوابه أفضل من فرض العين لعموم نفعه للناس قاطبة ولأن فرض العين ربما لا يتم إلا بكثير من فروض الكفايات فهو أشبه بالحارس لفرض العين وكيف تعيش في بيتك ان لم تكن آمناً لذلك يكون القول بفضل على فرض العين وجبها

(س) قال إذن ذكرني قبل أن تذكر المسلمين لأنني أول من اطلع عليه فليكن محاورة بيني وبينك حتى تألف النفوس وتأنس به العقول

(ج) فسل ما تريد

(س) فاذا ذكر الفصل الأول من الفصول التي تريدها وهو الكلام على ذل الأمم العربية قبل ظهور الاسلام



(ج) إن هذا المقام سهل المنال معلوم لقراء هذا التفسير إذ هم غالبا يعرفون أن العرب كانوا متفرقين شراذم مختلفين طرقا ومشارب كانت آلهتهم كما قال سديو الفرنسي بهائم ونباتات وغزلانا وخيلا وجالا ونحلا وأعشابا وأجساما معدنية لانظام لها وصخورا وأحجارا وأصناما كيكل اللات والعزى ونجوما كالدبران والشعري اليمانية وسهيل ومنهم يهود تعلموا من اليهود الذين حلوا بلادهم بعد أن طردهم اليونانيون والسريانيون وذلك في بعض بلاد الحجاز واليمن ومنهم براهمة في بلاد عمان ونصارى في غسان وفي العراق والبحرين ودومة الجندل وهكذا . ولا جرم أن تفرق العقائد والأخلاق يقبعه اضطراب السياسة ولذلك كانت بلادهم معرضة للأمم المحيطة بهم فكانت اليمن تغزوها الحبشة ولم تخلص منها إلا قبيل البعثة وغسان في الشام تتبع راية الروم والمناذرة في الحيرة وما والاها يتحكم فيهم الأكاسرة بالفرس كما قال الله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال -

(س) كفى هذا في الفصل الأول الذي هو كالمقدمة لما يجب الكلام فيه

(ج) فلنشرع في الفصل الثاني وهو اجتماع كلمتهم مع الفصل الثالث والرابع وهو فتحهم البلاد وانتشار لغتهم العربية . لقد فتح المسلمون البلاد ونشروا الدين ثم تقدمت الفتوحات وجاسوا خلال الشام والفرس الى نهر السند والى بحر قزوين وجميع شمال أفريقيا ومعظم جزيرة اسبانيا وهددوا فرنسا بالغارة عليها ولكن ردهم ملكها (كرلوس مرتيل) حين هجمت جيوش عبد الرحمن الأموي عليها وذلك في اقليم (لواره) وعظم ملكهم ونظام بلادهم حتى إنك لترى في كتاب (سديو) الفرنسي أنهم برعوا في الجغرافية التخطيطية وانهم لما امتدت مملكتهم من المحيط الاطلانتيقي الى تخوم مملكة الصين أنشؤا بالتدريج أربع طرق عظيمة تجارية توصل من مدينة (قادس) و (طنجة) الى أقصى آسيا (١) أحداها تخترق اسبانيا وأوروبا وبلاد (سلاوونه) الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد (تجزجر) كذا والثانية تخترق بلاد المغرب ووادي مصر ودمشق والكوفة وبغداد والبصرة والأهواز وكرمان والسند هند . والثالثة والرابعة تعبران البحر الأبيض المتوسط وتوجه أحدهما من الشام والخليج الفارسي والأخرى من الاسكندرية والبحر الأحمر للتوصل الى بحر الهند وساعدهم على ذلك علماءهم بالأزياج كمثل (البتاني) بالرة سنة ٩٠٠ ميلادية (وابن يونس) بالقاهرة سنة ١٠٠٠ وهكذا ابن حوقل والأصطخري والمسعودي حوالى نصف القرن العاشر الميلادى . وهكذا الكومى سنة ١٠٦٧ ميلادية فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون ما عند العرب من الآراء والمدنية واستفاضت الأخبار الجليلة فتشورت أذهان الملاحين وعرفتهم الأخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها اذا سافروا في ولايات غير معروفة معرفة تامة

فقال صاحبي كفى هذا في الفصل الثاني والثالث والرابع فقد حصلت صورة واضحة تبين الاجتماع والمدنية بعد الافتراق والهمجية في الأمم العربية خصوصا والاسلامية عموما وفتح البلاد وانتشار اللغة

﴿ الفصل الخامس في أمرين ترجمهم للعلوم ونبوغهم فيها ﴾

(ج) أما الترجمة فانها كانت في عهد العباسيين على (ثلاثة أدوار) الدور الأول من خلافة أبي جعفر المنصور الى وفاة هارون الرشيد من سنة ١٣٦ الى سنة ١٩٣ ومن المترجمين فيه يحيى بن البطريق وجورجيس بن جرنيل الطيب وعبد الله بن المقفع ويوحنا بن ماسويه وسلام الأبرش وباسيل المطران فترى المجسطي ترجمه الأول والثالث ترجم الكتب المنطقية لأرسطاطاليس وهكذا . والدور الثاني من ولاية المأمون سنة ١٩٨ الى سنة ٣٠٠ والمترجمون فيها أمثال يوحنا بن البطريق والحجاج بن مطر وقسطاس بن لوقا البعلبكي وعبد المسيح ابن ناعم وحنين بن اسحق واسحق بن حنين وثابت بن قرّة الصابي وهكذا في هذه المدة ترجم أغلب كتب بقراط وجالينوس وأرسطاطاليس وبعض كتب أفلاطون . والدور الثالث من سنة ثلثمائة الى منتصف القرن

الرابع والمترجون أمثال متى بن يونس وسنان بن ثابت بن قرّة ويحيى بن عدى وأبى على بن زرعة وهلال بن هلال الحمصى وأكثر اشتغالهم بالكتب المنطقية والطبيعية لأرسطاطاليس وبالمفسرين كالاسكندر الافروديسى ويحيى النحوى . هذه هي أدوار الترجمة ملخصة من كتاب الاستاذ (سنتلاه) الطليانى . أما نبوغهم فيها فاسمع ما قاله (سديو) الفرنسى المتقدم ذكره . قال فى صفحة (٢٠٨) من الكتاب المترجم بالعربية ترجمه أستاذنا على مبارك باشا قل ماملخصه ﴿ اقتدى بالمصور من بعده فى نشر العلوم وتوسعة دائرتها من اهلها بجميع بلاد أوروبا بجلهم من الأقاليم التى فتحوها علماء لترجمة أعظم كتب اليونان وإنشأهم مكاتب عامة ومدارس يتعلم بها الخاص والعام مثل كتب أرسطاطاليس وسقراط وجالينوس ودسقوريدس وأقليدس وأرشميدس وبطليموس وأبولونيوس مع تعليم متن القرآن وتدريس تفاسيره وإنشاء جمعيات العلماء واغداق النعم من المهدي والرشيدي على علماء النصارى الذين ترجوا الكتب اليونانية والفارسية الى السريانية والعربية واشتهر إذ ذاك (ماشاء الله الفلكي) المؤلف فى الاسطرلاب ودائرته النحاسية وأحمد بن محمد النهاوندى وهما أقدم علماء الأرصاد من العرب وحجازى بن يوسف أول من ترجم كتاب اقليدس الى العربية وكفى بالساعة الدقاقة المتحركة بالماء التى بعثها هارون الرشيد الى (شرلمانية) ملك فرنسا شاهدا على رفعة درجة الفنون لدى العرب إذ ذاك الخ . وجاء فى المبحث الثانى والعشرين من هذا الكتاب ماملخصه قال

أدرجنا فى الأبحاث السالفة مؤلفى العرب والفرس لانتساب سائرهم الى مدرسة واحدة ولأن الاصطلاحات العلمية التى جرت عليها المشاركة كان سائرها ألفاظا عربية لتغير صورة اللغة الفارسية الى العربية منذ زمان طويل بممارسة القرآن والحركة العقلية الفاشية فى القرن الثامن بعد الميلاد منذ تولى بنو العباس منصب الخلافة وظهر التمدن العربى المتسع به نطق لسان العرب الذى أدخله مترجو الكتب اليونانية فى الاصطلاحات فسهل انطباقها على المعلومات التصورية التى عزا الفرنج اختراع أكثر ما كشف منها الى علماء منهم كانوا فى القرن الخامس عشر والسادس عشر مع أن اختراع أكثرها ما كان إلا للعرب الذين اجتهدوا فى تقدم العلوم

قال . ونلخص لك اجتهادهم فنقول . وههنا ذكر المؤلف الفرنسى المذكور مسائل تصعب على بعض قراء هذا التفسير لأنها اصطلاحية فى العلوم ﴿ الأول ﴾ مثل الكلام على حيل المعادلات التكميلية واستبدال الأوتار بالجيوب وتطبيق الجبر على الهندسة وإدخال الخطوط المماسية فى حساب المثلثات وهكذا وقال إنا شاهدنا هذه جميعها فى مؤلفات العرب المكتوبة بخط اليد التى ظفرنا بها ﴿ والثانى ﴾ أن العلماء الفلكيين ببغداد ضبطوا بغاية الدقة حركة أوج الشمس وتدخل فلك هذا الكوكب فى داخل أفلاك آخر ومقدار السنة ﴿ الثالث ﴾ أن تقدم الجغرافيا الرياضية وتصحيح أزياج بطليموس كانا على أيدي العرب ﴿ الرابع ﴾ أن القرن السادس وما بعده الى السادس عشر كانت خالية من الفلكيين الأوربيين وإنما كانت الأرصاد العربية هى القائمة فى الشرق ﴿ الخامس ﴾ هو ما تعجب منه فلكيو الشرق وهو (مرصد) رصدخانه سمرقند التى أنشأ بعدها بقرن الخواجا (نيكوبراحة) رصدخانه (أورنيبوغ) سنة ١٥٧٦ ميلادية ﴿ السادس ﴾ أن الفرنج زعموا أن آلة الاسطرلاب من مخترعات (نيكوبراحة) مع أن تلك الآلة والرابع ذا الثقب موجودان من قبله فى رصدخانه المراغة التى أسسها العرب العارفون للساعة ذات البندول ﴿ السابع ﴾ أن العرب شهرروا النقص التدريجى لميل وسط فلك البروج قبل متأخرى الفرنج بزمان طويل ﴿ الثامن ﴾ أن العرب قدروا مبادرة الاعتماد بمقداره الحق من ابتداء القرن الحادى عشر ﴿ التاسع ﴾ انهم رصدوا اختلاف عروض القمر قبل (نيكوبراحة) بأكثر من ستمائة سنة الخ

قال صاحبي . إن هذه (وان أفادتنا أن علماء أوروبا بشهدوا بأن كثيرا من الكشف الذى نسبته رجالهم لأنفسهم هو لعرب ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ للآدم الاسلامية) لا يفيد القارى فائدة كبرى كما ذكرت أنت



لأنها اصطلاحات فلكية ليس يعرفها أكثر الناس فاذا ذكر بعض ما نبغ فيه العرب على شريطة أن يفهمه الجمهور وقبل الانتقال الى الفصل السادس وهو انحطاط التعليم في بلاد الاسلام لتكون المقالة لذيذة مشوقة لنا وللناس فقلت قال (سديو) المذكور مالم يخصه ﴿انهم أنوا بالعجب العجيب (١) في الهندسة (٢) والحساب (٣) والجبر (٤) وعلم الضوء (٥) والنظر (٦) والميكانيكا (٧) وترجمة هندسة اقليدس (٨) وغيره مثل تيودوس وأبولونيوس وايسيقليس ومينيلوس (٩) وشرحوا مؤلفات أرشميدس في الكرة والاسطوانة واشتعلوا قرونا بدقائق الهندسة (١٠) وطبقوا الجبر على الهندسة وترجوا كتب (هيرون الصغير) في الآلة الحربية وقطيبيوس وميرون الاسكندري في الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه وألف حسن بن هيثم في استقامة النظر وانعكاسه في المرايا التي توقد النار (١١) وألف الخازن في علم الضوء والنظر كتابا في انكسار الضوء الخ (١٢) قال وليس للعرب مجرّد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الفرنج فانا لانشكر علماء بغداد على حفظهم كتب علماء الاسكندرية فقط بل مع ما اخترعوه في هذه الفنون نحو ما اخترعه البتاني الملقب ببطليموس العرب من استبدال أوتار الأقواس التي استعملها اليونانيون في حساب المثلث بأنصاف الأوتار للأقواس المضاعفة وهي جيوب الأقواس المصوّرة الى آخر ما ذكره مما لا طائل في ذكره . وهنا ذكر المؤلف أشياء اخترعها العرب وفاقوا بها اليونان في علم الهندسة والفلك سبق أكثرها . وقال في موضع آخر صفحة (٢٤٠) مانصه ﴿زعم الفرنج أنه لم يكن فلسفة عربية وماذاك إلا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية﴾ الى أن قال ﴿ولا تظن أن العرب اقتصروا على تفسير كتب أرسطو بل كانوا يعرفون تأليف أفلاطون وعدة كتب منسوبة الى فيثاغورس الخ . أقول فاعجب لعالم فرنسي يقول هذا وفي ديارنا بمصر من المتعلمين نصف تعليم من ينكرون على آبائهم كل علم وكل فضل - واذا أراد الله بقوم سوء فلا مرد له - (١٣) يقول المؤلف المذكور ان (ايراسطينس) اليوناني أول عالم في عصره بالكرة الأرضية واختص بهذا العلم ومعلوماته الجغرافية كمعلومات معاصريه يسيره ثم تقدّمت العرب في هذا الفن كالقنون السالفة وجدّدوا كتاب المجسطي لبطليموس الذي تنحى اللاتينيون عن طريقته وكتاب بطليموس ممّوء بالخطأ وقد اعتمد علماء أوروبا أولا وجعلوه نموذجا لرسم الخرائط وساروا شوطا بعيدا وكان أكثر هؤلاء العلماء يجهلون اصلاح العرب له فساروا على غير هدى والاصلاح العربي المذكور كان بأمر المأمون سنة ٨٢٠ ميلادية إذ عمل أرصادا جديدة ببغداد وصحّح أرصاد المجسطي بالزيج الجديد المحرّر في خلافته وبهذا رسمت العروض والأطوال بهيئة غير التي كانت في كتاب المجسطي (١٤) وأكمل تصحيح المأمون الملك محمود الغزنوي إذ أمر البيروني الفلكي بذلك سنة ١٢٠٥ م وقبل ذلك عمر الخيام والادريسي . وذكّر المؤلف بعد ذلك تقدّم العرب في مزايا ما بأرضهم من النبات النافع في الطب والصنائع وزينة المعابد والقصور . قال والعرب هم الذين اخترعوا (الأجراخانات) الصيدليات الكيميائية وهم الموروث عنهم ما يسمى الآن قواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بعد ذلك من مدرسة (سالرنه) في الممالك التي في جنوب أوروبا قال واشتغلوا بعلم (الجيولوجيا) علم طبقات الأرض ثم قال وبلغت الزراعة أقصى أوجها وكماها وأحدثوا في أسبانيا السواقي ذات التواويس . هذا ما أردت ذكره في هذا الفصل الخامس ﴿لفصل السادس﴾ انحطاط التعليم في بلاد الاسلام ﴿والسابع﴾ في اضطهاد العلماء بنظام هذا الوجود . هذان الفصلان تقدّما في سورة الأنعام عند قوله تعالى - تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا - وقد أبنت هناك كيف كان المسلمون بعد القرن الخامس يعادون العلوم وسرى هذا الداء الى الجيل السابق وابتداء النشاط الآن . ولكن لا بد من ذكر حادثة عجيبة لتكون توطئة للفصل الثامن وهو انتقال العلوم لأوروبا هاربة من المسلمين الذين كرهوها وهامى ذه

## ﴿ اضطهاد ابن رشد في الأندلس ﴾

اعلم أن الخليفة الحكم ببلاد الأندلس أخذ كتب الفرس والشام وغيرها وصار له في الاسكندرية ودمشق وبغداد والقاهرة أناس يتناحرون له الكتب العلمية القديمة والجديدة بأعلى الأثمان وكان في قصره النساخون والمجلدون والأدباء الصادررون والواردون وفي مكتبته (٤٠٠) ألف كتاب ولها ٤٤ مجلدا فهارس فقط وليس فيها إلا عنوان الكتاب وهو نفسه يحدث العلماء ويحاورهم في الفنون المختلفة . ولما تولى هشام ابنه قام حاجبه بالأمر واضطهد الفلاسفة والفلاسفة وأخذ الكتب الفلسفية والمنطقية والفلكية وأمر بإحراقها في ساحات قرطبة وطرح باقيها في آبارها فصارت الفلسفة تقرأ سرا . وإنما قصد بذلك استمالة الفقهاء اليه ليوجههم أنه ناصر الدين . وهكذا يقال أن سبب سقوط دولة المرابطين بعد ذلك وقيام دولة الموحدين إنما هو اضطهاد العلوم والحكمة والفلسفة . كل ذلك قبل ظهور العلامة ابن رشد ببلاد الأندلس كانت تسير حسب رغبات من يتولون الأمر ان أحبوا العلم ظهر والا اختفى . هكذا لما تولى الخليفة عبدالمؤمن من دولة الموحدين نصر الحكمة والفلسفة كما فعل الحكم في الزمان الماضي فاجتمع في بلاطه ابن زهر وابن بجاج وابن طفيل ثم ابن رشد في عام ٥٤٨ هجرية سنة ١١٥٣ ميلادية وقد عبر البحر الى بلاد المغرب (مراكش)

ولما توفي عبد المؤمن خلفه يوسف وقرب ابن طفيل اليه فقدم اليه ابن رشد فارتفع ابن رشد عند الأمير يوسف وتولى قضاء أشبيلية سنة ٥٦٥ الى سنة ٥٦٧ هجرية . ولما تولى يعقوب المنصور بعد ذلك رفع ابن رشد وفي آخر الأمر وشوا به اليه ونسبوا له أمورا دينية وأخرى سياسية فقالوا إنه يجحد القرآن ويعرض بالخلافة وأنه قال ملك البربر فجمع المنصور فقهاء قرطبة وقرأوا كتب ابن رشد ثم قرأ الرأي عند الأمير أن ينفي ابن رشد فسكن (إيسانه) وهي قرية قريبة من قرطبة سكانها يهود وكتب منشورا للأئمة بإنشاء كاتبه عبد الملك بن عياش لمنع الفلسفة وهذا بعض مانصه ﴿ قد كان في سالف الدهر قوم خاضوا في بحور الأوهام وأقرتهم عوامهم بشغوف عليهم في الأفهام حيث لاداعي يدعوا الى الحق القيوم ولا حاكم يفصل بين المشكوك فيه والمعلوم نخلدوا في العالم صحفا ماله من خلاق مسودة المعاني والأوراق يؤمون أن العقل ميزانها والحق برهانها ﴾ الى أن قال ﴿ فاحذروا وفقكم الله هذه الشرذمة على الايمان حذركم من السموم السارية على الأبدان ومن عثر له على كتاب من كتبهم فحرقوه النار التي بها يعذب أربابه واليه يكون مآل مؤلفه وقارئه وما به ﴾ الى أن قال ﴿ والله تعالى يطهر من دنس الملحدين أصقاعكم ويكتب في صحائف الأبرار تضافركم على الحق واجتماعكم إنه منكم كبير اه ﴾ والذي نكتب في هذا مع ابن رشد محمد بن ابراهيم قاضي بجابه والقاضي أبو عبد الله بن ابراهيم الاصولي وأبو الربيع الكفيف وأبو العباس الشاعر وقد نفاهم المنصور الى بلد غير (إيسانه) منفي ابن رشد . وكتب المنصور يأمر الناس بإحراق الكتب سوى الطب والحساب والمواقيت مع أنه كان يدرس تلك الكتب في السر ويخفي أمره . وقد عني عن ابن رشد ولم يعش بعد العفو إلا سنة واحدة وتوفي سنة ٥٩٥ هجرية وعمره ٧٥ سنة وكانت وفاته بمراكش ثم جل الى قرطبة فدفن بها في روضة بمقبرة ابن عباس و بعد ذلك قل اهتمام الطلبة بالعلم وأكبر تلامذته محمد بن حوط الله وأبو الحسن سهل ابن مالك وأبو الربيع بن سالم وأبو بكر بن جهور وأبو القاسم بن الطليسانه وغيرهم

## ﴿ الفصل الثامن في انتقال العلم الى أوروبا بعد أن هجره المسلمون ﴾

ثم هجر اليهود الأندلس الى (بروفنسيا) والأقاليم المتاخمة لجبال (البيرنيه) فرارا من الاضطهاد وخالطوا الفرنجة وكتبوا بالعبرية وتركوا العربية وذهبوا الى (لوندل) في فرنسا وهم (أسرة طيبون) أصلها من الأندلس وترجم اثنان منهم وهما (موسى بن طيبون وصموئيل بن طيبون) بعض تلاخيص ابن رشد في فلسفة أرسطو فهذان أول من ترجم مؤلفات ابن رشد لأوروبا وكان الإمبراطور (فردريك الثاني إمبراطور ألمانيا) من



محي نشر الفلسفة ومحال في الاسلام والمسلمين على الاكليروس المسيحي فعهد الى بعض اليهود بترجمة فلسفة العرب الى العبرية واللاتينية فألف يهود بن سليمان كوهين الطلياني سنة ١٢٤٧ م كتابا سماه ﴿ طلب الحكمة ﴾ واعتمد فيه على ابن رشد فهو أول كتب لابن رشد صدرت بالعبرية وأيضا ترجم له يهودى من (بروفنسيا) كان مقبلا في نابلس وهو يعقوب بن أبي مريم بن أبي شمشون انتولى حوالى سنة ١٢٣٢ عدة كتب من تأليف ابن رشد . ويقال ان الفيلسوف ابن رشد فر من (الياسه) الى فاس وأن أهلها أمسكوه ونصبوه أمام باب الجامع للبصق عليه عند الدخول والخروج وقيل غير ذلك وأن ابن رشد قال أعظم ما طرأ على في النكبة أنى دخلت أنا وولدى عبد الله مسجدا بقرطبة وقد حانت صلاة العصر فاعترضنا بعض سفلة العامة فأخرجونا منه . ثم إن المحنة لم تدم فان المنصور عفا عنه وعن سائر الجماعة معه وعاد المنفيون الى بلدهم ولما نفذ في ابن رشد وتلامذته سهم الحساد أخذ الشعراء المعادون للفلسفة والفلاسفة يبتهجون فقال الحاج أبو الحسين بن جبير

الآن قد أيقن ابن رشد \* أن توألفه توألف  
يا ظالما نفسه تامل \* هل تجد اليوم من توألف  
( وقال غيره )

لم تلزم الرشد يا ابن رشد \* لما علا في الزمان جدك  
وكنت في الدين ذا رياء \* ما هكذا كان فيه جدك  
الحمد لله على نصره \* لفرقة الحق وأشياعه (ومنها)  
كان ابن رشد في مدى غيه \* قد وضع الدين بأوضاعه  
فالحمد لله على أخذه \* وأخذ من كان من أتباعه  
خليفة الله أنت حقا \* فارق من السعد خير مرقى (ومنها)  
حجيم الدين من عداه \* وكل من رام فيه فتقا  
أطلعك الله سر قوم \* شقوا العما بالنفاق شقا  
تفلسفوا وادعوا علوما \* صاحبها في المعاد يشقى  
واحتدروا الشرع وازدروه \* سفاهة منهم وحقا  
أوسعتهم لعنة وخزيا \* وقلت بعدا لهم وسحقا  
فابق لدين الاله ككها \* فانه ما بقيت يبقى

ثم ان كالونيم بن كالونيم بن ميرالدى ولد سنة (١٢٨٧) قد ترجم كتب ابن رشد الى العبرية . وترجم كتاب ﴿ تهافت التهافت ﴾ سنة ١٣٢٨ وفي القرن الرابع عشر بلغت فلسفة ابن رشد عند اليهود أعلى منزلة ثم كان (لاون) الافريقى اليهودى الذى شرح فلسفة بن رشد كلها وصنع فيها ما صنعه ابن رشد بفلسفة (أرسطو) من الشرح والتلخيص

وهاك ما قاله (سديو) في هذا المقام لتتم الكلام في مسألة نقل العلوم العربية الى أوروبا . قال ولا يخفى أن الكشف السالف يفيد علم الملك المشرقى مزية الاصلية والأولية التى لا يستطيع الامساك عن الاقرار بها أحد من الفرنج الذين كان كشفهم لمعلومات الكتب العربية شاهدا على تقدم العلوم الرياضية عند العرب الذين استفاد منهم اللاتينيون للمعلومات فان (١) (جوبرت) الذى كان بابا رومه الملقب (بسلوستر) الثانى أدخل من سنة ٩٧٠ الى سنة ٩٨٠ ميلادية عند الفرنج العلوم الرياضية التى كسبها من عرب اسبانيا (٢) واهيلارد الانكليزى ساح من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ ميلادية فى كل من اسبانيا ووادى مصر

وترجم مبادئ اقليدس من العربية بعد ان ترجمها العرب من اليونانية وترجم أفلاطون المنسوب (لطيفوليا) وهي مدينة قرب روميه من العربية الرياضيات الكردية المنسوبة الى (نيودوز) كما ان الخواجا (رودلف) أحد أهالي (بروجس) البلجيكية ترجم مسائل بطليموس المتعلقة بالكرة الأرضية والسموية المصورة مبسطة على خريطة وهكذا (ليونرد) أحد أهل (يزه) ألف سنة ١٢٠٠ ميلادية رسالة في الجبر الذي تعلمه من بلاد العرب وقيانوس من أهل نواره في أسبانيا ترجم في القرن الثالث عشر كتاب اقليدس ترجمة جديدة وشرحه و (وبتليون البولندي) ترجم كتاب الخازن في علم الضوء والنظر (وچيراد) الكريمنوني ترجم المجسطي وشرح كتاب جابر وغير ذلك فاشتهر في أوروبا با علم الفلك الصحيح وشهر (الفنس) القسطلاني سنة ١٢٥٠ ميلادية الأزياج الفلكية المنسوبة اليه . وللك (روچير) الأول ملك (السيصيليين) كان مساعدا لعلماء (بسيصليا) لاسيا الادريسي ثم أتى العاهل (فردريك الثاني) بعد (روچير) بمائة سنة فلم يأل جهدا في المساعدة والحث على كسب العلوم والمعارف الأدبية الشرقية . وكان أولاد ابن رشد مستخدمين في ديوانه ويعلمونه التاريخ الطبيعي في النبات والحيوان . انتهى

وأيا قال (سديو) ان القوانين وهي خمسة كتب لابن سينا قد ترجمت وطبعت مرارا وكانت مؤلفاته ومؤلفات الرازي تدرس بمدارس أوروبا نحو ستة قرون تقريبا وكانت وفاته سنة ١٠٣٧ م وكتب الفخر الرازي في الطب طبعت بمدينة البنادقة سنة ١٥١٠ ميلادية وكتب على بن عباس الفارسي وهي عشرون كتابا في الطب وهي التي أهداها الى عضد الدولة البويهى قد ترجمت الى اللاتينية سنة ١١٢٧ م وطبعها ميخائيل كابلا سنة ١٥٢٣ في مدينة (ليون) بفرنسا

فلما سمع ذلك صاحبي قال . هذا الذي ذكرته أطلعنا على علم جم غزير فلقد كنت مشوقا الى أن أعرف كيف انتقل العلم لأوروبا من المسلمين وكنت أظن أن هذه أقوال مبالغ فيها ولكني الآن أمام علم جم فاني رأيت من هذه الأقوال

- (١) إن اليهود بعد موته نقلوا علمه الى لغتين العبرية واللاتينية
- (٢) وأن فردريك امبراطور ألمانيا هو الأمر بذلك
- (٣) وأن يهوذا بن سليمان كوهين ألف كتاب (طلب الحكمة) معتمدا على ابن رشد
- (٤) وأن بابا رومه نفسه أدخل علوم الرياضة العربية بنفسه في بلاده
- (٥) وهكذا العالم الانجليزي ترجم الهندسة العربية
- (٦) والعالم البلجيكي واليطياني والاسباني وهكذا فهذا كاف في هذا المقام فاذا كرر لي الفصل التاسع وهو تفوق أوروبا في تلك العلوم . فقلت

( الفصل التاسع في تفوق أوروبا في العلوم جميعها بعد آباءنا العرب )

قد يظن ظان أن ماقلته سابقا نقلا عن العالم الفرنسي (سديو) من أن ما ادعاه الفرنجة من الكشف قد سبقهم به العرب يوجب أن أغمطهم حقهم . كلا فنحن الآن في تفسير القرآن والقرآن حق ومن لم يجعل الحق ديدنه صرعه الحق فاعلم أن الفجر الكاذب يظهر قبل الفجر الصادق \* قال الشاعر

وكاذب الفجر يبدو قبل صادقه \* وأول الغيث قطر ثم ينسكب

ادعى الفرنجة في أول أمرهم أنهم كاشفون لما سبقهم به العرب ثم جاء بعدهم علماء كشفوا عجائب مما خبأه الله في أرضه والمتأخرون من المسلمين ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يعمرون عليها وهم عنها معرضون - . هذه أيها المسلمون آثار آبائكم وأتم خلفهم فاذا عملتم . نقلت أوروبا علومكم وأتم نائمون . أفلا تعقلون . أفلا تفكرون . ألم يقل الله - قل سيروا في الأرض فانظروا -



أما آباؤنا فساروا ونظروا والفرنجة ساروا ونظروا عمل آباءكم فهل أنتم لاتشعرون . انظروا أيها المسلمون أنتم اليوم عالة على أوروبا انها قد فتحت لها كنز العلم وأنتم نائمون . هاأنذا أقص عليكم نبأ أهم العلوم التي حدثت في القرون المتأخرة من نحو القرن السادس عشر الى القرن التاسع عشر لتتجلى لكم صورة من العلم قديما وحديثا وانكم ظلمتم أنفسكم بالجهل وآباءكم بانتسابكم اليهم وهم في قبورهم عليكم محزونون

﴿ علماء القرن السادس عشر ﴾

منهم (١) (نيكوبراهي) المولود في بلدة (ندسترب) جنوبي اسوج في سبتمبر سنة ١٥٤٦ المتوفى سنة ١٦٠١ أثبت أن نور الشمس سبعة ألوان وأن مواد الأجرام السماوية تشبه أكثرها مواد الأرض وقد دعاه (فردريك الثاني) ملك الدانمارك فأنشأ مرصدا فلكيا من أعظم المراصد فبقى عشرين سنة وزاره الملك (جس الأول) ملك الانجليز في هذا المرصد وأهدى اليه كثيرا من الهدايا ووفد بعد ذلك على امبراطور ألمانيا في مدينة (براغ) فأكرمه ولكن لم تطل مدته بعد ذلك فمات

(٢) ﴿ وليم غلبرت ﴾

عالم انجليزى أنشأ علم الكهر بائية الحديث ولد سنة ١٥٤٠ وتوفى سنة ١٦٠٣ فهو الذي عرف أن الكهرباء تكون في الزجاج والكبريت والشمع الأحمر والراتينج والماس . وهذه مبادئ علم الكهرباء التي أكملها العلماء بعده وقال ان المغناطيسية والكهربائية من نوع واحد

﴿ علماء القرن السادس عشر والسابع عشر ﴾

(١) غليلي . هوفيلسوف ايطالى ولد بمدينة (بيزا) سنة ١٥٦٤ ومات سنة ١٦٤٢ نسبوا له كشف رقاص الساعة وأنه لحظ ذلك في كنيسة (بيزه) إذ رأى القنديل مدلى من القبة وله خطرات متساوية وقد قال (سديو) . كلا . ثم كلا هذا اختراع الحسن بن يونس المصرى قبل ذلك بقرون . فهذه مما سمعنا الفجر الكاذب . وقد اضطره لأنه قال بدوران الأرض ويقول العلماء . كلا انها معروفة قبل الفرنجة عند العرب كما استراه في كتاب ﴿المواقف﴾ ففيه دوران الأرض وذلك قبل الاوروبيين بمدة وقد ذكرت هذا في كتابي ﴿في الفلسفة العربية﴾ وتقدم في يونس وقد أكره غليلو على الحضور الى روميه وهو شيخ ضعيف سنة ٦٩ سنة وأمر بالركوع أمام جمهور حافل من المفتشين وغيرهم وعاهداهم على الانجيل أنه يلعن ويكره دوران الأرض ﴿كاشف دورة الدم﴾

(٢) هرفي . ولد سنة ١٥٧٨ في ولاية (لنت) ببلاد الانجليز وعين طبيبا للملك (جيمس الأول)

وخلفه وتوفى سنة ١٦٥٧

﴿ علماء القرن السابع عشر والثامن عشر ﴾

(١) اسحق نيوتن . ولد سنة ١٦٤٢ وتوفى سنة ١٧٢٧ من أكبر علماء الفلك زعموا أنه كشف الجاذبية إذ رأى تفاحة سقطت على الأرض ولكن هذا الكشف قد سبقه به العرب بنحو ستة قرون كما أثبتناه في كتاب الفلسفة ولكن ليس معنى هذا أنه لافضل له . كلا فانه جعل هذه الجاذبية تمتد الى القمر وبها يدور حول الأرض

(٢) ديدرو . مؤلف دائرة المعارف الفرنسية وهو من عائلة سكنت ولاية شمبانيا بفرنسا ولد سنة ١٧١٣ ومات سنة ١٧٨٤ وقد ترك كل شئ في حياته إلا المطالعة ولما طرده أبوه دخل بيت رجل يعلم أولاده ثم كره ذلك وقال للرجل أنظر الى فقد اصفر وجهي اصفرار الليمون أنا أحاول أن أجعل أولادك رجالا وهم يحاولون أن يجعلوني ولدا لست أشكو قلة الراتب ولا سوء المعاملة لأن راتبي أكثر مما أستحق ومعاملتكم لى على غاية الوداد ولا أريد أن أعيش أحسن مما أنا عايش هنا ولكنى أريد أن لا أموت اه

## ﴿ علماء القرن الثامن عشر ﴾

- (١) بنيامين فرنكلن المتوفى سنة ١٧٩٠ وعمره ٨٤ سنة من أمريكا وهو الذي اخترع مانعة الصواعق  
 (٢) لافوازييه أبو الكيمياء الحديثة . ولد سنة ١٧٤٣ وحكم عليه بالقتل سنة ١٧٩٤ في الثورة الفرنسية  
 وهو الذي كشف خواص الأكسوجين وحقيقة الإشعال للنار ونسبة السوائل والغازات والجوامد بعضها إلى  
 بعض وبحث في الحرارة وتمدد الأجسام وتقلصها باختلاف درجات الحرارة والضغط  
 (٣) ماريا أغنيس الإيطالية فافت أهل عصرها في العلوم الرياضية ولدت سنة ١٧١٨ وكان يحضر مجلسها  
 فوق ثلاثين رجلا من عظماء أوروبا من أمم مختلفة وتوفيت سنة ١٧٩٩

## ﴿ علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر ﴾

- (١) كولون الكهر بائي ولد سنة ١٧٣٦ وتوفى سنة ١٨٠٦ هو أول من استعمل الرياضيات في المباحث  
 الكهر بائية فشهرته كلها ترجع إلى ما كشفه في الكهر باء والمغناطيس فهو الذي قاس قوتها ونواميسها  
 (٢) أدورد جنر عالم انجليزي ولد سنة ١٧٤٩ وتوفى سنة ١٨٢٣ هو الذي كشف تطعيم الجدري .  
 ذلك أن فتاة حلاية للبقر سمعت أناسا يذكرن الجدري فقالت انها آمنة على نفسها لأنها عدت مرة بجدري  
 البقر وسمع ذلك (جنر) فخطر له أن جدري البقر قد يكون واقيا من الجدري الذي يصيب البشر وأسلم عاقبة  
 من التطعيم بالجدري نفسه فاذا طعم الانسان بمادة الجدري من البقر ظهرت فيه بثور قليلة تقيه الجدري في  
 المستقبل واذا أخذ المصل من تلك البثرة وطعم به أناس كثيرون وقاهم أيضا الجدري  
 (٣) فلطا الكهر بائي الإيطالي . ولد سنة ١٧٤٥ وتوفى سنة ١٨٢٧ وهو الذي كشف البطارية  
 الكهر بائية والرصيف الكهر بائي أو الفلطا ئي كما هو موضح في هذا التفسير في غير هذا المكان شرحا ورسمًا  
 (٤) (لامرك) صاحب مذهب التحول هو فرنسي ولد سنة ١٧٤٢ وتوفى سنة ١٨٢٩ وهو أول من  
 أطلق على الحيوانات الدنيا اسم (عديمة الفقرات) وكانت قبل ذلك تسمى ذات الدم الأبيض ودرس الحيوانات  
 القديمة في الأرض وله كتاب ﴿ فلسفة طبائع الحيوان ﴾  
 (٥) السرمهفري دافى ولد سنة ١٧٧٨ وتوفى سنة ١٨٢٩ وهو الذي كشف الصوديوم والبوتاسيوم  
 والسترنتيوم والبازيوم والكلسيوم والمغنسيوم . ولما كشف الصوديوم جعل يرقص من الفرح وكشف  
 النور الكهر بائي والأتون الكهر بائي كذلك

## ﴿ مصباح يشرق على العلوم التي كشفها المسلمون والأوروبيون ومنها الكيمياء ﴾

فقال صاحبي . صوديوم بوتاسيوم . هذه ألفاظ لاتفيد قارئ التفسير فأني فائدة لقارئ سورة ابراهيم  
 من أن يسمعك تقول في رجل أفرنجي انه كشف الصوديوم والبوتاسيوم . أسمع المسلمين أقوالا تفهمهم  
 مقاصد ما ذكرته والاسم القراء من طول هذا الذي تذكره . فقلت هذا من علم الكيمياء . قال وما فائدة  
 الكيمياء أليست هي التي تجعل الفضة والنحاس ذهبًا . فقلت الكيمياء علم به تحليل المواد فتعرف أصولها  
 فننتفع بها في جميع أعمالنا والصوديوم وغير الصوديوم هي الأجزاء التي لها خواص ممتازة في منافعها . قال  
 هذا كله لايفيد . قلت فاسمع . قال سمعًا . قلت حياك الله وبياك انظر أنت في كل أوقاتك رجل  
 كمائي وأنت تنكر ذلك . قل لي رعاك الله ألسنا نحصد القمح . قال بلى . قلت وندرسه ونذروه ونطحنه  
 ونمضغه ويهضم في أجوافنا ويفرق على أعضائنا كل بقدره . قال ماعني هذا . قلت نحن ندرس القمح  
 في الجرن بالنورج فينذر مفتتا ثم نذروه في الريح فنفصل الحب عن التبن أما التبن فللهبائم وأما الحب فهو  
 لنا ولسكننا لأننا كاه حتى نلطفه بالطحن ثم العجن ثم الخبز ثم نمضغه هو وغيره أضراسا وأنيابنا وأسناننا ثم  
 يدخل في المعدة فيهضم ثم تجتذبه العروق فيصير دما يفرق على الأعضاء كل عضو يأخذ مايناسبه . إن هذا



هو التحليل ولولا هذا التحليل ما قدرت أعضاؤنا أن تناول أغذيتها من دمنا لأنه لا يكون دم إلا بالتحليل المذكور . فهنا (١) آلات من الخشب والحديد وهي النورج تجرّه الأنعام (٢) وبهذا يمكننا أن نذروه في الهواء فحصل التمييز بين الحب والتبن بهذين العاملين . درسه مقدمة وذرّوه في الهواء نتيجة والنتيجة تمييز القمح من التبن ليمتاز غذاء البهائم من غذاء الإنسان وكلّ يتصرف فيما هو له . فهذا أشبه بتحليل الكيمياء ثم حبّ القمح يحتاج أيضا إلى عمليتين الطحن بالأحجار الذي يشبه الدرس بالنورج والمضغ الذي يشبه ذرو القمح فالمضغ يفتت الطعام وهكذا أعمال المعدة في هضمه ليأخذ كل عضو من الدم ما يناسبه كما أن ذرو مدارس بالنورج يعطى البهائم تبنها والإنسان حبه . فهنا مقدماتان ونتيجتان والكل نتيجة عمل فالنتيجة الأولى فصلت طعام الحيوان من طعام الإنسان بالحكمة . والنتيجة الثانية وهي الهضم بالمضغ وغيره أعطت لكل عضو من أعضاء الإنسان ما يستحقه من العناصر التي سميناهـا (صوديوم وبوتاسيوم) وهكذا فإذا قلنا هذا تبن وهذا قمح بعد الذرو في الهواء للحيوان والإنسان فهكذا هنا نقول هذا بوتاسيوم وهذا صوديوم وهكذا في الطعام فكل من الأعضاء يأخذ حصته منه بعد الهضم كما أخذ كل من الحيوان والإنسان حقه بعد الدرس والذرو في الهواء . فقال حسن قد فهمت إذن ما عدد العناصر . قلت عدد العناصر سيأتي في سورة العنكبوت فوق ٨٠ وستذكر بأسماؤها في جدول هناك . قال ولكن الكلام لم يتم . قلت نعم لم يتم لأن الذي سمعته أنت إنما هو مثل ضربته مما نراه في أنفسنا وما الأمم إلا كالأفراد . الأفراد تحلل القمح بدرسه وذرّوه وطحنه ومضغه والأمم تحلل جميع المواد التي نراها بجميع المواد أشبه بالقمح في المثال المذكور والتبن والحب أشبه بالعناصر والآلات التي اخترعها العلماء في معاملهم أشبه بالخشب والحديد في النورج والخشب وحده في المذرى وحجارة الطاحون والأنياب والأسنان والأضراس لتفتت الطعام والعناصر التي يستخرجونها يرقون الصناعات والطب وجميع أعمال الحياة فإذا أخذ كل عضو بعد المضغ في أجسامنا ما يناسبه . هكذا يجعلون عناصر خاصة تناسب الزرع كالقمح والقطن وغيرهما يسمونه (السماد الكيماوي) وما السماد الكيماوي إلا عناصر استخرجوها كما استخرجت أعضاء أجسامنا عناصر مناسبة لها كما فصلنا التبن عن الحب فأخذ الحيوان والإنسان كل حظه . فقال هذا حسن أنا الآن أدركت معنى الكيمياء وفهمتها فهمما تعقليا زدني زدني . قلت أما الآن فاني مبتهج بأنك أدركت ما أردته . وبهذا ارتقوا في الحرب والنجارة وكل أعمال الحياة . واني أذكرك بما تقدم في آل عمران . فقال لا أذكرك فاني لم أقرأ المجلد الثاني من هذا التفسير ما الذي هناك . فقلت لا أريد التكرار . قال ولكن ذكرى والذكرى هنا تفيد قلت علم الله قبل أن ينزل القرآن أن المسلمين سينامون كما غامت فأنزل القرآن وجعل في أوائل بعض السور (الم . الر) وهذا يشير إلى ما نقوله الآن . علم الله أن أكثر الناس لا يعقلون ما أمامهم فجميع بني آدم يشاهدون الدرس والذرو والطحن والمضغ ولكن لا يفقهون وإنما أكثرهم أشبه بالآلات الميكانيكية مسخرون في طعامهم . مسخرون في ذريابهم . مسخرون كما تسخر الأنعام . هكذا أكثر الناس في أرضنا يشاهدون هذا التحليل الذي يشبه التحليل الكيماوي بل هو نفسه كيماوي ولا يفكرون في العالم الذي يعيشون فيه فيدرسوه كلا وهو معنى قوله - واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه - وقوله - وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون - لذلك أنزل هذه الحروف في أوائل السور كأنه يقول أيها المساكين جهلتم الكيمياء التي تحلل الأشياء وتحققها فأنما أذكركم بالقراءة والكتابة إن الطفل لا تتسنى له الكتابة ولا القراءة إلا إذا حلل الكلمات إلى حروفها كما تحلل المركبات إلى عناصرها . فكما أن القراءة والكتابة لا يتحلى إلا بتحليل الكلمات إلى حروفها . هكذا هذه المادة وقواها لا تنتفعون بها إلا بتحليلها وإدراك حقائقها قال تعالى - وكل شيء عنده بمقدار - وقال - إنا كل شيء خلقناه بقدر - وقال - وأنبتنا

فيها من كل شئ موزون -

أعمال الناس لا تتم إلا بالتحليل والقراءة لا تتم إلا بالتحليل فلماذا لا تحققون هذه العوالم بالعلوم ومنها الكيمياء وإن شئت فارجع لما تقدم في سورة آل عمران . قال أما الآن فقد فهمت حقا ﴿ بقية العلوم كالكيمياء ما هي إلا تفصيل وتحقيق ﴾

ثم قلت ومثل الكيمياء جميع العلوم فإذا سمعت العالم (كوفيه) الآتي ذكره قد قسم المرتبة الدنيا من الحيوانات الى ﴿ ثلاثة أقسام ﴾ ولم تقسم قبله فهذا يسمى تقسيما والتقسيم لبيان المقسم كما ان التحليل لبيان المحلل وهكذا بقية العلوم كلها لا تخرج عن التقسيم والتحليل وما أشبه ذلك وما هو إلا تحقيق الحقائق كمسألة التمام المتقدم ومسألة الحروف الهجائية في أول السور . فقال صاحبي حسن لقد أضاء هذا الموضوع وأشرق وصار ما ذكرته من كشف العلوم المختلفة واضحا بهذا المقال فلنرجع إذن لبقية الكلام على علماء أوروبا فقلت (٦) (جورج ليوبلد كوفيه) عالم فرنسي توفي سنة ١٨٣٢ ألف كتابا اسمه ﴿ العظام المتحجرة ﴾ وآخر اسمه ﴿ المملكة الحيوانية ﴾ وهو الذي قسم مرتبة الديدان التي تشتمل على كل ما يعرف بذوات الدم الأبيض (وهي تقارب نصف المملكة الحيوانية) الى ثلاثة أقسام وهي الحيوانات الصدفية والحشرات التي لا قلب لها والقسم الثالث هو الشبيه بالنبات

(٧) (جان شامبليون) فرنسي الذي كشف لنا كنوز الآثار المصرية توفي سنة ١٨٣٢ م . ان علوم مصر بقيت مخزونة قديما وكان علماءها يقولون لليونانيين ﴿ أيها اليونان أنتم أطفال ﴾ وكان بمصر دار كتب في عهد ملوك اهرام الجيزة . وقال مانيتون المؤرخ في القرن الثالث (ق.م) ان عدد المؤلفات المنسوبة الى هرمس ٣٥٥٢٥ ولما تمرد المصريون على الأمبراطور (ديكلسيانوس) في القرن الثالث (ب.م) أحرق جميع المؤلفات المصرية القديمة التي في علم الكيمياء لثلاثين عاما يقاوموه بهذا العلم ولكن بقي في المعابد والأحجار والمباني علوم كثيرة لم يعرفها أحد حتى تعلم اللغة القبطية شامبليون واللغة الهيروغليفية وساعده على ذلك حجر رشيد ومسلة (فيلا) المكتوب عليها أسماء الملوك باللغتين الهيروغليفية واليونانية التي يعرفها فتوصل بها الى معرفة اللغة الهيروغليفية وساعدته اللغة القبطية وكافأه لويس الثامن عشر ملك فرنسا بعلبة من الذهب منقوش عليها ما يأتي ﴿ هدية من الملك لويس الثامن عشر الى شامبليون لكشفه الأحرف الهجائية الهيروغليفية ﴾ فباسبحان الله وبأسعدانه . كل هذا حاصل والمسلمون ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يمرتون عليها وهم عنها معرضون - . هذه أيها المسلمون أعمال آبائكم الاول . وهذه أوروبا ارتقت فأما أنتم فنتم لأن ملوككم قتلوا رجال الاصلاح وأهانوهم واكتفتم بالشعر والخلاعة . هذا لويس الملك الفرنسي يكافئ عالما فرنسيا على ماذا . على أنه كشف رموز المصريين والله في القرآن يقول - فاليوم ننجيك بيدك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون -

عيرنا الله بالغفلة عن علوم الأمم المصرية التي خبأها في أجداث وقبور الفراعنة . اللهم أنت الحكم العدل أنت القابض على كل شئ . ينال أهل الشرق جميعا فتسلط عليهم الفرنج فيفتحون بلادهم كبلادنا المصرية ثم ينقبون على آثار قد عيرنا الله بجهلها ورمانا بالغفلة والجود . اللهم إنك عدل سلطت العلماء على الجهلاء . أليس هذا هو ديننا فكيف نمنا عنه . نمنا عما أشار اليه من آثار الأمم ومنها آثار مصر والله يقول - أفلم يسبوا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور -

أقول وبعد هذا التفسير وأمثاله وانتشاره سيقوم أكثر المسلمين قومة واحدة لدراسة هذه العلوم كلها وتكون الدراسة بوجدان عقلي وديني معا وهناك يكون طور المسلمين لم يعلموه من قبل لأن الاسلام دين



جديد بكر لم يدرس للآن حقّ دراسته ولم تبين مقاصده تبيانا تاما وبعد هذا التفسير وأمثاله سيظهر رجال أقوى شكيمة وأعظم قدرا وأغزر علما من علماء أُم الأرض ومن يعيش به اه

(٨) (جورج ستفنسن) ولد سنة ١٧٨١ ومات سنة ١٨٤٨ هو عالم انكليزي وهو الذي أنشأ السكك الحديدية في العالم . وقد أنشأ معملا للركبات البخارية وأخذ في اصلاحها وكان المهندسون يفكرون في عمل مركبة نارية تسير على قضبان الحديد بدل مركبات الخيل ولكن ظنوا أنها تنزلق عن القضبان ولكنه قال ان ثقل الآلة تثبتها ولو كانت عجلاؤها ملساء فله الفضل على جميع نوع الانسان وقد صار سنة ١٨٣٧ م رأس المهندسين لأكثر السكك الحديدية

أيها المسلمون • أليس من العار عليكم أن يكون (ستفنسن) قد نفع العالم كله وأنتم نائمون وتركبون القطار وأنتم عالة على أوروبا والله انكم لقوم ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - والله عار وجهل واثم أن يكون هذا السرّ ورد به القرآن وأنتم تجهلون أليس القرآن هو الذي جاء فيه كما سيأتي في سورة النحل - ويخلق ما لاتعلمون - بعد أن ذكر الخيل والبغال الخ يخاطب الناس أيام النبوة فيقول ذلك لأنه لم يات أوانه ولكن ماعذرنا نحن قبح الله الجهالة أم الخباث ولكن ان شاء الله قد جاء وقتكم فاقروا علوم القوم وزيدوا للانسانية علما حتى تعطوا الأمم كما أعطتكم والا فاني أنذركم صاعقة العذاب الهون بنومكم أجعين • أيها الناس - أليس منكم رجل رشيد -

(٩) (فراڊاي) عالم انجليزي ولد سنة ١٧٩١ وتوفي سنة ١٨٦٧ وهو عالم عظيم قد كشف البنزين باستقطاره من الفحم الحجري سنة ١٨٢٥ وكشف قواطين التيارات الكهربية الحديثة أيها المسلمون هل يجوز أن يكون آبائنا هم الذين علموا أوروبا كما فهمتم من هذا المقال ونمسي عالة على علمائهم • اليوم هذا البنزين أنتم تستعملونه في مركباتكم وفي الآلات الدائرة النافعة • أفلا ينجبل المسلمون أن يعيشوا ولا يعمل لهم إلا أنهم جاهلون • يقول الله - ويخلق ما لاتعلمون - بعد الكلام على الارتفاع بالحيوان أكلا وملبسا وسفرا ويكون البنزين مما يساعد على السير كالبهائم والمسلمون لا يعمل لهم اللهم ضاعت عقول في الشرق عاشوا وماتوا وهم لا يعقلون صم بكم عمي فهم لا يرجعون ولكن سيعوض أبنائنا ما فقدناه ويرجعون من المجد والشرف ما أضعاه

(١٠) (اريان لفرييه الفلكي) الفرنسي ولد سنة ١٨١١ وتوفي سنة ١٨٧٧ هذا العالم هو الذي كشف السيار (نبتون) الذي بعد السيار (أورانوس) الذي ذكر في مواضع من هذا التفسير • هنالك تسابقت جمعيات أوروبا الى تسجيل اسمه بين أعضائها وأرسل له ملك الدانمارك برتبة عظيمة تشرفه وصنع جداول لتسيير السفن في البحار

أيها المسلمون • أوليس مما يؤلنى جدّ الألم أن الله يذكر لنا في القرآن أنه سخر لنا الفلك في البحر لنبتنى من فضله ويقول - وعلامات وبالنجم هم يهتدون - فأين الهداية التي استخرجناها وهل نكون جميعا عالة على أوروبا برا وبحرا • أليس هذا كتاب ربنا • إن المسلمين ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - يفرح الاوروبيون جميعا بعالم نبغ فيهم والشرقيون متقاطعون لا يدري أهل مصر ماذا في الأقطار الأخرى فلا تعارف ولا تواؤم ولا تناصربل الجهالة مستحكمة ولكن هذا أوان النصر - إن مع العسر يسرا - وهذا التفسير من مبشرات النهضة والاصلاح والمسلمون قريبا جدا سيستيقظون في جلّ الأقطار

## ﴿ علماء القرن التاسع عشر ﴾

(١) (تشارلس دارون) ولد سنة ١٨٠٨ ومات سنة ١٨٨٢ مذهبه مكمل لمذهب (لامارك الفرنسي) وملخص المذهبين معلوم يرجع الى أن عالم الأحياء من النبات والحيوان سلسلة واحدة متصلة أعلاها بأدناها وهل هي مشتقات بعضها من بعض أم هي مخلوقة خلقاً أولياً . وهذا النزاع تجد الفصل فيه في سورة آل عمران في أوائلها فارجع اليه إن شئت

(٢) (بوسنغولت الكماوى الفرنسي) ولد سنة ١٨٠٢ وتوفي سنة ١٨٨٧ كشف العناصر التي تتألف منها النباتات المختلفة وكيفية دخولها في تركيبها . فقال صاحبي هذا مثل ما فهمنا فيما تقدم عند الكلام على الكيمياء . قلت نعم كمثل مسألة الطحن والخبز والمضغ الخ . فقال الأمر واضح

(٣) (مارية متشل الفلكية) الأمريكية ولدت سنة ١٨١٨ وتوفيت سنة ١٨٩٨ برعت في الفلك وكشفت نجما جديدا من ذوات الأذنان وكانت تقضى الليالي على سطح بيتها ترصد الأفلاك وترقب السماء وانتخبت عضوا في أكاديمية العلوم والفنون الأمريكية

(٤) (شليمن الأثرى الألماني) توفي سنة ١٨٩٠ عشق في صغره كشف خرائب (ترواده) التي وردت في أشعار (هوميروس) فوجد أسلحة وأمتعة وحلى فضية وذهبية وعرف قبر (أغا مخنون) في جهات مسيني التابعة لبلاد اليونان وذكر أنه رأى عجائب ذهبية وأواني وحلى كثيرة جدا لا يحل لذكرها

(٥) (تندل) عالم انجليزي ولد سنة ١٨٢٠ وتوفي سنة ١٨٩٣ قد كشف خواص عجيبة في النور والحرارة والخير والاختار والمغناطيس والحيوانات الذرية (المكروبات)

(٦) (دكتور) (هنري رولنسن الانجليزي) ولد سنة ١٨١٠ وتوفي سنة ١٨٩٥ هذا العالم أشبه بالعالم (شامبليون الفرنسي) كشف مخبآت في الشرق والمسلمون ناثمون كأنهم لم يقرأوا القرآن فهم ساهون لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - وهذا التفسير ان شاء الله وأمثاله سيكون مثيرا للعزائم مرقيا للشعوب الشرقية منميا للعلوم . أنا بذلك موقن أشد الايقان ولا أدري ما سببه ولكن هكذا هو الوجدان ولا يعلم الغيب إلا الله . كان يعرف اللغة الفارسية والبابلية والمادية فقرأ بهذه اللغات على صخر عظيم في باغستان على بعد (٢٢) ميلا من (قرمان شاه) الى الشرق منها . وهذا الصخر ارتفاعه (٧٠٠) قدم فوجد أنها من أيام (داريوس هستاسيس) سنة ٥١٦ قبل المسيح ووجد في الكتابة اسم (داريوس) ونسبه وغزواته وممالكه وصورته وقوسه وتاج ملكه الخ ونعمل في الآثار الآشورية مثل ذلك فحفر المناصب الرفيعة واشتغل بالعلم وحل رموز الكتابات الآشورية والبابلية المكتوبة بالقلم السفيني وعلماء انكلترا وألمانيا مجمعون على أنه أول من حل الرموز السفينية

(٧) (الاستاذ (دانا) الأمريكي توفي سنة ١٨٩٥ كان من المحققين في علم طبقات الأرض (الجيولوجيا) و (المترولوجيا) أي علم المعادن . له كتابان في علم المعادن وكتاب في (الجيولوجيا) وعرف مذهب داروين وقال ان الانسان لم يرتق إلا بقوة فوق القوى الطبيعية لأن الكون متوقف على ارادة خالقه

(٨) (لويس باستور) هو فرنسي توفي سنة ١٨٩٥ وهو كيميائي وله الفضل في البحث عن التولد الذاتي والاختار والجراثيم المرضية

(٩) (السرجون لوز) المتوفي سنة ١٩٠٠ وهو انجليزي عالم مغرم بعلم الكيمياء وقد خدم بها الزراعة ونحن في الشرق لاهون . وقد امتحن الأسمدة المختلفة بالمزروعات فرأى أن العظام تفيد الالف اذا كان في أرض ضعيفة بخلاف ما اذا كان مزروعا في أرض قوية فانها لانفيد فعالج العظام بزيت الزاج (حامض الكبريتيك) فزادت فائدتها للأرض . ثم عالج الأتربة الفسفورية بزيت الزاج فصارت سمادا نافعا جدا



هذه صورة مما يتضمنه قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - وقوله في آخر السورة - هذا بلاغ للناس  
وانذروا به وليعلموا انما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب -

هائنا ذا أيها المسلمون ذكرناكم بأيام الله في العرب قبل البعثة وكيف كانوا متفرقين أدلاء ثم كيف  
جمعهم الإسلام . ثم كيف فتحوا البلاد . ثم كيف ارتقوا في العلوم والصناعات وترجوا الكتب . ثم  
كيف اضطهدوا العلم والعلماء . ثم كيف فرّ العلم منهم على يد التلاميذ ابن رشد وغيرهم إلى أوروبا مثل بابا  
رومة وعلماء الأهم من الانجليز والبلجيكيين الخ . ثم كيف أدعى قوم منهم أن ما نقلوه عن آبائكم كشف لهم  
ثم كيف ارتقى القوم في فروع الحياة كلها مما لم يحلم به آباؤنا كقطرات السكك الحديدية والآلات البخارية  
وكسحوا البنزين والسياد وقتل الحيوانات الذرية وما أشبه ذلك . أما أنتم أيها المسلمون فانكم قوم ساهون  
لاهون - وكأين من آية في السموات والأرض يمدون عليها وهم عنها معرضون -

قال صاحبى . كفى هذا في الفصل التاسع الذى جاء في ذكر ارتقاء أوروبا وأمريكا في العلوم . قلت

﴿ الفصل العاشر في نتائج جهل المسلمين وغفلتهم ﴾

اعلم أن نتائج هذا الجهل الفاضح في الأمم الإسلامية المتأخرة ظاهرة للعيان فهانحن أولاء في مصر قد  
أصبحت الأمم كلها آخذة في الرقي وقد ألغيت الامتيازات الأجنبية من بلادهم إلا عندنا . قال صاحبى نريد  
أن تذكر ماضى في التاريخ . فقلت لأقتصر على ﴿ ثلاث حوادث ﴾ وهى سقوط الدولة العباسية وسقوط  
الأندلس واحتلال الفرنسيين أولا والانجليز ثانيا لبلادنا المصرية

(١) ﴿ سقوط الدولة العباسية ﴾

إن الدولة العباسية انما سقطت لجهل المسلمين وقلة تبصرهم . وأذكر لك حديثا في ذلك سيأتى في آخر  
سورة الكهف عند الكلام على يأجوج ومأجوج وأسباب هجوم المغول والتتار على البلاد الإسلامية وأن  
قطب أرسلان قتل باغراء التجار من أرسلهم جنكيزخان من التجار العظام بخطاب من عنده للتعامل معهم  
وكان معهم أموال كثيرة . فلما قتلهم وأخذ ما لهم أرسل له جنكيزخان رسلا آخرين فقطع آذانهم فلم يسع  
جنكيزخان إلا أن أرسل جيشه كالجراد المنتشر . ولما بدت طلائعه وظهروا للمسلمين أنصبوا جيوش الإسلام  
هناك سقط في أيدي عظماء الدولة وعرفوا أنهم لا علم عندهم بالقوم وانهم حقروهم لجهلهم بهم وكان ما كان  
من خراب تلك الممالك الشاسعة وجاست تلك الجيوش خلال الديار وكانوا كثيرا ما يهلكون الرجال والنساء  
والأطفال والبهائم والآلات التى تستعمل في البلاد انتقاما كما ستراه هناك في سورة الكهف

أتدري لم هذا كله . لأمرين الظلم والجهل لأنهم لو عرفوا جغرافية البلاد التى تجاورهم لكانوا قدروا  
القوم حق قدرهم . إن علم الجغرافيا فرض كفاية فلو كان في البلاد طائفة تعرف الكرة الأرضية معرفة  
جيدة سياسية وزراعية الخ لكان هؤلاء العلماء قدّموا للأمر تقريراً عن قوة تلك البلاد وأفهموه الحقيقة  
واكنهم كانوا قد تركوا العلوم كما قدّمناه وعدّوها من سقط المتاع واقتصروا غالبا على علم الفقه فنزلت بهم  
الطامة وهم لا يشعرون - وكأين من آية في السموات والأرض يمدون عليها وهم عنها معرضون -

﴿ الحادثة الثانية سقوط الأندلس ﴾

علت مما تقدم أن المسلمين في الأندلس أسقطوا كرامة ابن رشد وأن الملك أصدر منشورا بدم العلوم  
الحكمية وقد أخذت ربح العلوم في الشرق والغرب تركد وكان المسلمون بحال واحدة فهم في الشرق والغرب  
سواسية . وكما نزلت صاعقة العذاب الهون بالمسلمين في الشرق أخذتهم الرجفة في الأندلس . وسترى من  
أسباب ذلك في سورة الشعراء عند قوله تعالى - والشعراء يتبعهم الغاؤون \* ألم ترأنهم في كل واد يهيمون -  
انهم عكفوا على الشعر وتفننوا فيه وأهل اسبانيا عكفوا على الفكر والعلم والحكمة

ولما تحاذل ملوك الأندلس في أواخر أيامهم واختلفوا وصار كل منهم يلجأ إلى من جاورهم من ملوك الأسبان حلت بهم الأوصاب ﴿ من ذلك ﴾ أن الملك فرديند أتى بثمانين ألفاً أمام أسوار غرناطة وطلب من أبي عبد الله تسليمها فقام الرجال والنساء والأطفال والشيوخ وجتأوا في التحصين إلى أن يئسوا فخرجوا لحرب النصارى مجازفين فهزمهم عسكر فرديند فرجموا وطلب هذا الملك من أبي عبد الله أن يسلمه المدينة بعد شهرين إن لم يأت إليها مدد فلم يأت لهم إلا من القبطنطينية إذ جاءت سفير ضربت السواحل ولكن أبا عبد الله لم يصبر حتى يحى الموعد إذ خاف من قيام أهل البلد عليه ولم يسلم المسلمون إلا على شروط مثل حفظ الحرية والأموال والاعلان بشعائر الدين والخراج ولكن قد نقض ذلك كله فرديناند وانتهى ملك العرب الممتد من سنة ٧١٠ إلى سنة ١٤٩٢ ميلادية أي ثمانية قرون

ولما ولي شريكان كرلوس الخامس سنة ١٥٢٤ ألزم أعيان النصارى المسلمين بالتنصر وما زالوا في أخذ وردة حتى أخذ رئيس أساقفة غرناطة أمراً من الملك فيليبس الثاني بمنع اغتسال المسلمين من الحدادين والرقص المغربي واستعمال اللسان العربي وخروج النساء مبرقعات فأبى المسلمون وشهروا السلاح وعقدوا مودة مع مغاربة أفريقية فتبعهم النصارى فالتجؤا إلى الجبال مع قائدهم محمد بن أمية من نسل الخلفاء الأموية واستمرت الحرب سنين حتى ظهر شقاق بين المسلمين وذهب محمد بن أمية وخلفه عبد الله فأخذ منه النصارى سنة ١٥٧٠ معظم عساكره وبعضهم ذهب إلى أفريقية وشتت النصارى شمل المسلمين في الأقطار تحت المراقبة ولما اشتد الكرب على المسلمين دفعوا سنة ١٥٩٢ إلى الملك فيليبس الثاني ثمانمائة ألف دينار ليخفف عنهم فقبضت الحكومة يدها عنهم ولكن الرعية مازالت وفي يدها اليمنى السيف وفي اليسرى الصليب لمطاردة المسلمين . ثم أمر الملك فيليبس الثالث سنة ١٦٠٩ بطرد مسلمي (والنسة) و (مرسيه) فقتلهم السفن إلى سواحل أفريقية وبعضهم اجتاز جبال (برنيه) فقبل نزولهم في فرنسا ما كهم (هنري الرابع) وجاد على بعضهم بالسكن والمزرعة وعلى بعض آخر بوسائل السفر في البحر إلى (مينا غينه) و (مينا انجدوق) ويقول (سديو) إن المسلمين الذين بقوا في اسبانيا بعد فتح غرناطة أي من سنة ١٤٩٢ إلى سنة ١٦٠٩ ثم طردوا بعد ذلك كانوا ثلاثة ملايين وهم كانوا نخبة المسلمين وأعظمهم صناعة . ثم قال مانصه ﴿ فدرست معالم عز اسبانيا وكذا فرنسا بطردهم من مدينة (ننتس) سنة ١٦٨٩ المعتزلين مذهب (القائولية) ذوى الصنائع العظيمة متأمله ﴾

هذه هي النتائج التي وصل إليها اخواننا المسلمون من أبناء العرب ذلك لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال

### ﴿ الحادثة الثالثة دخول الفرنسيين مصر ﴾

طاحت الممالك الإسلامية في الشرق وضاعت في الغرب ومصر في الطريق بين البلدين ولكن الأمم الإسلامية في تلك القرون ذهب منها المصلحون . ذلك أنه كلما نبغ نابغ أصبح بين فكي لأسد يعضه الحاكم المستبد ويجرحه العوام الجهلاء فالحكام يخافون على ملكهم من طلاب الإصلاح والعامة جهال لا يدرون شيئاً فيقول لهم الفقهاء إن هذا مارق من الدين فيضيع بينهم . إن الله خلق في كل أمة وكل جيل نابغين وهؤلاء في الاسلام كانوا لا يجسرون على رفع أصواتهم من صولة الحكام وجهل الفقهاء القائمين بأمر الدين ولكن هذا هو الزمان الذي نرفع فيه صوتنا ولا راد لأمر الله ولا بد من رقي أمة الاسلام في هذا الزمان . لهذا كله لم يعتبر المسلمون وكيف يعتبرون وقد مات المصلحون إذ كفرهم الجاهلون فانظر ماذا حصل واعتبر وفهم المسلمين ذلك . إن ما حصل من دخول التتار والمغول بلاد الاسلام في القرن السابع الهجري هو نفسه الذي حصل عند دخول الفرنسيين مصر في القرن الثالث عشر الهجري . ذلك أنه كما أن المسلمين كانوا يجهلون



الممالك المتاخمة لهم مساحة وسياسة وعددا وعددا . هكذا كان القوم في مصر واليك البيان  
جاءت مراكب انجليزية يوم الثامن من محرم سنة ١٢١٣ الى ثغرا الاسكندرية وأرسلوا رسولا الى السيد  
محمد عبد الكريم الذي هو القائم بالأمر فتألوا إما علمنا أن الفرنسيين يريدون مهاجمة بلادكم فجئنا لنمنعهم  
ولعلمهم قادمون بعد قليل ونحن نريد أن نبقى في البحر بعيدا ونأخذ الزاد بالنقد ومنكم فردهم محمد عبد الكريم  
بخشن القول فتركوهم وسافروا والأمراء لم يهتموا بشئ من ذلك اعتمادا على قوتهم - وانه اذا جاءت جميع  
الافرنج لا يقفون في مقابلتهم وانهم يدوسونهم بخيلهم

وفي يوم (٢٠) منه جاءت المراكب الفرنسية وطلعت الى الاسكندرية فانهمزم المصريون حالا وأحرقت  
مراكب مراد بك ورئيس الطبجية خليل الكردي فولى مراد بك هاربا . أما في الجامع الأزهر فكان  
المتألم يقرؤن البخاري وجميع مشايخ الطرق يذكرون اسم ﴿لطيف﴾ أونحوه ثم دارت الحرب ثلاثة أرباع  
ساعة بجوار القاهرة ففرق كثير من الخيالة في النيل وهكذا سلمت البلاد لهم

وقد جرت حادثة وهو أن الطاعون فشا في البلاد المصرية فأمرؤا بأن الناس لا يدخلون بيوتا فيه مصاب  
ولا يخرجون منه وأرادوا عمل الحجر الصحي . ولا جرم أن هذا نفسه هو الوارد عن عمر رضي الله عنه وقد  
سمع الحديث الشريف في ذلك أي ان الطاعون اذا كان يبلد لا ندخله واذا كنا فيه لا نخرج منه  
فلما أمر الفرنسيون بالحجر الصحي اعتبر المصريون أن هذا عقاب وقد أرسل لهم قائد الجيش خطابا  
يتضمن الحجر الصحي (ذكره الجبرتي في تاريخه) . ولما شرع الفرنسيون ينظمون الأعمال الصحية بحيث  
يحرقون ثياب المطعون وفرشه ثم لا يقرب من الميت أحد قال العلامة الجبرتي فاستبشع الناس ذلك وأخذوا  
في الهرب والخروج من مصر الى الأرياف

هذا ما أردت نقله لتعلم أيها الذكي الى أي حد بلغ جهل المسلمين ونومهم العميق فلا العدو يعرفون قوته  
ولا العمل بالحديث في أمر الصحة قاموا ومسألة الحجر الصحي حق بلا جدال والمسلمون إذ ذاك ساهون لاهون  
- وكأين من آية في السموات والأرض يمرّون عليها وهم عنها معرضون - . هذا ما كان في حادثة الفرنسيين  
﴿أما دخول الانجليز مصر﴾

فانه معلوم مشهور ولكن أذكر حادثة واحدة أخبرنا بها أستاذنا الشيخ حسن الطويل رحمة الله عليه  
قال كان الشيخ أبوخطوه جالسا في مجلس عرابي باشا الوطني الشهير وقت الحرب مع الانجليز . فقال الشيخ  
أبوخطوه يجب اقفال القنال . فقال عرابي باشا إن السياسة ليست في المحافظة . فقال الشيخ أبوخطوه  
أنا آخذ المحافظة وأقوم . ثم ان الانجليز لم يدخلوا إلا من القنال . والسبب في ذلك أن رجال فرنسا ضمنوا  
لعرابي عدم دخول الانجليز بمراكبهم من القنال فوثق عرابي بذلك ولم يثق الشيخ أبوخطوه . ولقد قرأت  
في كلام (ابلات) الانجليزي في هذه الحادثة أن المصريين لو أنهم أقفالوا القنال لم يدخل الانجليز مصر الى  
الأبد وانما دخلوها بحيلة فوهبوا السفن لخديو مصر وبعد أن دخلوا استردوها منه حتى يقولوا مادخل بلادكم  
إلا سفن الخديوي لاسفن الانجليز . هذه عواقب الجهل بالأمم وبالعلوم - ولله عاقبة الامور -

أيها المسلمون . ها أنا ذا ذكرتكم بأيام الله فينا وفي أسلافنا فلتذكروا أممكم بعدنا بكتب ورسائل ولتقتفوا  
سنن القرآن إذ ذكر بما وقع في غزوة أحد وغيرها عاملين بقول الله تعالى - وذكروهم بأيام الله إن في ذلك  
لآيات لكل صبار شكور - اه

﴿تمت وشرح لما تقدم . تذكير المسلمين بالقرآن﴾

قلنا فيما تقدم أن سورة ابراهيم مبدؤة بالتذكير بأيام الله ومختومة بقوله تعالى - وليذكر أولو الألباب -  
والألباب جمع لبّ واللّب غير القشر فالعقول ﴿قسمان﴾ عقول هي القشور وعقول هي الألباب وهذه الثانية

تبحث في حقائق الأشياء . فليرجع من بعدنا من المسلمين الى أسباب زوال الممالك الاسلامية . السبب  
 (أمران) الجهل وترك الشورى . أنظر الى ما يقوله المؤرخ الفرنجى المذكور . يقول إن الأساطيل  
 الاسلامية وصلت الى مصاب نهر السند وأخذ عبد الله بن عامر بلاد كرمان وسجستان الى أن قال وبعث الى  
 ملك الصين اثني عشر سفيرا وهدده بالآغارة فغمرهم بغطايا الذهب الوافرة لشرهم وانتشرت اللغة العربية  
 ودين الاسلام بالتدريج حتى زالت ديانة البوذية وقد ظهرت الجيوش الاسلامية على شواطئ نهر الكنج  
 هذه حالهم في الشرق . فأما حالهم في الغرب فانهم توغلوا في فرنسا وأخذوا اقليم (برغونيا) وبلغوا  
 مدينة (طلوشه) تحت تلك البلاد سنة ١٠٣ . فهزموا فارتدوا الى شواطئ نهر الرون والسين وأخذوا مدينة  
 (بونه) ودفع الجزية أهل (سنس) و (البيجو) الخ

انا لست الآن في مقام الاستحسان أو الاستقباح انما أنا الآن أذكر ما حصل لأبائنا شرقا وغربا ثم ماذا  
 حصل بعد ذلك . هأنت ذا رأيت كيف أصبحت حالهم بعد ثمانية قرون . هاهم أولاء في البادية كما  
 كان آباؤهم قبل النبوة ومن تحضر منهم فانه تحت حكم دولة من دول أوروبا . ثم انظر هاتين الحالين حال  
 العزة أولا والذلة ثانيا ووازن بينهما وبين حال العالم أولا وثانيا . أنظر كيف يقول في صفحة (١١٠) من  
 الكتاب المذكور . ان المأمون لما تولى استدعى من القسطنطينية عالما يسمى (ليون) فأبى (توفيل)  
 ملك القسطنطينية فكان بينهما سنة ٨٢٥ ميلادية حرب نصر فيها (توفيل) وتوفيل هذا هو الذي طمع  
 بعد ذلك في ارجاع ما أخذه العرب منه فخارب المعتصم سنة ٨٣٦ وخرب مدينة (سوزوپترا) مسقط رأس  
 المعتصم وذبح جميع رجالها فسبب ذلك أن أخذ المعتصم عمورية سنة ٨٤٠ ميلادية وفعل ما فعله (توفيل)  
 فانظر ووازن بين المأمون وبين يعقوب المنصور فالأول حارب الروم لأجل عالم منهم والثاني طرد وأهان العالم  
 وهو ابن رشد فارتقى الملك في أيام الأول وانحط بعد زمن الثاني . إذن

﴿ ما السبيل لرقى المسلمين ﴾

السبيل أن تعدل الأمة عن النظام الخالى فان كل مصيبة حلت بالأمة نتجت من جهل الملوك والأمراء  
 وعدم اعتنائهم بالشورى فمات الأمير وخلف الملك لولد غير رشيد ضاعت الدولة فهى أبدأ تبع الأمير جهلا  
 وعاما فلا سبيل لرقى الشرق إلا أن يكون النظام فى الملك بقانون مسنون وأن يكون هناك مجلس له الكلمة  
 النافذة فى أمر الوراثة ونظام الملك وأن يقيد الملوك كما قيد ملك الانجائز بحيث يكون الأمر لأهل الحل والعقد  
 هذه هى السبيل لنظام الأمم الاسلامية فى مستقبل الزمان . هلموا يا أبناء العرب واسمعوا قولى .  
 انظروا الى أخلاق آبائكم الأقدمين وأخلاقكم اليوم . آباؤكم كانت لهم السلطة على أمم فى الشرق والغرب  
 كما بينا فلما زالت دولهم الملكية بقيت دولهم العامة . فانظروا ماذا يقول العلامة الفرنسى المذكور فى  
 المبحث العاشر وغيره ﴿ إن مدينة العرب لم تذهب بذهاب دولهم فذكر فى هذا المقام أن الأتراك والمغول  
 لما أغاروا من شمال آسيا على غربها وشرقها حفظوا مدينة العرب وعلومهم (١) فقد أحضر السلطان محمود  
 الغزنوى الى ديوانه العلامة البيرونى من سنة ٩٩٧ الى سنة ١٠٣٠ . (٢) وجع جلال الدين ملكشاه  
 السلجوقى أفاضل العلماء من سنة ١٠٧٢ الى سنة ١٠٩٢ . (٣) وأحضر (هولاكو خان) المغولى الى  
 ديوانه حين تغلب على بغداد سنة ١٢٥٢ ميلادية نصير الدين الطوسى الذى قلده ادارة المرصد الجديد  
 بالمراغة (٤) ونقل جمال الدين الفلكى مع الخان (كوبلاى) علوم العرب الى مملكة الصين (٥) وحث  
 محمد الناصر بن قلاوون أحد السلاطين المماليك بمصر رعاياه على اكتساب المعارف من سنة ١٣١٠ الى سنة  
 ١٣٤١ ميلادية (٦) وأسس (أولغ بيك) التتارى فى القرن الخامس عشر مرصدا بدمشق وأبقى فى  
 أزياجه من الآثار الفلكية ما يشهد بعلمهمته وحسن قريحته (٧) وقد كان بعد هلاكو بقرنين عائلة تيمور



لنك إذ كان ولده (شاه روخ) وحفيده (أولغ بك) المتقدم ذكره وارثين لما في المدرسة البغدادية العربية من العلوم والفنون (٨) ثم كان زمن الأولين من السلاطين العثمانية علماء برعوا وألقوا كتباً باللغة العربية والفارسية فكان لديهم آخر أشعة شمس العلوم التي ختم بها ذلك العصر المديد (٩) وإن تعجب ففجأ ما نسمع عن (هلاكو) المتقدم الذي أغدق على العلامة نصير الدين الطوسي المال لجمع الكتب الفلكية من خراسان والشام والموصل وبغداد وبنى المرصد المتقدم وجعل في قبة ثقباً تدخل منه أشعة الشمس وبهذه الأشعة تعرف الدرجات والدقائق في سيرها اليومي وارتفاعها كل فصل وجعل في هذا المرصد دوائر رصد كبار أو أرباع دوائر وكرات سماوية وأرضية وسائر أصناف الاسطرلاب (١٠) هذا ما كان من أمر آبائكم العرب خاصة والمسلمين عامة الذين أصبح علماءهم علماء عربية بغض النظر عن الأصل

كان لهم الملك أولاً فلما ذهبت دولهم صار العلماء قائمين بالعلوم عند المتغلبين . فإذا تم بعد ذلك (١١) قال المؤرخ المذكور ﴿ تأخر العرب الآن من التدخل في انقلاب الممالك الشرقية وسكنوا المدن المتباعدة عن بعضها في بحيث جزيرتهم ولزم عرب الشام ونجد عوائد الاجلاف كأنهم نسوا ما أثر آبائهم ﴾ . ثم قال ﴿ وأخذ أهل حضرموت وعمان والبحرين يتمتعون بثمرات المعاملات التجارية مع أهل الهند وبقوصون على المرجان بقرب سواحل الخليج الفارسي ووفد السياحون وتجار العرب الى شرقي أفريقيا وجزائر بحر الهند وسواحل مالابار والممالك الممتدة الى ملقا بل ذهبوا الى الصين . قال ولم يزلوا الى الآن ينشرون فيها عقائدهم وعوائدهم وتصوراتهم ﴾ (١٢) من آثار الجهل في أمم الاسلام زمن الانحطاط أنك ترى أن البربر في شمال أفريقيا كانوا هم والعرب اخواناً أيام موسى بن نصير وطارق بن زياد . ولما طرد النصارى في اسبانيا العرب سنة ١٦٠٩ من بلادهم الى بلاد البربر بشمال أفريقيا لم ياذنوا لهم أن يتوطنوا في البلاد حتى أخذوا مامعهم ثم عاملوهم معاملة الأعداء ولم يزلوا كذلك تحت حكم الأتراك وهم قريب من ثلث أهل البلاد حتى سكن قليل منهم مراکش تحت حكم الأشراف واختار أكثرهم العيشة البدوية والاستقلال بحكم أنفسهم فسكنوا الصحارى ولله الأمر من قبل ومن بعد . هذه صفحة تامة من تاريخ آبائكم حفظوا الملك ونشروا العلم الى زمن قريب ثم دالت دولة العلم بعد دولة الملك وسكنوا الأكوخ بعد القصور . فهل من أبناء الاسلام والعرب من فتيان صدق يرجعون مجداً مضى وتاريخاً قضى ويعيدون التاريخ . هاأنذا بينت لكم في هذا التفسير خلاصة العلوم وخلاصة الدين وخلاصة تاريخ الآباء وخلاصة ما أحاط بكم من رفعة وضعة . أفلا يكون هذا تفسيراً لقوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - . أفليس منكم يا أبناء العرب ويا أبناء الاسلام رجال ينطبق عليهم قوله تعالى في آخر السورة - وليذكروا أولوا الألباب - فهذه هي ذكري أيام الله ومن اطلع على هذا التفسير وفهمه فهو حقاً من أولى الألباب . إن من أعجب العجب أن تشتمل هذه السورة على قصص ابراهيم الخليل وعلى ذكر أبنائه العرب وعلى الرسول العربي ﷺ وعلى مادعابه ربه من قوله - ربنا إني أسكنت من ذريتي الخ - ومن قوله - واجنبي وبنيت أن نعبد الأصنام -

﴿ النهي عن عبادة الأصنام ﴾

دعا الخليل عليه السلام أن يجنب الله أبناءه عبادة الأصنام . إن عبادة الأصنام تحصر الفكر في المعبود والله عز وجل خلق الذكواكب والنبات وكل ما على الأرض فالاعتصار على مخلوق واحد والتفرّب به الى الله دلالة على قصور العقول لعبادة الأصنام مذمومة لأن الله له هذا العالم كله فليقرأ المسلمون العلوم كلها كل بقدره منهم والاعتصار على القصور من العلوم وترك بقيتها تشبه من بعض الوجوه عبادة الأصنام من حيث حصر الفكر . إننا معاشر المسلمين الآن مؤمنون بالله ولكننا حصرتنا عقولنا في علوم ضئيلة فلذلك تفرقتنا شذر من روحكمنا الأمم التي كنا نحكمها وطاحت منا العلوم وذهبت الى أوروبا وأمريكا واليابان والله يقلب الليل

والنهار وسيرجع محمد العرب والمسلمين اوفى وأعظم وأشرف من محمد السابقين والله عاقبة الامور اهـ

( لطيفة في قوله تعالى - وما لنا ألا نتوكل على الله الخ - )

اعلم أن التوكل له ( فائدتان ) كما قاله علماءنا ( الأولى ) أنه يورث راحة القلب في الحال ( الثانية ) أن الله يتولى تدبير الأمر المتوكل فيه بشرط أن يفعل العبد كل ما يقدر عليه فيه علما وعملا . ويعين على التوكل ما رأيته في كلام علماء عصرنا تحت هذا العنوان

القلق واضطراب البال وأثرهما في الصحة والعمل

كان الدكتور ( لايمن بينشر ) يقول ( لا يموت المرء من الجد في العمل ولكنه يموت من الهم والقلق كما أن الآلة لا تؤذيها الحركة ولكن يلبسها الاحتكاك ويلحق بها ضررا عظيما ) ومما لا ريب فيه أن النائبات والشدائد الجسيمة لا تقوى على تعكير صفاء الحياة بقدر الأكدار والخاوف والوساوس الطفيفة التي تلم بالمرء من يوم إلى يوم فتتغص عيشه وتهدم دعائم توازنه العقلي . وقد كتب الدكتور ( جورج جاكوبي ) وهو من جهابذة المتضلعين من علم الأعصاب عن فعل القلق فقال ( إن صحايا الهم في القرن الأخير أربت على آلاف النمل في ساحات الوغى . وإن أدهش ما توصل اليه علم الأعصاب في الآونة الأخيرة انباته أن القلق قتال مود بالحياة . ومباحث الأطباء لم تقف عند هذا الحد فحسب بل انها اخترقت الحجب التي كانت تكتنف هذا العارض وأماطت اللثام عن غوامضه ودقائقه فأظهرت أن كثيرا من الوفيات المنسوبة الى أسباب شتى ناشئة في الحقيقة عن القلق واضطراب الأفكار . فالقلق يفعل فعله النريع في خلايا الدماغ الحيوية مشبها بنقط الماء المتساقطة على بقعة واحدة لا تتعداها فانها مع صغرها وضعفها اذا وقعت على الصخر الأصم لا تلبث أن تشقه وتقرية . فلا عجب اذا كان التفكير المؤلم المستمر المنحصر في موضوع واحد متلفا لخلايا الدماغ مقوضا لبنياه اللين الهش البش . وفعل القلق ميكانيكيا هو كذاك أشبه بفعل مطرقة صغيرة لا تزال دائما أبدا تهوى على الدماغ ضربا حتى تتمزق أغشيته ويختل نظامه . فتتيم العاشق وهم المضطرب وحزن الحزين مالم يبذل هؤلاء الجهد العظيم في مكافئتها تصبح كالمطرقة المشار اليها فلا نعلم أن تلك أركان الدماغ وتذهب بالرشد وتفضي الى اختلاط العقل واختلاله . وقد أظهر البحث أن القلق والغم والفكر الراسخ الملازم تتأب المصاب بها حتى لا يجد لنفسه منها الى الخلاص سبيلا ثم انها لا بد بتتابع وقوعها ومعاودتها من أن تهدم جزأ ولو يسيرا من خلايا الدماغ إذ ليس شئ أشق من مقاومة الأفكار المزعجة التي لا تنفك تخالجه وتساوره . ولما كانت أجزاء الدماغ متصلة بعضها ببعض بواسطة الالياف اتصالا محكما كان من المحتم أن يتطرق الفساد من الجزء المصاب الى سائر جوانب الدماغ . والقلق يحد ذاته شبيه بالوسواس وليس من حالة عقلية أخرى أوخم عاقبة وأفسح ضررا بالإنسان من حيث نمو نفسه وسعادته ونشاطه من القلق وشريكه الانكسار . وطبيب هذه العلة هو توطيد العزيمة على طرح الفكر المقلق جانبا وتناسيه وترويح البال وتسليته . وعلى المرء متى شعر بتعب فكري أن يبادر الى ابدال عمله بعمل آخر يطلق به نفسه من عقال الضجر والسآمة لأن التسلي هو أعدى أعداء القلق وأنجع دواء يعالج به . ولأمراء أنا اذا استسلمنا للهموم والأكدار قدفنا بأنفسنا قرنا كاملا الى الوراء وتراجعنا الى عصر الآلة البخارية في أول عهدها حينما لم يكن مستعملها ينتفع منها بسوى عشر ما ينفعه عليها من الوقود فكانت القوة المستفادة توازي عشرة في المائة والقوة الذاهبة سدى تسعين في المائة . وكثيرون هم الأولى يشبهون تلك الآلات المنبوذة إذ يهدرون قسا وافرا من نشاطهم بالاضطراب والانزعاج والتدمير والتشكي . بينا نرى أناسا آخرين يستثمرون جل قواهم إن لم يكن كلها فيما يعود عليهم بالخبر العميم والنفع الجزيل . فطوبى لمن تعلم أن يحيا الحياة الهنيئة المثلى فاستفاد من كل ما أوتيته من نشاط وقوة ولم يبدد شيئا من مواهبه في مالا يجديه نفعا



قال شيخ وقد أدركته الوفاة لأولاده ﴿ واللهوا يابني ﴾ أنه قد خاضرتني في أثناء حياتي مخاوف جمة لم يتحقق إلا التزير اليسير منها ﴿ • وحدث تاجر وجهه عن أبيه ﴾ قال ﴿ كان أبي مدة عشرين سنة يوجس خيفة من حدوث شر لم يقع أبدا ﴾ فكثيرا ما تتوقع حوادث الحياة ونبئسرها ابتسارا بدلا من ارجائها لأوائها واجترأنا بشؤون اليوم الذي نحن فيه • فهام اليوم قلما يتأتى عنها عظيم ضنى ولكن ليست كذلك المبالاة بأمور المستقبل التي تضمنك القتل وتوهن الجسد فانما هي مشاغل الغد والاسبوع القادم والعام المقبل التي تشيب الرأس وتجعد الوجوه وتحنى الأجسام وتنهك القوى

وجديرا بالإنسان العاقل أن يقيم حوالى حاضره سورا ميعا حائلا بينه وبين ماضيه وآتية فيعيش في حظيرة خليا مطمئن النفس ناعم البال • وقد كان (ناكرى) الكاتب الانكليزى يقول ﴿ إن كل امرئ يخلق لنفسه البيئة التي يشتهيها لأن الدنيا شبيهة بمرآة تعكس له شكله وصورته فاذا أقبل عليها مقطبا قطبت واذا بش لها وابتسم بشت وابتسمت ﴾

ويحكى أن (دوايت مودى) الواعظ الأميركي تقدم يوما الى تلامذته بأن يتباروا في استنباط المعاني فمن جاء منهم بأحسن فكر أجازته بخمسمائة ريال فكان المجلى في هذا المضمار من قال ﴿ يتدمر الناس من أن الباري جل وعلا أنبت مع الورد شوكا أفما كان أحرق بهم أن يحمده إذ أنبت مع الشوك وردا ﴾ • ولاشك في أن مما يساعد الفتى على الفوز في معترك الحياة قبوله للعالم بما فيه من الأشواك والأسواء فقد قال (فونتنيل) ﴿ إن الاسراف في الأمل والرجاء هو حجر عثرة في سبيل السعادة والهناء ﴾ وقال السرجون لبوك ﴿ لو أن الموكل اليهم أمرت بية الناشئة علموهم المسرة بمهامهم بقدر اهتمامهم بمسرتهم لآل ذلك الى ترقى العالم وسعادته ﴾ وكان (أوليفر وندل هولمز) وقد بلغه الكبر لا ينفك أبدا يذكر جميل مريته التي علمته صغيرا الاغضاء على مساوى الحياة فكانت اذا جرحت أصبعه تصرف نظره عن ألمه بدمية تهديها اليه أو حكاية تقصها عليه وكان يعزو اليها اغتباطه الدائم المستمر • الاغتباط الذي يسهل اكتسابه على الغلام ويعسر على البالغ أشده وأما في الشيخوخة فهيات لا يناله أحد أبدا

وقال أحد المشاهير ﴿ لما كنت أرض أصبى في أيام طفولتي كان القائمون بأمرى يعزوني ويطمئنون بالى بتوجيه نظرى الى ابن الجيران الذى بترت ذراعه بأجعتها • وحينما كان القذى يتسرب الى عيني كانوا يذكروننى بابن عمى الذى فقد عينه ولا رجاء له باستردادها فكنت أرى نفسى إزاء هذا وذلك سعيدا محفوظا فينبغى إذن أن يعود الأطفال الانبساط والارتياح الى كل ما يعرض لهم فى الحياة ناظرين الى الأشياء من وجهها المشرق المنير لا المظلم القاتم حتى اذا شبوا على هذه الخلة شابوا عليها ورافقتهم من المهد الى المجد • انتهى تفسير القسم الأول من سورة ابراهيم عليه السلام

### ( القسم الثانى )

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ كَرَمًا دُ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ \* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَئْسَ أَيْدِيكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ \* وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ \* وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَبَرُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ حَیْصٍ \*

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا  
 كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ  
 مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ  
 عَذَابٌ أَلِيمٌ \* وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ  
 فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ \* أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ  
 طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ  
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ  
 الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ \* يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ  
 وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ \* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا  
 قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ \* جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ \* وَجَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ  
 قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنْ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ \* قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا  
 رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ \* اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ  
 الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ \* وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
 دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ \* وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ  
 لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ \*

هذا القسم قد أبان الله فيه أحوال الأمم وكيف تبعد بالجهالة وتحيا بالعلم وجعل ذلك في أربعة أنماط  
 (النمط الأول) أنه شبه أعمال أولئك الذين كفروا وقد نظروا السموات والأرض الذين ذكرهما الأنبياء  
 جميعا وجاء بها النبي ﷺ لقومه كما في أول السورة ثم أعرضوا ولم يعقلوا إلا اقتراح خوارق العادات فشبه  
 أعمالهم بتراب عصفت به الرياح فذهبت به في كل ناحية فلا ينالون ثوابا وذلك هو الضلال البعيد عن طريق  
 الحق والصواب

(ايضاح لقوله تعالى في أول السورة - الذين يستحبون الحياة الدنيا - الى قوله - أولئك في ضلال بعيد - )  
 (النمط الثاني) أنه خاطب كل واحد من الناس فقال • أليس ترى أيها الانسان أنا خلقنا السموات  
 والأرض بالحكمة وعلى وجه يليق أن يخلقا عليه وكيف ترون هذا وأنتم عنه غافلون • لعمري لئن لم تقم  
 الأمم بما عليها من حسن النظام وجمال الاتقان وتعميم العلم وتقويم الأمر وتحافظ على كيانها وتخلق بأخلاق  
 في سمواتي وأرضي فيها لأنزعن الملك منها اتزاعا ولأجعلن أمرهم ضياعا ولأصينهم بداء عياء



ولاجتماع جمعهم كاهباء . وكيف أبقي في ملكي من لا يفقهون . أو يعمر أرضي من لا يعقلون . وهل خلقت السموات والأرض باطلا ذلك ظن الجاهلين فويل ثم ويل للجاهلين من تفرق جوعهم وتشيت شملهم وذهب ملكهم ذلك يوم شؤمهم ثم يرجعون إلى جميعا فيجدل الرؤسون الرؤساء ويحاور الرؤساء الرؤسين ويلقى الأولون التبعة على الآخرين ويخضع ويخضع للأمر الآخرون ويسلمون بالمقادير ويقولون - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص - ثم يقف الشيطان بين الحزبين خطيبا وأى خطيب فيقول أيها الحزبان ويا بني الانسان ما قضى كان وليس في الامكان أبدع مما كان - قضى الأمر الذي فيه تستفتيان - لقد وعدتكم فأخلفتكم والله وعدكم فلم يخلفكم وقد اتبعتوني إذ دعوتكم بلا برهان مع انكم اقترحتم على أنبيائكم أن يأتوكم بما ليس في الامكان فاللوم واقع عليكم فهو منكم واليكم فلا أنا مغيبكم ولا أنتم مغيبون لقد كفرت بكم . وملخص هذه المحاورات أن خراب الأمم وضياح الدول وذهب عزها ومجدها من الرؤساء واستبدادهم بالرعايا وظلمهم في القضايا فيقلدهم الرؤسون وهذا التقليد هو الخرب للأمم المضيع للهمم لأن المقلدين يتكلمون على المقلدين بالفتح والأساس اذا كان واهيا انهار بما فوقه فرجع الأمر الى أن الله لا يغفر للأمم خطأها في التقليد ويوجب عليها النظر والعلم الرشيد والرأي السديد والتجديد في الرأي والابداع في العمل وهذا قوله تعالى - ألم تر أن الله خلق السموات - الى قوله - تحييتهم فيها سلام -

#### ﴿ تفسير بعض الألفاظ ﴾

قال تعالى (مثل الذين كفروا بربههم) أى فيما يتلى عليكم صفتهم التي هي مثل في الغرابة ثم استأنف لبيان هذا المثل فقال (أعمالهم كرماد اشتدت به الريح) جملة الريح وأسرعت الذهاب به (في يوم عاصف) وصف اليوم بما يوصف به الريح فان العصف اشتداد الريح كقولك نهارة صائم وليله قائم . فاذن صفة الرحم واغاثة المهوف وما أشبهها لاثواب فيها مع كفرهم كالتراب المذكور (لا يقدررون) يوم القيامة (مما كسبوا) أى من أعمالهم (على شئ) أى المقصود أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم (ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق) أى لم يخلقهما باطلا ولا عبثا بل خلقهما لقصد صحيح وأمر عظيم (إن يشأ يذهبكم) أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعنى سواكم أعلم بالسموات والأرض الذين خلقناهما بالحق فيكونون مؤمنين وموقنين (وما ذلك على الله بعزيز) أى بممتنع وكيف يعز على الله وقد أهلك الأمم الغافلة في الاسلام نفسه فأزال ملك الدولة العباسية بالتتار لما كانوا غافلين حتى جهلوا علم الجغرافيا فلم يعرفوا قوة التتار كما سيأتى في سورة الكهف وأزال ملك أهل الأندلس لما انكبوا على الغزل والتخث ولوا الوظائف أهل الخيال والشعر ولم يولوها أرباب العقل والفكر وتركوا عاداتهم وأخلاقهم واتبعوا الفرنجة وأهلك أهل أمريكا الأصليين وأهل استراليا القدماء فكل أمة نامت أعينها عن استكناه هذا العالم فان الله يزيلها على أى دين كانت وأى نحلة فان الله خلق السموات والأرض بالحق ولا يبقى إلا الأصلح في الوجود (وبرزوا لله جميعا) أى يبرزون من قبورهم يوم القيامة واذن يتجادلون مجادلة اللصوص اذا أحضروا بين يدي القضاء فان كلا منهم يقول نفسى نفسى لأن - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - وقوله (فقال الضعفاء) جمع ضعيف أى ضعاف الرأي (للذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استغفروهم (إنا كنا لكم تبعا) فى تكذيب الرسل (فهل أتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) أى فهل تقدررون على أن تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذى حل بنا فمن الأولى للبيان والثانية للتبويض (قالوا لو هدانا الله لهديناكم) أى لو أرشدنا الله لأرشدناكم (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعنى مستويان علينا الجزع والصبر (مالنا من محيص) منجى ومهرب من العذاب والحيص العدول لأجل الفرار وهو مصدر كالغيب أو مكان كالبيت . ثم قال (وقال الشيطان لما قضى الأمر) أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (إن الله وعدكم وعد الحق) وعدا أنجزه وهو

الوعد بالبعث (ووعدتكم) وعد الباطل (فأخلفتكم) قلت لكم لا بعث ولا حساب وان صحّ فالأصنام  
شفعاء (وما كان لي عليكم من سلطان) تسلط فألجئكم به إلى الكفر والمعاصي (إلا أن دعوتكم فاستجبتم  
لي) أي إلا دعائي إياكم بتسويلي وتزييني فأسرعتم بإجابتي بلا برهان (فلاتلوموني ولوموا أنفسكم) فلا لوم عليّ  
في وسوستي وإنما اللوم عليكم اذ أطعتموني (ما أنا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب (وما أنتم بمصرخي) بمغيثي  
(إني كفرت بما أشركتمون من قبل) أي كفرت اليوم بأشراككم إياي من قبل هذا اليوم أي  
في الدنيا أي تبرات منه واستنكرته • ثم قال الله تعالى (إن الظالمين لهم عذاب أليم \* وأدخل الذين آمنوا  
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها بأذن ربهم) بأذن الله تعالى والذين يدخلونهم هم  
الملائكة (تحييهم فيها سلام) أي يحييهم الملائكة فيها بالسلام ﴿النمط الثالث﴾ اعلم أن النمطين السابقين  
يخالفان النمطين اللاحقين • ذلك أن الأولين جاءا لتبيان ما يعتور الأمم الجاهلة من تفرق الحال وضياح الأمر  
وذهاب مجدهم ودثور عزّهم ومحق جمعهم لما كانوا جاهلين • ألم تتركب صور أعمالهم أن الرياح تذروها  
وكيف نسوا حظهم من السموات والأرض فحكم عليهم بالذهاب من الوجود ثم يؤتى بدلهم بمن هم أشرف  
نفوسا وأقوى قلوبا وأعقل للعلم وأولى بالفهم • وكيف كانوا متواكلين يسوقهم الرؤساء كما تساق الأنعام  
ويذوقون سوء النكال فالرؤساء والشهوات التي يستخدها الشيطان في اغوائهم لهم ولها السلطان عليهم •  
ذلك ملخص النمطين فاسمع ما يتلى عليك من النمطين اللاحقين وأعجب للأمرين الجهل والعلم واذكر ذلك  
لمن يليك ﴿النمط الثالث﴾ فأما النمط الثالث فهو واسطة العقد وبيت التصيد ولأقدم لك مقدّمة لأجله فأقول  
اجلس ساكنا فريدا لا أصوات بجانبك وفرغ قلبك مما يلهيه وانظر إلى العالم العلوي وإلى العالم السفلي  
وتصوّر أنك عقلنهما ودم على ذلك طويلا وكرره في نفسك مرارا على شريطة أن تلم بالعلوم المعروفة المأما  
من الرياضيات والطبيعات حينئذ يتجلى لك اشراق في النفس وبهجة في القلب وضياء في العقل وأنوار  
بهجات كاشفات ويصوّر لك خيالك العجيب صورة عالمك بهيئة أنوار مختلفة الألوان بحيث تبهج النفس بها  
وتقرّ العين • تلك الأنوار تشرق من الأرض وتنبعث من سطحها وأصلها من قلبك وتخترق طباق الجوّ  
وتعلو إلى العلا حتى تصل أطباق السموات فتحلق هناك وتحاول الاطاعة بالنجوم ولا تخاف من الرجوم  
ولا الوجوم • فهل حضر في خيالك هذا المثال • نعم حضر لأنّي ألقيته في خيالك وكأنك كنت هنالك •  
فاذا تصوّرت هذا كله الآن وما أسهل صور الخيال فانه يمثل جمال العلم الحاضر في النفوس الكاشف للعوالم  
التي درستها والمعلومات التي قرأتها من المعادن والنبات والحيوان والانسان والجوّ والسحاب والسموات  
هذا هو الخيال الذي يحاكي هذه الدراسة العاتية • اذا عرفت هذا فانظر تمثيل القرآن لهذا العرفان  
لقد أراد الله أن يرينا بهجة العلم بهيئة تدل على الثبات والدوام فعمد إلى أنواع النبات فقسمها قسمين  
قسم لا ثبات له ولادوام بل هو نخضراء الدمن التي تنبت أوّل النهار في الندوات حتى اذا علت الشمس في  
السما نشفت وذوت وذرتها الرياح وبقيت أرضها جرداء حتى اذا ما أرخى الليل سدوله وظهر الصباح نبت  
مرة أخرى ثم يبس ضحى وهكذا دواليك • هذا قسم من أنواع النبات • القسم الثاني هي النباتات القوية المتينة  
كالنحل والأشجار الباسقات التي تعيش عشرات السنين ولها فروع في الجوّ وجذور نازلات في الطين وأوراق  
وأزهار وأثمار ولها فاكهة ينالها الناس كل حين • فانظر كيف جعل هذا القسم الأوّل مثلا للمعارف الضئيلة  
والآراء الزائلة السقيمة بحيث لا تنفع جارا ولا توري نارا ولا تدفع عارا وجعل القسم الثاني منها مثلا للمعارف  
الشريفة والآراء المتينة وثبات الامور ونظام الجمهور  
وبالتأمل في المثليين نرى عجبا عجبا • ذلك أن الناس على اختلاف نحلهم وألوانهم ومدنهم مختلفون في  
آرائهم كاختلاف النبات فلعمري الله أين خضراء الدمن التي ذكرتها لك وأنت تشاهدها غير مكترث بها كل يوم



تخرج في الأرض الندية لاصقة بالأرض وهي نباتات حقيقية تزهر وتثمر ونحن لانشعر بها وتتم نظامها في بعض يوم ويكون لها بذور وتلك البذور تنبت في اليوم الثاني . فأين هذه وأين النخل والسرور والأثل وكم من نبات بين هذين . إن النباتات لم يحصرها العلماء إلا على مقدار طاقتهم قد أوصلها بعضهم الى ثمانين ألف نوع وبعضهم زاد كثيرا وهم جميعا يقولون إن في العلم ماغاب عنا فهذه الأنواع كلها مختلفات غير متفقات . هكذا عقول الناس فيها عقول لاصقات بالأرض نخضراء الدمن . ومعنى الدمن الأرض التي تكون حول البيوت وفيها مايرمي به الناس مما يزدري ومنها عقول مرتقيات قليلا قليلا حتى تتصل الى أعلاها كالأنبيا هذا هو المثل الذي ضربه الله لعقول بني آدم وعلومهم . قرن عقول الناس وعلومهم بأنواع النبات بل إنه أراد فوق ذلك سبحانه أن يقول للناس ادرسوا هذه الأنواع وعلى مقدار الدراسة لها ولغيرها يكون ارتقاء العقول . ولكن ليس هذا مضرب المثل بل هو يؤخذ من طريق التعقل . انما المقام مقام اختلاف العقول في العلم . واذا كان المظان الأولان دلا على الذهاب والتشتيت وعدم الثبات فهنا ضرب المثل لأنواع العلم فنه ماهو من القسمين السابقين لاثبات له ومنه ثابت له قرار وعبر عن الثابت بالكلمة الطبية وعن غير الثابت بالكلمة الخبيثة . وهالك تفسير ألفاظه قال تعالى (ألم تركب ضرب الله مثلا) أي ألم تر أيها الانسان بعين قلبك فتعلم علم اليقين بأعلامي إياك كيف بين الله شبهها والمثل قول في شئ يشبه قولاً في شئ آخر بينهما مشابهة لينين أحدهما من الآخر ويتصور وقوله (كلمة طيبة) بدل من مثلاً و (كشجرة طيبة) صفتها أي بين الله شها كلمة طيبة موصوفة بأنها كشجرة طيبة (أصلها ثابت) في الأرض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها (في السماء) فتمتد فروعها في الجوّ (تؤتي أكلها) تعطي ثمرها (كل حين) كل وقت والحين يطلق على القليل والكثير (بإذن ربها) بإرادة خالقها وتكوينه (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) لأن في ضرب الأمثال زيادة الافهام (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) أي كمثل شجرة خبيثة (اجتث) استؤصلت وأخذت جثتها بالكلى (من فوق الأرض) لأن عروقه قريبة منه نخضراء الدمن أو لاعروق لها في الأرض كنبات الكشوثى الذى يعيش على غيره كما يعيش البرغوث على جسم الانسان (مالها من قرار) استقرار . ولقد علمت الكلمة الخبيثة والكلمة الطبية فيما بيناه فالقلدون في العلم وأرباب الشهوات وأصحاب النفوس الضعيفة كلهم أصحاب الكلمة الخبيثة لأنها لا تثبات لها كنبات الكشوثى وخضراء الدمن وأصحاب النفوس العالية والحكماء وكبار المفكرين في السموات والأرض هم أصحاب الكلمة الطبية فعلمهم ومعرفتهم تعطى أمهم نعماً ورزقاً ونظاماً في هذه الحياة الدنيا والعلم مستقر في نفوسهم وباستقراره فيها امتدت فروعها الى العوالم العلوية والسفلية وأثمرت إثماراً كل حين على أبناء أمتهم وعلمهم وعلى غيرهم وصار نوراً يهتدى به المهتدون ويمثل لذلك بالنخلة التي أصلها مستقر وفروعها عالية وثمرها دائم لأن الناس يأكلون منها صيفاً وشتاء الجار والطلع والبلح وهو ضار بالصحة . والخلال والبسر والمنصف والرطب ثم التمر اليابس الى العام المقبل . ثم قال تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم (في الحياة الدنيا) فيكونون راسخين في عقائدهم صابرين على ما أصابهم كزكريا ويحيى عليهما السلام (وفي الآخرة) فلا يتلثمون اذا سئلوا عن معتقدتهم في الموقف ولا يدهشهم أهوال يوم القيامة (ويضل الله الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بأن لم يفكروا وصاروا كالشقي الثاني الذين هم أصحاب الكلمة الخبيثة أو قلندوا فهم لا يهتدون ولا يثبتون (ويفعل الله ما يشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين . هذا هو المثل وهذا تفسير ألفاظه ولقد عرفت مرماً وفهمت مغزاه وليس يراد من أمة الاسلام أن ينطقوا بالشهادتين حسب والا فالنطق بهما متيسر للبيغاء فهذا الطائر متى علمناه النطق بهما نطق ولا أن يتصور المسلم المعنى حسب . كلا . إن الأمر عظيم فليفكر المسلمون بعقولهم ولينظروا كم بين نخلة

مشمرة وحشائش ذاهبة ما لها من قرار . والنظر لما كان الأمر عظيمًا ضرب الله له المثل ولا يضرب المثل إلا للعظيم  
 فالاعتقاد بنبوّة النبي ﷺ وبوحدانية الله سهل عند المجاز وأجله لاء . ولكن الأمر ليس بمجرد الاعتقاد  
 بل إن الله أنزل هذا القرآن لأهم ستعرف هذا الوجود وتدرس هذه الدنيا ﴿ تنبيه ﴾ أذكرك بما تقدم في  
 سورة التوبة لما وقف أبو بكر رضى الله عنه محتجا على الأنصار قائلهم ﴿ أيها الأنصار قال الله تعالى - أولئك  
 هم الصادقون - ألم تكن فينا نحن المهاجرين فقالوا بلى فقال ألم تقرأ - يا أيها الذين آمنوا اقوال الله  
 وكونوا مع الصادقين - فما نحن أولاء الصادقون فليكنوا معنا ﴾ فانظر كيف استدل على أن الخلافة في  
 المهاجرين بهذا . أفلا يحق لنا أن نقول للمسلمين الذين ضربتهم أوروبا ومزقت شملهم وضحكت على  
 أذقان عظمائهم . أيها المسلمون لم كرر الله ذكر السموات والأرض ولم يضرب المثل بشجرة تمتد من الأرض  
 إلى السماء ولم ذكر السموات والأرض في كل مناسبة ففي أول السورة على لسان نبينا وفيها على لسان موسى  
 وعلى السنة جميع الأنبياء من أمهم وها هو يعيدها في ضرب الأمثال وها هو ذا يكررها كل حين . إن ذلك  
 لما قدمته وكرره في هذا التفسير

### ﴿ نتائج في هذا المثل ﴾

(١) فإذا سمعت بعض العلماء يفسر الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد أو دعوة الاسلام أو القرآن والكلمة  
 الخبيثة بالاشراك بالله أو الدعاء للكفر أو تكذيب الحق فقد دخل كل ذلك وأمثله فيما قررناه  
 (٢) وإذا سمعت أن الشجرة الطيبة هي النخلة أو شجرة في الجنة أو شجرة تتخيلها امتدت من الأرض  
 إلى السماء فعلا . وأن الخبيثة شجرة الخنظل أو الكشوئي أو الثوم أو الكافر فكل ذلك داخل فيما قررناه  
 وعرفت المقصود

(٣) وإذا سمعت حديث البخاري ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كذا عند رسول الله ﷺ  
 فقال أخبروني عن شجرة شبه الرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى أكلها كل حين ثم وقع في نفس ابن عمر  
 أنها النخلة ولما عرف أن أبا بكر وعمر لا يتكلمان كره أن يتكلم هو فقال رسول الله ﷺ هي النخلة ثم  
 انصرفوا فقال ابن عمر لأبيه ما قام بنفسه فقال مامنعك أن تتكلم فقال لم أركم تتكلمون فكرهت أن  
 أتكلم فقال عمر لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا

(٤) وإذا سمعت رواية الترمذي مرفوعا وموقوفا أن الكلمة الطيبة هي النخلة وأن الكلمة الخبيثة هي  
 الخنظلة . إذا سمعت ذلك كله فقد سهل الأمر عليك وعرفت الحقيقة وكل ذلك تبيان لها . فياليت شعري  
 كيف يكون هذا شأن القرآن وشأن الحديث . يجلس الرسول ﷺ ويحدث أصحابه في علم النبات ويمتنعهم  
 في الشجرة التي تؤتى أكلها كل حين باذن ربها وأمة الاسلام نائمة . أفلا يقرؤون علوم النبات كما أشار لذلك  
 الحديث وكما مثل به القرآن

(٥) وإذا سمعت حديث البخاري ومسلم أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه يسمع قرع  
 نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل (يعني محمدا ﷺ) فأما  
 المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له أنظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة  
 قال النبي ﷺ فإيهما جيعا . وأما المنافق أو الكافر فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له  
 لا دريت الحديث ثم يضرب بمطرقه من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين  
 لفظ البخاري . وهناك روايات أخرى تزيد على هذا لمسلم وأبي داود والترمذي فإذا سمعتها فاعلم أن ذلك  
 العذاب على الجهل المطلق لأنه إذا لم يصدق أصل الدين فكيف يدرس عوالم الأرض والسماء التي أمر بها  
 الدين وتأمل في الحديث كيف عبر بأن الضربة بين أذنيه كأنه يقول له هلا سمعت سماع تفهم وهلا عقلت أما



السمع فبالأذنين وأما الفهم فبالعقل الذي هو بين الأذنين . واعلم أن هذه الضربة أتت تصيب الجاهل في قبره يحس ببعضها في حياته فإن الأمم الجاهلة المتفرقة الكلمة يصيبها العذاب في الدنيا باغتصاب بلادهم وذهاب مجدهم وضياع شرفهم

ولكم يجد الجاهل في نفسه وكذا الشرير في ضميره من أنواع التوبيخ والتقريع والحزن على ما فاته من العلم ومن صنع المعروف . وهذه الهواجس عامة في الناس جميعا فما من امرئ إلا ويشعر بنقص علمي حين ينظر ما حوله من الكائنات وزجر نفسه حين يعلم أنه مقصر في أغلثة من حوله وأعاتهم فيما يطلبون هذا مبدأ العذاب ويزداد هذا العذاب بتفرق الكلمة بين الأمة ثم اذلالها وقهرها فإذا ماتوا وجدوا العذاب الأكبر على التقدير بتسكين الضمير وعذاب السعير والمقامع من حديد ولله عاقبة الأمور

جاء في كتاب ( مذكرات أدبيات اللغة العربية ) في صفحة ١٠٤ تحت عنوان

( الموازنة السادسة . التشبيه بالشجر والنبات وغيرها )

وقال عنبرة العنسي يشبه راحة عيلة برائحة روضة أنف

أَوْ رَوْضَةً أَنْفًا تَضُمَّنَ نَبْتَهَا	غَيْثٌ قَلِيلُ الدَّمَنِ لَيْسَ بِمُعْلَمٍ
جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بَكْرٍ حُرَّةٍ	فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كَالدَّرْهَمِ
سَحَابًا وَتَسْكَابًا فَكُلُّ عَشِيَّةٍ	يَجْرِي عَلَيْهَا الْمَاءُ لَمْ يَتَصَرَّمِ
وَحَلَا الدُّبَابُ بِهَا فَلَئِنْ بَارِحَ	غَرْدٍ كَفِعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنَّمِ
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعُهُ بِذِرَاعِهِ	قَدَحَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

هذا نموذج من ذكر الشجر والنبات والبساتين في كلام العرب تأمله وانظر كيف ذكره طرفة لمكان محبوبته وبنيت طريق لرائد أخوها وامرؤ القيس طورا يذكر الصلابة الحجرية وأخرى يذكر الدم في صدر فرسه وآونة غزارة شعر محبوبته وعنبرة ما وصف الحديقة والورق والسحاب والذباب والأجندم المكب على الزناد إلا لتشم أنفاس محبوبته عابقة الريح طيبة النثر

إذا حققت هذا فتأمل حال ذكر الشجر في القرآن وتعجب من تنويع المعاني واجادة التشبيه والارتقاء به الى مستوى تسمع فيه صرير أقلام الحكمة وذلك فيما يأتي

يقول الله عز وجل مستدلا على الايمان حاضا على النظر في العالم المشاهد وبهجته ونظامه - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير - إذا نزل ماء فأنبث النبات فأصبحت الأرض مخضرة . ولا جرم أن ذلك دلالة على لطفه وتديبه وعلمه وأنه خير بجمع الشؤون . وتعجب كيف مثل كلمات الحكمة والايمان الثابت بالعمل بالشجر وكلمات الكفر والجهل بما لا يثبت منه كالخنظل إذ قال - ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة - الى قوله - ما لها من قرار - شبه كلمة الحكمة والايمان بشجرة ثبتت عروقها في الأرض وعانت أغصانها الى السماء ذات ثمر في كل حين . ولا جرم أن الهداية اذا حلت قلبا فاضت منه على غيره وملائت قلوبا كثيرة فكأنها شجرة أثمرت كل حين لأن ثمراتها دائمة لا مقطوعة ولا ممنوعة وكل قلب يتلقى عما يشاء كله ويتقده مما يلائمه أسرع من ابتعاد النار في الخطب والكهرباء في المعادن والضوء في الأثير . وشبه الكلمة الخبيثة كلمة الكفر وما كلفها بشجرة خبيثة كالخنظل لا أصل لها من الجذوع ثابت بل عروقها لا تتجاوز سطح الأرض فلا هي ترتفع في الجوق ولا هي تمتد بجذورها في باطن الأرض . هكذا

لا ثبات للباطل ولا دوام فهو زائل ذاهب وما أقوى الحق وأثبتته وأكثر نفعه فالحق قوي الأركان ثابت الدعائم مرتفع إلى أعلى مشرر كل حين كالنخل والباطل لا ثبات له وليس له استتالة وعاقب وثمره مرّ كره كالحنظل في أحواله الثلاث اهـ

ثم إن ما تقدم في هذا المقال من ذكر طريقة بن العبد وامرئ القيس فهو ماسأذ كره هنا فقد جاء في صفحة ١٠٣ من الكتاب هذا البيت \* قال طريقة

وفي الحى أحوى ينفخ المردشان \* ثم ظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد

وقد معنا معنى البيت أن في الحى حبيباً أسمر الشفة يشبه غزالاً طويل الرقبة يتناول أغصان الأراك وينفضها . وأما الثانى فهو ملجأ بعد ذلك وهذا نصه

وقالت اعراية أيا شجر الخابور مالك مورقا \* كأنك لم تجزع على ابن طريف

وفي هذا مجاز عقلى أو كناية \* وقال طريقة

تبسم عن المحيا كان مؤورا \* تخلل حُر الرمل د عصى له ند

وقد قدّمنا أن الاقوان شبه به الثغر في الصفاء والبهجة والحسن والنور . وأما الثالث فهو ملجأ بعد ذلك وهذا نصه . ويقول امرؤ القيس

كان على المتنين منه اذا اتحى \* مذاك عروس أوصالية حنظل

والمراد بالصلاية الحجر الذى يشق به الحنظل والحنظل معروف \* ثم قال

كأن دماء الهاديات بنحره \* عصارة حناء بشيب مرّجل

يقول كأن دماء الهاديات وهى أوائل الصيد من الوحوش على نحر هذا الفرس عصارة حناء خضب به مرّجل أى مسرح يشبه دم الصيد الذى اقتنصه وهورا كب على نحر فرسه بعصارة الحناء فى شعر الأشب \* وقال يشبه شعر محبوبته وهو أسود فاحم بقنو النخلة المتعشّكل أى الذى خرج عن رأس نخلة فظهر خارجاً عن أغصانها وأخافها إذ قال

وفرع يزىن المتن أسود فاحم \* أثبت كقنو النخلة المتعشّكل

الخط الرابع وفيه تبيان أعلى مقام فى العلم والعرفان والأخلاق الجيلة أى تبيان الكلمة الطيبة وأصحابها والكلمة الخبيثة وأربابها أيضاً لما قبله وتبيناً لما تقدمه فذكر سبحانه أن ذوى الكلمة الخبيثة هم الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار \* جهنم يصلونها وبئس القرار . وأن ذوى الكلمة الطيبة هم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويتصدقون سرا وعلانية وينظرون فى خلق السموات والأرض وانزال الماء من السماء وكيف أخرجت به الثمرات وكيف سخرت الفلك لتجرى فى البحر بالتجارة . وكيف كانت الأنهار تخرج من البحار بالبخر الذى ينعقد مطراً فينزل على اليابسة وكما سخّر الفلك فى البحر سخر الشمس والقمر وهما مستمران دائران لا يفتران . وكيف سخر الليل والنهار . وكيف آتانا من كل ما سألناه . وكيف كانت النعم المعطاة لنا لا يحصيها أحد ولا ينقطع لها مدد فهؤلاء المصلون المنفقون هم أصحاب الكلمة الطيبة أى يكرنون علماء بما فى الأرض والسماء دارسين النبات والبحار والأنهار . وكيف سخرت السفن وعالمين بما سخر الله من شمس وقر وكواكب . هذه هى الكلمة الطيبة وهؤلاء هم أربابها . وهاك تفسير الكلمات قال تعالى (ألم ترالى الذين بدّلوا نعمة الله كفراً) كأهل مكة لهم حرم آمن ورزق واسع وشرف بمحمد ﷺ فكفروا وقطّوا سبع سنين وقتلوا وأسروا يوم بدر وذّلوا لأنهم بدّلوا شكر النعمة كفراً بها (وأحلوا قومهم) الذين شايعواهم فى الكفر (دار البوار) الهلاك بحملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان على دار البوار ( يصلونها) حال منها (وبئس القرار) أى وبئس المقرّ جهنم (وجعلوا لله أندادا



ليضلوا عن سبيله) الذى هو التوحيد (قل تمتعوا) بشهوانكم ومنها عبادة الأوثان والأمر بالتهديد (فإن مصيركم إلى النار) أى مرجعكم إليها \* قال ذو النون الممتع أن يقضى العبد ماشاء من شهواته (قل لعبادى الذين آمنوا) أقيموا الصلاة وأنفقوا (بقيموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم) فقول القول محذوف كما فهمت (سرا ولا نية) اتفاق سرا وعلانية ويستحب الأول فى التطوع والثانى فى الواجب (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) فيتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدى به نفسه (ولا خلال) ولا محالة فيشفع لك خليلك \* قال مقاتل إنما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا محالة ولا قرابة إنما هى الأعمال إما أن يثاب أو يعاقب عليها \* قال الشاعر

لانسب اليوم ولاخلة \* اتسع الخرق على الراقع

فليست القرابة بمغنية فتبلا هناك فإن الأخلاء بعضهم لبعض عدو إلا المتقين فإن التقوى هى الرابطة بين الناس هناك لا النسب فيقوم الخلق والعلم مقام النسب \* وفى الحديث القدسي ﴿اليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي﴾ ولقد نشاهد هذا فى الدنيا • ألا ترى أن من قرأ تاريخ أمة وتغلغل فى معرفتها وهو خلو من علوم أمتها وآدابها يكره أن يعيش بين قومه ثم يعيش مع أولئك • ولقد لقيت من ذوى الفضل والعلم والأخلاق الكريمة والجاه فى أمتنا المصرية من نشأ فى فرنسا من صغره ثم جاء مصر وهو متحمس لدينها ومجدها ولما لم يجد لأقول متسعا هنا بمصر غادرها ذاهبا إلى فرنسا عائشا بين أهلها وهو لا يزال يجاهد فى عمله وإن لم يكن مفيدا • وهكذا ترى الذين تعلموا فى بلاد الانجليز بمصر اليوم يحب بعضهم بعضا ونجد أهل فرنسا قد علموا أهل الشام لغتهم على طول السنين وعلومهم حتى إذا جاءت الحرب الكبرى قابلوهم بالترحاب فلما دخلوا بلادهم قلبوا لهم ظهر المحن وبدا لأهل الشام من فرنسا ما لم يكونوا يحتسبون فكان التعليم أشبه بالحب (بفتح الحاء) يضعه القانص لاقتناص الطير • والقصد من هذا المقام أن العلم والأخلاق أمتن رابطة • وهما هى ذه أمة الترك لما رأت أهل بلادها على أحوال شتى وكل يتعلم على نمط غير الآخر حرمت هذا ووحدت التعليم فإن لم يكن توحيد اختلاف الأمة ودخل العدو • وهكذا بلادنا المصرية كانت أيام دخول الانجليز فيها ذات مشارب متخالفة فالعامة متدينون والمتعلمون يحقرون الدين فانفككت العرى وساءت العاقبة فدخل الانجليز البلاد

وإذا رأينا العلم هذا شأنه فى الحياة الدنيا فما بالك بالآخرة يوم تنحل القوى كلها وتتجرد النفس من كل ماخرج عن دائرة العلم والأخلاق فلا بيع ولا شراء ولا نسب ولا أخلاء وتتجلى النفس بطبيعتها يشير لذلك الحديث الشريف ﴿أنت مع من أحببت﴾ فالحب والمجاهدة العقلية هى الحاكم فى ذلك اليوم • ثم قال تعالى (الله) مبتدأ (الذى خلق السموات والأرض) خبره (وأنزله من السماء ماء) من السحاب مطرا (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) أى أخرج به رزقا هو الثمرات فمن الثمرات بيان للرزق (وسخر لكم الفلك) أى السفن (لتجربى فى البحر بأمره) بأذنه وإرادته لتنقل تلك الثمرات من بلد إلى بلد (وسخر) ذلل (لكم الأنهار) تجرونها حيث شئتم (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) أى حال كونهما دائبين أى يدأبان فى سيرهما وانارتهمما ودرتتهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الأرض والأبدان والنبات والحيوان وبالشمس تعرف الفصول وبالقمر تعرف الشهور (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان بزيادة ونقصان (وآتاكم من كل ما سألتموه) أى وآتاكم شيا من كل الذى سألتموه أى من كل الذى هو حقيق أن تسألوه سواء أسألتموه أم لم تسألوه لأن هذه الدنيا قد وضع الله فيها منافع يجهلها الناس وهى معدة لهم ولم يسأل الله أحد فى الأمم الماضية أن يعطيهم الطيارات والمغنطيس والكهرباء بل خلقها وأعطاهما للناس بالتدريج ولم يزل هناك فى العالم عجائب ستظهر لمن بعدنا (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تطيقوا عد أنوعها فضلا عن أفرادها فالأفراد لانهاية لها (إن الإنسان لظالم) يظلم النعمة باغفال شكرها ويظلم نفسه بحرمانها وإهمالها (كفار) شديد

الكفران لنعمة ربه . ومن ذاك أنه يجمع ويمنع اذا أعطى النعمة والواجب أنه يحسن ويتصدق . انتهى التفسير اللفظي لهذا الخط

﴿ جوهرة في ذكر نعمة بهية وهو الحرير الصناعي ﴾

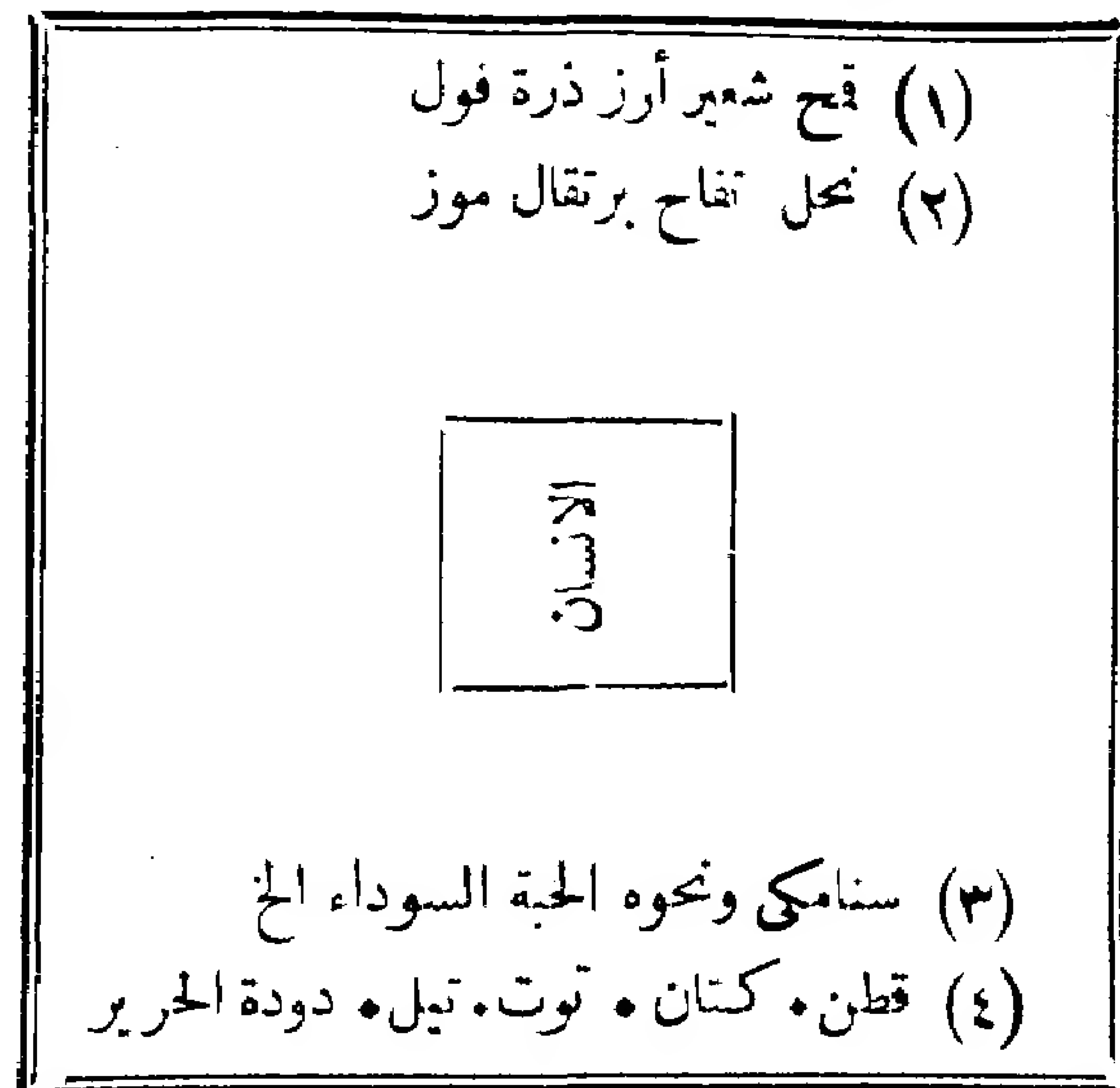
اعلم أن الانجليز والأمريكان قد اخترعوا حريرا صناعيا لا يكون من الدود ويسمونه في أمريكا (الريون) وقد كثرت صناعته في فرنسا وانجلترا وأمريكا . وما هو هذا الحرير . هو مأخوذ من خشب التوت وحطب القطن وشعر القطن بحيث يجعل ذلك كله عجينة وتلك العجينة تصير خيوطا . إن هذا من عجائب هذه الدنيا إن هذه الدنيا كلها عجب . فبالت شعري أي مناسبة بين خشب التوت وحطب القطن وشعره . نعم نعم خشب التوت هو الذي يخرج منه الورق الذي تأكله دودة الحرير فكأن فيه الاصول الحريرية وخشب حطب القطن فيه الاصول القطنية والقطن امره معروف . تخطط الثلاثة مع مواد أخرى لانعرفها يكتمها أصحاب الصناعة عن الناس . بخل الله وجل العلم . الأرض هي التي يستمد منها غذاء تلك الأشجار . أشجار القطن وأشجار التوت ومن التوت يأكل دود القز . عجب هذه الدنيا وأي عجب . توت خاق ثم دود يأكل منه مناسب له . اللهم إن الناس يعيشون ويموتون وأكثرهم لا يعقلون . يتخذون الحرير من الدود ويلبسونه . أما المفكرون فانهم يا الله يسعدون في فكرهم بحياة أرقى من حياة الجاهلين . ينعمون بالحرير ويقفون عند هذا الحد وما أضيقة من حد ولكن العقل الانساني أبعد مدى . العقل الانساني له الحق أن يقول نحن أولاء لبسنا الحرير وهذا الحرير من الدود فلم يختص هذا الدود بأكل ورق التوت ولماذا لما أكله ألهم أن يجعل له كرة تلف عليه ولم جعلها مكبرة وكيف ألهم الناس أن يربوه ثم كيف ألهموا أن ينسجوه . ثم لماذا كان ذلك الحرير نادرا جدا وهلاكه كالحطب . ولماذا لم تخرج تلك الخيوط الحريرية في نفس شجر التوت كما خرج القطن من نفس الشجر . ولم كان القطن أقل قيمة من الحرير وجالا ثم أيضا كيف كان خشب القطن والتوت مع القطن يصنع منها الحرير . ثم يقال أيضا ان الأرض فيها هذه المواد التي تكون قطنًا وحريرًا فاذا لم تكن هناك عناية بهذا الوجود فهل هذه الطبيعة أنتجت ذينك الصنفين رمية من غير رام وأوجدت الحرير في التوت والدودة المحتاجة اليه بدون عقل . هل المصادفات العمياء التي كوَّنت ذلك كله ووضعتة محكما بلا عقل . اللهم ان هذه المباحث جنات المفكرين في هذه الحياة وسعادات لأولى الألباب الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض ويقولون - وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها -

أنعم الله علينا بالقطن والتوت ولم يكف بذلك بل جعل في خشبهما حريرا يغني عن عمل الدودة . تلك الدودة التي أرسلها الله لنا فرسمت خطة الحرير فنهجنا منهجها واتخذنا من خشب الشجرتين حريرا وقلنا يا ويلنا أعجزنا أن نكون مثل هذه الدودة فنليس من عجزنا بدل أن نكون عالة عليها . إن هذا الانسان جاء الى الأرض ليتعلم الصبر ومزاولة الأعمال بالكسب والاستقلال بعد أن يقتبس من الحيوان الذي جعله الله له مثالا ينسج على منواله . الناس أصناف . صنف يفرح بأنه لبس الحرير . وصنف يفرح بأنه اخترع حريرا آخر . وصنف فوق الفريقين يفكر في هذا الانسان ولماذا خلقت له الأرض على هذه الحال ولماذا جعلت له هذه الدنيا مراتب ودرجات بعضها فوق بعض ولماذا حجب في أول أمره عن السر في المخلوقات ثم يتجلى لها جلالها شيئا فشيئا ثم كيف كانت هذه الأرض وما عليها جنة المفكرين ونعيم الحكماء وسعادة الأولياء الذين يعرفون بفكرهم جمال هذه التنوعات ويجتري صغار العقول من بني آدم باختلاف المناظر ملبسا ومسكنا ومشربا وعقولهم في غفلة ونفوسهم في محبس وهم هواء

سبحان من قسم الحظوظ \* ظ فلا عتاب ولا ملامه



وهاك صورة من جلال هذه الدنيا يستبين بها اتحاد العمل واختلاف المقاصد من بني آدم بالحكمة المضاعفة وهما هي ذه



هذه الجداول تريك صورة مما يتعاطاه الانسان من النبات فنه الماء كل في جدول (١) ومنه الفاكهة جدول (٢) ومنه الدواء جدول (٣) ومنه الملابس جدول (٤) والانسان في وسطها يتعاطاها جميعها لأحواله المختلفة . يا عجباً لهذه الدنيا . يا عجباً لهذا الانسان يعمى حتى لا يعقل ويبصر حتى يدرك الوجود على ما هو عليه . ها أنت ذا ترى الانسان وسط الجداول وهو محتاج لها كلها وهو في ذلك على ثلاث درجات ﴿ أعلى وأوسط وأدنى

#### ﴿ شرح هذه الدرجات ﴾

اعلم أن نظام هذه الدنيا نظام مزدوج محكم مبناه الاقتصاد التام والحكمة الصادقة . وأضرب لك مثلاً اللسان به نذوق الطعام ونلفظ الكلام ونحرك ما نضعه وقت تعاطي الأكل . إذن اللسان له وظيفة داخلية وهو أن يميز أنواع الطعام لصحة الأجسام ووظيفة خارجية وهو أن يفهم الناس الكلام . وهاتان معنويتان ووظيفة عملية عضلية وهي تحريك الطعام فاللسان لم يدع النظام الداخلي حتى حرس ما يدخل في الجوف من النفس والضرر وأوصل المعاني من نفس لأخرى وأفاد فائدة عضلية . هذه هي الحكمة والنظام ولولا الاتقان في هذا الوجود لكان للانسان عضو للذوق وآخر لإدارة الطعام وثالث لإظهار الكلام . فمن جلال هذه الأجسام التي نسكنها وإن كان أكثر الناس يجهلون ذلك أن تتعدد منافع العضو الواحد والا لاحتاج الانسان الى أجسام بكسبه هذا حتى تؤدي وظائف الحياة . اذا عرفت هذا فانظر في هذه الدائرة النباتية والانسان في داخلها . إن لهذه الدائرة ثلاثة أعمال ﴿ أولاً ﴾ انماء الانسان بقوة وفاكهته ودوائه ومابسه ﴿ ثانياً ﴾ حمله على العمل الشاق لتحريك عضلاته وشغله ليقوى جسمه ويعيش أمداً مقدراً ﴿ ثالثاً ﴾ تغذية عقله بالحكمة والعلم . هذه ثلاث درجات نظير درجات اللسان . فكما حرك اللسان الطعام هكذا نرى الانسان يعمل في الأرض للغذاء والفاكهة والدواء والملابس فانتفع هو بهذه الحركة . وكما نرى اللسان يذوق الطعام وهو عمل جسمي داخلي هكذا نرى الانسان يتعاطى تلك المنافع ليعيش الى أمد معلوم . وكما نرى اللسان يكون سبباً في معرفة الناس ما تنكبه صدورنا . هكذا نرى هذه المخلوقات كأنها ألسنة تنطق بالحكمة والعلم وتغذي عقولنا كما انها تغذي أجسامنا . هذه حكم متراكمة مثبتة . فترى الفلاح وهو في حقله لا يفتأ يجتد بالحرث والعمل وهو يريد بذلك قوام الأجسام بالغذاء والدواء وبالفاكهة وباللباس وهو في الوقت نفسه قد قوى جسمه بالحركات ففائدة الفلاح في عمله مزدوجة ولكنه هو لا يقصد تقوية الجسم وما قصد إلا الغذاء

وترى الحكيم والفيلسوف ينظر الى النبات فيدهشه دهشا شديدا ما يرى من حكمة ونظام متى فكر في أى ناحية من نواحي هذا الوجود فيقول مثلا . لماذا كان هذا النظام . أرى أن دودة الحرير لم تخلق إلا لشجر مخصوص فنراها تأكل ورق التوت ولم نرها عرجت على النخل ولا الموز ولا اللين ولا البرتقال ولا غيرها لماذا هذا النظام . ههنا يسحر عقل المفكر ويقول جاءت هذه الدودة فنسجت خيوطا ولعل الانسان كان أولا لا يعرف استعمال الملابس فر بما كان أول ما لبس الجلود إذ رأى الحيوان يعيش بها تقيه الحر والبرد . ولعله كان يجهل استعمال القطن والصوف ونحوهما . ولعله لما رأى خيوط تلك الدودة الحريرية تعلم غزل القطن والصوف والكتان ولذلك ترى كرة الخيوط على المغازل الآن تشبه كرة الدودة ثم لما برع في الصناعات والعلوم استخرج الحرير من خشب التوت ومن حطب القطن كما تقدم أى انه استخرج تلك الملابس من نفس الشجر ولم يقتصر على الشجر ولا على عمل الحيوان . إن هذا من الانسان انتقال من حال الى حال إن الانسان كان في أول أمره عالة على الحيوان يلبس جلده . ولما ارتقى تعلم منه الغزل والنسيج كما يرى في العنكبوت فلما ارتقى اليوم أخذ يعتلى عليه وهذه هي وظيفة الانسان فأول أعماله احتياجه الى نفس الجلد ثم ارتقى وعقل ففهم وتعلم من الحيوان ثم ارتقى ففاه اليوم . إن للانسان حالا أخرى سيصلها فيستغنى عن الحيوان ويستخرج الأشياء من أصولها . إن القطن والكتان والحرير كلها من مواد في الطبيعة فاذا زاد عقل الانسان استخرج ذلك كله بعقله وحكمته . إن هذا الوجود فيه السعادة مخبوءة والانسان ملزم أن يبحث عنها ويستخرجها وما هو فيه الآن ضعف ظاهر يتقدم القوة المقبلة

ينظر الحكيم ذلك في هذه الدنيا فيذهله ويسحر عقله هذا الوجود ويقول . لماذا خست دودة الحرير بالتوت واستخرجت الحرير منه وهناك من الأشجار آلاف وآلاف ثم ينظر نظرة أخرى فيقول عذب الانسان بالجوع وبالحرى فالجوع ألم والبرد والحرى يؤلمان والمرض أشد ايلاما فلماذا رأينا تلك الأنواع في الجدول المتقدم مقسمة على أنواع المطلوب للانسان فتغذى ولبس وتداوى . يذهل الفيلسوف من هذا النظام هو وحده الذى يفهم ويرى الناس حوله نائمين يقول يا عجبا هذا الفلاح والتاجر والصانع والأمير لا يعرفون من هذا الوجود إلا ما يمنع آلامهم . سلط عليهم ألم الجوع وألم الحر والبرد ثم زادت آلام أخرى بأسباب عارضة فالفلاح لا يعرف إلا ما يحفظ جسمه وكذا التاجر والصانع . هكذا رجال الحكومة لا يعملون إلا لحفظ الرعية كما يحفظ الفلاح زرعهم وكلاهما غالبا لا يعقل الحكمة . أما الحكيم وما أدراك ما الحكيم فانه هو الذى يربيه الله فى الأرض ليلحق بالملأ الأعلى بعد . فهذا هو الذى يدهشه هذا النظام ولا يقتصر على ما اقتصر عليه من قبله من تقوية عضلاته وغذاء جسمه ولباسه وفاكهته ودوائه بل تصبح هذه كلها عنده دروسا وأى دروس . عجبة . يسحر عقله أن يرى جميع الناس وهو منهم أطفالا ضاعافا ويفهم قوله تعالى - وخلق الانسان ضعيفا - ومن ضعفه أنه لا يعقل منافعه ولذلك لما كلمه الله هو والحيوان كلمهما بلغة تناسبهما وهى لغة الألم من جوع وضرب الخ فأنزل ذينك الأيمن عليه أودينك الجنديين الضاربين له صباحا ومساء وهما يقولان له بلا حرف ولا صوت أيها الانسان قم فكل وقم فلبس والا آلمتك بجميع بنى آدم وجميع البهائم يساقون سوقا كما تساق الأنعام لأن عالمنا الذى نعيش فيه عالم فيه قصور ولكن صانعه أظهر لنا أنه محكم الصنعة جدا . كيف لا وهو قد جعل هذه النباتات معاملة للعقول وحافضة للأجسام وموجبة للحركات لبقاء القوة فى الأبدان . ولولا هذه الحكمة لاحتاج الناس الى عوالم يتعلمون فيها وعوالم أخرى يأكلونها ويلبسونها الخ وعوالم ثالثة تعلمهم الحركة كالجنود فالحكمة التى أرسلها صانع هذا العالم الحكيم أرادت أن الدرس واحد فيه الحركة وبه الغذاء والدواء الخ وبه العلم فالعالم واحد وحكمته متعددة لنا كما أن اللسان واحد وحكمته متعددة . هذه روضات الجنات فى هذه الدنيا . إن الله خلق هذه الروضات لنا واستخرج من درسها قليل من بنى آدم وهم هم الذين ينظمون



هذه الدنيا وسيبثون في شجبتها الهمة والحركة العالمية فاذا فارقوا هذا العالم استحقوا أن يكونوا في عالم أجمل من عالمنا هذا الذي جمع ما بين خسة الحيوانية وشرف الملكية والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات اهـ

( تكملة في الكلام على قوله تعالى - ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت الخ - )

اعلم أن هذا المثل من أعجب ما في القرآن فالاسلام كشجرة والشجرة لها أصل وفروع والفروع قسبان أصول وأطراف فالتى سميناها أصولا هي لفروع التى تنمو فى قلب الشجرة صاعدة والأطراف هى التى حولها فاعجب لهذا المثل وانظر لحال المسلمين اليوم وذكرهم بأيام الله وقل لهم أيها المسلمون حيا كم الله . أليس النبي ﷺ وأصحابه كأصول الشجرة . أليس المسلمون قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل هم فروع والفروع تمتد وتكثر على طول الزمان فالإيمان أيام النبوة لم يكن له كتب لافى حقائق هذا الوجود من الطبيعة والفلك والسموات والأرض ولا فى فروع الفقه والجدل والخلاف فى علم الكلام . ولما كان الاسلام كشجرة حدثت الفروع طبعا فتفرعت علوم الفقه وعلوم الجدل التى هى أطراف الدين لا قلبه . وهكذا الاصول التى امتدت وطالت من القرون الأولى الى القرن الخامس عشر كما تقدم هنا ثم عمدتم الى تلك الاصول فقطعتموها بدم العلماء واحتقارهم كابن رشد والغزالي وأضرابهما . أما الفروع فأبقيتموها فاذا ظننتم أن فروع الفقه كافية فأنتم مخدوعون مغرورون . واذا ظننتم أن عدم دراسة العلوم الكونية زمن النبوة حجة على تركها اليوم فذلك مردود بأنكم جريتم على سنن الله فى التعبير بالشجرة وفروعها إذ ألغتم آلاف الكتب فى الفقه وفى علم الكلام وان لم يؤلف ذلك النبي ﷺ وأصحابه ولم ينكر ذلك منكم فروع لتلك الشجرة . وفى الفروع من الأوراق والطول والكثرة ما ليس فى ساق الشجرة فأنتم تجرون على السنن ولكن فرطتم فيما هو أهم وهو أصول تلك الفروع التى فى وسط الشجرة وهى التى عليها المعول فاذا اكتفى ﷺ وأصحابه بما يعرفون فى نفوسهم فذلك لأنهم ساق الشجرة فأين الفروع إذن ولم برعتم فى بعض الفروع التى هى أدنى وجهتم فى بعضها الذى هو أهم وأكمل وهى العلوم الكونية . ألا ساء مثلا الجاهلون . فتبا لقوم لا يعلمون . وبعدا لقوم لا يفهمون . وسيأتى تمام الكلام على ذلك فى سورة الفتح ان شاء الله عند قوله تعالى - ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره الخ - . هذا واعلم أن هذا التمثيل سيحققه الله عز وجل بعد ظهور هذا التفسير وسيكون فى أمم الاسلام رجال لم يحلم بهم الدهر وهم موقنون وللمنوع الانسانى نافعون اهـ

( ذكرى ليلة ٤ نوفمبر سنة ١٩٠٩ من كتابى سوانح الجوهرى )

### اللوف والنخل

اللوف نبات يحمل ثمره مستطيلا متى نضج صار آلة لغسل الأجسام لينظفها ويزيل عنها الدرن أشبه بالليف ولكنه أبيض ناصع . هذا النبات ينمو سريعا فى الفصول الحارة والمعتدلة ويمتد سريعا على النخلة الباسقة (الطويلة) رأيت فى التف على نخلة بجلل سائر جذعها وجميع أفنانها وأوراقها وتسلى على أخرى فاخذ بنخاتها وسار معها علوا حتى شارف أغصانها العليا وهى باسقة جدا . ذلك فى هذا الفصل انها ستدبل قريبا ولكن النخلة لاتدبل ربما كان عمر النخلة . ٤ سنة وعمر اللوفة لا يكاد يجاوز ستة أشهر . سارت اللوفة حثيثا وأبطأت النخلة . ما أسرع ما أثمرت اللوفة وما أبطأ ثمر النخل . هذا مثل ضربه الله للناس والأمم . ضربه لهم لعلمهم يتذكرون . أراهم عيانا كيف أعطى ما عظم نفعه وجل قدره وحلا ثمره وبقى أثره . عناية أشد واحكاما أوسع وأبهى وأبهر . أبطأ سيرها وأخر ثمرها ولكن أطال عمرها هكذا ترى أهل الرياء والنفاق الكاذبين أسرع الناس سيادة وأكثرهم مالا وأقربهم من الأمراء مجلسا يغشون على عقول الناس فيسودون . وهكذا أولئك الثرثارون المتفهبون يتبجحون بالعلم ويحفظون مسائل يحاجون بها خصماءهم وان هم إلا محادلون فبذلك يهابهم الناس ويخافونهم . وهكذا أولئك السبايون

الذين يحاجون أقرانهم بحجج ملوثة بالشتم وملطخة بآثام الغضب فأولئك لهم حظ قليل حتى إذا حصص الحق وزهق الباطل ووقف الناس على مرآتهم واطلعوا على دخالهم وأغراضهم رموهم من حلق وزجوا بهم في سجين الازلال كأنهم زبد احتمله الماء فيذهب جفاء لا يفتفع به . وأما من ينفع الناس ولا يراني فذلك سيلقى في إبان عمله عوائق جمة ويعاديه المحبون فإذا سار في إخلاصه وجد في أعماله فله عقب الدار وهو السيد الذي أشبه النخلة الباسقة طال أمدها وكثر ثمرها إلا أن الثمرات على مقدار الأعمال ولذلك نرى رجال الحروب من القواد العظام والملوك الكبار تسير بذكرهم الركبان سريعا وتخبو وتنطق سريعا أما الحكماء والفلاسفة فما أبطأ ذكرهم وما أدوم فضلهم فهم كالنخلات الباسقات وكلماء - وأما ما ينفع الناس فيمكن في الأرض - ليسقى الحرث ويروى النسل ذلك مثل اللوفة والنخلة ضربناه مثلا للناس لعلهم يتذكرون اه  
إني أذكرك أيها الذكي بالمقام الذي نحن فيه وأرجعك الى الموضوع نفسه . إن الكلام في النمط الرابع وهو تبيان حال ذوى الكلمة الخبيثة وذوى الكلمة الطيبة فتغير الكلمات لا يشغلك عن أصل المقام وقد بينا فيما سبق أن النمط الأول مبين لضياح الأمم بالجهالات والنمط الثاني تثبيت له وأن غفلتهم عن عجائب السموات والأرض أورثتهم النكال والثالث تبيان الحقيقة الناصعة لتبيان الكلمة الخبيثة والكلمة الطيبة وأن الناس ﴿قسمان﴾ ثابت وغير ثابت كالزراع والشجر وهذا النمط الرابع أظهر الأمر وأوضحه . فأما ذوى الكلمة الخبيثة فقد ذكرهم في قوله - ألم تر الى الذين بدلوا - الى قوله - قل تمتعوا فان مصيركم الى النار - وأما ذوى الكلمة الطيبة فشار إليهم بقوله - قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة - وأنت تعلم أن الأمم إنما تعيش بعلم وعمل فهذا هو العمل والعمل بالنفس وبالمال فأشار لهما بأقامة الصلاة والانفاق . وأما العلم فأشار له سبحانه بقوله تعالى - الله الذى خلق السموات والأرض - الى قوله - إن الانسان لظالم كفار - فهذا النمط كله كأنه إيضاح لذوى الكلمة الخبيثة وذوى الكلمة الطيبة . ولما أبان تقصير الأمم التى يذهبها ويأتى بخلق جديد في معرفة السموات والأرض في النمط الثاني إذ قال - ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد - إذ جعل استبدالهم بعد ذكر السموات والأرض لجهالتهم بما خلق فيهما فلا يتعلمون ما ينفعهم في حياتهم الدنيا وفى الأخرى . أقول لما أبان ذلك هناك فى أصحاب الكلمة الخبيثة أفاد هنا أن ذوى الكلمة الطيبة هم الذين ينظرون فى خلق السموات والأرض وما بعده فأخذ يفصل بعد الاجال حتى انتهى الى ما لا يحصى من العجائب . واعلم أن مما أقعد هم الأمة الاسلامية أن أمثال هذه الآيات ترك شأنها فلا تحرك بها الهمم ولا تستثار المنافع بها . ولعمركم الله كم من عالم ديني مخلص لله طائع ذكى الفؤاد قوى المزينة قد حبس فى سجن من الألفاظ والأحكام وأحكم عليه فلا يستطيع فككا

أيها العلماء . أيها المصلحون فى الاسلام . أيها الذكى القارى لهذا التفسير تفاعم الأمر على أمة الاسلام قولوا لهم هذا كلام ربكم هو الذى أنزله وهو الذى حض على فهم ما فى السموات والأرض والسحاب والمطر والثرات ومنافعها والسفن فى البحر والأنهار والليل والنهار والبحث فى كل دقيق وجليل . هذا رانى أجد الله عز وجل إذ كتبت خطابا لأمتنا الاسلامية وقد نشر منذ سنتين فى كتاب سميت به ﴿القرآن والعلوم العصرية﴾ وهاك ما جاء فيه فى هذه الآية

عبر الله بكاف الخطاب ست مرات فجعل الماء لنا والثرات لنا وتسخير الفلك لنا وتسخير الأنهار لنا وتسخير الشمس والقمر لنا وتسخير الليل والنهار لنا وقد آتانا من كل ما سألناه فى ضمايرنا وما تمنته نفوسنا أى ان النفس كانت تمنى أن تطير وأن تجلس فى مكان وهو يجري بها من غير أن يعلم الناس أن ذلك ممكن فكانت الطيارات فى الجوف والنقطرات على الأرض وكان الانسان يتمنى أن يكلم أخاه وهما متباعداً ويتشوق لذلك فبرز هذا . واعلم أن الله كما فطر النفوس على حب ذلك جعل فى الطبيعة استعدادا له ثم أبرزه فى الوجود



ثم قلت هناك فهل هذا الخطاب استثنى منه المسلمون فهل جعل الله الثمرات في الأرض خاصة بغير المسلمين أم الخطاب عام وهل الفلك التي تجرى في البحر ما بين آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا هل هذه السفن خاصة بالفرنجة وكيف نام المسلمون عن علوم التجارة فأصبحت بأيدي غيرهم من الفرنجة وأهل أمريكا وهم صفر اليدنين فالسفن التي تخرج عباب الأنهار والبحار في سائر أنحاء الكرة الأرضية بيد الفرنجة وهم هم الذين يدرسون المعادن والكهرباء والبخار والتلغراف البرق الذي لاسلك له والذي له سلك . أليس من العار عليكم أيها المسلمون أن تكونوا (٣٥٠) مليوناً ولاسفن لكم في البحار كما لغيركم وقد خاطبكم الله قائلاً - وسخر لكم الفلك لتجربوا في البحر بأمره - على قواعد عامية بعد معرفة صناعة الحديد لبنائها والخشب لتكميلها والبخار لتسييرها والكهرباء والمغناطيس لمعرفة الأخبار فيها وقراءة علم الفلك والكواكب السيارة والثابتة للاهتمام بها في طرق البحار ودرس علوم البحار وطرقها ومناطقها وما فيها من مسالك حتى لا تضل السفن سواء السبيل فتفرق ويهلك ما فيها وبعد دراسة علوم السحب والرياح والعواصف حتى يلبس الربان لكل حال لبوسها وينهج النهج الذي ينجي السفينة . ثم قال - وسخر لكم الأنهار - ولا جرم أن الأنهار تسقي الزرع ولها في جريها قوة تستخرج منها الكهرباء فتغني عن الفحم والبتروول والمسلمون في بقاع الأرض غافلون عن أنهارهم ونسكاد تصبح بيد غيرهم وقوله (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار) الليل والنهار والشمس والقمر لها حساب دقيق لا يهتدى إليه إلا بعلم الحساب والهندسة والجبر ثم الفلك فلا تطلع الشمس ولا تغرب ولا يشرق النجم ولا يغرب ولا يطلع سيار ولا يأفل إلا بمواعيد موقوتة لا تخس ثانية بل كل ذلك بمقدار . فهذه سفن البحار وقطرات اليابسة كلها تسير بحساب الشمس والكواكب . ولو أغفل الناس ذلك بعض يوم لاختلت مواعيدهم ولتصادمت قطراتهم ولمات كثير منهم . يعرف ذلك كل من اطلع على طرف من علم الفلك في هذه الأيام . انتهى

هذا هو الذي نقلته من ذلك الكتاب وأحمد الله إذ رأيته قد نشر بين المسلمين في أقطار الأرض . أفلمست ترى ممي أيها الذكي أن المسلمين إذا قصرُوا في هذه النعم فأنهم يعذبون في الدنيا والآخرة كما هو الحاصل الآن وكيف يقول الله سخر لكم بكاف الخطاب ثم هم يعرضون عن نعمه وهذا عينه كفر النعمة لأنه إذا أعطاك رجل عظيم عطية وقال لك خذها ثم انك تغافلت عنها أو بذلتها له غضب عليك بل انه يسره أن تأخذها ويسره أن تتمتع بها ويسره أنك تكون غنيا بما أعطاك . هذا كله في المتداول المعروف فأما المسلمون اليوم فإن هذه النعم بعد ما قال الله مخاطباً لهم اني سخرتها لكم ينامون ويقولون فلنتركها للفرنجة . إن هذا أوان العلم والعمل وهذا هو الوقت الذي فيه ابتدأ استيقاظ المسلمين ولكن لا بد من نشر مثل هذه الآراء . إن الله أراد رقيهم واسعادهم وارتقاءهم - ولتعلمن نبأه بعد حين - وليقومن في هذه الأمة من فطاحل العلماء وكابر الحكماء من يرثون الأرض من بعد موت أهلها الغافلين ويرثون هذه الدنيا وتبدل الأحوال ويصبح الناس اخواناً على قدر الامكان اهـ

### ﴿ ست تنبيهات . التنبيه الأول ﴾

يقول الله في الأنماط السابقة - ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء - . وكيف يفعل الله ما يشاء وقد أضلّ الظالمين وأين الحكمة في اضلال الظالمين اذا ظهرت الحكمة في هداية المتقين فانها لم تظهر في اضلال الظالمين وانا قد أمرنا أن نعرف الحقائق وأن ربنا أعادق النعم علينا وآتانا من كل مأسأناه وتمنياته أماناً ثم يأتي لأعزّ شئ وأعظمه وهو الهدى فيمنعه ويقول أنا أضلّ الظالمين وأفعل ما أشاء . هذا هو السؤال الذي خطر لي وهو حقاً يخطر لكل انسان على هذه الأرض . فأين الجواب . لقد علمت أن هذا من سر القضاء والقدر وهذا السر أقفل بابه على جميع الأمم وهناك أكابر الحكماء نالوا من العلم حظاً فثلجت صدورهم وسعدوا بالفهم

وكنتموا عن الناس . ولكن ألا أريك أيها الذكي عجبا في هذه الآيات . ألم تر أن جواب السؤال قد ظهر في نفس الآية إذ شبه قوما بشجرة طيبة وقوما بشجرة خبيثة ثم ختم بأنه يضل الظالمين وهو يفعل ما يشاء إن الجواب قد تجلى ولكنه مخبوء مكتوم لا يمسسه إلا المطهرون الذين طهرت نفوسهم من الغل والحقد والحسد والكبرياء فهؤلاء هم الذين تمتد أيديهم إلى تلك الخزائن فيفتحونها ويتالون منها حظهم . ألم أذكرك هناك أن الزرع أصناف شتى يبتدىء بنخضراء الدمن التي لا تلبث إلا ضحوة النهار ثم تذهب في العشية . لعلك تذكر ذلك . وأن النبات يرتقي درجة فدرجة حتى يصل إلى مستوى النخل وأشجار أخرى تعيش سنين وسنين بدل دقائق وساعات . ألم أقل لك ذلك . فهل ترى أحدا من نوع الإنسان وجد في نفسه حرجا من خلق الأنواع الكثيرة . ألم تر أن الناس فرحون باختلاف هذه النباتات وأنهم انتفعوا باختلافها . فإذا زرعوا القمح وحصدوه في بعض فصول السنة وكذا الذرة والشعير والبرسيم وما أشبه ذلك وكذلك اللوخية والبابية والقطن والكتان من كل نبات يتم في أقل من سنة فانهم قد تمتعوا تمتعا تاما بها وعاشوا وأن هذه لو كانت كالنخل لاثمر إلا بعد سنين لشق ذلك على من لم يجد عنده القمح مثلا فانه يجده بعد أشهر من زرعه

ألا ترى أن هذه النباتات كان اختلافها حاجتنا . وإذا كنا نرى الحاجة لبناء المنازل والحصون ليست كل يوم بل انها مسألة سنين لا شهر أو أي أن الإنسان لا يبني منزله بعد بنائه الأول إلا بعد عشرات السنين فلذلك كان أعظم الخشب لسقفه يتكون في عشرات السنين وأقل الخشب في سنين معدودة . كل ذلك بمقتضى حاجتنا وانتفاعنا . وإذا وجدنا هناك حظلا وتمرنا راعنا لأن التمر فاكهة وغذاء وحلوى والحظل دواء فنحن معاشر بني آدم لم نجد في ذلك حرجا في نفوسنا ثم عددناه نعمة وأي نعمة . فنرى عندنا زيت الخروع لدوائنا كما نرى زيت الزيتون لغذائنا والسنا المسكي لطبنا وهكذا فنحن لم نر من الاختلاف إلا سعادة هذا هو الذي نقرؤه في الكتاب الذي كتبه الله بيده وهو كتاب الطبيعة وما أجله من كتاب وما أشوق النفس إلى الوصول إلى مؤلفه الذي أرانا جماله وعجيب حكمته وبديع صنعه . هذا كله كامن في قوله تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة

فهاتان الكلمتان المذكورتان فيهما هذه المعاني وفيهما ما يحتاج إلى مصنف كبير حتى يقف الإنسان على تمام الحقائق هنا . إذا فهمت هذا فقس المشبه على المشبه به فكأنه يقول ها أنتم أولاء رأيتم أن الاختلاف في الأشجار نافع لكم . أفلا يكون هكذا الاختلاف في العقول فيه ثمرات ومنافع لكم أولغيركم من العوالم وأنتم لا تشعرون . إني خلقت حظلا فقلتم حسن نافع وخلقت كافرا وعاقبته . إن هذه العقول مزارع زرعتها في الأرض وجعلت مقرها أجساد بني آدم وهذه العقول مختلفات كاختلاف النبات فإذا رأيتم أن اختلافها بلغ عددا عظيما فهكذا العقول اختلافها عظيم وإذا رأيتم منافع في الاختلاف وأنكم لا تعيشون إلا بهذا الاختلاف أي أن حياتكم لا سعادة فيها إلا أن يكون لديكم الحنظل والخروع والسنا المسكي كما يكون عندكم التمر والعنب والرمان فهكذا أنا زرعت العقول مختلفات مريدا ذلك كما زرعتكم أنتم الأشجار مختلفات مريدين ذلك . فأما منافع اختلاف عقولكم لكم فهذا لا تتفقون على حقائقه إلا بدرس طويل أو بعد خروجكم من هذه الأرض أو تخرجون من عداد العامة وتدركون سر الديانات ولماذا خلق العالم ولماذا خلقت النفوس . ولعلك أيها الذكي قد أدركت شيئا من ذلك في غضون هذا التفسير ولكن الناس جميعا إلا نادرا لا يدركون سر اختلاف العقول كما أدركوا اختلاف النبات وحكمته إلا بعد خروجهم من هذا العالم ولعمري ما وضعت النفوس في الأرض إلا لترقيتها كما لم توضع النباتات إلا لاتمام أثمارها وما أمراض الناس وعذابهم إلا كما تنضج الشمس الثمار اه



يقول الله تعالى في هذا الخط - وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار - ثم قال - قل لعبادى الذين آمنوا الح - فيها هو ذا ذكر الأصنام وحذر منها . فباليتم شعري لم حرمت الأصنام وما القصد من تحريمها . الصنم حجر أو أى مادة أخرى وليس فى المادة حرمة لأن جميع ما فى الأرض مخلوق لنا لنتفع به وإنما المحرم هو عبادتها ولم تحرم العبادة لأن الله سبحانه يحتاج الى عبادتنا . ولقد نرى فى نوع الانسان من يحقر أن يعظمه العامة لأنه ليس يرى ذلك لذة له . ولقد كان الفيلسوف (سنسكا) الرومانى وهو فى الوزارة قبل أيام المسيح كما حكى عن نفسه يسمع إعجاب العامة به وهو فى الاحتفال فلا تتحرك نفسه لهذا الاعظام ولا لهذا الاجلال ويرى أن فى جلال الشمس والقمر وجلال البحر وزول المطر ولعان البرق ودوى الرعد والبرد والثلج والتأمل فى عجائب الطبيعة . يرى فى ذلك وفى غيره ملك السعادة وهذا كلامه عن نفسه . وهكذا فى أمتنا الاسلامية كثير فى هذا الزمان وفى كل زمان فهل الله تعالى اذا أمرنا بترك عبادة الأصنام يريد أن نتضرع اليه وهو يعجبه ذلك لنفسه . كلا فليس يعقول البتة ولا هو بحق لأنه منزّه وغنى عن العالمين . وإنما عبادة الأصنام تحصر العقل فى المحسوسات فيصغر العقل البشرى وعبادة الله تجعل النفس مشرّبة الى أعلى أى ان الانسان تفك قيوده من الوقوف موقفا حابسا له فالعبادة والعلم على هذا يكونان متفقين على أن يطلب العبد من الاله الذى لم يره ويعبده واذا لم ير الله ولم تطلع عليه حواسه فاذن أصبح حرا فى هذا الوجود يسخره لنفسه . أما تقديس بعض المخلوقات فانه يقفل عاينه أبواب العلم وأبواب العمل إذ يرى الحجاب العقلى أسدل عليه ففنه أن يتهدى فى المباحث العلمية والعملية فاذن يجب فى هذه الكائنات باحثا منقبا حتى يصل الى ما لا يتصوره عباد الأصنام

### ﴿ التنبيه الثالث . كيف يدخل الضلال على أرباب الديانات ﴾

لقد علمت أن عبادة الأصنام إنما أبغضت لأنها سبيل الى حصر الفكر والوقوف بالعقل الانسانى وأن الآيات التى وردت بعصدها كما حضت على الأعمال حضت على النظر فى السموات والأرض والفلك فى البحر والشمس والقمر والليل والنهار وأن عابد الصنم العاكف عليه لا يتجه نظره لشمس ولا قمر ولا ضياء ولا نور أفلاترى أن المتدين الذى أوقفه معلمه فى موقف شائن بأن أعطاه من الدين بعض الأعمال وقال له قف هنا فهذا هو الدين وصرف فكره عن السموات والأرض الح قد أصبح فى موقف كعباد الأصنام . نعم هذا موحد لله ولكنه فى العلم أصبح كالجهاى عباد الأصنام ففكره قد أصبح محبوسا وأفئدة هذه الطائفة هواء وهم مهطعون مقنعون رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم . أليس هذا هو السجن الذى سجنتم فيه عقول عباد الأصنام وهو لم يخلق فى الدنيا إلا للدراسة فأين هى وهو وعابد الحجر سواء . ولذلك أعقب هذا الخط بدعاء ابراهيم عليه السلام وفيه أنه يطلب من الله أن يتجنب الأصنام هو وأبناؤه . فباليتم شعري هل يتوهم أن نبيا من الأنبياء يخاف من عبادة الأصنام . إن ذلك غير معقول وأنا وأنت أيها الذكى القارى لهذا التفسير لا تخاف من عبادة الأصنام ولم يخطر ببالى يوما أن أقول يا الله أغثنى من عبادة الأصنام وأنت لم تطلب هذا فى حياتك يوما لأنه ليس بمعقول أن تطلب رفع شئ هو مرفوع عنك فهل نحن أعلم من ابراهيم الخليل الذى أمر الله نبينا ﷺ أن يهتدى بهداه إذ قال - فبهداهم اقتده - واذا كنت أنا وأنت والعامة والخاصة فى الاسلام نرى أننا بحق لانساوى نبينا ﷺ فى العقيدة الدينية ونحن هذه حالنا لا يخطر ببالنا عبادة الأصنام فهو أولى منا بالعقيدة لأنه هو الذى كسرهما فى الكعبة ونحن لا قدرة لنا على تغيير هذا المنكر اذا رأيناه خوفا من عباده وكذلك ابراهيم الخليل كسر الأصنام التى كان يعبدها ملك جبار هو نمروذ فكيف يقول - اجنبنى وبني أن نعبد الأصنام - وهو الذى سمنا المسلمين من قبل وفى هذا وسيدنا محمد ﷺ جاء بشريعة مطابقة لشريعته إذ قال - ملة أبىكم ابراهيم هو سمىكم المسلمين من قبل وفى هذا -

إن الجواب على ذلك ما أشرت إليه أن عبادة الأصنام غالبا يتبعها حصر الفكر وتعمى القلوب والأبصار عن عجائب الدنيا فيغفل العقل الانساني عن كل شئ فرجع الأمر الى أن العقول تقصر وهو المراد محاربه فكل دين وكل علم إنما يراد به رقى لفكر الانسانى فإذا طاب الخليل ذلك فأنما يريد أن لا يشغل القلب بما يعمه من ازدياد الحكمة فاللذات شاغل والولد شاغل والعلم اللفظى شاغل والخوف من تعبير الناس شاغل والوقوف على بعض مسائل الدين وترك الباقي شاغل وعكوف العالم الدينى على علم الفقه وحده وترك النظر فى هذا العالم وجماله شاغل واشتغال المرء بمدح الناس له شاغل . كل ذلك أدّى الوظيفة التى أداها الصنم فأنتجت المطاوب وهو الجهالة العمياء

﴿ جوهرة فى قوله تعالى - وجعلوا لله أندادا الخ - ﴾

اعلم أن الأمم القديمة كلها فى الهند ومصر وغيرهما قد أظهر الكشف الحديث أن لهم ﴿ تعليمين ﴾ تعليميا عاما وتعليميا خاصا . فالتعليم العام هى الأعمال الصبائية والوثنية والطقوس والصور الرمزية وتعليميا خاصا يتناقضونه كبرا عن كبر ولا يباح إلا لمن هذبوه فى المعابد ووثقوا به واذ ذاك يلقنون له السر فهو فى نفسه يعبد إلهما واحدا يراه فى قلبه ويحبه حبا جيا وهو مع الناس يشاركونهم فى طقوسهم فيعبد (برهما) فى الهند (واوزيريس) فى مصر (وجوبيتر) فى ألمانيا معتبرا هذه الآلهة اللفظية رموزا ضئيلة جدا الى القوة العلوية المدبرة لهذه العوالم فلا فرق فى اظهار الحقائق بين خريستا وبودا وزروستر وهرمس وغيرهم . فكل هؤلاء قالوا الله إله واحد ولكن أتباعهم رأوا من مصلحة كبريائهم أن يغشوا الشعب ويضلوهم معتقدين أنه ليس كفوا لهذه الحقيقة . وقد كان كهنة المصريين لا يطلعون أحدا على سرّ الوجدانية إلا بعد العناء الطويل والتجارب العنيفة ويحلقونه القسم بحفظ السرّ والاقتل . وكانوا يرون أن أبا الهول المركب من رأس امرأة على جسد ثور بأظافر أسد وجناحى نسر رمز الى هذا الانسان الذى فاق كل حيوان ولهم آلهة غريبة لهارؤس وحوش وطيور وأفاع يرمزون بها الى الحياة فى تعدد مظاهرها وهم فيما بينهم يعتقدون إلهما واحدا لا يتكلمون عنه إلا بالخوف وصوت منخفض . كل هذا جاء به الكشف الحديث . ومما عرف عنهم رؤيا هرمس وقد تقدم ذكرها فى هذا التفسير فى سورة آل عمران . وملخصها أن هرمس وقت الانخفاف رأى الكون والعالم وانتشار الحياة فى كل صقع فصاح به صوت النور المالى للكون بأسره وكشفه بالسر الالهى قائلا ﴿ إن النور الذى رأيته مثل لنور الله المحيط بكل شئ وهو الذى يحيط بكل الكائنات . وأما الظلمة فهى العالم المادى الذى يعيش فيه الناس على الأرض . وأما الضياء المتدفق من الأقاصى فهو كلمات الله . فأما روح الانسان فاما محبوسة بذنوبها واما راجعة الى مقامها فى عالم النور فى السموات وماسفرها فى هذه الأجساد إلا لتجربتها فى الأوجاع وهموم الحياة . ومتى استنارت خرجت من سجنها الى عالمها الجليل فى العلا فثبت قلبك إذن يا هرمس وسكن روعك عند نظرك الى الأنفس الصاعدة فى معارج الأفلاك العلوية توصلنا الى العالم الالهى الذى منه بدأ كل شئ واليه ترجعون ثم سبحت الأفلاك السبعة هاتفة معا . الحكمة . الحب . العدل . البهاء . العظمة . الخلود ﴾

ثم يقول الخبر بعد ذلك ﴿ تأمل يا بنى هذه الرؤيا تجد فيها سر كل شئ وكلما توسعت فى ادراكها اتسعت لديك حدودها لأن ناموسا نظاميا واحدا يدبر العوالم كلها . إن الحقائق العظيمة مستورة تحت حجاب السر ولا يكشف بالمعرفة التامة إلا من جاز فى التجارب التى جزنا فيها . إن من الواجب أن تقاس الحقيقة على قدر مبلغ العقول فلا يجوز افشاؤها للضعفاء مثلا يتهوسوا بها ولا للأشرار مثلا يتسلحوا بها للشر فاحفظها إذن فى صدرك وانشرها بلسان أعمالك وليكن العلم قوتك والناموس سيفك والصمت ترسك ﴾ انتهى هذا ما كشف فى عصرنا الحاضر من علوم قدماء المصريين عرفة الاوروبيون وجهله كثير من علماء



الخطوط المصرية القديمة في مصر وغيرها

فانظر كيف كان الله واحدا في الهند والصين والمصريين عند خواصهم ومتعددا كثيرا عند عامتهم وكان هؤلاء الرؤساء يعتقدون أن افشاء السر ضرر بالشعب فلهذا كتموه وبالكتمان عظموا عند الرعية ومن عجب أن التثليث الذي تظاهر به كهنة الهند ومصر تخطى الى الامم النصرانية وهذا الظاهر أخفى تحته الحقيقة المكتومة - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - فانظر ما قاله أحد آباء النصرانية في القرن الرابع وهو الأسقف (سينيسوس) اليوناني الذي تولى في آخر حياته أسقفية عكا ومات سنة ٤١٠ ميلادية قال ان الروح السري الذي نراه ساريا في الأديان القديمة انما جاء من كون الشعب يحتقر دائما ما سهل عليه ادراكه فلهذا يفضل أن يكون مغشوشا مغالطا . هكذا فعل كهنة مصر الأقدمون أما أنا فساكون دائما فيلسوفا مع نفسي وكاهنا مع الشعب وقد تقدم هذا في انتهى يقول مؤلف هذا الكتاب إني أجد الله عز وجل إذ علمنا ما لم نعلم ووقفنا على أسرار الأوائل التي لم تظهر إلا في هذا الزمان والله هو الولي الحميد

### ( التثليث عند الأمم القديمة )

قد شاع التثليث عند الأمم القديمة يلقيه الكهنة بلفظهم وهم في قلوبهم موحدون ولقد أخذوه من تثليث هذا الوجود فهو كله جوهر مادي وجوهر عقلي وجوهر نفسي أي المادّة والعقل والنفس فالكون كله إما مادّة فيها الأثر واما نفس بها الحياة واما عقل به التدبير . وقد جعلوا العقول عشرة وهكذا النفوس وجعلوا العقول والنفوس الانسانية كأنها آثار للنفوس العلوية . هذا كله في كتب الفلسفة فليست هذه الثلاثة آلهة بل هي مخلوقات والفلاسفة في كتبهم يقولون إن الله هو خالقها فترى الكهنة يقولون الخالق لهم ويقولون انه ثلاثة يريدون المادّة والعقل والنفس . ثم منهم من عبد الملائكة وهي المعبر عنها بالعقول فيما تقدم هنا كالصابئين كما تقدم في أول سورة البقرة وفي سورة الأنعام - ومنهم من عبد الكواكب بالنيابة عن الملائكة ثم عبدوا الأصنام النابتة عن الكواكب . كل هذا تقدم في أول سورة البقرة . فكان الألوهية نقلوها عن الله الى أول مخلوق وهو العقول المبرها عن الملائكة فالأصنام الأرضية وكل هذا لاضلال الشعوب والحمد لله رب العالمين والتوحيد لهم خاصة . انتهى القسم الثاني من السورة

### ( القسم الثالث )

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ \* رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ \* رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ \* رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ \* الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ \* رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ \* رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ

الْحِسَابُ \* وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ  
الْأَبْصَارُ \* مُطْعِمِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنِدْتُهُمْ هَوَاءَ \* وَأَنْذِرِ  
النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتَكَ  
وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ \* وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِينِ  
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ \* وَقَدْ  
مَكْرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ \* فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ  
مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزُ ذُو انْتِقَامٍ \* يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ  
وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ \* وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ \* سَرَّابِلُهُمْ مِنْ  
قَطْرَانٍ وَتَنْشَى وُجُوهُهُمُ النَّارَ \* لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ  
\* هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ \*

#### ﴿ التفسير اللفظي ﴾

واذكر (إذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد) مكة (آمنا) أى ذا أمن أى أخرجه من صفة الخوف  
الى صفة الامن (واجنبني وبنيتي) بعدني واياهم (أن نعبد الأصنام) من أن نعبد الأصنام (رب إني أضللت  
كثيرا من الناس) اسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى - وغرتهن الحياة الدنيا - (فمن تبعني)  
على ديني (فانه مني) أى لا ينفك عني في أمر الدين فهو بعضى لفرط اختصاصه بي (ومن عصاني) فيما دون  
الشرك (فانك غفور رحيم) وان أريد عصيان الشرك كان الغفران والرحمة ان تاب وآمن (ربنا إني أسكنت  
من ذريتني) بعض أولادى وهم اسماعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه  
شئ من الزرع (عند بيتك المحرم) هو بيت الله محترم عظيم الحرمه لا يحل انتهاكها ويحرم التهاون به (ربنا  
لبقيموا الصلاة) اللام متعلقة بأسكنت أى ما أسكنتهم بهذا الوادى البلقع إلا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم  
(فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم) أى أفئدة من أفئدة الناس تسرع اليهم شوقا وودادا (وارزقهم من  
الثمار) وهم يسكنون واديا لانبات فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة وقد أجاب الله دعوته فجعله حرما آمنا  
يجي اليه ثمرات كل شئ (ربنا إني أعلم ما تخفى وما نعلن) تعلم سرنا كما تعلم علمنا (وما يخفى على الله من شئ  
فى الأرض ولا فى السماء) فالعالم كله بالنسبة اليه سواء ومن للاستغراق (الحمد لله الذى وهب لى على الكبير)  
أى وهب لى وأنا كبير آيس من الولد (اسماعيل واسحق) \* يقال إنه ولد له اسماعيل لتسع وتسعين سنة  
واسحق لمائة واثنى عشرة سنة (إن ربى لسميع الدعاء) أى لمجيبه وقد سأل إبراهيم الولد بقوله - رب  
هب لى من الصالحين - فلما استجاب الله دعاءه قال - الحمد لله الذى ألح - (رب اجعلنى مقيم الصلاة) أى  
متما أركانها وسننها وحاضرا بقلبي عندها ومواظبا عليها (ومن ذريتني) أى واجعل بعض ذريتني من يقيم  
الصلاة (ربنا وتقبل دعاء) أى وتقبل عبادتى (ربنا اغفر لى ولوالدى) لأبوى وقد جاء فى السور المتقدمة  
عذره فى دعائه لهما - وما كان استغفار إبراهيم ألح - (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) أى يوم يبدو ويظهر.



أو يوم يقوم الناس للحساب وإلى هنا انتهى دعاء الخليل عليه السلام . ثم قال الله تعالى مخاطباً كل إنسان (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون) الغفلة معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور وهذا القول تسلية للظالم وتهديد للظالم (إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) أى تشخص فيه أبصارهم فلا تقرر في أماكنها من هول ما تشاهده هناك (مطمعين) مسرعين إلى الداعي أو مقبلين بأبصارهم لا يطفون خوفاً ورهبة وأصل أطمع أقبل على الشيء (مقنعي رؤسهم) رافعيها فن صفة أهل الموقف أنهم رافعو رؤسهم إلى السماء فلا ينظر أحد إلى أحد (لا يرتد إليهم طرفهم) أى لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة (وأفئدتهم هواء) خالية فارغة لا تبقى شيئاً ولا تعقل من شدة الخوف والجبن (وأنذر الناس) أى خوف الناس يا محمد (يوم يأتيهم العذاب) وهو يوم الموت وهو مفعول ثانٍ لأنذر أى ما يقع في اليوم فالإنذار باليوم إنذار بما يحصل فيه (فيقول الذين ظلموا) أى الكفار (ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك ونتبع الرسل) أى ردنا إلى الدنيا وامهنا إلى أمد قريب من الزمان نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال) أى انكم حلفتم في الدنيا أنكم اذا متم لا تخرجون لبعث ولا حساب وقوله - ما لكم من زوال - جواب القسم وقد جاء به بلفظ الخطاب ولكن لوجاء بلفظهم هم لقال ما لنا من زوال (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر أى أقسمتم فيها واطمانتم طيبة نفوسكم وأنتم سائرون سيرة من قبلكم في الظلم والفساد لا تفكرون فيما سمعتم من أخبار الذين سكنوها قبلكم فلا تعتبهوا بأيام الله فيهم وأنه أهلكهم بظلمهم وانكم إن سرتهم سيرتهم لحقكم ما لحقهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهي في غرابتها كالأمثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكربهم) أى مكربهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم لتأييد الكفر وإبطال الاسلام (وعند الله مكربهم) أى ومكتوب عند الله مكربهم فهو مجازيهم عليه وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وان كان مكربهم لتزول منه الجبال أى أمر الدين الذى أنزله الله على محمد ﷺ فهو ثابت ثبوت الجبال فليس مكربهم مزيلة لتلك الثوابت التى لا تزول من الأرض فهو كقوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - فاللام هذه تسمى لام الجحود أى ما كان الله مريداً تعذيبهم وما كان مكربهم معداً لازالة الجبال \* وقرأ الكسائي - لتزول - بفتح اللام الأولى ورفع الثانية أى وأنه أى الحال والشأن كان مكربهم الخ وتكون اللام فى - لتزول - هي التى يسميها النحويون الفارقة لأنها تفرق بين ان المؤكدة وان النافية وهي هنا مخففة من الثقيلة وتلزمها غالباً هذه اللام أى وان مكربهم تزول منه الجبال لعظمته وكثرة احتياهم فيكون معنى الجملة عظم مكربهم وعلى الأول ليس مكربهم مزلة لالاسلام (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) إذ قال - إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلى - وإذا كان الله لا يخلف الميعاد فكيف يخلف الميعاد مع الرسل (إن الله عزيز ذو انتقام) غالب ينتقم من أوليائه لأعدائه ثم أبدل من - يوم يأتيهم العذاب - فقال (يوم تبلى الأرض غير الأرض والسموات) بأن تتطير هذه الأرض كالهباء وتصبح كال دخان المنتشر ثم ترجع أرضاً أخرى بعد ذلك كما سيأتى بيانه من الحديث الشريف ومن العلم الحديث (وبرزوا لله الواحد القهار) أى وخرجوا من قبورهم لحكم الله والوقوف بين يدي الواحد القهار الغلاب بتشديد اللام الثانية أى فلامستغات لأحد إلى غيره ولا مستجار ثم قال تعالى (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض لاشتراكهم فى العقائد والأعمال كقوله تعالى - وإذا النفوس زوجت - وقوله - فكذبكوا فيها هم والعاوون - وقوله عليه الصلاة والسلام ﴿أنت مع من أحببت﴾ ثم قال تعالى (فى الأصفاذ) متعلق بمقرنين . والأصفاذ القيود \* قال أبو زيد تقرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاذ وهي القيود (سرايلهم) قصصهم واحداً سر بال \* وقيل السربال كل مالبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الأبهل والعرجم والتوت كالزفت

تدهن به الابل اذا جربت ويقال الهناء فتقول هنأت البعير أهنؤه بالهناء وهو القطران ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح \* وقرئ - من قطر آن - وهما كلمتان متونتان . فالقطر النحاس المذاب . والآنى الذى انتهى حره فتكون قصهم إذن من نحاس مذاب شديد الحرارة (وتغشى وجوههم النار) نعلوها باشتعالها (ليجزى الله كل نفس) مجرمة جزاء (ما كسبت إن الله سريع الحساب) يحاسب جميع العباد فى أسرع من لمح البصر ولا يشغله حساب عن حساب كما لا يشغله رزق زيد عن رزق عمر (هذا) القرآن (بلاغ للناس) كفاية لهم فى الموعظة ليتعظوا (ولينذروا به) أى بهذا البلاغ (وليعلموا أنما هو إله واحد) بالنظر والتأمل يعرفون وحدانية الله تعالى (وليدكر أولوا الألباب) فيرتدعوا عما لا يليق . فهذا البلاغ ﴿ لثلاثة أمور ﴾

(١) أن الرسل يسعون بتخويف الناس لتكميلهم

(٢) وأن الناس ترتقى وتكمل قوتهم النظرية

(٣) وتكمل قوتهم العملية بالتذكر . انتهى التفسير اللفظى

﴿ مقاصد هذا القسم ﴾

اعلم أن هذا القسم الذى قصه ابراهيم الخليل وماتلاه من مخاطبة الله للنبي ﷺ وسائر الناس تقيم للكلام وجمع ماضى من أول السورة تصريحاً تارة وتلويحاً أخرى . ولقد قدمت أن الخليل عليه السلام لا يخطر بالبال أنه يعبد الأصنام وأن ذم عبادة الأصنام إنما كان لما فيه من حصر الفكر ومتى عبد الناس ربهم خلصت عقولهم من التقيد بالأصنام . ناهيك مانع من أن الخليل لما كسر الأصنام نظر نظرة فى النجوم ونظر الكوكب والقمر والشمس وارتقى الى الأفلاك وفوق السبع الطباق وقال - إني وجهت وجهى الى - وهكذا العرب لما كسرت أصنامهم فككت عقولهم وانطلقوا فى الأرض فأدبوا أهلها ثم هم اليوم حالهم كحال العرب الجاهلية الأولى فهم فى انقسام وانشتاق وتنابد ورؤساؤهم أصحاب شهوات وزادات ظلموا وأفسد كثير منهم وهم ظالمون . وقد قلت ان جود الفكر وحجره هو الذى تجب محاربه واذا وجدنا أهل دين من الأديان ونفت عقولهم وجب علينا افهامهم . وهذه أمة الاسلام لاسيما العرب منهم حالهم اليوم أسوأ من حال آبائنا أيام الجاهلية فنحن مقلدون متنابدون . ولعمري لقد جاء فى القرآن فى آيات سبقت فى هذا التفسير أن القرآن انذار للمسلمين كما هو انذار للكفار وهو واضح فى سورة الأعراف وغيرها

واذا كانت عبادة الأصنام بحسب نتائجها داعية للتفرق والانقسام من جهة ومن جهة ثانية داعية للجهالة وقيد الفكر فليكن دعاء الخليل لقصد فك القيد عن أبنائه العرب وأن يسهل الله له الدعوة التى قام بها فلا يقوم عائق فى سبيلها فتقف وتحصر كما تحصر العقول بعبادة الأصنام ولعل فى قوله - ربنا إناك تعلم ما نخفى وما نعلن - ما يشير الى ذلك فكأنه يطلب من الله أن تفك القيود عن أبنائه والعرب منهم وقد أرسل لهم ﷺ و بعد مدة قيدوا وتقيدوا شديداً كما قيدت عبادة الأصنام عبادها وكأن هذا المعنى مما قصده وان لم يستجب فى العرب الجاهلية الأولى لأنهم عبدوا الأصنام وذلك لم يمنع استجابته فى باقى ذريته وإنما يتلى علينا الآن لتدبر كيف كان أبونا الخليل يدعوا الله أن يجنبنا عبادة الأصنام ونحن لانعبدها ولكننا مقيدون فى اصفاة التقيد لانظر الى السماء كما نظر هو ولانفكر فى الطبيعة كما فكر هو يوم قال - ولكن ليطمئن قلبى - فنفكر فى الخروج من هذا المأزق ونفك القيود التى قيدنا بها . وفى هذا المقام لطائف

(اللطيفة الأولى) ايضاح كيف كانت قصة الخليل عليه السلام جامعة مافى الكامة الخبيثة والكامة الطيبة

وانها ملخص ماجاء فيهما

(اللطيفة الثانية) بيان أن ما بعد القصة من قوله تعالى - ولا تحسبن الله غافلاً عما هو - قد اشتمل على ما هو



كالنتيجة للتذكير بأيام الله الذي جاء في أول السورة فهذا القسم جميعه أشبه بالتطبيق على السورة كلها فأولها  
تلى أواخرها وآخرها على أولها

(اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - ربنا إني أسكنت الخ -

(اللطيفة الرابعة) - يوم تبدل الأرض غير الأرض الخ -

﴿ اللطيفة الأولى ﴾

ان الخليل عليه السلام طلب من الله أن يتجنب هو وبنوه الأصنام لأنها أضلت كثيرا من الناس الخ  
وهذا هو الكلمة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض فهو كالتطبيق عليها وطلب من الله أن يجعله مقيم الصلاة  
وبعض ذريته وجاء في كلامه - وما يخفى على الله من شئ في الأرض ولا في السماء - وهذان هما القسمان  
العلمي والعملي المذكوران في الكلمة الطيبة المبينة في قوله - قل لعبادي الذين آمنوا الخ - ففيها العمل باقامة  
الصلاة الخ والعلم بقول الله الذي خلق السموات والأرض الخ

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

إن قوله تعالى - ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون - الى قوله - أولم تكونوا أقسمتم من قبل  
مالككم من زوال \* وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم  
الأمثال الخ - فهذا هو نتيجة ما جاء في أول السورة فانه هناك ذكر موسى قومه بأيام الله بعد ما أمره  
الله إذ قال له - وذكرهم بأيام الله - وقال - ألم يأتكم نبي الذين من قبلكم الخ - وهنا جاء ذكر ذلك في  
يوم الحساب على مقتضى أول السورة من التذكير بتلك الأيام في القرون الخالية

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الخ - ﴾

روى أن أم اسماعيل جاء بها ابراهيم وبنها اسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق  
زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهاماء فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء  
فيه ماء ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته أم اسماعيل فقالت له يا ابراهيم الى أين تذهب وتركنا بهذا الوادي الذي  
ليس فيه أنيس ولا شئ ثم أفادها أنه بأمر الله فسلمت الأمر لله وعلمت ان الله لا يضيعهما ثم رجعت ودعا  
ابراهيم بهذه الدعوات فقال - رب إني أسكنت من ذريتي - حتى بلغ - يشكرون - ورجعت أم اسماعيل  
ترضعه وتشرب من الماء الذي عندها فلما فرغ عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى أو يتلبط فتوجهت  
الى الصفا وهو أقرب جبل اليها ثم استقبلت الوادي هل ترى أحدا فهبطت منه حتى اذا بلغت الوادي رفعت  
طرف درعها ثم سعت سعى الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة وفعلت ما فعلت فوق الصفا فلم  
ترأحدا ففعلت ذلك سبع مرات فلذلك سعى الناس بينهما ثم سمعت صوتا وهي مشرقة على المروة فاذا هي بالملك  
عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من  
الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف فشربت وأرضعت ولدها وكان البيت كالراية تأتيه السيول ثم مرت  
بهم رفقة من جرهم فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عاتقا فعرفوا أنه على ماء فاستأذنوا أن ينزلوا عندها فأذنت  
على شرط أن لاحق لهم في الماء فنزلوا وأرسلوا الى أهليهم فنزلوا معهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنسهم  
وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجه بامرأة منهم وماتت أم اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل وكان  
ما كان من سؤاله لزوجة ابنه وردّها عليه بما لا يحسن فقال لها قولي له غير عتبة الباب الخ وانتهى الأمر  
بعد ذلك أن اجتمع معه وتعانقا وبنا البيت كما في سورة البقرة عند قوله - واذا رفع ابراهيم القواعد من  
البيت واسماعيل - وفي التفسير هناك تلخيص ما يناسب ذلك من حديث البخاري وجئت هنا باختصار الحديث  
الذي يوضح ما في هذه السورة ومجموعهما مقصود ما في حديث البخاري بطوله

﴿الطيفة الرابعة في قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات﴾  
اعلم أن هذه الآية من المعجزات للقرآن فأنك ترى العلم الحديث منطبقاً عليها تمام الانطباق . ألا ترى أنهم يقولون أن الأرض والشمس والسيارات كانت في قديم الزمان عبارة عن كرة نارية حارة طائرة في الفضاء ودارت على نفسها ملايين من السنين ثم تكوّنت الشمس وبعدها ملايين فصلت منها السيارات ومنها الأرض وبعدها مئات الألوف من السنين انفصلت عنها الأقمار ثم إن هذه العملية نفسها استعاد كرة أخرى أي أن الأرض والكواكب والشمس بعد ملايين السنين ستتحل هذه الأجسام كرة أخرى وتدخل معمل الطبيعة مرة أخرى وتعاد من جديد فتجدد أرض غير الأرض بعد ما يذوب ذلك كله ويتطاير في الفضاء ملايين السنين ولا يبقى لها أثر ويعاد العمل من جديد وتصبح شمس غير الشمس وأرض غير الأرض وبالطبع السماوات غير السماوات . وإذا سألت علماء الفلك ما برهانكم على هذه المسألة أجابوك كما في كتاب (الدنيا الواسعة) في علم الجغرافيا صفحة (٨) باللغة الإنجليزية وهاك ما ترجمته ﴿كيف عرف الفلكيون أن تاريخ بدء الأرض على هذا المنوال كان حقاً وما برهانهم على ذلك فكان الجواب أن هؤلاء الفلكيين رصدوا بمنظيرهم الكبيرة المسمى كل واحد منها (بالتلسكوب) وشاهدوا أحجاماً كبيرة بخارية على هذا المنوال الذي قدروه للأرض وقد كشفوا أكثر من ستين ألف كوكب مختلفة فمنها ما لا يزال كرة نارية ومنها ما ابتداء يتكون ومنها ما اقترب من الكمال في التكوين وبقيتها بين هذين الحدين مختلفات البعد والقرب منهما اه﴾

فهذا قدروا أحوال أرضنا وشمسنا فكأنهم بهذا عرفوا سير كرتنا وتاريخ تطورها في التكوين اه  
أليس هذا بعينه هو قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - فانظر كيف أصبح العلم يشاهد تبدل الأرضين بالأرضين والشموس بالشموس لشمسنا وأرضنا فقط . وانظر قول أبي كعب قال في معنى التبديل ﴿إن الأرض تصير نيراناً﴾ وقال بعض المفسرين ﴿تخلق بدل الأرض والسماوات أرض وسماوات أخرى﴾

وروى عن عائشة قالت سألت رسول الله ﷺ عن قوله - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - فإين يكون الناس يومئذ يارسول الله فقال على الصراط . أخرجه مسلم  
فانظر كيف صارت الأرض نارا وجعل الناس في عالم غير عالم الأرض \* وروى ثوبان أن حبرا من أجبارة اليهود سأل رسول الله ﷺ أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر . فانظر كيف اتفق العلم الحديث مع الآيات والأحاديث وأن الأرض تصير نارا وأن الناس لا يكونون عليها . ثم اسمع ما هو أعجب وهو ما روى عن ابن مسعود وأنس رضي الله عنهما ﴿يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة﴾ وإذا كان كذلك فهي أرض جديدة من تلك الأراضي التي تجهز الآن في هذه العوالم ولم يسكنها أحد بل خلقت حديثا . ولست أذكر هذه الأحاديث إلا للموازنة بين ما جاء في الدين وما جاء في العلم الحديث مع العلم أن هناك أحاديث تخالفها ولكن ظاهر الآية يوافق هذه الأحاديث ويوافق العلم الحديث وهذا من عجائب هذا الزمان

وههنا أربع جواهر ﴿الجوهرة الأولى﴾ في قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - وفيما قبلها من الآيات المذكورات بالنعم ﴿الثانية والثالثة﴾ في قوله تعالى - واجتنبني وبنيت أن نعبد الأصنام - ﴿الرابعة﴾ في قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض -

﴿الجوهرة الأولى في قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها -﴾

( وفي تذكير المسلمين بما قصروا في نعم الله المذكورة في هذه الآية وحرّموا من (٢٣٨) ألف ألف ألف جنيه من (البحر الميت) بفلسطين )



أيها المسلمون جاء في أول السورة أن موسى عليه السلام ذكر قومه بأيام الله وأن نبينا ﷺ كذلك ذكر أمته وكان هذا التفسير ذكر الأئمة بعد ما ذكر العلماء السابقون . أنا حينما كنت أكتب ذلك التذكير لم يكن ليخطر بخلاتي أن يحدث برج الأرض رجا ويس الجبال بسا ويكور حدوثه أثنا طبع هذا التفسير لم يكن ليخطر لي ذلك ولم أكن لأعتقد أن المسلمين قد وصلوا إلى درجة محزنة مخزية فظيعة مفرعة مربعة من الجهالة والغفلة عن هذه الآيات

أيها المسلمون . إن الله ملككم فلسطين منذ أيام الخلفاء الراشدين وأراد الصليبيون أن يفتحوا تلك البلاد ويفتحوا مصر فلم ينالوا حظهم . أتدرون لماذا حاولوا ذلك . أرسلهم الله سابقا ليقولوا للمسلمين بلسان الحال نحن قد بعث الله هممنا لنقاتلكم . ولماذا هذا . لأجل أن نذكركم بقوله تعالى - الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء - إلى قوله - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظالم كفار - أنتم ملكتم الهند والشام والفرس والعراق ومصر والسودان والأناضول وشمال أفريقيا وبلاد الأندلس . وفي هذه البلاد ما جاء في هذه الآية من الأنهار الجارية والفلك المسخرات والثمار اللانعات والبحار الواسعات فيها السفن الماخرات

وكان الله يقول لكم فإن شكرتم بحفظها واستعمالها أبقيناكم وإن أنتم تركتم الأمور على غاربها وأهملتم أنهاركم بلا استعمال وبحاركم وجبالكم فاني أغضب عليكم . وكيف لا أغضب عليكم وأنا الذي لاعدت نعمتي ولا تحصى . ومن أعطى النعم العظيمة فأعرض عنها فقد كفر بها والكفر بالنعم مضيع لها - إن الإنسان لظالم كفار -

هذا هو الذي أفهمه في محاربة الفرنجة للمسلمين أيام الحروب الصليبية فهو انذار للمسلمين وقد طردهم صلاح الدين الأيوبي فرجعوا وهم يحملون علمها جا . أما المسلمون فناموا بعدها نومة أغضبت ربنا فأرسل الفرنجة هذه المرة فإذا فعل . أدخل الانجليز فلسطين . فإذا فعلوا . فعلوا ما جاء في جرائدنا المصرية يوم (١١) سبتمبر سنة ١٩٢٧ قبل طبع هذه السورة وهذا نصه

﴿ امتياز البحر الميت ﴾

(٢٣٨) بليون جنيه

تؤكد صحف لندن وأمريكا وفلسطين خبر منح امتياز باستغلال البحر الميت في فلسطين لشركة انجليزية وتروي تلك الصحف عن المواد التي يشتمل عليها ذلك البحر ويمكن استخراجها منه روايات مدهشة حتى ان بعض الصحف الكبرى كجريدة التيمس ترى أنه سيكون مصدرا من أعظم مصادر الدخل للحكومة الانجليزية فكأنما هو بمثابة منجم ذهبي عظيم كان مهملًا حتى الآن فقد كانت الحكومة التركية في زمن حكمها في تلك البلاد ترفض كل طلب أجنبي يرمى إلى استغلال ذلك البحر واستخراج محتوياته وقد ذكرت (الأمريكان هبرو) أن عالما جيولوجيا انجليزيا قصد ذلك البحر للاستطلاع والبحث بعد ما دخل المار يشال للنبي فلسطين وبعد الاختبار قدر ثروة ذلك البحر على الوجه التالي الذي يتفق مع تقدير خبراء آخرين لها وهو كما يلي

١٣٠٠ مليون طن من البوتاس تقدر بمبلغ (١٤) بليون جنيه انجليزي

٨٥٣ مليون طن من البروم تقدر بمبلغ (٤٢) بليون جنيه

١١٩٠٠ مليون طن من الملح تقدر بمبلغ ١١٥٠٠ مليون جنيه

(٨١) مليون طن من الجبس تقدر بمبلغ (٢٤) مليون جنيه

(٢٢) مليون طن من كلورو المغنسيوم تقدر بمبلغ (١٦٥) بليون جنيه

وينتظر امضاء عقد الامتياز قريبا من جانب الشركة الكيميائية الامبراطورية التي رأسها المستر (بروزوا . موند)

ويشترط في هذا العقد منح الامتياز لمدة محدودة من الزمن يعود بعد انتهائها الى حكومة فلسطين وتتعهد هذه الشركة بانشاء مدرسة لتهيئة طلبة من أبناء فلسطين لهذا العمل في اليوم الذي تنتهي فيه مدة الامتياز وتعهد كذلك بأن تقدم الى أهل فلسطين الحاصلات اللازمة لهم من محتويات هذا البحر بسعر لا يتجاوز كلفة استخراجها

ويرى بعضهم أن هذا المشروع سيكون أعظم منافسة من جانب الانجليز للفرنساويين والألمان في كلورات البوتاس والمواد الأخرى التي يعدّ الفرنسيون والألمان أصحاب المقام الأول في سوقها اه  
هذا هو نص ماجاء في جرائدنا . والذي آلمني وأوقع في قاي أشد الحزن أنني لم أر من أهل العلم ضجة أو أسفا على الجهل العام في أمم الاسلام وانما هذا الخبر لما انتشر مر كغيبه . وأنا أقول إن الأمر لعظيم هذا البحر سميناه ميتا وانما سميناه ميتا لأننا ميتون ولو كنا أحياء لاتخذنا من مواده الغزيرة لنا حياة ولكان لنا أجل ذخيرة

أيها المسلمون . هل تظنون أن ربنا الذي يقول في هذه الآيات - وسخر لكم الفلك لتجربى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار - يخاطبنا بقوله لكم ثم هو اذا رفضنا نعمته يترك تلك النعمة في أيدينا . هل الله يعطى الذهب للبهائم والطير والسباع أم يعطيها للانسان . إن الله لم يلهم الآساد البحث عن الذهب والفضة وهذان المعدنان ليسا نعمة على الآساد . فليس يقول الله للآساد أنعمت عليكم بالذهب ولكنه قال لنا أنا سخرت لكم الأنهار وسخرت لكم الفلك في البحر ونظرنا حتى لا نحتج بأنه لم يذكر البحر الميت في فلسطين فقال - وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فان لم يدخل البحر الميت فيما تقدم من المياه فقد دخل هنا . لم يبق عذر للمسلم بعد هذا البيان اذا فهم أن البحر الميت ليس نعمة وهذه النعمة مسخرة لنا وقد تقدم في أول هذه السورة - لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد - وشكر النعمة استعمالها فيما خلقت له والبحر الميت بعد أن أنذرتنا الله بالحروب الصليبية لم نفهمه ولم نفهم سواء بل تركنا الأرض المباركة وغير الأرض المباركة فلم نستخرج المنافع منها لجهلنا وأن كاتب هذا التفسير لم يعلم أن في البحر الميت هذه الفوائد إلا من هذا الخبر فتحن قوم جاهلون فحق علينا القول . فإذا حصل لما كفرنا النعمة . أرسل قوما آخرين مستعدين لها فهاهم أولاء يستخرجونها . ومماثل المسلمين مع ربهم إلا كمثل الديك قدمت له جواهر وقطع من الماس ليأكلها فنبذها ظهريا وقال أين حبّ الذرة والقمح فها نحن أولاء لما نبذنا النعمة بجهلنا تسامها غيرنا وهذا عذاب الخزي في الحياة الدنيا . وقد تقدم في سورة الأعراف أن عذاب الدنيا يشمل المؤمنين وغير المؤمنين فارجع اليه إن شئت

وانظر الى قول الكاتب (فكأنما هو بمنابة منجم ذهبي عظيم كان مهملا) وقوله (إن عالما جيولوجيا انجليزيا قصد ذلك البحر بعد فتح فلسطين الخ) وهذا مثل الذي حصل أيام دخول الفرنسيين مصر منذ نحو ١٥٠ سنة فان القوم مكثوا فيها نحو ثلاث سنين ومباحثهم التي قاموا بها فوق متناول المسلمين كلهم

وقد ملؤا مجلدات كبيرة في منافع أرض مصر وجبالها وحيواناتها والمسلمون لم ينتفعوا بشئ من ذلك ولم يشوروا في وجه الجهل . اللهم إني أذكر المسلمين بهذا التفسير وأذكرهم بما قاله (جنكيزخان) كما سيأتي في آخر سورة الكهف عند قصة يأجوج ومأجوج من أنه لما أرسل تجارا من بلاده الى بلاد الاسلام فقتلهم (قطب أرسلان) ثم آخرين فقتل بهم وأخذ ما لهم لجهل المسلمين إذ ذاك بجغرافية جيرانهم . اختلى ثلاثة أيام وهو لا يذوق فيها طعاما فقال اللهم إني أردت عمارة أرضك وأراد المسلمون خرابها فانصرني اللهم عليهم ثم



انقضت على بلاد الاسلام فلم تقم لها قائمة بعدها كما نقلته من كتاب ﴿فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء﴾ فسواء صحّ هذا أو لم يصحّ فهذه نفسها سنة الله وهاهوذا صحّ عندنا أن البحر الميت جهله المسلمون وعرفه النصارى . إذن نحن الآن جهال بنعمة الله وهذا الجهل هو مبدأ الكفر بالنعمة . ومن المنجّل أن يقول الكاتب (ان هذا المشروع سيكون أعظم منافسة من جانب الانجليز للفرنسيين والألمان) ولم يذكر دولة اسلامية تنافس الانجليز في هذا . فهل رأيت نوما عميقا كهذا . وهل عند المسلمين جميعا عربا وتركيا وفرنسا وغيرهم ثروة تقدر بمبلغ (٢٣٨) ألف مليون جنيه . ومعنى هذا أن المسلمين جميعهم لا يملكون ما يعادل ثمن محصول البحر الميت . فهل رأيت موتا أشنع من هذا

فاذا قال (جنكيزخان) المسلمون خربوا بلادك . فهاهوذا لسان العدل ولسان الحق ولسان الدول جمعاء ناطقات بأن المسلمين أكثرهم لم يعمروا أرض الله تعميرا تاما ولم يقوموا بحفظ الأمانة التي استودعوها أيها المسلمون . ان هناك بقية أمل فهل أنتم منتهون . انتهى ﴿حكمة إلهية ونور على نور﴾

استيقظت صباحا في يوم من الأيام فرأيت في النفس ميلا قويا وخطرا هاجبا في اليقظة والنام لا كمال هذا الموضوع فلم أجد بدا من التوسع فيه حتى أتم ما وقر في النفس من بدائع القرآن . وبينما أنا كذلك إذ حضر صديق العالم الذي اعتاد أن يجاذبني أطراف الحديث في مثل هذا المقال فقال (س) ماذا تريد بعد ما قدمته في مسألة البحر الميت وأي أسرار للقرآن في ذلك (ج) فقلت سأذكر عجائب العناصر في البحر الميت وسرّ الحروف في أوائل السور في القرآن (س) فقال وما المناسبة بينهما

(ج) إن البحر الميت قد حلل الله فيه العناصر مثل المغنسيوم والكالور والبروم وجعل فيه مركبات مثل الملح والجبس ففيه المركبات وفيه العناصر . هكذا الحروف في أوائل السور والجل في القرآن ففي القرآن آيات تحت على العلوم وفي القرآن حروف في أوائل السور تشير الى قراءة جميع العلوم كما قدّمنا ذلك في سورة هود وفي أول سورة آل عمران . إن العلوم كلها لا يعرفها الناس ما لم يحلّلوا مركباتها الى مفرداتها كالحساب والهندسة وهكذا العلوم الطبيعية فتألفها كمثّل جميع اللغات فلانعرف اللغة إلا بالتحليل وارجاع المركبات الى الكلمات والكلمات الى الحروف والله هو الذي أنزل القرآن وهو الذي خلق البحر الميت

فهو الذي حلل في البحر الميت البروم والكالور والمغنيس . وهو الذي ركب الجبس والملح فيه وفعل مثل ذلك في القرآن فجعل فيه حروفا كما جعل هنا عناصر . ولما غفل المسلمون عن آي القرآن ماتت القلوب عن بحث هذه العوالم واستخراج منافعها المركبات من عناصرها فهم كما جهل أكثرهم القرآن فلم يعرفوا إلا ألفاظه . هكذا جهلوا منافع أرضهم وبحارها ومنها البحر الميت فاذا سموا البحر في فلسطين ميتا والموت انما هو في أكثر قلوب الجاهلين فيهم فنسبوا ما حلّ بنفوسهم من الجهل والموت الى البحر . فهكذا القرآن لما هجره ماتت النفوس عن معانيه وعن العالم الذي خلقنا فيه . وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا .

(س) لاتزال المناسبة بين العناصر في البحر الميت وبين الحروف في أوائل السور تحتاج الى ايضاح فان نفسى غير مطمئنة الى هذا البيان فان كون الحروف في أوائل السور كالعناصر في البحر الميت وغيره أمر عام لا يخص هذه السورة

(ج) إن أول السور من يونس الى الحجر وجميعها سبع سور كلها مبدوءة بحروف (الر) وتزيد الرعد بأن بين (ال والراء) ميا فوجود (ال) أولا و (الراء) آخر عام في الجميع وهذه الخاصية محققة في قوله

تعالى - ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الخ - فانه ذكر سبع كلمات في معرض الذين بدلوا نعمة الله كفرا كلها فيها هذه الخاصة أى ان (ال) فى أولها (والراء) فى آخرها وهى (البوار . القرار . النار . البحر الأنهار . القمر . النهار) . ومعلوم أن السورة مذكورة بنعم الله كما ذكر موسى عليه السلام ونبينا ﷺ قومهما بذلك والنعم كثيرة فبين أهمها هنا فى معرض توبيخ وذب الذين بدلوا النعمة فلهم البوار والنار وهى لهم قرار وعليهم البحث فى البحار والأنهار والقمر والنهار وكل موجود . فهذه ذكرت هنا كالتمودج للنعم التى يجب شكرها تفسيرا لقوله تعالى فى أول السورة - لئن شكرتم لأزيدنكم - ولأجزم أن البحر الميت من البحار . وقد جاءت فى هذه الكلمات السبع مشاكلة للسور السبع التى فى أوائلها (الر) فأول البحر (ال) وآخره الراء فدخل فى الذى طلب تحليله من النعم التى قد يبدلها كفرا بعض الناس وأن من حكمة الله أن يكون طبع تفسير هذه السورة أيام انتشار خبر البحر الميت حتى يدخل فى أسرار (الر) وتحليل عناصره المدلول عليها بحروف أول السورة . فلئن جهل المسلمون القرآن وانحطت مداركهم ليس معناه أنه لا يرقى الانسانية كما أن البحر الذى سموه ميتا ليس بميت وإنما هو حى يعطى الحياة لقوم يعلمون . فما مثلهم إلا كمثل قوم جلوا رجلا ظنوه ميتا على النعش فلما أنزلوه ليدفن عرف الطبيب حياته فأثنى له بالأدوية المنعشات فعاش الى حين

(س) فقال هناك ﴿أمران﴾ أرجو ايضاحهما ﴿الأول﴾ ما صفات العناصر التى فى البحر الميت فى علم الكيمياء ﴿الأمر الثانى﴾ وهل فى التاريخ أن رجلا مات ثم كشف الطبيب أنه حى . اذا صح هذا فى التاريخ كان خير مثال لحال المسلمين مع ممالكهم من بحار وجبال وأنهار الخ ومع ما حفظوا من دين وقرآن (ج) فقلت إن هذا البحر جمع من العناصر النافعة للنوع الانسانى أمثال

(١) البوتاسا هى من مركبات (البوتاسيوم) الذى هو فلز لونه أبيض فضى لماع لين كشمع العسل ولون بخاره أخضر جيل وهو أخف من الماء واذا أُلقيت قطعة منه فى الماء فإن كرات منه تحمر بسبب شدة ارتفاع الحرارة ويحصل التهاب وتدور كرات (البوتاسيوم) بعضها على بعض سابحة على بعد من سطح الماء ثم يصير البوتاسيوم مع ما اتحد به (بوتاسا) . والبوتاسا جسم كاو شديد اذا لامس الأنسجة أحدث فيها استرخاء وأتلفها

(٢) الصوديوم هو معدن فضى اللون لين اذا أُلقي فى الماء الحار أو ألقى قليلا يشتعل بنور لامع أصفر فاقع وكل أملاح (الصوديوم) نورها عند الاشتعال يكون أصفر وهو كثير فى الوجود لدخوله فى ملح الطعام (٣) الكلور أكثر وجوده فى ملح الطعام مركبا مع الصوديوم فهو مركب من الكلور والصوديوم وهو غاز مغطس لونه مصفر مخضر له رائحة مفضضة خانقة يحدث سعالا شديدا وهو سام . وقد تقدم فى آخر سورة آل عمران

(٤) المغنسيوم هو معدن فضى لين قابل أن يسحب خيوطا ولم يخلق وحده فى الوجود بل مركبا مع غيره ويكون فى ماء البحر مركبا مع الكلور المتقدم والبروم واليود

ها أنا ذا بحمد الله قد وصفت لك أكثر المعادن التى خلقت فى البحر الميت . فانظر الى جسمين فضيين لون بخارهما متقارب وهما الصفرة والخضرة وكل منهما يشتعل فى النار اذا أُلقي فيها وجسم ثالث لونه أشبه بلونيهما وهو ميت وجسم رابع وهو فضى كالغصن الأولين . هذه العناصر بعض ما فى بلاد الاسلام مما جهلوه وهذه هى التى تتركب منها الأجسام ويكون منها خير كثير ولا خير منها إلا بالعلم والعناصر فى هذه الدنيا تبلغ فوق ثمانين فما فى البحر الميت مثال يقاس عليه ما فى سائر بلدان الاسلام كما ان حروف الهجاء فى أول السور مثال لغوى تقاس عليه جميع العلوم



(س) فقال فهمت مسألة العناصر ومركباتها وعرفت خواص أكثر ما ذكر في البحرا الملت منها فما شواهد التاريخ التي طلبتها منك

(ج) فقلت ان في التاريخ ﴿ ثلاث حوادث ﴾ وكلها من كتاب الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي المتوفى سنة ٦٤٦

﴿ الحادثة الأولى ﴾ ذكر أن طبيبا رأى ميتا محمولا على النعش ولمح قدم رجله بهيئة خاصة لا تكون من الأموات بل هي من خواص الأحياء فأعلم أهله فأنزله وداواه فرجع الى الحياة فكان ذلك للطبيب عزا ونفرا وشهرة الى آخر أيامه

﴿ الحادثة الثانية ﴾ جاء في ترجمة صالح بن بهلة الهندي أيام الرشيد أن جبرائيل بن بختيشوع أخبر الرشيد أن ابن عمه ابراهيم بن صالح في آخر رفق وأنه ينقض عمره وقت صلاة العتمة فترك الرشيد تناول الطعام وبكى فأخبره جعفر بأن صالح بن بهلة يعلم في الطب علم الهند وعلم الروم معا فأحضره ودخل على ابراهيم بن صالح ورجع الى الرشيد فقال له لن يموت وانى أخرج من مالى ونساؤه طوالق ثلاثا ان مات فأكل الرشيد وهو مسرور فلما كان وقت العتمة ورد له الخبر بموت ابراهيم بن صالح فلعن صالح بن بهلة وطبه وطب الهند وتقايا الطعام الذى أكله ووقف متكئا على سيفه فجاءه صالح بن بهلة وقال له أنطلق زوجتى وتضيع مالى وتدفن ابن عمك حيا وكرر ذلك فأذن له بالدخول فدخل ورأى علامة الحياة فدخل الرشيد فأدخل صالح بن بهلة ابرة كانت معه بين ظفر ابهام يده اليسرى ولجه فجذب ابراهيم يده وردّها الى بدنه فقال صالح يا أمير المؤمنين هل يحسن الميت ثم خلع عنه ملابس الكفن وألبسه ثيابه ونفخ في أنفه (الكندس) فكث مقدار سدس ساعة ثم اضطرب بدنه وعطس وجلس فكلم الرشيد وقبل يده وعاش زمانا وتزوج العباسة أخت هرون الرشيد وولى مصر وفلسطين وتوفى بمصر وقبره بها

﴿ الحادثة الثالثة ﴾ روى أن ثابت بن قرة اجتاز يوما الى دار الخليفة فسمع صياحا وعويلا فقبل له إن القصاب الذى كان في هذا الدكان قد مات فجأة فقال كلا فتوجه به الناس الى دار القصاب فأمر النساء أن يمسكن عن اللطم والصياح وأمر غلامه أن يضرب القصاب (الجزار) على كعبه بالعصا وجعل دواء في ماء ووضع في فم القصاب فشربه فوقعت الصيحة في الدار والشارع بأن الطبيب أحيأ الميت وسرعان ما وصل الخبر الى دار الخليفة فاستدعاه فذهب والدنيا قد انقلبت وراه بسبب أنه أحيأ الميت فلما دخل عليه قال له يانابت ماهذه المسيحية (يريد أن المسيح أحيأ الموتى) فأخبره أن هذا القصاب كان يشرح الكبد ويطرح عليها الملح ويأكلها كل يوم وأنا أمر عليه فعرفت أن سكتة ستلحقه فلما أخبرت خبره داويته اه

(س) فقال ماوجه الشبه بين البحر الميت وهذه الثلاثة

(ج) الشبه من ثلاثة وجوه ﴿ الأول ﴾ أن كلا من الحوادث الثلاثة فيها حى ظنه الناس ميأ وجل في الأولى على النعش . هكذا هذا البحر ملكه المسلمون فكأنهم حملوه وهم يظنون موته ﴿ الثانى ﴾ أن الأطباء الثلاثة كُتبت وصالح بن بهلة عرفوا أن هؤلاء الثلاثة أحياء وهكذا علماء (الجيولوجيا) من أوروبا قالوا إن البحر فيه حياة ﴿ الثالث ﴾ أن الخليفة قال يانابت ماهذه المسيحية فأخبره بأن هذا أمر علمي لا دخل للدين فيه . هكذا علماء (الجيولوجيا) من أوروبا عرفوا أن هذا البحر فيه حياة وهذه المعرفة علمية (س) فقال وماذا تريد بعد ذلك

(ج) قلت أريد أن لا يكون المسلمون بعدنا مثل المسلمين اليوم فلا يكونون مالكين لأرض الله وللبحار والأنهار الخ وهم يجهلون منفعتها كأنهم يحملون أمواتا بحسب أعمالهم وهم أحياء في الحقيقة . أو كمثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها فتعبوا في حملها وهم لا ينتفعون بها فشبهوا بالحمار يحمل أسفارا . بنس مثل

القوم السائمين الغافلين . فن الخسران أن يكونوا كالعامّة الذين لم يفرقوا بين الميت والحى بل يجب أن يكونوا فى علوم الحياة ككتاب بن قرّة فى الطب وكالطبيب الذى أنزل الميت من نعشه فعاش حيناً فقد عدّ على النعش بالجهل من الأموات ولما أنزل عنه بالعلم عدّ من الأحياء فليكن المسلمون بعد اليوم كهؤلاء الأطباء (س) فقال وماظنك بهم بعد اليوم

(ج) فقلت قد سبق القول فى هذا غير مرة فى هذا الكتاب وانهم بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله فى زماننا ستسرى فيهم الفكرة سريان الكهرباء فى المعادن ويكونون كما قال الله تعالى - اعلموا أن الله يمسى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون - وكما كان الناس يظنون بالبحر ميتا اذ الحياة كامنة فيه . هكذا الأمم الاسلامية الحياة كامنة فيها وستظهر اليوم . وأكثرتهم اليوم منهم كمثل ذلك المحمول على النعش يظنه الناس ميتا وما هو بميت فاذا قرؤا أمثال هذا التفسير كسروا القيود ورموا بالنعش واستبدلوا بملابس الأموات ملابس الشباب والقوّة وساروا فى الأرض وعمروها بعد ماظنّ الناس أنهم مفارقوها وخلعوا سواد الحداد ولبسوا ثياب القوّة والشباب والنخوة والعزّ والكمال . انتهى

﴿ الجوهرة الثانية فى قوله تعالى - واجنبني وبنيتي أن نعبد الأصنام الخ - ﴾  
اعلم أن هذه الكرة الأرضية التى نعيش عليها من عالم متأخر فإن هذه الكواكب التى نراها لىلا عظيمة الأبحار والأقدار . ويظنّ العلماء فى عصرنا ويوقن علماء الأرواح أن ماحولها من السيارات التى تعدّ بمئات الألوف فيها سكان أرقى منا أخلاقا وعقولا . ويقال ان رقى العقول والأخلاق والأعمال على حسب أهمية الكوكب عظمة وضعفا . هذا كله لم يخرج عن حيز الظنون فأرضنا هذه ليست من تلك العوالم العظيمة لذلك نجد أهلها أقرب الى الجهل منهم الى العلم . ألا ترى أن العقول المغروسة فى بنى آدم تضاف وتنام بأذى حادث . فترى التنويم المغناطيسى يعطيه والوهم ويلهمه وعلماء الديانات يتصرفون فى العقول كما يشاؤون والناس فى ذلك غافلون تأهون . ترى الناس يصنعون الأصنام ويعبدونها واذا نزل دين بالتوحيد وأشرك العلماء اتبعهم العامة كما فى الدين المسيحى . هكذا المسلمون أيضا تراهم متفرقين وكل فرقة لاتقدس إلا ماتلقه من الأشياخ كما نرى فى رجال الصوفية فان أكثرهم يعتقدون فى شيوخهم العصمة وكأنهم منومون وهؤلاء الاتباع منومون (بالفتح) ومن الفرق المشهورة الطائفة المسماة بالباطنية فهؤلاء من فرق المسلمين ظاهرا وقد قرأنا عنهم فى كتب كثيرة ولكن لم يكن يخطر بالبال أن هؤلاء الذين بنوا الجامع الأزهر والقاهرة وحكموا فى مصر فوق مائتى سنة ينحط أتباعهم فى زماننا الى دين وثنى فانهم يعبدون الرئيس الدينى عندهم وما كنا لنصدق ذلك . وذلك الرئيس يناسب لآل البيت الكرام . ومن عجب أن سيدنا عليا كرم الله وجهه نبذ هؤلاء الذين كانوا يعتقدون فيه الالهية فخار بهم وانتصر عليهم فكيف يرضى من ينتسب اليه أن يرجع أتباعه الى حال مزعجة اذا صحّ ما ستقرؤه الآن من شكوى أتباعه منه فى الجرائد وكيف يجعل ذلك الرئيس نفسه ندا لله ويكون من المذكورين فى الآية أو يصبح كفرعون وأمثاله . اللهم إن العالم الانسانى فى الأرض سريع النزوع للجهل غارق فى بحار العمى والضلال . فهناك ملجأ فى إحدى الجرائد المصرية المشهورة بتاريخ الجمعة ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٧ م و٤ ربيع الثانى سنة ١٣٤٦ هـ

﴿ الى سموأغا خان ﴾

( خطاب كله شكوى وفضائح )

تلقينا فى البريد الوارد علينا من الهند صورة خطاب مفتوح موجه الى سموأغا خان الزعيم الهندى المعروف من بعض أتباعه يلفتون نظره فيه الى حال الطائفة التى يهيمن عليها سموه التى بلغت من التأخر والانحطاط حدا كبيرا . تلك الطائفة هى طائفة الاسماعيليه وأغا خان معروف للمصريين فهو الذى قيل عنه أن الحكومة



البريطانية أرادت أن تقيمه سلطانا على مصر في بداية الحرب في حالة رفض المغفور له السلطان حسين كامل عرش مصر . وأغا خان يقضى أغلب وقته في أوروبا حيث تراه في كل بلد من بلاد المصايف والمشاتي وحيث له عشرات من الجياد تجري في السباق في لندن وباريس وكل مركز من مراكز الترف والظهور

ولما كان الخطاب طويلا آثرنا أن نلخصه للقراء وهو يحوى فضاء عسدة مؤلة بين طائفة من المسلمين وهو بوجه خاص نقد موجه الى زعيمهم أغا خان وقد استهله كاتبوه بما يأتي

يا صاحب السمو . نحن الموقعين على هذا أعضاء طائفة (خوجا) نرفع الى سموكم الخطاب التالي واثقين أن ينال لديكم ما يستحق من العناية والاهتمام . نسمح لنا يا صاحب السمو في مستهل خطابنا هذا أن نقول ان السبب الوحيد الذي جعلنا على أن نسلك هذا الطريق الخطر هو الحالة التعسة التي عليها اخواننا البؤساء ونقول ان الطريق التي سلكها الآن خطيرة لأنه حدث غير مرة أن الذين يجرؤون على الاحتجاج ضد المظالم السائدة التي جرت هذه الحالة التي يرثى لها كان نصيبهم الموت من جراء عملهم هذا . ومع أن الخطة التي نسلكها هي في نظر العقلاء الخطة المثلى والطريقة الدستورية المشروعة للاعراب عن مظالم يراد اصلاحها فانه مع ذلك لا يدهشنا اذا كانت نتيجة عملنا هذا الذي نقوم به بحسن نية أن يكمن لنا الفدائيون من أتباع سموكم ويقضوا على حياتنا . على أنه اذا حدث شيء من ذلك فانه يحتمل أن يثور الرأي العام ويقوم ولاية الامور بتحريرات في الأمر نرجو أن تنتهى عاجلا أو آجلا باتخاذ تدابير تضع حدا لحالة يكاد يتعذر تصديقها في هذا العصر عصر المدنية والعرفان . نعم نذكر حق الادراك ما لسموكم من المكانة الرفيعة والمقام السامي في العالم . غير اننا نجد ما يشجعنا على توجيه هذا الخطاب الى سموكم عالمين أننا نعبر عن شعور عدد كبير من أنصاركم لا يجد معظمهم من أنفسهم الشجاعة على الاعراب عنه للسبب الذي ذكرناه آنفا

وقبل أن نشرع في تنفيذ نيتنا وهي وصف الحالة التعسة المتأخرة التي عليها نحن أنصار سموكم نود أن نشير في البداية الى العلاقة التي تربط أسرة سموكم بطائفة (خوجا) وهذه العلاقة هي ما يقال من أن أسرة سموكم من سلالة الامام على ومن سلالة الحشاشين في جبل الموت ورئيسهم حسن بن الصباح المعروف باسم شيخ الجبل وأنصار سموكم هم اسميا طائفة من الطوائف الاسلامية ولكن المبادئ التي تسربت اليهم اليوم انتهكت حرمة المذاهب الاسلامية الجوهرية وقد جاء هذا من الاختلاط القديم بالطوائف التي أشرنا اليها لأن المعروف أن شيوخ الجبل يعترفون جهارا بأنهم من أدق المحافظين على المبادئ الاسلامية ولكنهم في الواقع ألد أعدائها في الباطن . ومن البديهي أن الدين الاسلامي يقضى على معتقيه أن يعتقدوا بالله واحد ويؤدون ما فرض عليهم من صوم وصلاة وحج . فكيف يستطيع أنصار سموكم أن يعملوا بالوصية الأولى الهامة في حين أن مرسلهم الذين يتقاضون أجرهم من خزائنكم والذين يعملون بإرشادكم ينادون في كل جمعية (دار العبادة) في الناس بأن سموكم الاله القدير الذي يجب أن تقدم اليه وحده كل عبادة وصلاة

والواقع أن ما ينادى به وعاطفكم يعمل به أنصاركم فيقدمون صلواتهم الى شخص سموكم بصفتمكم الاله الأعلى . أما فيما يتعلق بالقرآن الكريم فان سموكم لا يستطيع أن ينكر بأن الشهود الذين تقدموا في قضية (هجي بيبي) وهم من أنصاركم جاهرُوا بأن لاشأن لهم بالقرآن وفوق ذلك فقد نصحتهم سموكم أنصاركم باتباع تعاليم (بيرسدرودين) وهي تعاليم تشير بصريح العبارة لأنصاركم أن القرآن لم يوضع لهم . وهناك أيضا فرمان الذي وجهتموه الى أنصاركم منذ بضع سنين وخواه أن القرآن الحالى ليس صحيحا

وزكاة الاسلام التي هي هبة اختيارية قدرها ٢ ونصف في المئة من الدخل تعطى حسب أوامر القرآن صدقة للفقراء والمعوزين وأبناء السبيل وغيرهم ولكن اخواننا الفقراء يرغمون على أن يعطوا نصف دخلهم لله في شخص سموكم وهذه الجبايات تدفع نقدا وعينا ويدفع أهل كراتشي وحدهم (٢٠٠٠٠) روبية

ناهيك بالبلدان الأخرى التي تدفع مثل هذا المبلغ . وهذا معناه أن الجزء الأكبر من الأموال التي حصل عليها أنصاركم بعرق جبينهم تدفع بانتظام لسد نفقات سموكم الشخصية . ويضاف الى هذه الاعانات المنظمة ماتستولون عليه سموكم في كل زيارة من الأموال والحلى وغيرها من الهبات الثمينة وقد تكرمتم في سنة ١٩٢٠ فزرتم أنصاركم في كراتشي وحلتم معكم خمسة عشر (لكا) من الرويات بعد اقامة لم تستغرق (٢٦) يوما ولما عدتم سموكم الى كراتشي بعد ذلك بعامين لمقابلة ولي عهد إنجلترا دفع اخواننا لكم مالا يقل عن ١٥٤٠٠٠ رويية مع أن سموكم لم تمكثوا معهم أكثر من ساعتين . ولا نخال سموكم تجهلون أن العالم اليوم يعتمد على المال فاذا كانت الأموال تبرز من طائفتكم بهذه الحالة فكيف تنتظرون منها أن تثبت في وجه منافسات الطوائف الأخرى أو كيف تستطيع السير مع ما يقتضيه الزمن من الرقي والتقدم

أما فيما يتعلق بفرىضتى الصوم والحج فلسنا في حاجة الى القول بأن أنصاركم لا يقومون بهاتين الفريضتين وأنا ازاء الأبتزاز المستمر ونضوب الموارد الاقتصادية للطائفة نود أن نسأل سموكم عن التدابير التي اتخذتموها لاعلاء شأن الطائفة ورقيا وهل لكم أن تخبرونا عن المبالغ التي تنفقونها في سبيل التعليم واعانة الفقراء وهي المبالغ التي ابترت من أفراد الطائفة وهل لكم أن تدلونا على قرية واحدة أو مكان شيدتم فيه جامعة أو مدرسة عالية أو مستشفى أو ملجأ لاعلاء شأن طائفتكم وترقية شؤونها الفكرية والجسدية والروحية وهل يجد أبناء أنصاركم الذين يرغبون في ترقية مداركهم من سموكم ما يساعدهم على الالتحاق بأي معهد علمي في العالم . أما المدارس الوحيدة التي توجد هنا فلا تخرج عن مدارس ابتدائية تقوم الطائفة نفسها بسد نفقاتها وفي هذه المدارس لا يلتقى الأطفال التمساء من التعاليم إلا ذلك المذهب المروع الذي يعلمهم أن سموكم هو الاله القدير الذي يجب أن تقدم اليه كل عبادة وقربان . انكم تطلقون على أنصاركم وتدعونهم باسم أولادكم ولكن هل خطر ببالكم أن تقوموا بواجبكم الأبوي بما يكفل لهم حاجاتهم في الحياة . ألم يؤنبكم ضميركم وأنتم ترفلون في حلل السعادة والهناء في أوروبا فسانتم أنفسكم عما اذا كان أطفالكم الذين خلفتموهم وراءكم في بلادكم لديهم ما يسد الرمق . وهل تحوّل أفكاركم وأنتم تعيشون عاما بعد عام في قصور شامخة بالبلدان الأجنبية فذكرتم أولادكم وقدتم اليهم ما هم في حاجة اليه من مأوى . ألم يخطر ببالكم وأنتم تبعثون الملايين من الجنهات في ميادين السباق بالبلدان الأجنبية وتنفقون عن سعة لصيانة الجياد وتكاليفها . إن الأموال التي تبعثونها ذات اليمين وذات الشمال هي من دماء أولادكم وانها السبب في ما هم فيه من الفقر المدقع والشقاء لقد ساعدكم الحظ وحصلتم من العلوم والمعارف على قسط يساعدكم على معايشة أرقى الهيئات ولكن ليس من نكبات الدهر أنكم تستخدمون هذه المميزات نفسها بمهارة وحذق لحرمان أولادكم من العلم لكي تجعلوهم دائما يتخبطون في دياجير الجهل . انا ناشد سموكم أن تبرّروا دعواكم بأنكم الرئيس الروحي لالوف من أتباعكم بعمل ما يخفف عنهم عبء الجهل ويرفعهم الى مستوى أعلى . ولما كنتم الرئيس الروحي لطائفتنا . ولما كنتم تدعون أنكم من سلالة النبي نفسه فهل لنا أن نسألكم عما تصنعونه لاعلاء شأن الاسلام في أوروبا حيث تقضون معظم حياتكم هناك . وهل لنا أن نعرف هل تلقون محاضرات عما في الاسلام من مبادئ سامية . وهل تبرّرون مركزكم الذي تشغلونه بما تقدمونه من المثل الاعلى في حياتكم واذا كنتم لاتفعلون شيئا من ذلك فهل لنا أن نسألكم عن الغاية من اقامتكم الدائمة في أوروبا بعيدا عن أنصاركم . وهل السبب الوحيد في ذلك ولوعكم بميادين السباق وما في أوروبا من ملاهي ومسررات

ومع أن سموكم لم تؤسسوا معهدا علميا أو طبيا لتثقيف عقول الطائفة إلا أنكم قطعتم خطوة واحدة لتتخذوها دليلا على اهتمامكم الشخصي بشؤونها فأنستم مجلسا غايته الظاهرة ادارة شؤون طائفتكم ولكن الواقفين على بواطن الامور لا يسعهم إلا القول بأن الغاية الحقيقية من هذه المجالس انما هو القبض بيد من



حديد على زمام الطائفة . ولا أدل على ذلك من أنه لا يجوز لهذه المجالس أن تدخل تعديلا إلا بموافقة سموكم كما أن لكم السلطة الوحيدة في تعيين وإقالة أعضاء هذه المجالس الذين لا يسعهم في هذه الحالة إلا أن يكونوا معبرين عن رأى سيدهم طائعين له طاعة عمياء . وبعد أن أشار للموقعون على الخطاب الى الأوامر القاسية والقوانين المجحفة التي يخضعون لها ومنها حرمانهم من أن تكون لهم علاقة بالمنشقين على الطائفة سواء في أفراهم وأخراهم قالوا ان الغرض من هذه المجالس والقوانين هو جعل الطائفة على الاعتقاد بألوهية سموكم وبذل كل مجهود للقبض على زمام الطائفة روحيا وجسديا والمحافظة على الأموال الطائلة التي تحصلون سموكم عليها بهذه الطريقة

وفي الختام نلتمس من سموكم بالراح أن تأمروا بإدخال التغييرات التالية إذا لم تكن لديكم رغبة أو سلطة للقيام بعمل صريح يعود بالنفع على طائفتكم  
(١) أن تتنازلوا وتتصلوا من جميع الألقاب المقدسة التي تطلق عليكم . وهي في الواقع من حق الله القدير وحده

- (٢) أن تغيروا (الجمعية خانات) الى المساجد التي تصح فيها وحدها إقامة الصلاة
- (٣) أن تضعوا الوسائل اللازمة لكي يتلقى جميع أنصار سموكم التعاليم الاسلامية
- (٤) أن تمنعوا منعاً باتاً وترفضوا جميع الهبات سواء كانت نقداً أو عيناً
- (٥) أن تتكرموا بإلغاء المجالس والقوانين الداء تامة . ونافذت نظر سموكم بكل احترام الى أن هذه الامور من حق الطائفة التي لها وحدها حق حكمها بنفسها وإدارة شؤونها . فإذا تفضلتم سموكم فقبائكم طلباتنا هذه فانا نكون مغتبطين أشد اغتباط . وتقبل يا صاحب السمو فائق الاحترامات خدامكم المخلصين اه  
﴿ جوهرة في أديان القدماء ﴾

ولما كتبت هذا المقال حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يتحدثني في مواضيع هذا الكتاب . قال أنا أعجب لأتم الاسلام كيف يظهر فيها أمثال هذا وكيف يزعم قوم منهم أن الانسان إله . فقلت إن هذا فرع امتد من ديانات القدماء ودخل في دين الاسلام وقد حل بالاسلام ودخل فيه ما حل بالديانات السابقة ولكن الاسلام لمئاته وقوته قد فعل بتلك الضلالات ما يفعله البحر بما يرمى فيه من جيف الحيوانات . فقال هذا اجمال ونحن يعوزنا التفصيل بالدليل من التاريخ . فقلت قد بحث العلماء في عصرنا عن أصل كل دين من أديان القدماء كالبراهمة في الهند وأتباع الديانة الهرمسية في مصر والوثنية في اليونان وهكذا النصرانية عند نشأتها . فهذه الديانات كلها بعد البحث عنها والتقصي في آثارها وجد أن لكل منها ﴿ وجهين ﴾ وجه ظاهر وهو الرموز والطقوس . ووجه باطن وهو المعبود الحق . خذ مثلاً كتاب (الفيدا) وهو المركب من أربعة أسفار المكتوب باللغة الفيدية وهو السفر المقدس عند الهنود وهو أقدم من كتب البراهمة فهو يقول إن الله واحد ويسمونه زيوس (الجوهر النقي غير المكشوف) وهذا في ديننا بمعنى (القدوس الباطن) ويصفونه بأنه القيوم بذاته الموجود في جميع الكائنات وكل كائن يستمد منه . ولقد ذكرت في غير هذا المكان شرح الفيلسوف المسمى (ماتو) الهندي لهذه الآية فقال (الكائن بنفسه الذي لا يمكن أن تصيبه الحواس المادية بل الروح فقط وهو المنزه عن الأجزاء المنظورة أزلي سرمدي روح الكائنات الذي لا يمكن العقل أن يدركه على ما هو عليه) ولا زال هذا الدين على بساطته وسهولته كالاسلام في العصور الأولى حتى نشأ البراهمة والكنهية وتألفت مراتبهم وخصوا أنفسهم بالاطلاع على الحقائق العلمية ودراسة العلوم الطبيعية والرياضيات ومرتاضى النفوس بحيث يفعلون العجائب والغرائب أمام شعوبهم فوجدوا أنهم بذلك أعلى وأسمى من تابعيهم فاتهزوا الفرص ليظمسوا الأبصار بظلمس الحقائق حتى يقدسهم الشعب فأخذوا يأمر ونهيم بذبج الحيوان

وانتقلت منهم هذه العادة الى المصريين والعبرانيين . وكان النساك قبل ظهور أولئك البراهمة والكهان ينقطعون الى النساك والعبادة ويفسررن لتلاميذهم غوامض أسفار (الفيدا) وما فيها من التعليم السرى ويدرسون لهم قوى الطبيعة العامضة التى تظهر اليوم بعض أسرارها على أيدي بعض نساك من الهند ومن على شاكلتهم ممن ساءلكم عنهم فى سورة الاسراء عند مسألة الربح . إن هذه العلوم التى كشفها القوم كانت فى أقدم المصور بابا من ابواب السعادة ورفق النوع الانسانى ودام الأمر على ذلك قرونا وقرونا ولكن الخلف لم يكونوا كالسلف فان البراهمة الذين جاؤا أخيرا بعد الأولين جعلوا هذه القوى التى كسبوها ذريعة لاستعباد العامة واستخدامهم فى شهواتهم فانحطّ الشعب الهندى . إن هؤلاء جعلوا ما كان سائما للرفق الانسانى سببا لعلوهم هم والخطاة شعوبهم وذلم واستعبادهم وقد ابتدع هؤلاء البراهمة (التثليث) واقد ثبت كما قدّمنا أن دينهم القديم لبث أحقابا وأحقابا وهو دين توحيد لا شرك فيه . ولما طال عليهم الأمد قالوا إن هذا العالم الذى نعيش فيه مركب من ﴿ ثلاثة جواهر ﴾ جوهر نراه وهو المادّة وجوهران لا نراها وهما العقل والنفس . وهذه الثلاثة حاصلة فى الانسان فله جسم وعقل ونفس فالعقل به التدبير والنفس بها الحياة وهذه الثلاثة واحد . فهى تثلث وتوحيد . ويجعل بعضهم بدل النفس الجسم الأثيرى اللطيف لأن النفس تدبره فهذا الجسم الظاهرى له نظير لطيف يبقّى بعد الموت وما ليكون كله إلا روح دائمة الرقى وما الحياة إلا عبارة عن ترقى ذلك الروح ومادّة إلا رمز تلك الروح وصورتها المتقلبة وما الانسان إلا عالم صغير أشبه العالم الكبير فهو يترقى ويرجع الى الله الذى هو الموجد لهذه الكائنات

ولما أخذوا يباحثون فى الله قالوا ان ديانتنا البرهمية مؤسسة على التثليث أى تثلث (برهم) أى الجوهر الأزلّى المنزه عن المادّة الذى منه صدرت الأقاليم الثلاثة وهى (براهما) و (فيشنو) و (سيفا) فهذه صفات برهم الثلاثة فبراهما (الخالق) وفيشنو (الحفيظ) وسيفا (التحوّل والتغير) هذه هى الصفات الثلاث لبرهم فهو خالق وهو حافظ لخلقه وهو محوّل هذه الخلائق من حال الى حال وهو على ذلك دائما يخلق ويحفظ ما خلق الى أجل ثم يحوّل تلك المخلوقات على سنن دائم فهو ذو أقاليم (صفات ثلاث) وهو واحد فهو ثلاثة من وجه واحد من وجه كما أن هذا العالم ثلاثة من وجه واحد من وجه . وهكذا الانسان الذى روحه شعاع من الله عندهم ثلاثة من وجه واحد من وجه وهذا الانسان يسير فى العوالم المحسوسة والعوالم الغيبية أجيالا وأجيالا ثم يرجع الى ربه ثم توسعوا فى ذلك فجعلوا الشعب الهندى ثلاث طبقات ووجدوا الله سرا وأظهروا التثليث للأمة وأتوا بطقوس مادّية وأحاديث وهمية وحكايات خرافية وسلبوا الشعب قواه العقلية فانحطّ ايما انحطاط هناك ظهر (خريستا) أو (خريستوس) ٤٨٠٠ ق م ومعناها المسيح وقد تقدّمت تعاليمه فى سورة آل عمران ومن قوله ﴿ اذا انحلت الجسم بالموت فان كانت الحكمة متغلّبة على النفس تطير الى تلك الأقطار العلوية التى يعاين فيها الاتقياء الله ويدركونه وان كان الهوى متعلّكا بعد لها يدخاها الله فى عوالم تناسبها وتلقى جزاءها فى أسفل سافلين ﴾

والسرّ الأعظم عنده أن من رام بلوغ الكمال فعليه أن يكتسب علم الوحدة التى هى أجلّ من الحكمة فيتعالى الى الموجود الأسمى الذى هو فوق النفس والنهم وهو مع كل نفس . إن فى باطنك نورا إلهيا ولكن قلّ من يكشف هذا النور فى قلبه فطوبى لمن يضحى شهوانه للموجود الأزلّى الذى نشأت منه مصادر الأشياء كلها وبه كان الدائم فهذا المضحى يجد فى ذاته سعادته وفرحه . إن النفس التى وجدت الله تعتق من الموت والشيخوخة والألم وتشرب من ماء الخلود اهـ

وقال فى الأخلاق ﴿ ليعلم الصديق أن ما يجب تفضيله على كل شئ احترام النفس وحب القريب فلا غيبة ولا خداع ولا نعمة . ولتكن يمينه أبدا مبسوطة للمعوزين ولا يفتخرن قط بحسناته وليحذرن حياته كلها



من ايذاء أحد بوجه من الوجوه فان من حمية التريب واسعافه تنشأ الفضائل التي هي أكثر قبولاً عند الرب جلّ وعلا اه ﴿

هذه هي تعاليم (خريستا) المجدد لدينهم . ولما تقدم العهد دلى هذا الدين ألحقوا به أيضاً أحاديث مضحكة خرافية ورتبوا طقوساً مرسحية لأجل أن يبقى الشعب على الجهالة وملؤا البلاد بالأصنام وأحاطوها بالخرافات ليبقى للسكاهن السلطة على القلوب

ثم بعد ذلك بنحو أربعة آلاف سنة ظهر (بودا سا كياموني سودودانا) ابن ملك كايلا فاستو فرأى ما أحدثه البراهمة والكهنة من التغيير في المبادئ كما حصل قبل ظهور (خريستو) إذ اتفق الكهنة مع الأشراف على التسلط وهضم حقوق الضعفاء فكرهت نفسه العظمة الدنيوية وسُمت ملاذ الحياة فغادر بلاط أبيه وتوغل في الغابات الكثيفة وبعد سنين كثيرة رجع وله من العمر ٣٥ سنة وأخذ يعظ كما وعظ كريستا فأيد كتاب (الفيدا) وأخذ يزعم دين البراهمة ويرفع الحواجز القائمة بين طبقات الأمة . وقد امتدت هذه الديانة في الصين واليابان فضلاً عن الهند ويدين لها الآن ثلث النوع الانساني . ثم ان هذه البوذية لحقها مالحق الفيدا أولاً ودين خريستا ثانياً من عموم الأوهام والأحاديث الخرافية فتوارت تعاليم بودا وقامت مقامها القرابين والأعمال الصيبانية حتى ان بعض كهنة البوذيين اخترعوا آلة تنشر من نفسها في أوقات معينة تسبيحات الصلاة على حسب طلب المؤمن بشرط أن يدفع قدراً من المال . ولقد بعدت البوذية اليوم عن مؤسس بودا كما بعدت المسيحية عن مؤسسها الناصري . وأخذت عبادة الأصنام تنتشر في طول البلاد وعرضها حتى انك لترى الهند والصين واليابان كلها ملأى بالأصنام . وفي هذه الأدوار الثلاثة كان رؤساء الدين في كل العصور يعرفون وحدة الله ويكتمونها . قال (كولوكا) الهندي وهو من أشهر مفسري أسفار (الفيدا) وهو ذو مقام عظيم سام جداً عند الشعب الهندي مانصه

﴿ إن المؤمنين القدماء مع أنهم جعلوا قوى الطبيعة آلهة متعددة لم يكونوا يعتقدون إلا إلهاً واحداً مبدع الكائنات أزلياً غير هبولى حاضراً في كل مكان منزهاً عن كل كدر وهم وهو الحق بالذات ومنبع كل عدل وحكمة المدبر لكل شئ والمرتب نظام العالم لاشكل له ولا صورة ولا حد ولا نسبة ﴾ اه

#### ﴿ دين النصرانية ﴾

وأما دين النصرانية فإنه قد تقدم في ثانياً هذا التفسير مثل مامر في سورة البقرة وآل عمران وأواخر المائدة وغيرها وقد أخذوا أقانيم الهند الثلاثة وشوّهوها وقالوا ثلاثة وواحد حذو القذة بالقذة

#### ﴿ دين الاسلام ﴾

هناك حدث في الانسانية أمر جديد . اعلم أيها الذكي أن الله يعلم ضعف الانسانية وأنه كلما نزل دين حرقه الناس في الأرض على مقتضى جبلاتهم . ومما مثل الديانات إلا كماء المطر ينزل من السماء فيختلط بنبات الأرض ويصبح في الحنظل حنظلاً وفي النخل تمراً وفي البربراً وهكذا . ذلك أن أرضنا التي نسكنها ليست من أعلى العوالم بل يظهر أنها من عوالم متأخرة . أنظر الى ما تقدم في سورة الرعد مما ورد في الحديث ﴿ أن الله خالق شجرة يسير في ظلها الراكب مائة عام ﴾ وهذه يراد بها فتح باب البحث في العوالم المحيطة بنا فقد أظهر الكشف الحديث أن أرضنا وشمسنا بالنسبة للكواكب التي نراها لا شئ . اقرأ ما تقدم في سورة آل عمران وغيرها من أن القوم كشفوا عوالم يصح أن تخلق فيها أمثال هذه الشجرة وما هو أعظم منها ولما كان نور الله يشمل العوالم كلها نزل منه شعاع الى الأرض وهو العلم والدين فأخذ الناس ينزلون الحقائق على مقتضى نقصهم في الأرض . هنالك جاء الاسلام خلّ قيود الوثنية وهو الذي عدل التعاليم المسيحية وبسببه انحلت الروابط والعوائق التي حبست عقول الاوربيين كما تقدم في سورة التوبة فانك تجد

هناك ما فعله الباباوات ورؤساء الدين من قتل النفوس وحرق الأبرياء وظلم المذنب والسوقة فظهر أولئك الكتاب مثل (روسو) و (فولتير) وقبلهما (لوثر) فزعزعوا صروح الأكاذيب في السياسة وفي الدين وتناقص بالتدريج بيع الغفران والتسلط على العقول . كل هذا بدين الاسلام كما هو منقول هناك عن نفس النصارى الذين أسلموا

### ﴿ أم الاسلام المتأخرة ﴾

اعلم أن الأمم الاسلامية المتأخرة اعترها ما اعترى الأمم قبلها حذو القذة بالقذة ولكن بأشكال أخرى فهذا الدين الذي دفع المسلمين الى الانتشار في الأرض شرقا وغربا في قرنين اثنين وحوز علوم الأمم في قرنين أيضا أخذت البدع والخرافات تنتشر بين أهله حتى انحطوا كما انحطت النصرانية قبلهم والبوذية من قبل الطائفتين . ولقد دخل الاعتقاد بالوهمية أفراد من النوع الانساني كما حصل زمن سيدنا على كرم الله وجهه إذ أعلن جماعة أنهم يعبدونه إلهها فقام هو فخار بهم وأخذت هذه الفكرة بعد انقراضهم تظهر حيناً بعد حين ومن قرأ كتاب (الملل والنحل) للشهرستاني يعجب كيف يكون في أمتنا من الخرافات والدسائس الحقيرة السافلة التي ترمى الى التسلط على عقول المسلمين ما يضارع ما فعله النصارى والبوذيون قبلهم وكذلك كتاب (الفرق بين الفرق) وإذا تركنا أصحاب تلك القرون جانباً وأخذنا في دراسة أهل السنة والشيعة المعتدلين رأينا أموراً محزنة . اننا وان لم نعبد الأصنام التي تقيد العقل وتوقف الذهن قد وقفت عقولنا على بعض القشور الدينية وتركنا الحقائق وجوهر العلوم والدين فرجعنا القهقري وأخذت الأمم حولنا تحقرنا فلمحقنا بأمة الهند القديمة . إذن نحن المسلمين جئنا الى الأرض وبسبب تعاليمنا أعتقت أوروبا واليابان وأمريكا لأنهم تخلصوا من تعاليم رؤساء دينهم وأصبحوا أحراراً يسعدون في الدنيا بنعم ربهم . أما نحن الذين انتشر على يدنا عتق الأمم من الذل فاننا وضعنا أغلالهم القديمة في أعناقنا . فهم بعلمنا أعتقوا ونحن بجهلهم تمسكنا فكان ذلنا وأصبحنا في سجن وفي عذاب المون . فلما سمع ذلك صاحبي قال هذا حسن ولكن هل هذه الآراء يعرفها علماء أوروبا مثلاً . قلت ألم أقل لك ان هذا منقول عنهم وان شئت فارجع الى ما تقدم في سورة التوبة . فقال قد تقدم أنك قلت ان الروح شعاع من الله وهل أنت توافق على هذا . فقلت أما أنا فإني لا أوافق على هذه الكلمة الموهمة وأن الذي أعتقد اعتقاداً حقا أن الروح أمر الى الآن لم يعرفه أحد . ومن عجب أن علماء الأرواح قالوا هذا القول بعينه . فعلم الأرواح المنتشر الآن يقول كما جاء في نص القرآن ان أمر الروح مجهول أما كونها شعاعاً من الله فهو فيه معنى الوثنية لأن الله لا يرى ولا شعاع له ينظر لنا لأنه لا يرى البتة إلا اذا أصبحنا في عوالم أخرى كما تقدم في سورة الأنفال في أوائلها . قال أنت نقلت عنهم أن العالم عندهم مركب من (ثلاث) مادة ونفس وروح . فما معنى هذا . قلت لا أحب الاطالة في ذلك ولكن القوم رأوا أن الانسان أشبه بالعالم الكبير . فكما أن الانسان مركب من جسم ونفس وعقل . هكذا هذا العالم وهذا جاء عندهم بقياس التمثيل . واذا كان هذا ليس راجعاً إلا للعالم فهو أمر علمي يحتاج للبحث فاما الأقاليم الثلاثة التي ترجع لحائق العالم التي قالها الهندوت وتبعمهم المسيحيون فان الاسلام أول من هدمها وهكذا علم الأرواح قد سخر منها وانظر هذا المقال في سورة التوبة في مشاهدات (عممانوئيل) إذ قال ان المسيحيين حين يموتون يبحثون عن الآلهة الثلاثة فلا يجدون غير واحد . فانظر كيف ذكر هناك أن المسيحيين مخطئون معذبون وهو من خواصهم . فقال لقد جاء في هذه الآيات من آخر سورة ابراهيم ست مسائل (١) اضلال الأصنام (٢) واقامة الصلاة (٣) وقوله - مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم - (٤) - وأفنتهم هواء - (٥) وكون المجرمين مقرنين في الأصفاد (٦) وكون - سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار - فأرجو ايضاح هذا المقام . فقلت أما اضلال الأصنام فقد شرحتة الآن في هذا



المقام . فقال نعم حسبي . ففقت وأما إقامة الصلاة فالعلم أن الصلاة تقام لذكر الله . ولا جرم أن الله عز وجل هو المدبر للعالم الذي ما يكون من تجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وكل شئ يسبح بحمده فعبادة الأصنام تحبس النفس على شئ خاص . أما الصلاة فلخصها أن الإنسان يحمد رب العوالم كلها ويطلب منه الهداية ومن قرا هذا التفسير أدرك أن الصلاة كتاب يقرأ كل وقت ليذكر الناس بالعبادة العامة وذكر الله عند كل حجر وشجر وهذا قوله تعالى - فأينما تولوا فثم وجه الله - فالمسلمون بعدنا سيعلمون أن القبلة ﴿ قبلتان ﴾ قبلة الصلاة لعموم المسلمين لتحفظ وحدتهم وتذكرهم بربهم وهي انكسبة . والقبلة الثانية هي هذا الوجود كله فيتفكر المسلم بقلبه في جمال الزهر والنجم والشجر والبحر والجبل . وسيعلم المسلمون أنهم إذا صلوا وانتشروا في الأرض إنما يتبعون من فضل الله معاشهم وعلومهم في هذه العوالم المشاهدة . فهؤلاء هم الذين على صلاتهم دائمون . إن من قرأ هذا التفسير يرى ويعلم حق العلم أن المؤمن كل المؤمن من يأخذ به هذا الوجود ويعرف الحكم العجيبة فهذا لانهية تجارة ولا بيع عن ذكر الله . وكيف يلهيه ذلك وهو أينما توجه فانه يرى بهجة وجمالا في البر والبحر والشجر والحجر والمدر تذكره بربه وهذا هو القرب . وأى سعادة أرفع من هذه . يكون المسلم في حقله ويحج في الشجر جمال ربه ومستحيل أن يكون هذا إلا بالعلوم كما بيناه آنفا . إن المسلم في العصر التي بعدنا إذا قرأ قصة سيدنا موسى وانه سار بأهله في جهة طور سيناء وقد فارق شعبا وأخذ زوجته معه وآنس نارا - فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا الخ -

سيجد المسلم بعدنا أن هذه القصة أنزلت لتعليمنا . يقول الله لنا ان موسى كان عند شعيب ولكنه لما سافر أخذ يتجه بقلبه الى مطلوبه ولم يمنعه الاهتمام بزوجه إذ جاء لها الخاض من أن يكون قلبه متعلقا بالوجهة الالهية فرأى النار تشتعل في شجرة العليق ونودي ياموسى إني أنا ربك فهو يريد قلبا من النار ليسد في زوجته المسكينة الفريدة وقلبه يريد نورا إلهيا فرأى النور الالهى . وهكذا يكون المسلم بعدنا يدرس الوجود كله من علم الطبيعة والفلك . فهذا كله للامور الدنيوية وهو نفسه لمرة الله تعالى بل للانس به بل للسعادة والبهجة والحبور . أضاء النور في شجرة العليق أمام موسى عليه السلام . وهكذا نور العلم والمعرفة يشرق في كل شجر وكوكب وحجر وبحر وبر هذا هو الذي سيفهمه المسلمون بعدنا فتكون العلوم كلها للدنيا والأخرى فالله تجلى فيها والحياة الدنيا بها . إذن يصطاد المسلمون طيرين بحجر واحد وهذا قوله تعالى - وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين - فهذا هو العمل المزدوج الذي جمع الدنيا والدين معا وقد تكفل به القرآن وظهر في أمثل هذا التفسير . وأما كونهم - مهطعين - قنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وأفقدتهم هواء - فهذا نظير ما كانوا عليه في الدنيا فان أكثر الناس في الدنيا تأسروهم المادة ويستحوذ عليهم الغم والهوى والحزن على ما فاتهم أو الفخر بما آتاهم . فأما أجسامهم ففي نصب وتعب . وأما عقولهم فهي خاوية من العلم والحياة الجلية . وهذا شأن كثير من نوع الانسان . إن مسه الشر خزع . وان مسه الخير منع فالطائفتان في ذل وهوان من جزع وحرص . وأما كون المجرمين مترنين في الأصفاد فهذا أيضا ما كان حاصلهم في الدنيا فان أكثر الناس مصفدون الآن في شهواتهم وعداوتهم وجشعهم وحرصهم وطمعهم قد ملك عليهم سمعهم وأبصارهم تراه قد غابت عك جميع قواه العقلية لشهوة غلبت أو لطمع أو لحقد أو نحوها . فهذه أصفاد أشد ألف مرة من الأصفاد المحسوسة . إن الناس مصفدون وهم لا يعلمون ولا يشعرون . ومن أكثر مصائب هذا الانسان أنه مسجون ولا يعلم أنه مسجون . محقور ولا يعلم أنه محقور . ذلك بسبب الجهل العام بجفاء الديانات ففشت فيها الخرافات والأوهام أيضا . وأما كون - سرايلهم من قطران وتغشى وجوههم النار - فهذا اشتق مما هو حاصل في الدنيا كسوابقه لأن اشتعل نار العداوات وقطران الغموم لأجل الحسد والحقد وما شاكلهما والاطماع التي لا سبب لها إلا الجهل بل هو نفسه الذي ينقلب نارا تظلي في القلوب

## والأجسام والوجوه

إذا عرفت هذا فهمت قوله تعالى بعد ذلك كله - ليجزى الله كل نفس ما كسبت - هذا هو المعنى بحسب عقولنا نحن في الأرض فلم تكن السراييل من القطران ولا النار المغشية للوجوه ولا الأصمغاد ولا الأتلال إلا نفس ما كانوا عايناه في الدنيا قد انقلب بهذه الصورة فيهم مصفدون الآن محترقون بنيران ليل ونهارا وهم لا يشعرون . ولقد ورد في بعض الآثار أن المتكبرين يخلقون يوم القيامة كالنمر يطوهم الأقدام . وللكبر واحتقار الناس والانفراد عنهم بالقلب هو الذي انقلب في الآخرة إلى صورة الحشرة التي لا يألفها الناس ولا تألفهم بل يدوسونها بأقدامهم بل جاء في كتاب ﴿ الحسبة في الإسلام ﴾ ما نصه

وفي الحديث ﴿ يحشر الجبارون والمتكبرون على صور الذنر يطوهم الناس بأرجلهم ﴾ في صفحة ٢٧٠ طبع عيسى بن رميح من أهالي نجد

فقال صاحبي ماذا تقول في قوله تعالى - يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها - . قلت له إن الناس في الدنيا يطلبون الخير ولكن الخير نفسه يحبسهم كمثمل دودة الحرير تغزله ثم تموت فيه تريد أن تخرج فلا تقدر . قال أوضح هذا المقام . قلت إن هذا يوضح جسم الإنسان الذي هو كتاب مفتوح . قال وكيف ذلك . قلت له ﴿ ثلاث طبقات ﴾ وهي الرأس والصدر والبطن . وفيها (١) العقل (٢) القلب (٣) البطن والفرج . ولكل من هذه الثلاثة فضائل وذنائب قد تقدمت في سورة آل عمران عند قوله تعالى - هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء - فلقوة العاقلة رذائل كالحق والسفه وبقوة الغضب المسطرة على دم القلب بالغليان يحصل الغضب والدم والحقد وهكذا والشهوة المسطرة على البطن والفرج رذائل مثل الحرص والادخار وهكذا . إن الإنسان يملك المال فيملكه المال إذ يطمع في غيره ويحرص عليه فما مثله إلا كمثمل السمك يودّ لو يدخل في الحوض الذي بجانب البحر الممتد لصيده حتى إذا دخله لم يقدر على التخلص منه فالإنسان يتعاطى الطعام لبقائه وشهوة الفرج ليبقى له نسل بعد موته يحمل صورته التي هي ظل لوجوده وبقوة الغضب المهيجة للدم الذي يديره القلب يدافع العدو الداخلي في أتمته والخارجي عنها محافظة على شخصه بالأولى وعلى أتمته بالثانية وقواه العاقلة تدبر الأمور كلها الشهوية والغضبية . فقال صاحبي إذا جعلت هذه الشهوات كلها أغلالا وأصفادا فأين أصفاد العقل وما الذي وقع فيه المسامون منها . قلت إن أصفاد العقل أصعب مراسا وأقوى وأشد . قال أوضح ما تقول وأرجو أن توجزه . فقلت إن المسلمين أقرب إلى الفضائل وأبعد عن الرذائل وما أوقعهم في الدلّ إلا أصفاد العقل وأغلاله . ألا ترى أنهم عكفوا على قشور العلوم وتركوا مواهبهم . فترى الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية والامامية والزيدية والشيعة وجميع فرق المسلمين أصبحوا أسرى التقليد لأقوال الأئمة رضوان الله عليهم ولا يتركهم لا يترخون عنها قيد أنملة . فقال أريد أن يترك الناس المذاهب . إن هذا يناقض كل هذا التفسير . قلت كلا ثم كلا بل أقول إن الأئمة رحمهم الله وكتب السلف والخلف بمثابة لبن الأم فإذا ترعرع الطفل وبلغ سنّ الفطام حتم عليه أن يأكل من نبات الأرض وحيوانها . فما مثل المسلمين مع أئمتهم ومشايخ طرقهم إلا كمثمل الأبناء مع أمهم فانهم يرضعون لبن معلومة . فإذا بلغ الطفل منهم سنّ الرضاع فعلى مربيته أن تمنعه الرضاعة . فإذا قرأ المسلمون المذاهب الشائعة في الإسلام أو قرأ تلميذ الصوفي أو راد شيخه اكتفى كل من هؤلاء بذلك فهو لاء أطفال رضع وهل الأئمة حصروهم في هذه العلوم وهل أحد منهم قال إن هذا هو كل دين الإسلام . كلا ثم كلا وإنما هي أحكام لأمور تقع بين الناس ولبعض الواجبات . أما بقية الدين فهو باق بحاله كالاستبصار بتاريخ الأمم والتذكير بأنام الله وجيع العلوم الفلسفية والطبيعية والأخلاقية فهذه هي الدين وهي متروكة . ألا ترى ما ذكرته لك من أن موسى نزل عليه الوحي بعد ما فارق شعبيا . فقال نعم أنا كنت أريد أن أسألك عن هذا . فقلت إن هذه



درس لنا كأن الله يقول لنا أيها المسلمون هذا نبيّ أيدته بالوحي ولم أنزل الوحي عليه إلا لما انفرد في طور سيناء فليس تحت نظر شعيب • هكذا لا يجوز لشيوخ الطرق ولا لعلماء الدين أن يفهموا الطالب أنه دائماً محتاج اليهم بل لابد أن يطلقوا لهم الحرية فيرتقوا وعلى ذلك يجب أن تؤلف كتب جديدة في كل جيل وقبيل وأن تجعل الكتب القديمة لمجرد المراجعة وعلى المسلمين في أقطار الاسلام أن يكون لهم مجلس عام يتبادلون فيه الآراء وهذا المجلس يكون أهله مطلعين على سائر العلوم كرجال أوروبا ويدهم شهادات عالية فهمؤلاء هم الذين ينظرون في نفس المذاهب وفي طرق الصوفية وغيرها • هذا هو الذي به تكسر الأغلال من أعناق المسلمين وتفك الأصناد عنهم ويخرجون من نار الدّل وعذاب الجهل • هذا ما فتح الله به والحمد لله رب العالمين • انتهى

﴿ الجوهرة الثالثة في قوله تعالى أيضا - واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام \* ربّ انهنّ

أضلن كثيرا من الناس الخ - ﴾

يدعو ابراهيم الخليل ربه أن يجنبه عبادة الأصنام لأنها أضلت كثيرا من الناس • فعباداة الأصنام مبغضة لماذا • لأنها تضل كثيرا من الناس • إذن الضلال هو الذي يجذب وكل ماسبب الضلال فهو مبغض • إذن دين الله يجب أن يجتنب فيه كل ما يورث الضلال • إن الأصنام قد تقدم الكلام عليها في قوله تعالى - فاليوم نتجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية - فقد جاء هناك ذكر الاهرام الثلاثة بمصر لأنها بنيت مقابر وعرة المسالك ضيقة الطرق لتبقى الجثث وتكون آية للناس • فمن آيات الله في الاهرام اننا نلاحظ أنهم كانوا يرسمونها على الأشجار ومعها نجم الشعرى المقدس عندهم للتبرك بها ويضعون هذا وهذا مع الميت إن عبادة الأصنام فيها الضلال من وجهين وجه علمي ووجه اجتماعي • أما الوجه العلمي فإن عابد الصنم يترك جمال الوجود ولا يرى كمالا إلا في معبوده وهذا حصر للفكر الذي خلق قابلا لكل كمال • فأما الوجه الاجتماعي فإن السدنة والقائمين بأمر الصنم ومأحولة يكون التقديس راجعا اليهم محصورا فيهم كأنهم خلفاؤه وهذا يقعد بهم الشعب عن المعالي كما اتفق لقدماء المصريين الذين كان العلم غالبا محصورا في كهنتهم والشعب كان خاضعا وزمام الحكم بأيدي هؤلاء القادة فالوجه الأول حصر العلم والوجه الثاني حصر القيادة في طائفة خاصة • أما الاسلام فقد جاء لشيوع العلم ويكون الفؤاد حسب الاستعداد • ولما كان ديننا دين علم كان أول ما نزل قوله تعالى - اقرأ باسم ربك الخ - لذلك شرع ﷺ يأمر بتعليم القراءة والكتابة بعد أيام الهجرة أيها المسلمون لم تفعلوا ما فعل نبينا ﷺ هو أراد تعميم التعليم ولكن أنتم لم تفعلوا وهو أرسل رجة للعالمين ولذلك انتقلت الفكرة الى أوروبا فأتموا ما ابتدأه المسلمون وعمموا التعليم اجباريا • أفليس من الضلال ترك الشعوب الاسلامية بالاعتماد على تعليم • أليس أيها المسلمون ترك تعميم التعليم ضلالا كالضلال الناتج من عبادة الأصنام • رجاك اللهم ما عرف المسلمون قدر الاسلام ولا قدر القرآن

أيها المسلمون • أيها الامامية • أيها الزيدية • أيها الشيعة • أيها السنيون • إني اقرأ عليكم قوله تعالى - ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون \* ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم \* يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم - الى قوله - كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الخ - يأمرنا أن تكون منا أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ثم يقول لا تكونوا كالأمم التي تفرقت ثم بعد ذلك بقوله - كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر - أمرنا الله بأن نتصف بهذا السكال وأمرنا بالاحتباس من التفرق وبشرنا أننا سنكون متصفين بهذه الصفات التي هي صفات خير الأمم

وها أنا ذا أيها المسلمون أنظر في أمرنا . ها أنا ذا في البلاد المصرية وجدت في القرن الرابع عشر وآخر ما قبله فوجدت الأمة متفرقة وإن تقاربت ديارها متباعدة وإن اقترب دينها متشاكسة غير متجانسة وإن انحسرت دينها . ياليت شعري أما قرأتم هذه الآيات . أين الجماعة الأمرون بالعرف الناهون عن المنكر فيكم . أيها المسلمون أوليس من المؤلم لي ولكل عاقل أن هذه الأمة اختصت في أيامنا هذه أن علماءها يجهل بعضهم بعضا وكتب الشيعة مجهولة عند أهل السنة والعكس بالعكس أمة متقاطعة . كان للسابقين عذر في التقاطع لأمور حاصلة في زمانهم فأى عذر لنا الآن

أيها المسلمون . إن الزمان قد استدار واستيقظ أهل الصين واليابان شرقا واستيقظ أهل أوروبا غربا أم ودول وممالك وأنتم بينهم فوالله لئن لم يقيم فيكم حكماء وعلماء يجمعون شمل التعليم والتربية بينكم ليحصد نكم الله من أرضه حصدا وليذيب نكم العذاب الهون بما كنتم تجهلون ﴿ حكاية مع العلامة (دوارد براون) الانجليزى ﴾

حدثني العلامة (دوارد براون) الانجليزى المستشرق الشهير في أوائل القرن العشرين المسيحى قال وكنت لى الحكومة الانجليزية أمر البحث في أمة الاسلام أيمكن اتفاقهم أم هم محكوم عليهم بالتفرق والانحلال . قال فتوجهت الى بلاد الترك والفرس أيام السلطان عبد الحميد وعاشرت طلبة الفرس وعلماءهم فرأيتهم يكرهون أهل السنة كراهة شديدة وسمعت تلميذا متصوفا يقول لقد حاربت بسيفي مع الروس ضد الترك واني أفضل الروسى على التركى الكافر لأنه من أهل السنة . قال محدثي وأنا كنت موقنا أنه ماذبح دجاجة مدة حياته لأنه جبان وإنما الذى أخذه من كلامهم جميعا أن الاتحاد بين الأمتين مستحيل وكتب تقريراً للحكومة الانجليزية بهذا . أما هؤلاء فان الغباوة قد ملكتهم وكيف يتذكرون حوادث مضى لها (١٣) قرنا كقتل الحسين وكأمر الخلافة ويتركون الروس يتغلغلون في بلادهم هذا ما قاله لى ذلك العلامة . وها أنا ذا أنصحكم جميعا فاذا كر ﴿ أمرين ﴾ طرق التعليم في بلاد الاسلام وبيان الأمة التى تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر

(أ) ليكن التعليم في ديار الاسلام عاما بين الرجال والنساء والغنى والفقير . إن سبب انتشار التعليم في العالم كله ديننا كما تقدم فن الغباوة والجهل أن ينعم به غيرنا ونعري منه نحن  
(ب) ليكن مبدأ التعليم مماثلا لسير القرآن ومعنى هذا أن الرسول ﷺ ابتداء الدعوة بالسور المكية (١٣) سنة وكلها حث على النظر فى الشمس والقمر والشجر والنهر والسحاب والمطر والجبل والحجر والحيوان وهكذا . كان الصحابة رضوان الله عليهم حين يسمعون هذا النوع من العلم ينظرون هذه المخلوقات بأنفسهم لأنهم أقرب الى الحلاء والجبال فى أسفارهم وحضرهم فترسم أحسن الصور الجيلة من نبات وحيوان وكوكب فى الكتب لتكون مشوقة لهم فلا تكون قراءة بعض آى القرآن حفظا بلا عقل ولا فهم ولا هدى ولأنور . وبالجملة ليكن تعليم الناشئة شاملا لجمال الطبيعة كلها اجالا والأخلاق بطريق القدوة الحسنة وقراءة الآيات وفى القرآن من النوع الأول (٧٥٠) ومن الثانى مثله

(ج) فى ظنى أن (٢٣) سنة كافية لتعليم المسلم كل ما يحتاج اليه . إن النبي ﷺ دعا (٢٣) سنة وكما كان يدعو أولا للعلوم والأخلاق وآخرها بعد الهجرة للنظام والاجتماع وحفظ الدولة . هكذا يكون تعليم الشبان فيكون فى الصغر تشويق لهذا الجمال المحيط بنا فى الأرض وفى السماء وفى آخر التعليم الاختصاص بفن من الفنون لمنفعة الأمة كهندسة أو زراعة أو تجارة أو سياسة أو فقه وهكذا . فاذا أضيف إليها (٧) سنين التى هى مدة الطفولة كان تمام التعليم فى سن (٣٠) سنة بهذا نكون مماثلين للأهم حولنا . انهم يقرؤن كل العلوم التى أمر بالنظر فيها القرآن . إن تلك



العلوم أساس لديننا خلافا لما كان يقوله الندماء انها ضد الدين . هذا خطأ اليوم لأن الذي هو ضد الدين العلوم المشحونة بالكفر ياب . أما علم الطبيعة والرياضة والفلك وما وراء الطبيعة فهي علوم القرآن فليتعلم المسلمون كما تعلم الأمم التي أخذت العلوم عنا فنحن ولى أن نقودهم لأنهم يقودوننا

(د) ليدرس القرآن بطريق مشوق بحيث يعرف الطالب خلاصة السور وخلاصة القرآن كله مع سهولة ثم سيرة النبي ﷺ ومجاليه وصور أحكامه وأعماله وأصحابه ثم ينظر الطالب علم الفقه نظرا عاما مع ملاحظة خلاف الأئمة كيف اختلفوا في أهم المسائل ومن أى طرق اختلفوا ليكون ذلك نبراسا به يهتدون في درس الحياة الدنيا التي نحن فيها

(هـ) هنالك يتخرج في بلاد الاسلام من الشيعة والسنية رجال متبحرون في العلوم وفي الدنيا وهؤلاء يكونون مجتهدين

(و) ثم لينتخب كل قطر من أقطار الاسلام جماعة وهؤلاء جميعهم يجتمعون بمكة لينظروا في شؤون الأمة كلها فهؤلاء هم الأمة التي قال الله فيها - ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر - وهم هم الذين ينفقون بعامهم وهم هم الذين تكون بهم الأمة - خير أمة أخرجت للناس - أما اليوم فانتا لسنا الأمة التي هي - خير أمة أخرجت للناس - والقرآن حق فلا بد من تحقيق مقصوده والعمل بأوامره ونواهيه

(ز) بهذا أيها المسلمون تكونون - خير أمة أخرجت للناس - أما الآن فانكم متفرقون متشاكسون مختلفون متباعدون أنتم اليوم طحين الرحي يكفكم من الشرق الصين واليابان ومن الغرب دول أوروبا ان لم تقوموا بما ذكرته لكم فانتم أول مضغة يمضغها الأوروبي والاسيوي

(ح) إن المتعلم على الشريعة التي يدينها لا يكون متعصبا لمذهبه بل يكون متعصبا لنفس الاسلام . الاسلام اليوم أكثر أهله جامدون وبالجمود تفرقوا وانحصر هم كل طائفة فيها قرأته من المذاهب فانتم إذن متفرقون والله يقول - ولا تفرقوا -

أيها المسلمون . أنتم متفرقون إذن . أنتم مخالفون لكتاب الله . أنتم متقاطعون . إن أوروبا المسيحية متآلفون مع اختلافهم . متباضدون مع تباعدهم . أما أنتم فالأمر بالعكس . فالطائفة التي أشرت لها هي التي تجمعكم بعد التفرق . نعم قام فينا الوهابية الذين يملكون الحجاز ونجدا الآن وهي وان أزلت الخرافات فقد وجب عليها أن تنظر في مثل ما نظرناه ألا وهي مناظر هذه الدنيا ومعجائبها

إن الوهابية برعوا في القسم السلبى من الاسلام ولكنهم لم يراعوا القسم الإيجابى منه أى أنهم حصروا همهم فيما ذكره العلامة ابن تيمية وفاتهم أن العلم أوسع وأوسع . إن في القرآن (٧٥٠) آية تحت على النظر في علوم الأرض والسماء وهذه العلوم لا يكفي النظر بالعين لها كما لم يكف أحد من أمم الاسلام في أركان الاسلام الخمس بمجرد التلاوة بل ألفوا جميعا كتبها فيها . فلماذا يؤلف المسلمون في الفقهيات ولا يؤلفون في عجائب الكائنات . هذا النقص لم يترك أمة من أمم الاسلام قديما وحديثا والوهابية وان أصلحوا القسم السلبى فهم نائمون عن القسم الإيجابى نجحوا في ترك الخرافات ولم يفكروا مطلقا في معرفة جلال الله

(ط) اللهم إني نصحت لأمتي وبذلت جهدي في النصيحة ولم آكن في ذلك متكلفا وإنما أكتب بأعانتك وتسهيلك السبيل لى . وعلى القارئ لهذا الكتاب التبعة اذا قصر في النشر والتعليم والتربية . إن هذا المبدأ هو الذى به ترقى أمة الاسلام . هذه الأمة التي جعلها الله - خير أمة أخرجت للناس - تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . هذه الأمة التي جاءت فكسرت الأصنام وأعطت العالم (درسين) درس تعميم التعاليم ودرس عدم الاستبداد بحيث يكون النوع الانسانى كله حرا وتكون الرئاسة تبع البسطة في العلم

والجسم لا بالنسب ولا بالحسب كما كان يفعل قدماء المصريين وغيرهم والله هو الولي الجيد  
(ي) فمن ذا الذي يقوم بهذا الأمر في الاسلام . إن أول أمة تقوم بهذا في الاسلام وأول ملك أورئيس  
جمهورية يقوم بهذا العمل هو المجدد للاسلام وهو القائم مقام النبي ﷺ وهو الفاتح الأعظم . يامعاشر المسلمين  
إذا قامت فيكم أمة بهذا وسبقت غيرها وجب عليها أن تنصح أخوانها بهذا والا حاربتها على ذلك حتى تخضع  
إن الزمان قد استدار . وإذا كان من قبلنا لايهتمون بهذا فنحن نهتم به . إن المسلمين لم يكن  
هناك قديما أمة تناوئهم . أما الآن فالأمة شرقا وغربا تحيط بهم - والله من ورائهم محيط \* بل هو قرآن  
مجيد \* في لوح محفوظ - وقال تعالى - وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون \* وستردون الى  
عالم العيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - اهـ

(ك) يا الله إني قرأت آيتين في القرآن كتابك ﴿أحدهما﴾ للعموم وهي - يا أيها الناس إنا خلقناكم  
من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - ﴿وثانيتهما﴾ للمسلمين وهي قوله تعالى - انما المؤمنون  
إخوة - ومثلها - ولا تنازعوا فتفشلوا - ومثلها - واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا -

وها أنا ذا ألفت كتاب ﴿أين الانسان﴾ لأجل أولاهما ونشر في الشرق والغرب . هذا الكتاب لاصلاح  
نوع الانسان كله وتعاونته كما نصحت في كتابك وإني أحذرك أن أهل أوروبا قابلوه بالقبول وكتب عنه علماءها  
في ايطاليا وفرنسا وغيرها وسترأى أيها القارئ في سورة الحجرات ملخصا بأقلام علماء أوروبا مترجما  
أما الأمم الاسلامية فهذا هو تفسير القرآن فهل من ممثّل وهل من مجيب لي . يا أمة الاسلام أوروبا  
المسيحية قرأت دعوتي للاتحاد ولا يدري ماذا يصنع الله بها فإذا أتم صانعون في دعوتي هذه اليكم للتعليم  
العام والنظام التام . ولست أقول إلا ما قاله الله تعالى - فان تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو  
ربّ العرش العظيم - اهـ

﴿ الجوهرة الرابعة في قوله تعالى - يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات - ﴾  
( آراء قدماء الهند في أدوار هذا العالم )

إن هذه الآيات تفتح بابا لمجال الفكر والنظر وتذكرنا بما تقوله الأمم حولنا . إن هذه الأرض التي نعيش  
عليها مرت بها أُمم وأجيال وعلماء ولهم آراء في هذا الوجود . فترى الانسان متى فكر في هذه الدنيا يقول  
في نفسه متى خلقت ومن أين خلقت وماذا يكون بعد هذا الوجود . هذا سؤال يسأله الناس ولا مجيب .  
أرض وسماء وأحياء وأموات . الى متى هذه الحال . وكيف خلق العالم وبعد ذلك ماذا يكون . وهل  
للأرض آخر . وهل للسكواكب نهاية وما عدها . أما سؤال الأرض وهل لها آخر فقد أصبح معلوما  
ولكنها أيضا لا تزال لغزا فترى الناس يسارعون الى القطبين ليدرسوها والى البحار والجبال ليكشفوها  
إن الانسان خلق مغرما بالعلم والحكمة لا يفتأ يجتهد ولا يقف في السؤال عند حدّ ويظهر أن عقله قد صيغ  
من النور وخلق من الجمال فاننا لانرى للنور آخر . هكذا لانرى لعقولنا نهاية ولا لبحثها غاية . فطرة الله  
التي فطر الناس عليها فهي فطرة نورية . الله لانهاية له وعقولنا تريد أن تسير الى مالا نهاية له . إذن هي  
من نور أشرف من ذلك الجمال الأكمل والجناب الأقدس فهي تستوفى الى كل جديد وتفرح بكل رأى سديد  
وعمل شريف وحكم منيف حتى انك ترى رجال السياسة يكذبون ليكلموا الناس بما أحبته فطرهم فيقولون  
نحن نحب ترقية الشعوب والانسانية وهم يعلمون أنهم كاذبون ولكن يريدون أن يسمعو الناس النعمة التي  
تحبها فطرهم فهو باطل أشبه الحق . وملخص هذا أن عقولنا لانهاية لمقاصدها فهي تريد أن تعلم كل شئ  
ولا تقف عند حدّ . ولما كان الله هو الذي خلقنا وهو يعلم عقولنا وانها تسأل عن الماضي والمستقبل أجاب  
نداء ضمائرنا فقال مرة - كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا - وقال هنا - يوم تبدّل الأرض غير الأرض



والسماوات - فاذن هو يصنع في السماوات والأرض ما يصنع بالنبات والحيوان والانسان يموت الأبوان ويبقى الأبناء كما تبدل سماء بسماء وأرض بأرض

هذا هو الذي جاء في القرآن وأيده الكشف الحديث كما عرفت هنا فأصبح الناس يدرسون النجوم من أنوارها وتحليل تلك الأنوار تراها تدل على عناصر كالتي في أرضنا . إذن هي مركبة والمركب من شئ ينحل اليه . وهكذا رأوا شمساً ابتدأت تتكون وأخرى قربت أن يتم تكوينها . هذا هو الكشف الحديث وهو دل على ما كانت عليه أرضنا وكواكبنا قبل هذا الوجود . إذن أصبح خلق العوالم في الدهور أشبه بخلق الليل والنهار كل منهما يتبع صاحبه فلولا هذه الغريزة فينا ما بحث أحد عن هذه العجائب وسواء أكان هذا الاستنتاج من الانسان صادقا أم مشكوكا فيه قد فعل ما يوافق طبعه على مقدار طاقته ولا يكلف بغير ذلك في فطرته هذا هو القرآن وهذا هو العلم اليوم

﴿ علماء الهند ﴾

ولما حامت هذه الآراء في عقول الأجيال القديمة بحثوها وعرفوا منها ما لم تبق لنا الأيام إلا قليلا منها . فانظر فيما سأقصه عليك . ذلك أنهم سموا المعبود (برهما) وهو يدبر العالم مع آخر يسمى (فشنو) وآخر يسمى (سيفا) فبرهما الخالق وفشنو الحافظ وسيفا الذي يفنى ويعيد . ويظهر أن هذه الصفات كلها لواحد تعددت صفاته فهو خالق وحافظ ومعيد بعد الفناء . ثم انهم وصفوا الخالق بوصف جعلوه أشبه بالروايات التي يقرؤها الناس لحكمها وهي هذه

﴿ برهما وجد قبل الخلائق ورفع الأرض من الماء وعمره مائة سنة وكل سنة من سنيه تكون أيامها ولياليها من أزمان طويلة بحيث يكون كل نهار وكل ليلة (٤٣٢٠) ألف ألف سنة من سنينا هذه وفي آخر كل نهار ينتهي عالم من عوالمنا ويستريح الرب ليلة ثم ينشئ عالما آخر وهكذا ﴾ ولست أقول لك ان هذا يناسب صفات الرب . كلا لأن ذكر الاستراحة وذكر عمره . كل ذلك تعليم للجهال والافاللة لا يتعب حتى يستريح ولا أول له حتى يكون سنة مائة سنة . ولكن المهم أن القوم في أثناء خيالهم الذي هو في الحقيقة معبر عن الغريزة الانسانية المغرمة بالوقوف على الحقائق على مقدار طاقتها أدركوا اجالا ما في العلم الحديث وما أشار له القرآن . ان علماء العصر الحاضر جعلوا لنفس الأرض عمرا قدره مئات آلاف الآلاف فهو يناسب تعبير قدماء الهند . هكذا جعلوا أن العالم يتكون ويبقى آلاف آلاف الآلاف . وهذا يناسب ما يقوله علماء العصر الحاضر ثم تراهم يعبرون بمدة الراحة وهي التي سموها ليلا عن مدة بقاء العوالم في عالم الأثير بعد الخراب حتى تتكون ثانيا وتستحق أن تدور وتجري فهي أزمان متطاولة كأزمان دوراتها فانظر اذا كان في خيالهم أن سيرها مضت له مائة سنة والسنة الواحدة مركبة من ٣٦٥ يوما واليوم الواحد مئات آلاف آلاف من سنينا يعيش فيه عالم ثم ينطفي في زمان يساوي الزمان الذي سموه نهارا فياليت شعري كم من عوالم انطوت وعوالم ستأتي بعد عالمنا . ان العقل ليقف مكتوبا أمام خيال الهند وأمام ظنون علماء العصر الحاضر الموافق له . كل ذلك فتح باب قوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - إن هذا يزهدنا في هذا الوجود إذ لا معنى لحب ما لا بقاء له . كواكب لا تدوم وأرض لا تدوم وشموس وأقمار لا تدوم بل هي تطوى كطى السجل للكتب ولا يبقى إلا صانعها ومحركها ومنظمها ومبدعها \* قال الشاعر

وعلى تفان واصفيه بحسنه \* يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

﴿ تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء السابع من كتاب (الجواهر) في تفسير القرآن الكريم  
ويليه الجزء الثامن وأوله تفسير سورة الحجر ﴾

## ( الخطأ والصواب )

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلا تنبيه . وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
الذين	المذان	٩	١٣٢	نمرة ١ (شكل ١٠)	نمرة ١	١١	١٧
هو لون نور	هو لونا نور	٢٩	١٣٥	نمرة ٢ (شكل ١٠)	نمرة ٢	١٥	١٧
الشمس	بالشمس			لا	إلا	٦	٤٦
فهل	القطب	٣٤	١٤١	(٧) آلاف	١٧ ألف	٨	٥٢
تجد ( بضم )	وفهل	١	١٤٥	منهن	فيهن	٦	٥٤
( التاء )	تجد ( بفتح )	٢٤	١٤٥	الرؤيتان	الرؤيتان	٤	٦١
واهلاك	( التاء )			أوأكثر	وأأكثر	١	٦٢
تحتهما	اهلاك	١٩	١٥٥	يعن	يسمعن	٢١	٦٤
خلق	تحتهم	٩	١٥٦	الثالثة	الثانية	١٠	٦٥
أضراسا	خلقوا	٢٦	١٦٠	الرابعة	الثالثة	٣٥	٦٦
بجاية	أضراسا	٣٤	١٦٣	معرضا	معرضا	٣٢	٦٨
الكروية	بجاية	٢٤	١٦٩	الخامسة	الرابعة	٣٣	٦٩
تراه	الكردية	٢	١٧١	أوسماء	أواسماء	٣٥	٧٠
وأرباع	ستراه	٢٠	١٧٢	الأرض نظرة	الأرض	٢١	٧٢
وجدير	أوأرباع	٧	١٨٢	وافيا	وضاحا	٣٣	٧٣
بمعلم بوزن مريم	وجديرا	٧	١٨٤	أقول لما كان	وقد يكون تاما	١٦	٧٦
غردا	بمعلم	١٢	١٩٠	لمعرفة الله	فلما كان	١٩	٧٨
المرد بوزن النصر	غرد	١٥	١٩٠	البحار	ومعرفة الله	٢٥	٧٨
وتبسم عن المي	المرد	٦	١٩١	البلور	البحاو	٢٦	٨٢
سر	تبسم عن المحيا	١١	١٩١	تحديها	البلور	١٩	٨٧
له	سرا	٤	١٩٢	السابع عشر	تحديها	٢٢	٨٨
فيتخرج	ها	٣٢	١٩٣	حفيف	السابع	١٢	٩١
تنبيهات	فتخرج	٣٥	١٩٥	١١٣	ضعيف	١٢	٩٥
سنيكا	ست تنبيهات	٢٩	١٩٨	عنه	١٠٥		١٠٥
والتعليم الخاص	سنيكا	٥	٢٠٠	في التساوى ونحوه	عن الثاني	٢٠	١١٣
نسلكها	وتعلما خاصا	١٠	٢٠١	من (٨)	عما قبله	٢٠	١١٣
نؤسسها	سلكها	٩	٢١٤	نوبه	في التساوى	٨	١١٨
الفرق	نؤسس	١٥	٢١٨		من (٧)	٣٠	١١٨
	القرون	١٣	٢١٩		نوبه	٢١	١٢٨



## فهرست الجزء السابع من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم

صفحة

- ٢ ذكر مقدمة لتفسير سورة يوسف أن المؤلف يحمد الله إذ عاش إلى الآن حتى كتب ماسطره منذ ١٤ سنة لتحريم صيد بعض الطيور بالبلاد المصرية وهو ملخص سورة يوسف وذلك بمجلة الملاجي العباسية
- ٣ كيف تخدم مصر اذا فهمت هذه السورة . سورة يوسف فيها نصف الحكمة وهي الحكمة العملية تهذيب النفس وتدير المنزل وتدير المدينة
- ٤ في هذه السورة ﴿ خمس عبر ﴾ رؤيا يوسف . أذى اخوته له . قصته في بيت العزيز . قضيته في السجن . تنظيمه للخزائن المصرية
- ٥ أهم المطالب الاجتماعية ﴿ أربعة أمور ﴾ الامارة والزراعة والتجارة والصناعة . الفلاح يعاونه الأنعام على الزرع والطيور الليلية والنهارية على حفظه بأكل الحشرات والأمة المصرية عرفت فضل المحامين في المحاكم وجهلت فضل أمثالهم في المزارع وهي الطيور المذكورة وهذا عار عليها
- ٦ مدح المؤلف لقدماء المصريين إذ حفظوا الزرع بالمحافظة على أبي قردان حتى قدسوه لأنه يأكل الحشرات الضارة بالزرع ودم المعاصرين له لجهلهم الفظيع فقتلوه وبيان أن أهم القائلين له هم الاورو بيون وأيد ذلك الشيخ محمد عسكر وذكر أن الفراعنة ربوا اللقلق لما كثرت الحيات في البلاد المصرية فطلب المؤلف أن يربي أبو قردان كذلك لأنه قد فني . ﴿ الفصل الثاني ﴾ إيذاء اخوة يوسف
- ٩ ﴿ الفصل الثالث ﴾ قضية النبي الصديق في بيت العزيز . عبرة في ترك الخيانة
- ﴿ الفصل الرابع ﴾ سجن النبي الصديق وتفصيل التهذيب النفسي والأدب المنزلي والنظام السياسي العام في الأمم من قصة يوسف عليه السلام
- ١٠ ﴿ الفصل الخامس ﴾ في ذكر أنه نبواً عرش مصر ودبر الملك وأكرم أبويه واخوته وذكر أن الحكومة المصرية لبث نداء المؤلف وصدر ذلك في المجلة المذكورة بنشور عنوانه ﴿ حاية الطير المسمى أبا قردان ﴾ صديق الفلاح وتكليف عمدة البلاد بالمحافظة عليه
- ١١ ذكر أن رجال الحكومة بحثوا عن الطيور القاتلة للحشرات ورسموها في كتاب مثل عصفور سقسكيولا ورسم ذلك الطائر ورسم العصفور المغني الأخضر وأبي فصاده وأبي زور أحر وأكل الذباب والقنبرة الأفرنجية والوروار الأفرنجي والهدهد الأفرنجي وأبي قردان والكروان والزقراق البلدي فهذه (١١) صورة مرسومة في هذه الصفحات . وهناك طوائف أخرى من الطيور لم ترسم مثل الوروار المصري والقنبرة أم الشوشة وهكذا
- ٢٠ ﴿ القسم الأول من السورة ﴾ من أولها إلى قوله - آيات للسائلين - مشكلة . التفسير اللفظي
- ٢٢ ذكر ﴿ ثلاث لطائف ﴾ اللطيفة الأولى ذكر كتاب أميل القرن التاسع عشر الذي أوجب أن يدرس للأطفال الحكايات الخرافية مثل الفتاة التي طلب أبوها أن يتزوجها واقترحت عليه ثوبا كالشمس وآخر كالقمر الخ وهذه الخيالات الكاذبة موسعات للخيال والعلوم الطبيعية تهذبها بعد ذلك ذكر كتاب ﴿ كليله ودمنة ﴾ وكتاب ﴿ ألف ليلة وليلة ﴾ وكل منهما فيه الخرافات
- ٢٣ قصة السندباد البحري وحديثه مع السندباد البري . ونبا بيضة الرخ التي هي كقبة وأنه هو بالنسبة للرخ كالبرغوث بالنسبة للانسان وكيف ينال الانسان الماس بواسطة هذا الطير ومسألة السفينة التي من شجر الصندل . وذكر أن الاقتصار على هذه الخرافات يجعل الانسان مصدقا بالخرافات

كيف كانت قصة يوسف أحسن القصص ذلك لأن فيها ما يوسع الخيال مع ان وقائعها صحيحة فقد حازت الشرفين مع الحكم والعلوم

٢٤ كيف تربى أوروبا أبناء الشرق . منعوهم العلوم فأضعفوا عقولهم

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ إن الناس مفطورون على استطلاع الغيب والله أعطاهم ومنعهم فيأتي الغيب صادقا وكاذبا ليفكروا في حياتهم ومع ذلك لا يكون عندهم يأس من الحياة بعد الموت . هل تصدق الأرواح في اخبارها عند استحضارها . العرافون في التوراة . ذكر الكاهن (مسخا بن يمله) الذي أخبر بالهزيمة مع ان جميع العرافين أخبروا بالنصر في الحرب وقد صدق هو وكذبوا هم جميعا

بيان ترتيب يوسف وهود ويونس وما الحكمة في هذا الترتيب . الرؤيا الكاذبة تكون من غلبة الصفراء والدم والبلغم والسوداء ومن محاكاة الخيلة ليلا للصور الواردة عليها نهارا أو ما غلب عليها من شهوة أو غضب وبيان الرؤى المناسبة لكل من هذه الأمزجة وأسباب حدوث كل مزاج كالاكثر من الأغذية الباردة الرطبة لاجداث البلغم وكالاكثر من العدس والدخن ولحم البقر والبادنجان لاجداث السوداء التي تسبب الجرب والحكة والصرع وأن يرى في المنام الأهوال والظلمة الخ

٢٧ ذكر أن الرؤيا الصادقة أن تكون النفس هادئة لم يغلب عليها مزاج من تلك الأمزجة ولم تزدحم المعدة

بالطعام وهي نادرة الوجود . الأحلام في العلم الحديث . هل من علاقة بين الأحلام والحوادث ذكر أن علماء القرن العشرين هم الذين عرفوا أن الأحلام مرتبطة بالحوادث مثل العلامة الدكتور (دى بسمين) إذ رأى ولده في الحلم محترقا بالنار فصدقت الرؤيا بحدوث التهاب الرئة الحادة ومات بعد أيام . وحلم سيدة عجوز من أهل (فيلادلفيا) بأمرىكا أن ابنها سقط بين المجلات وقتل . ورؤيا خادمة (شوبنهاور) و (ادوين ريد) العالم الطبيعي رأى في منامه يوم موته فتم ذلك ومن الناس من استفاد من الأحلام . جوائز اليانصيب . ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ في الحسد وأسبابه

﴿ القسم الثاني من السورة ﴾ من قوله تعالى - إذ قالوا ليوسف وأخوه - الى - من الراهدين - الآيات مشكلة . التفسير اللفظي لها . ﴿ والقسم الثالث ﴾ من قوله - وقال الذي اشتراه من مصر - الى قوله - من الصاغرين - وتفسيره اللفظي

٣٦ ذكر لطيفتين ﴿ اللطيفة الأولى ﴾ في قوله تعالى - وقطعن أيديهن الخ -

ذكر مارآه المؤلف ذات يوم بحلوان عند صديق له من حيوانات ونباتات غريبة في بركة ماء وماهى إلا أقل من قطرة وضعت تحت المنظار المعظم

٣٧ رأى أفلاطون في العلم . ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ جمال يوسف في علم الحديث وفي علم الموسيقى والجمال

ووصف نبينا ﷺ له بكونه كالقمر وأن ذلك داع يدعو المسلم الى أن يفكر في المشبه به وأمثاله لأنه أكمل جمالا فينظر في جمال هذا العالم البديع وما حسن يوسف إلا بعضه . ومن الجهل أن تقف عند البعض وتترك الجميع وهو جمال الجسم الانساني ونظامه البديع ومثله الجمال في الموسيقى وفي الشعر وكيف اتحد علم الشعر وعلم الموسيقى في أنهما يرجعان للتحركات وللسواكن . وبيان أن النسب الفلكية كالنسب الشعرية والموسيقية كل منها حاصل ضرب الوسيطين فيها يساوى حاصل ضرب الطرفين وهذا هو ميزان الجمال في عالمنا . رمز النبوة بحسن يوسف لجمال العالم وإيماءه الى ما قررناه

٣٩ ﴿ القسم الرابع والخامس ﴾ قضية السجن من قوله - قال رب السجن أحب اليّ - الى قوله تعالى

- إن شاء الله آمين - وتفسيره اللفظي



- ٥١ لطيفة في قوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم -
- ٥٢ عجائب الصناعات في أمريكا . طرق المواصلات . تسهيل الأعمال في المطاعم . التلغراف الذي لا سلك له . الحركة الفكرية والتجارب العلمية . رقي المرأة عندهم . الحركة العلمية في أمريكا لها أغراض سبعة . التعليم المشترك بين الجنسين
- ٥٦ لطيفة في اعتراض لأحد العلماء وجوابه
- ٥٧ ابتكار أهل أمريكا أيضا في علم الزراعة وقوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم - موازنة بين الهواء والدخان والصخور وبين الذهب والملك والقديم من الديانات وهذا كله من قوله تعالى - وفوق كل ذي علم عليم -
- ٥٩ ( القسم السادس ) - ورفع أبويه على العرش - الى آخر السورة وتفسيره اللفظي
- ٦٠ ذكر ( خمس جواهر ) ( الجوهرة الأولى ) رؤيا يوسف عليه السلام ورؤيا الملك . فهاتان الرؤيتان مطلعان من مطالع العلم مشرقان قد فتحتا بابين من العلم
- ٦١ بيان السبب في ذكر تلك الطيور في هذا التفسير وكيف جاز تصويرها فيما تقدم . وههنا لطيفتان في أمر رجة الحيوان وفي جواز التصوير الشمسي
- بيان كيف كانت هاتان الرؤيتان قد فتحتا عوالم اليقظة وعوالم الأحلام في المنام
- ٦٢ أدنى الحيوان كاللود في لب الثمار وأعلاها الانسان فكماؤه وأنبيأوه النور من أهم أسباب الحياة في الأرض ورؤيا يوسف أحد عشر كوكبا انطلاق من حبس المادة
- ٦٣ النوم نوع من حال الموت فيوسف والملك توفيا ويقظتهما بعث وما رأياه في حال موتهما ظهر لهما في حال بئسهما وهما مارأيا إلا ما يناسب أطوارهما قبل النوم . إذن هناك حياة وموت وبعث وحال الحياة ظهرت آثارها في الحالين بعدها . ما يصنع الناس لا يتم إلا بفكر يتقدم العمل
- لطيفة في ذكر حالي في مبدأ حياتي إذ كنت أظن كائن أبيح عن مجد قد ضاع وملك ذهب ولكن لا أثر لذلك في قريننا وكنت أقول لم لا يكون الناس أسرة واحدة . وقد ظهر أثر إحدى الفكرتين في كتاب ( أين الانسان ) الذي طلبت فيه أن يكون العالم كله أشبه بأسرة واحدة وثانيتها في كتاب ( التاج المرصع ) والكتب الأخرى وهذا التفسير وملخص ذلك ارتقاء المسلمين
- ( الجوهرة الثانية ) في البلاغة والاعتبار بالقصص عند العرب وموازنته بقوله تعالى - قال هل آمنكم عليه الخ - وبيان قصة الحية التي قتلت الاعرابي وجعلت ديتة لأخيه دينارا كل يوم ثم غدر بها فشجها ثم طلبها فلم تعد له ( الجوهرة الثالثة ) في قوله تعالى - رب قد آتيتني من الملك - الى - وألحقني بالصالحين - . مقاصد الدعاء والثناء في دين الاسلام
- ٦٦ العبادة جسم روحها العلوم . يثنى المسلم على ربه ويحمده لأنه هو الذي ربي العالمين ويقول في السجود سجد وجهي للذي خلقه وصوره الخ ويحمد ربه في الرفع والاعتدال مل السموات والأرض وما بينهما الخ ولا معنى لهذا كله إلا أن يزداد علما في ذلك كله وهذا العلم هو الذي ملأ أوروبا والشرق بالمسلمون بترك هذه العلوم غافلون عما تضمنته الصلاة ولذلك يقول الله - فويل للصليين \* الذين هم عن صلاتهم ساهون - والمسلمون بترك العلوم ساهون عما تضمنته الصلاة فصار أكثرهم خاضعين لأوروبا
- ( الجوهرة الرابعة ) في قوله تعالى - رب قد آتيتني من الملك - . الله والشمس الشمس لا يحظى بنورها إلا ما يقابلها من كرات السيارات ولا يحظى بنور الله والعلم إلا المستعد له وكل يأخذ بقدر استعدادة

فإنه ضرب الشمس مثلاً لنوره

٦٨ (خطاب للمسلمين) • هل يجبكم أيها المسلمون أن يكون توجهكم بقولكم - وجهت وجهي الخ - توجهها مشوباً بالاعراض وهذا يوجب غضب الله • إذن نحن كالكاذبين أو كالمساخرين والمستهزئين بآيات الله • إذن الاتجاه لفظي فقط ولو كان معنوياً لقرأ المسلمون نظام هذه الدنيا

٦٩ تذكرة بهية في التحليل وقوله - إني وجهت وجهي الخ - وهذا المقام كالذي قبله

(الجوهرية الخامسة) في قوله تعالى - إن ربي لطيف لما يشاء -

٧٠ الكلام على اللؤلؤ وأنه طبيعي ومولد وصناعي كما تطف الله تخلق من الكربون والجبر جوهرية جيلة هكذا تطف فاشتق من بلوى يوسف وحسد أخوته وما بعد ذلك ملكاً عظيماً ونبوة وسعادة في الآخرة ومن اللطف الإنساني تأليف الروايات الخيالية الخ

٧١ تطف الله مع الإنسان لجعل عقله يسع المخلوقات تصوراً وتفكيراً وهو مشتق من الطين كاشتقاق الجوهرية من خم وجير وعلى قدر علم الإنسان بجمال ربه في الدنيا تكون وظيفته لربه يوم القيامة والمحروم من المعرفة اليوم محروم هناك من الرؤية • (جوهرية السورة كلها) ليس في هذه السورة من العناية بالعجائب مثل ما في السور التي قبلها ولكن فيها سياسة الشخص والمنزل والمدينة وفيها قوله تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض الخ - وهذه يقصد منها النظر في جميع العلوم الكلام على الذرة وما فيها من الأشعة الكثيرة وهي تفتي إذا ظهر منها شعاع مئات من السنين بيان تقصير المسلمين في هذه السورة وأن هذه الآية بيت القصيد من سورة يوسف

٧٤ (سورة الرعد) قسمان (القسم الأول) من أول السورة مشكلاً إلى قوله - يضرب الله الأمثال - تفسير الكلمات

٧٨ بيان أن ما جاء في هذه السورة من عجائب السموات والأرض تفصيل لما أجمل في قوله تعالى - وكأين من آية الخ - في آخر سورة يوسف وبيان جميل لهذه الآيات

٨٠ ذكر إحدى عشرة لطيفة (اللطيفة الأولى) في قوله تعالى - الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها - وفيها جوهرتان (الأولى) موازنة بين وصف العرب ووصف القرآن من كتابي (مذكرات أدبيات اللغة العربية) وذلك من كلام الخارث بن حلزة في معلقته

(الجوهرية الثانية) أشراق النفس • بهجة السماء وجالها من كتابي (سوانح الجوهري)

(اللطيفة الثانية) في قوله تعالى - ثم استوى على العرش -

(اللطيفة الثالثة) - وفي الأرض قطع متجاورات -

٨٢ لماذا يقيس المسلمون الوجه طولاً وعرضاً لأنهم أمروا بغسله ولم يبحثوا في عجائب الأرض التي فيها قطع متجاورات وهم أمروا بالنظر فيها • الجبال إما صخرية أو نباتية أو نارية أو هوائية • الأنهار منها ما يجري من الشرق إلى الغرب ومن الجنوب إلى الشمال وبالعكس في الحالين

الكلام على تولد الفيلة والزرافة والسمور والصقور والقطا والحمام والبط والعصفور والنخل والموز والجوز والخلبة والقصب والذهب والفضة والكبريت والجص والزاج والزرنيخ والدرّ والمرجان وبيان أماكنها ومواضع تولدها مثل أن الفيل يتولد في جزائر بحار خاصة والزرافة في الحبشة والسمور في البراري والقفار والبط على شط النهر والدرّ في البحر والذهب في الرمل والجبال الصخرية وهكذا

عجائب هذه الدنيا • الضوء من الأشجار • النبات المضحك



٨٤ الزيت يستخرج من الجراد ويصلح لصعود الطيارات  
جوهرة في قوله تعالى - وفي الأرض قطع متجاورات - وفي قوله - وينشئ السحاب الثقال - وفي  
قوله - جعل فيها زوجين اثنين -

الأجسام امامضية وامامظلمة وشفافة وشبيهة بالشفافة وظليلة وهذه كلها في الأرض والنور امامستطير وامانعكس  
٨٥ الفحم الحجري والبلور الصخري والزجاج وهنا صورة أوراق بعض الأنواع التي تكون عنها الفحم الحجري

٨٦ ومن القطع المتجاورات المسمى عند العامة بالزلط والحصى وهو (الكورس) والرمل ويصنع منه الزجاج  
ومنه الصوان وشظف البنادق والبلور الصخري الذي رسمت صورته هنا وهكذا الكركهان وياقوت  
بوهيم والياقوت الأصفر الهندي . الكلام على الزجاج

٨٧ تاريخ الزجاج وكيف يصنع الزجاج وتحضير الزجاج . البلور . في النبات زوجان وفي الكهرباء موجب  
وسالب وهكذا هنا في العدسات البلورية المرسومة هنا وهي ست منها (٣) تجمع النور (و٣) تفرقه فهن  
زوجان أيضا وما العدسات إلا من الرمل والجير والصودا أو نحو ذلك فهي من نتائج القطع المتجاورات  
قصر النظر وطوله

٨٩ جال هذا العالم وفيه ذكر ملخص ماضى . وجوب درس هذه العلوم وذكر ما قاله الامام الغزالي أن  
علماء زمانه شر من الشياطين لأنهم أظهروا للناس عدم الاكتراث بنظام الله في السموات والأرض .  
الألوان السبعة لضوء الشمس وهذه الألوان نعرفها باحدى حالين إما بادخال ضوء في ثقب الخ وإما بأن  
ننظر قوس قزح وفي هذا المقام رسم صورتين

٩١ نور الشمس . البخار . السحاب . ابتعاده ابتعادا وسطا . حكمة ذلك ثم هي التي ظهر ضوءها بهيئة  
قوس قزح . الآلات البصرية ( ثلاث ) المكسر سكوب . التلسكوب . وآلات شتى مكبرة أو مصغرة  
لم خلق الله الصحراء والأرض الفقراء . رأى المؤلف قبل أن يؤلف هذا التفسير ورأيه الآن

٩٢ الصحراء كأنه تنور للأرض العامرة تحفف الهواء كما تنضج النار الخبز ولولاها لم يعيش أهل البلاد التي  
بجانبها . نهر النيل ونهر الكنج للأول صحراء نفعت مصر وليس للثاني صحراء فكثير الطاعون هناك  
لعدم الجفاف

٩٣ لطيفة في قوله تعالى - يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل - لم يقل يتغذى لعلمه أن  
من النبات ما لا يتغذى إلا من الحيوان فالغذاء ليس واحدا كالماء . النبات إما أن يتغذى بالمواد الأرضية  
وأما أن يتغذى بنبات آخر وأما أن يتغذى من جسم الحيوان

٩٤ وصف النبات المسمى ندى الشمس ذى الورق الملتف له قرون تلتف على الذبابة بالتدريج ثم تتغذى بها  
ثم ترجع الى حائلها الأولى . هذا اذا وقعت ذبابة أما اذا وضعت قطعة من لحم مثلا فان الانهماك يكون  
أقل - واذا وضعنا شعرا مثلا يحصل انعطاف ضعيف جدا وافراز كذلك فاذا لمسناه بآلة مثلا فانه لا يكون  
هناك أثر البتة . مسألة الكيمياء في هذا المقام . عند تقريب مادة صالحة كذبابة يفرز النبات مادة  
حضية اذا غمست فيها الورقة الكيميائية اجرت فاذا لم تكن مادة صالحة للأكل لم يلون السائل تلك  
الورقة إذن الحوض فيه كالحوض في المعدة . تفصيل ما تقدم كله مرتبا منظما بإيضاح

٩٦ عدد النباتات المفترسة تبلغ مائة ونيفا . (شكل ٧٥٦) وفي أحدهما صورة النبات وقد افترس الحشرة  
وهي منظورة معلقة به في نفس الصورة

٩٧ الشكل السابع وفيه ست نباتات وأولها النبات الجزار الذي يبلغ (٣٦) نوعا

٩٨ ايضاح الكلام على هذه الأنواع الست المرسومة وكيف كان بعض النبات المفترس قد أعطى عسلا ليغري  
الذباب على أكله وهكذا أعطى لونا جيلا فيدخله الذباب بهذا الاغراء فيجد داخله ناعما أماس فتزلق  
أرجله فلا يقدر على الرجوع ثم تعمه المادة العسلية التي طمع فيها فتسد مسامه فيصير طعما هنيئا وهكذا  
٩٩ جوهرة فيها ذكر التعجب من أن هذا النبات يحس ويتحرك وأن فيه ﴿ خمسة أسرار ﴾ سرّ قوله  
تعالى - يستقي بماء واحد - وسرّ لطف الله في ذلك وسرّ تنوع الأرزاق وسرّ - مامن دابة إلا هو  
أخذ بناصيتها - وسرّ أن تحريم اللحم لإبرهانه عليه

١٠٠ منظر جيل في قصر منيف وذلك خيال تبدى للوئف إذ تخيل قصرا جيلا بهيجا أوصافه أشبه بقصور  
الجنة الموصوفة في القرآن والأحاديث وأن شخصا خاطبه قائلا هذا القصر لك ولأمثالك وفسره بأن كل  
حائط من حوائطه مثال لمعرفة عالم من العوالم المحيطة بكم في الأرض والأركان بين الحيطان عبارة عن  
الصلات المعروفة بين النبات والحيوان الخ وهكذا . وذكر ما كان يعرفه القدماء من ذلك وزيادة  
المتأخرين عليهم فيه . وبيان أن هذا القصر مثال العلوم كلها . وبيان أن هذا القصر مذكور في  
سورة الواقعة حيطانه الأربعة إذ جاء فيها ذكر الإنسان والحيوان والماء والنار وهذه هي أركان المعرفة  
كلها ثم زيادة ايضاح لهذه الصور المرسومة وبيان أن هذه العلوم مبادئ للجنات الحققة

١٠٥ أسمعت النغمات في الأشجار كما تسمعها من الأوتار . وذكر أوتار العود (البم والمثلث والمثنى والزير)  
وهي ٦٤ طاقة و٤٨ و٣٦ و٢٧ على الترتيب باعتبار أن كل واحد مقدار ماهو أقل منه ومقدار ثلثه  
وهذه نسبة فاضلة وهذه النسب الفاضلة بها طرب الناس بسماع العيدان وهكذا يفرحون بالوجوه الجميلة  
لما فيها من نسب فاضلة وهكذا نظام جسم الإنسان كله . النغمات يفهمها العلماء والعامة والحكمة  
خاصة بالعلماء ونغماتها أشدّ طربا فهم يطربون لما يرون من ماء أطف من الأرض نحو (٥) مرات  
وهواء أطف من الماء (٨٠٠) مرة وبخار يعلو الهواء وهو أطف من الماء (١٧٢٨) مرة فهو  
ترتيب كترتيب أوتار العود اجالا لانفصلا ويرون حجر الملح وحجر الجير والحجر الرمل والرخام والجرانيت  
والصوان والزناد مرتبات كل أصل مما قبله وأقلّ صلابة مما بعده ولها منافع في حياتنا كمنافع أوتار  
العود في آذاننا بل هذه أجل فائدة وأكثر طربا للحكماء لأنهم أعلم بهذا الوجود من علم الجهال  
بالنغمات الموزونات . شجرة تأكل الناس . ﴿ اللطيفة الخامسة ﴾ - ولكل قوم هاد -

١١١ ﴿ اللطيفة السادسة ﴾ في قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار الخ - . المقدار في الجسم الانساني .  
المحل الهندسي فيه . النظام في الأشجار الساقطة من أعلى . معرفة عمق الآبار . سقوط الأشجار .  
مقدار ما يقطعه النور في الثانية . جنة العرفان في تفسير القرآن . نظام النور والصوت والجاذبية  
واتفاقها جميعا على قلتها بمقدار ما يزيد مربع البعد والكلام على الأجراس الأربعة التي يساويها في  
الصوت جرس واحد الخ . رقاصا الساعة اذا قصر أحدهما وطال الآخر الخ نظام الكواكب وتباعد السيارات  
عن الشمس على هيئة المتوالية الهندسية . وهكذا نرى النسب الهندسية في حساب السنين البسيطة  
والكبيسة ونظام الشعر العربي ونسبته الهندسية ونظام الماء الهندسي في نسبة الأكسوجين الى  
الادروجين وزنا ونظام النبات في تركيب عناصره . أشكال الثلج المستديرة . رسم ١٢ شكلا من  
أشكال الثلج المستديرة المرتبة ترتيبا كترتيب السلسلة الحيوانية الأدنى يليه الأعلى وهكذا وبيان نظام  
هذه المستديرات والمثلثات الداخلة فيها وكيف كانت كل زاوية (٦٠) درجة وكيف رسمها الله في الجوّ  
وكيف يستنتج منها مارآه علماء العصر العشرين في أمر مذهب الفسوف والارتقاء والكلام على عدد ٦



وأنة يسمى عددا تاما وهو قليل جدا في الأعداد ولذلك أختير في الثلج وفي عدد الأيام التي خالق الله فيها السموات والأرض إشارة الى الكمال . وعدد (٦) قد ظهر في ابعاد الكواكب عن الشمس وأن المؤلف يشكر ربه إذ وقف على هذه الحقائق التقريبية . ذكر ﴿ ثلاث زهرات ﴾ تتضمن مباحث علمية ترجع الى الجبال لمناسبة الأشكال الثلجية المستدسة توضح ما تقدم

الكلام على الجبال الخاص ومعنى التسبيح والتحميد يرجع لفهم العلوم في هذه الدنيا ١٢٤

فوائد وفكاهات كعرض الأرض وطولها وعمر الأرض وارتفاع الطيارات وعدد سكان الدنيا ١٢٥  
﴿ اللطيفة السابعة ﴾ في قوله - له معقبات من بين يديه ومن خلفه - وذكر السكرات الجراء والسكرات البيضاء القاتلة للحيوانات الذرية التي هي من أمر الله والأحاديث الواردة في ذلك ﴿ يتعاقبون فيكم ملائكة الخ ﴾ وكلام (السراويلي فرلودج) أن هناك عوالم تحيط بنا كما جاء في الحديث فالعلم الحديث مثل الحديث النبوي الشريف

﴿ اللطيفة الثامنة والتاسعة ﴾ في البرق والسحاب والرعد وقوله - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا بأنفسهم - . (التفاؤل والتشاؤم) للكاتب الأمريكي (أمرسون) وأن الانسان هو الذي يسلط الشؤم على نفسه وهو قادر أن يدخل المسرة على نفسه ويفهم الحقائق وهذا المقال يوافق معنى التوكل وهكذا مقالة عنوانها ﴿ مخاوفنا وأوهامنا . أسبابها وعلاجها ﴾ وهاتان المقالتان كافيتان لمن قرأهما وعمل بهما وهما يعينان على فهم التوكل على الله في الآية وفيهما أبهج آراء النوع الانساني اليوم في الأمم وترك الخوف والحزن وادخال السرور والفرح على النفس

الكلام على الرعد والبرق ونحوهما وشرح السكر باء الموجبة والسالبة والموصل الجيد كالمعادن والموصل الرديء كالهواء وكالبخار الخ . كهربائية الجلد والهواء والغيوم ١٣٢

﴿ اللطيفة العاشرة ﴾ في الصاعقة . (جوهرة) في قوله تعالى - ويرسل الصواعق الخ -  
تدرج الحرارة الى ضوء الحرة وما بعدها الى النفسجية . الصوت والحرارة والنور تكون الحرارة بالاحتكاك أو الطرق أو الضغط أو بالتفاعل الكيميائي أو بالطبيعة . الحب نظام هذا العالم فترى الاكسوجين يهجم على الاودروجين وذكور الحيوان على الاناث . بهجة الحكمة في قوله تعالى - ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته - ولم سميت السورة بالرعد . تسبيح الرعد وتحميده . بم يكون العلم ماذا يقول الرعد . ستة عشر مليون صاعقة . الرعود والبرق في العالم وانها مهلكة ونافعة وأن نفعها أكثر من ضررها وهذا باب من أبواب التسبيح فالله منزّه عن الاضرار بل الضرر جاء غير مقصود لذاته

(اللطيفة الحادية عشرة) - ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها الخ -  
(حكاية مصرية في الظلال) وذكر (أرتوستنس) الفلكي الذي قاس الظل في الاسكندرية في وقت الانقلاب الصيفي لعمود مقام فيها وفي نفس الوقت كان العمود المقام في اسوان لا ظل له فاستنتج كروية الأرض بشرح يطول في هذا الكتاب وذكر مباحث الظلال من كتاب المؤلف (نظام العالم والأمم) أمجوبة الظلال وملح الهندسة وكيف كان الظل متنسقة أضلاعه الثلاثة وبينها نسب صادقة لأي شجرة وأي شاخص في جميع الكرة الأرضية

(اللطيفة الثانية عشرة) في قوله تعالى - أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها - ١٤٤

نظرة في الآية من جهة العلم الحديث ومسألة النشؤ والارتقاء . حكاية صينية

- ١٤٥ باب التشبيهات في كلام العرب والقرآن
- ١٤٦ (القسم الثاني) من سورة الرعد - للذين استجابوا لربهم الحسنى - الى آخر السورة . التفسير اللفظي
- ١٥١ وصف الجنة
- ١٥٣ - يحو الله ما يشاء ويثبت - ورجوع المعاني المنقولة الى معنى عام واحد
- الكلام على البرق والرعد والسحاب والصاعقة فوق ما تقدم
- ١٥١ انذار الرعد للمسلمين . قوى الانسان الثلاثة التي تمثلت في الرعد والبرق والسحاب . - لكل أجل كتاب - آجال الحيوان كالأرنب والكلب الخ
- ١٥٧ أطول الناس أعمارا كالأطباء والجزارين وهكذا وأن أطولهم عمرا رجال الدين وأقصرهم عمرا الشحاذون
- ١٥٨ سورة ابراهيم عليه السلام وانها قسمان (القسم الأول) من أول السورة الى قوله تعالى - عذاب غليظ - التفسير اللفظي
- ١٦٣ جوهرة في قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - . منزلة هذه الجملة من السورة كلها . كيف نذكر الناس بأيام الله . هذا تذكري للمسلمين بأيام الله . ذل الأمم العربية بالافتراق قبل النبوة اجتماعهم بالاسلام وفتحهم البلاد انتشار اللغة الترجمة انحطاط العلم اضطهاد العلماء . انتقال العلم الى أوروبا . تفوق الاوروبيين على المسلمين . ذكر الله المسلمين في واقعة بدر بنحو (١٤) نعمة
- ١٦٥ إيضاح النقط المتقدمة كلها مثل هلاك الأمم العربية والأمم الاسلامية بجهلهم أيام قطب أرسلان إذ هجم التتار على البلاد فاجتاحوها والناس سكارى
- ١٦٧ المترجون مثل متى بن يونس وسان بن ثابت وهكذا ونبوغ المسلمين في العلوم ونشركتب علماء اليونان مثل اقليدس وأرشميدس الخ واغداق المهدي والرشيد النعم على النصارى المترجين الخ اثبات (سديو) الفرنسى أن أكثر ما ادعى الفرنجة كشفه مأخوذ من كتب عربية وذلك بتسعة أدلة مثل ان تصحيح أزياج بطليموس كان على أيدي العرب الخ
- ١٦٨ ذكر بعض ما نبغ فيه العرب من كلام (سديو) الفرنسى وهو ١٤ فنا مثل الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والنظراخ ومنها الآلة المفرغة للهواء والرافعة للمياه الخ وهم الذين اخترعوا الأجرخانات (الصيديات) ثم ذكر انحطاط التعليم في بلاد الاسلام واضطهاد العلماء
- ١٦٩ اضطهاد ابن رشد فى الأندلس وذكر أن الخليفة الحكم بالأندلس جمع الكتب من الشرق فحصل عنده ٤٠٠ ألف كتاب ولها ٤٤ مجلدا فهارس ولكن حاجب ابنه هشام بعد حين اضطهد العلماء وأحرق الكتب تقربا الى العامة وهكذا دولة الموحدين فنصر العلم أولا عبد المؤمن ولكن يعقوب المنصور نفى ابن رشد وأمر بحرق الكتب فهى كالتى قبلها نصر للعلم أولا واضطهاد آخر . وذكر صورة المنشور الذى نشره يعقوب لدم الفلسفة والفلاسفة لأجل ابن رشد وذكر العفو عن ابن رشد ثم موته ثم ذكر انتقال العلم الى أوروبا بعد أن هجره المسلمون على يد اليهود تلاميذ ابن رشد وكتابة الفلسفة بالعبرية بدل العربية . وبيان أول مترجم من مؤلفات ابن رشد لأوروبا وأن فردريك الثانى أمبراطور ألمانيا ينصرتلك الفلسفة وينصر آراء الاسلام ويضطهد الاكليروس وهذا الامبراطور أمر بترجمة فلسفة العرب الى العبرية واللاتينية وذكر أن ابن رشد بصق العامة على وجهه عند الدخول والخروج من الجامع فى مدينة (فاس) وقد نصبوه هناك لذلك وذكر ذم الشعراء له مثل قول بعضهم
- \* لم تلزم الرشدا يا ابن رشد الخ \* وذكر ترجمة كتاب (تهافت التهافت) وأن فلسفة ابن رشد فى



القرن الرابع عشر بلغت أوجها

١٧٤ ترجمة كتب العرب الى اللغات الاوروبية مثل كتاب الخازن في علم الضوء ومثل أن كتاب القوانين لابن سينا قد ترجم وطبع مرارا في أوروبا وبقى هو ومؤلفات الرازي تدرس في أوروبا ست قرون تقريبا ثم ذكر ملخص ما تقدم

﴿ الفصل التاسع ﴾ في تفوق أوروبا في العلوم جميعها بعد آياتنا العرب

١٧٢ علماء القرن السادس عشر والسابع عشر مثل وليم غبرت أنشأ علم الكهرباء الحديثة ومثل (غليلي)

بايطاليا الذي نسبوا له كشف رقص الساعة ومثل هرفي كاشف دورة الدم

علماء القرن السابع عشر والثامن عشر مثل اسحق نيوتن أكبر علماء الفلك

١٧٣ علماء القرن الثامن عشر والتاسع عشر مثل لافوازيه في الكيمياء ومثل كولون الكهر بائي ومثل فلطا

ومثل لامارك . مصباح يشرق على العلوم التي كشفها المسلمون والاوروبيون ومنها الكيمياء وتبيان ذلك

بمثال حصد القمح ودرسه وخبزه وهضمه في المعدة وقد عين في الجسم لكل عضو ما يناسبه من العناصر

الغذائية فلولا تحليل الغذاء الى عناصره في الجسم ما أمكن تركيبه ثانيا لنمو الجسم وبقائه . هكذا كل

العلوم لا تتم إلا بتحليل أصولها ثم السير في نظرياتها وتتميمها فهي كالكيمياء

١٧٥ ذكر جان شامبليون الذي كشف لغة المصريين القدماء وذكر أن مانيتون يقول ان عدد المؤلفات

المنسوبة الى هرمس (٣٥٥٥٢٥) كتابا ومكافأة الملك لويس الثامن عشر شامبليون لكشفه اللغة

الهيروغليفية . لوم المؤلف المسلمين على جهالهم بهذه العلوم

١٧٦ جورج ستفنسن الذي أنشأ السكك الحديدية في العالم وهو عالم انكليزي وفراداي انكليزي أيضا كشف

البزوين باستقطاره من الفحم الحجري . (أوريان لفرييه) الفلكي الفرنسي وهو كشف السيارنتون

١٧٧ (تشارلس دارون) ومذهبه مكمل لمذهب لامارك الفرنسي وهو أن عالم الأحياء سلسلة واحدة

(بوسنغوات) الكيماوي الفرنسي كشف عناصر النباتات . (ماريه متشل) الفلكية الأمريكية

كشفت نجما جديدا من ذوات الأذنان . (شليمن الأثرى الألماني) كشف خرائب ترواده الخ

١٧٨ بيان أن هذا كله صورة من قوله تعالى - وذكرهم بأيام الله - وقوله في آخر السورة - هذا بلاغ

للناس - . ﴿ الفصل العاشر ﴾ في نتائج جهل المسلمين وغفلتهم والاقتصار على ثلاث حوادث وهي

سقوط الدولة العباسية وسقوط الأندلس واحتلال الفرنسيين أولا والانجليز ثانيا لبلادنا المصرية . وذكر

أن الدولة العباسية جهلت جغرافية بلاد التتر والمغول فانتصوا عليهم كالجراد المنتشر وكانوا أولا بهم

مستعززين وقد تحاذل ملوك الأندلس في أواخر أيامهم وصار كل منهم يلجأ الى من جاورهم من ملوك

إسبانيا وانتهى ملك العرب سنة ١٤٩٢ ثم بعد ذلك أخذ أعيان النصارى ينصرون المسلمين ودفع

المسلمون ثمانمائة ألف دينار الى الملك فيلبس تخفف عنهم بعض العذاب وطردها سنة ١٦٠٩ وأما

مصر فان الأمراء منهم لما سمعوا بمجيء الفرنسيين الى الاسكندرية سنة ١٢١٣ هجرية اعتمدوا على

قوتهم وقالوا اذا جاءت جميع الافرنج فانهم يدوسونهم بنجيلهم ثم ان الحرب لما دارت لم تزد على ثلاثة

أرباع الساعة بجوار القاهرة ولما فشا الطاعون أراد الفرنسيون حصره بالحجر الصحي فهرب المسلمون

من القاهرة لجهلهم بالاورا الصحية . عرابي باشا والشيخ أبوخطوه وقنال السويس والمستر (ابلانت)

١٨٨ الأساطيل الاسلامية وصلت الى مصاب نهر السند وأخذ عبد الله بن عامر بلاد كرمان وسجستان

وهددوا ملك الصين فغمرهم بالعطايا وانتشرت اللغة العربية حتى زالت الديانة البوذية . هذا في الشرق

وأما في الغرب فانهم توغلوا في فرنسا وأخذوا (طلوشه) تحت تلك البلاد ثم ارتدوا الى شواطئ نهر الرون والسين . ذ كر أن المأمون قاتل الملك (توفيل) ملك القسطنطينية لأنه أتى أن يرسل له العالم (ليون) فوازن بين المأمون وبين يعقوب المنصور الذي طرد ابن رشد . مدنية العرب لم تذهب بذهب دولهم وذكر أن الأتراك والمغول لما ملكوا البلاد حفظوا مدينة العرب وعلومهم مثل أن السلطان محمود الغزنوي جعل العلامة البيروني في ديوانه وهكذا (هلاكو) أغدق النعم على نصير الدين الطوسي ثم بعد ذلك رجع العرب الى جزيرتهم ولزم عرب الشام ونجد عوائد الأجلاف كأنهم نسوا ما أثر آبائهم ونشاط أهل حضرموت وعمان والبحرين في نشر الدين والمعاملات التجارية في شرق أفريقيا وجزائر بحر الهند الخ . النهي عن عبادة الأصنام وأن كل ما حصر الفكر فهو أشبه بعبادة الأصنام من بعض الوجوه ١٨٣ القلق واضطراب البال وأثرهما في الصحة والعمل وذكر أن أناسا بسبب القلق قدموا في القرن الأخير فكانوا أكثر من القتل في ساحة الوغى . وأن أهم يتلف خلايا الدماغ فكأنه مطرقة تمزق أغشيته ١٨٤ الاسراف في الأمل والرجاء ضد السعادة . الدنيا شبيهة بمرآة تعكس للإنسان صورته فان قطب قطبت له وان بشت بشت له

١٨٥ ﴿ القسم الثاني ﴾ من قوله تعالى - مثل الذين كفروا بربهم - الى قوله - لظالمون كفار - مشكل التفسير اللفظي

١٨٩ تفسير الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة والشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة . وذكر تشبيه الرجل المسلم بالشجرة الطيبة التي هي النخلة الخ وذكر حديث البخاري ومسلم أن العبد اذا وضع في قبره الخ موازنة بين كلام العرب وكلام القرآن التشبيه بالشجر والنبات وغيرها وأن عنبرة العيسى يشبه رائحة عبله برائحة روضة أنف في قوله ﴿ أروضة أنفا الخ ﴾ وهذا موازن بقوله تعالى - ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير -

١٩١ أبيات أخرى من كلام المعلقات وغيرها وموازنة مع القرآن الخ بقية التفسير اللفظي - ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا -

١٩٣ جوهرة في ذكر نعمة بهية وهي الحرير الصناعي المأخوذ من خشب التوت وحطب القطن وشعر القطن وقد ارتقى الانسان من لبس جلود الأنعام الى الاقتداء بدودة الحرير الغازلة له فالإقتداء بالعنكبوت في صناعة النسج ثم هو الآن يتخطى الحيوان كله فيستخرج الحرير من نفس الحشيش ولا يتشكل على الحيوان جداول بأنواع النبات من غذاء وفاكرة ودواء ولباس وأن هذه النباتات جعلت موافقة لسوق جنود الجوع وجنود البرد وجنود المرض تلك الجنود الملجئة للانسان أن يستعمل تلك النباتات ففيها ثلاث فوائد حفظ جسده من الجوع والبرد وتقوية عضلاته بالعمل ونمية قواه العقلية كما في هذا التفسير فهذا اقتصاد من الله في نظامه كالاقتصاد في خلق اللسان فهو يذوق الطعام ويحركه ويقوم بتفهم الكلام للسامع فالإقتصاد في نظام الموجودات المذكورة كالاقتصاد في عضو اللسان وما العرى ولا الجوع ولا المرض إلا لغات يفهم بها الانسان بلا حرف ولا صوت وقد اشترك فيها الانسان والحيوان جميعا وهي أبلغ من نطق اللسان

١٩٦ الكلام على أن الاسلام كشجرة والشجرة لها أصل وفروع والفروع ﴿ قسمان ﴾ أصل وأطراف وبيان أن النبي ﷺ وأصحابه هم أصل الشجرة ولم يؤلفوا في فقه ولا في علوم السموات والأرض وألف المتأخرون في علوم الفقه وهي كفروع الشجرة التي ليست أصولا أما الفروع التي هي أصول كعلم



السموات والأرض والنبات فلم يؤلفوا فيها وليس لهم حجة في أن الصحابة لم يؤلفوا فيها لسقوطها بأنهم لم يؤلفوا في الفقه لأنهم أصل الشجرة وأصل جميع فروعها • اللوف والنخل وأن اللوف يطول سريرا ويعلو على النخل ويذبل حالا والنخل طويل العمر بطيء الثمر فأشرفهما أدومهما • هكذا العلماء النافعون يبقون بآثارهم والمتظاهرون بالعلم بلا حقيقة لا بقاء لذكرهم ولا لآثارهم

عبر الله بكاف الخطاب في هذه الآيات ست مرات فجعل الماء لنا والثمرات لنا الخ فهل كاف الخطاب استثنى منها المسلمون وهل الله خاطب الفرنجة وحدهم فقال - وسخر لكم الفلك لتجروا في البحر بأمره الخ - حتى رأينا أكثر السفن لهم • ﴿ تنبيهات \* الأول ﴾ في قوله تعالى - ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء - وكيف ينعم علينا وقد أضلّ الظالمين منا • الجواب عن ذلك في نفس الآية فالشجر يكون حنظلا مرا وتمرا حلوا والقسمان نحتاج اليهما فاذا كان الحنظل وجيع النباتات الدينية لم تجعل عالم النبات مخالفا للحكمة فهكذا هنا العقول مزارع زرعها الله في أجسامنا وهي مختلفة اختلاف النباتات فما حسن هناك حسن هنا ومنا من يفقهه في الحياة ومنا من لا يفقهه إلا بعد الموت

٢٠٠ ﴿ التنبيه الثاني ﴾ - وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله - وبيان أن تحريم عبادة الأصنام بسبب حصرها الفكر والا فأنه غنى عن العالمين

﴿ التنبيه الثالث ﴾ كيف يدخل الضلال على أرباب الديانات وليس معقولا أن الخليل يخاف من عبادة الأصنام ولا المسلم كذلك وإنما المخوف هو حصر الفكر كما هو حاصل لأغلب المسلمين اليوم

٢٠١ ﴿ جوهرة في قوله تعالى - وجعلوا لله أندادا - ﴾ • إن علماء الهند ومصر وغيرهم قد أشركوا أمام العامة ووجدوا في نفوسهم ويشهد بذلك رؤيا هرمس إذ سمع قائلا يقول إن النور الذي رأيته مثل لنور الله الخ

٢٠٢ التثليث عند الأمم القديمة • إن العالم كله مادة وعقل ونفس الخ وأيضا يقول الأسقف اليوناني في عكا إن الروح السرى عند الأمم القديمة هو المغالطة للشعوب وأنا فيلسوف مع نفسي كاهن مع الشعب

﴿ القسم الثالث ﴾ - وإذا قال إبراهيم - إلى آخر السورة وهو مشكل • تفسيره اللفظي ملخص هذا القسم وفي هذا المقام لطائف ﴿ اللطيفة الأولى ﴾ أن عبادة الأصنام في كلام الخليل ترجع للكلمة الخيثة واقامة الصلاة ترجع للكلمة الطيبة الخ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ - ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع الخ - حديث أم اسماعيل وهي ترضعه ونزول جرحم عليها وتربية اسماعيل بينهم الخ

٢٠٧ ﴿ اللطيفة الرابعة ﴾ - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات الخ - وهذه الآية هي نفس العلم الحديث أن الأرض والشمس والسيارات كانت كلها كرة واحدة وانفصلت السيارات وبرهان ذلك بالتلسكوب إذ رأوا ستين ألف كوكب نارية تتكون الآن وهذا يوافق حديث عائشة الذي أخرجه

مسلم • هنا أربع جواهر ﴿ الجوهرة الأولى ﴾ - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - ومن النعم التي لم يشكرها المسلمون البحر الميت الذي أخذ امتياز الانجائز وفيه ثروة (٢٣٨) ألف ألف ألف جنيه وبيان ما فيه من البوتاسا والبروم وللح الخ وشروط العقد وبيان أن الله حرم المسلمين من هذا لجهلهم لأن الله لا يعطي النعمة إلا لمن يشكرها ولا يشكرها إلا من يستعملها ولا يستعملها إلا العالم بها والمسلمون ليسوا بعالمين بها

٢١٠ حكمة إلهية ونور على نور وذكّر عجائب عناصر البحر الميت وسرّ الحروف في أوائل السور في القرآن أول هذه السورة (الر) وهذه الحروف بترتيبها جاءت في البحر والأنهار والقمر والنار الخ وهذه

من النعم التي يذكرنا الله بها ومن البحر المذكور البحر الميت وهذا سر جديد ظهر للقرآن في (الر) وإيضاح العناصر التي في البحر الميت

٢١٢ مات البحر لموت عقول المتأخرين في الاسلام كما ظن العامة المحمول على النعش ميتا وقال الطبيب هو حي . وكما ظن جبرائيل بن بختيشوع أن ابراهيم بن صالح ابن عم هرون الرشيد سيموت وقت صلاة العتمة فقال صالح بن بهلة الهندي انه لن يموت ثم ظهر الحق بانه كان غير ميت وأنعشه بنفخ الكندس في أنفه فأرض الله ومنها البحر الميت عند المسلمين أشبه بابراهيم بن صالح عند ابن بختيشوع ولكنها عند العلماء في أوروبا أشبه بابراهيم بن صالح المذكور عند صالح بن بهلة الهندي تبيان وجه الشبه بين حال هذه الحوادث وحال المسلمين الذين يجهلون هذه العلوم ﴿ الجوهرة الثانية ﴾ في قوله تعالى - واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام -

٢١٤ ذكر أن أكثر الناس على الأرض يفعل معهم شيوخهم فعل المنوم (بالكسر) . وذكر الخطاب المرفوع الى أغا خان الذي يدعى الالهية . والشكوى تنحصر في أنه يأخذ مال الرعية في الهند بدل الفقراء ويقسم الناس أموالهم فيأخذ نصفها وأتباعه لا يصومون ولا يحجون ومن رفع الشكوى منهم قتل الخ وأن هؤلاء من فرقة حسن بن الصباح وهم الباطنية

٢١٦ ﴿ جوهرة في أديان القدماء ﴾ وذكر أن الله عند الهنود غير مكشوف وكان دينهم الوحدانية في أول أمره ثم جاء التثليث وانحط الشعب بالأعمال الصبائية والطقوس والخرافات ثم جاء خريستا سنة ٤٨٠٠ قبل الميلاد فطهر الدين . ثم اختل الأمر ثانيا فجاء (بوذا) بعد نحو أربعين سنة فرجع الى التوحيد أو تهذيب الدين ثم جاءت الخرافات كذلك ثم جاء دين النصرانية فشوهته الخرافات ثم جاء دين الاسلام فقال بالوحدانية

٢١٩ أم الاسلام المتأخرة اعتراهم ما اعترى الأمم قبلهم . أنظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني والفرق بين الفرق (بفتح الفاء الأولى وكسر الثانية) والكلام على اضلال الأصنام واقامة الصلاة وكون المجرمين سترين في الأصنام

٢٢٠ بيان أن ظهور النور في شجرة العليق لموسى بعد أن فارق شعبا تعليم للسلم أن الفتوح له يأتي بعد أخذ علم شيخه كما جاء لموسى بعد ترك شعيب وعلم الأسلاف كابن الأم والفتوح الالهى ككسب المعاش وأن الانسان في أموره الدنيوية يطالع جمال ربه في شجره وحجره فيتصل الدنيا بالدين كما كان موسى يريد النور ليدي زوجته وليعرف ربه فحصل الأمران . وهذا هو سر قوله تعالى - لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله - . ذكر أن المنكبرين يحشرون على صور الذر وأن جسم الانسان كتاب مفتوح فاه عقل في الرأس وقلب في الصدر وبطن و فرج في القسم الأسفل ولكل من هذه الثلاث رذائل وفضائل الخ

٢٢٢ ﴿ الجوهرة الثالثة أيضا في قوله تعالى - واجنبي وبنى أن نعبد الأصنام الخ - ﴾ دعوة المؤلف الامامية والزيدية والشيعة والسنية يطلب منهم أن يكونوا جماعة يأمرهم بالمعروف الخ ٢٢٣ حكاية مع العلامة (دوارد براون) الانجليزى إذ ذكر المؤلف أنه سمع طالبا في بلاد ايران أيام السلطان عبد الحميد يقول إني حارب مع الروس بسيفي هذا ضد أهل السنة الذين هم مكروهون عندنا . وأن ذلك العالم الانجليزى عجب من جهل هؤلاء القوم إذ تدخل الروس في بلادهم ورجعوا الى حوادث مضى عليها ١٣٠٠ سنة وهم غافلون



نصيحة المؤلف لجميع المسلمين (أ) أن يتعلم الرجال والنساء جميعا (ب) و (ج) أن النبي ﷺ مشوق  
الناس للشمس والقمر والشجر الخ في (١٣) سنة . ثم ان المتخصصين في العلوم يكفهم على ما يظن  
المؤلف (٢٣) سنة كمدة الرسالة

- ٢٢٤ (د) يدرس القرآن بطريق مشوق وسيرة النبي ﷺ الخ  
(هـ) يتخرج في بلاد الاسلام من الشيعة والسنية رجال متبحرون  
(و) ينتخب من كل قطر جماعة من هؤلاء وهم المذكورون في الآية فهم الآمرون الناهون الخ  
(ز) بهذا نكون - خير أمة أخرجت للناس -  
(ح) ان المتعلم على هذه الشريعة لا يتعصب لمذهبه بل للاسلام والعلم  
(ط) يقول المؤلف إني نصحت لأمتي وبذلت جهدي وما أنا من المتكلفين الخ

( تمت )